
رهبان الليل
تأليف
دكتور سيد بن حسين العفاني
قدم له
الشيخ أبو بكر جابر الجزائري
الشيخ محمد إسماعيل المقدم
الشيخ عائض بن عبد الله القرني
الشيخ محمد صفوت نور الدين
الشيخ أبو إسحاق الحويني
الشيخ محمد القاضي
المكتبة التوفيقية
أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين
منتدى اقرأ الثقافي
www.iqra.ahlamontada.com



رُهبانُ الليـل

تأليف

دكتور سيد بن حسين العفاني

قدم له

الشيخ أبو بكر جابر الجزائري	الشيخ محمد صفوت نور الدين
الشيخ محمد إسماعيل المقدم	الشيخ أبو إسحاق الحويني
الشيخ عائض بن عبد الله القرني	الشيخ محمد القاضي

المجلد الثاني

الناشر

مكتبة معاذ بن جبل

جوال: ٠١٢٣٤٣٩١٦٨

بني سويف ت: ٠٨٢/٣١٧٣٤٤



قيام الراكعات الساجدات

أما لك بالرجـال أُسوة   أتسبقك وأنت رجل نسوة

قيام الراكعات الساجدات

سنقص عليك طرفًا من ذكر العابدات المتهجدات الراكعات الساجدات اللاتي أضناهن طول القيام لَعَلّ عزائم الرجال تستيقظ فينا.

كذاك الفخرُ يا هممَ الرجالِ تعَاليْ فانظري كيف التعالي

ويزين المقال ذكر أمهات المؤمنين زوجات رسول اللَّه ﷺ، فقد كان ﷺ يوقظهن لصلاة الليل.

أم المؤمنين خديجة بنت خويلد ـ رضي اللَّه عنها ـ

في «الصحيحين» عن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ أن رسول اللَّه ﷺ بشّر خديجة ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب.

وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**أتاني جبريل فقال: يا رسول اللَّه هذه خديجة أتتك ومعها إناء فيه طعام وشراب فإذا هي أتتك فاقرأ عليها من ربها السلام ومني**»، وهي ـ رضي اللَّه عنها ـ أول من آمن باللَّه من الرجال والنساء كما قال الزهري وقتادة وعبد اللَّه بن محمد بن عقيل وإسحاق وجماعة من العلماء.

نزلت على الرسول ﷺ وهي معه آيات سورة المزمل... يأمر اللَّه عز وجل نبيه بقيام الليل فقام وقامت معه، وقام الصحابة اثنا عشر شهرًا حتى انتفخت أرجلهم، ثم نزل التخفيف في نهاية السورة... آمنت برسالة زوجها ﷺ حين كفر الناس، وصدّقته إذ كذّبه

الناس. . . حتى يتوجها ربها بنزول ملك الوحي جبريل عليه السلام لرسول اللَّه ﷺ قائلاً له: «اقرأ خديجة من ربها السلام» قالت عائشة: ماتت قبل أن تفرض الصلاة يعني قبل أن يعرج بالنبي ﷺ.

أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق
عائشة بنت أبي بكر - رضي اللَّه عنها -

قال القاسم: «كانت عائشة تصوم الدهر»(١).

وعنه قال: «كنت إذا غدوت أبدأ ببيت عائشة - رضي اللَّه عنها -، فأُسَلِّم عليها، فغدوت يومًا فإذا هي قائمة تسبح، وتقرأ: ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ وتدعو وتبكي وترددها، فقمت حتى مللت القيام، فذهبت إلى السوق لحاجتي، ثم رجعت، فإذا هي قائمة كما هي تصلي وتبكي»(٢) .. إذا كانت هذا نهارها فكيف تكون إذا جنّ الليل... يكفي من قيامها ما قاله ابن عباس عنها: وشهادته تاج فوق جبينها: «أعلم الناس بوتر رسول اللَّه ﷺ». أعلم الناس بليل رسول اللَّه ﷺ وقيامه... تقصه وتوضحه لأهل الأرض جميعًا... فهل يأتي علمها من نومها أم من يقظتها وقيامها - رضي اللَّه عنها -. وإذا كان رسول اللَّه ﷺ سيد العابدين فالصديقة العالمة بليله وقيامه ووتره سيدة المتهجدات.

* * *

(١) «الإجابة» للزركشي ص(٦٧).
(٢) «السمط الثمين» ص(٩٠).

أم المؤمنين حفصة
بنت عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنها ـ

عن أنس ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «قال جبريل: راجع حفصة فإنّها صوّامة قوّامة»[1].

* وعن نافع قال: ماتت حفصة حتى ما تفطر[2].

وأي شهادة أعظم من شهادة المولى عز وجلّ وجبريل لابنة الفاروق بأنها صوّامة قوّامة.

انظر رحمك اللَّه كيف كان تهجد حفصة ـ رضي اللَّه عنها ـ وصيامها سببًا لإبقائها زوجًا لرسول اللَّه ﷺ في الدنيا والآخرة؟ وكيف لا تكون قوّامة وهي بنت أبيها؟ وللَّه در من قال:

وهل ينبت الخطيّ إلا وشيجهُ ... ويزرع إلا في منابته النخلُ

قيام أم المؤمنين زينب بن جحش ـ رضي اللَّه عنها ـ

في «الإصابة» قالت عنها عائشة عند موتها: لقد ذهبت حميدة متعبدة مفزع اليتامي والأرامل. ومن حديث أم سلمة بسند موصول فيه الواقدي أنها ذكرت زينب فترحمت عليها وقالت: وكانت لرسول اللَّه

---

(١) حسن: أخرجه الحاكم في «المستدرك» عن أنس وعن قيس بن زيد، وأبو نعيم في «الحلية» عن عمار بن ياسر، وأبو نعيم في «الحلية»، والحاكم في «المستدرك» عن قيس ابن زيد مرسلاً، وابن سعد عن قيس مرسلاً وحسّنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٢٢٧).

(٢) أخرجه ابن سعد بسند صحيح كما قال ابن حجر في «الإصابة» (ج٤ ص٢٧٣).

صلى اللَّه عليه وآله وسلم معجبة وكانت يستكثر منها[1]. وكانت صالحة صوامة قوامة صناعًا تصدق بذلك كله على المساكين. وعند البخاري: دخل النبي ﷺ فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال ما هذا الحبل؟ قالوا: هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلقت فقال النبي ﷺ: «**لا حلُّوه، ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليقعد**»[2]، رضي اللَّه عنك أم المؤمنين يا من زوّجك اللَّه من فوق سبع سماوات.

قيام أم الصهباء معاذة بنت عبد اللَّه العدوية زوجة صلة بن أشيم

كانت - رحمها اللَّه - تلميذة لعائشة - رضي اللَّه عنها - فبوركت بصحبتها لأم المؤمنين.

* كانت - رحمها اللَّه - تصلي الليل الطويل، فكانت تكلّ الرجال وهي لا تكلّ[3].

* لمّا أهديت معاذة العدوية إلى زوجها صلة بن أشيم أدخله ابن أخيه الحمام، ثم أدخله بيتًا مطيّبًا، فقام يصلي حتى أصبح، وفعلت معاذة كذلك، فلما أصبح عاتبه ابن أخيه على فعله، فقال له: إنك أدخلتني بيتًا أذكرتني به النار، ثم أدخلتني بيتًا أذكرتني به الجنة، فما زالت فكرتي فيهما حتى أصبحت[4].

---

(١) «الإصابة» لابن حجر.

(٢) انظر: «فتح الباري شرح صحيح البخاري» كتاب التهجد.

(٣) «تنبيه المغترين» ص(١١٧).

(٤) «التخويف من النار» لابن رجب الحنبلي ص(٢٣).

رحمكم اللَّه أهل بيت علت بهم هممهم. . . أي كلام يترجم فعلهم؟ . . امرأة تحيي الليل كله ليلة بنائها. . فما بال النسوة في زماننا هذا جهلن ما علمته الأواهة التقية معاذة، بل ما بال الرجال في قرننا العشرين؟ .

أمـا الخيـام فإنها كخيامهـم وأرى نسـاء الحي غير نسائهـا

* كانت ـ رحمها اللَّه ـ إذا جاء النهار قالت: هذا يومي الذي أموت فيه، فما تنام حتى تمسي، وإذا جاء الليل قالت: هذه ليلتي التي أموت فيها فلا تنام حتى تصبح، وإذا جاء البرد لبست الثياب الرقاق حتى يمنعها البرد من النوم(١) .

وكانت ـ رحمها اللَّه ـ تحيي الليل صلاةً فإذا غلبها النوم قامت فجالت في الدار وهي تقول: «يا نفس، النوم أمامك، لو قدمت لطالت رقدتك في القبور على حسرة أو سرور». وكانت تقول: «عجبت لعين تنام، وقد عرفت طول الرقاد في ظلم القبور».

* وقالت لابنة لها من الرضاع: «يا بنية كوني من لقاء اللَّه على حذر ورجاء، وإني رأيت الراجي له محفوفًا بحسن الزلفى لديه يوم يلقاه، ورأيت الخائف له مؤملاً للأمان يوم يقوم الناس لرب العالمين»، ثم بكت حتى غلبها البكاء.

* وإن تعجب من حالها وتقواها فما تقول في خبرها هذا الذي يرويه ثابت البناني يوم أن بلغها نبأ استشهاد زوجها وابنها فأتت النساء يواسينها في مصابها؟ :

---

(١) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٢٢)، «مختصر قيام الليل» ص(٢٦).

«اجتمعت النساء عند معاذة العدوية فقالت: مرحبًا، إن كنتنّ جئتنّ لتهنئنني فمرحبًا بكنّ، وإن كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن».

يا لجلال الموقف... أي صنف من النساء أنت منهن أيتها التقية؟.

لا عجب يا أخي فقد بوركت عابدتنا بالسهر والتهجد ولقاء أم المؤمنين عائشة والرواية عنها فسمت إلى هذا الموقف الذي يعجز عنه الرجال.

* ولما مات زوجها شهيدًا لم توسد فراشًا بعده كما قال الحسن.

وقالت لابنتها من الرضاعة: «واللَّه يا بنية ما محبتي للبقاء في الدنيا للذيذ عيش، ولا لروْح نسيم، ولكن واللَّه أحب البقاء لأتقرب إلى ربي عز وجل بالوسائل لعله يجمع بيني وبين أبي الصهباء وولده في الجنة».

كفى حزنًا أن لا أعاين بقعة ... من الأرض إلاّ ازددت شوقًا إليكمُ

وأني متى ما طاب لي خفض عيشة ... تذكرت أيامًا مضت لي لديكمُ

* وقالت عفيرة العابدة عنها: «لما احتضرها الموت بكت ثم ضحكت، فقيل لها مِمَّ بكيت ثم ضحكت؟ فممّ البكاء ومِمَّ الضحك؟ قالت: أما البكاء الذي رأيتم فإني ذكرت مفارقة الصيام والصلاة والذكر فكان البكاء لذلك، وأما الذي رأيتم من تبسمي وضحكي فإني نظرت إلى أبي الصهباء قد أقبل في صحن الدار وعليه حُلتان خضراوان في نفر واللَّه ما رأيت لهم في الدنيا شبهًا، فضحكت إليه ولا أراني أدرك بعد ذلك فرضًا. قالت: فماتت قبل أن يدخل وقت الصلاة»[1].

(١) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٢٢ ـ ٢٤).

* حفصة بنت سيرين: أمّ الهذيل ـ رحمها اللَّه ـ:

كانت ـ رحمها اللَّه ـ تسرج سراجها من الليل ثم تقوم في مصلاها فربما طفئ السراج فيضيء لها البيت حتى تصبح، ومكثت في مصلاها ثلاثين سنة لا تخرج إلاّ لحاجة أو قائلة، وكانت تدخل مسجدها فتصلي فيه الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح، ولا تزال فيه حتى يرتفع النهار فتركع ثم تخرج فيكون عند ذلك وضوءها ونومها.

* وكانت ـ رحمها اللَّه ـ تقول: يا معشر الشباب خذوا من أنفسكم وأنتم شباب فإني واللَّه ما رأيت العمل إلا في الشباب.

وقرأت ـ رحمها اللَّه ـ القرآن وهي بنت ثنتي عشرة سنة، وكان ابن سيرين إذا أشكل عليه من القرآن شيء قال: اذهبوا فسلوا حفصة كيف تقرأه؟.

* كان الهذيل ابنها يجمع الحطب في الصيف فيكسره ويأخذ القصب فيفلقه، فإذا وجدت حفصة أمه بردًا في الشتاء جاء بالكانون فوضعه خلفها وهي في مصلاّها، ثم يقعد فيقد بذلك الحطب والقصب وقودًا لا يؤذيها دخانه ويدفئها، فمكث كذلك ما شاء اللَّه قالت حفصة: وعنده ما يكفيه لو أراد، قالت: فربما أردت أن أنصرف إليه فأقول: يا بني ارجع إلى أهلك ثم أذكر ما يريد فأدعه، قالت: فلما مات رزقني اللَّه عليه من الصبر ما شاء أن يرزقني، غير أني كنت أجد غصة[1] لا تذهب فبينما أنا ذات ليلة أقرأ سورة النحل إذا أتيت على هذه الآية:

---

(١) حزن.

﴿ وَلا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ فأعدتها فأذهب اللَّه عني ما أجد(١) .

* وعن هشام بن حسّان قال: اشترت حفصة جارية سِندية فقيل لها: كيف رأيت مولاتك؟ فذكرت كلامًا بالفارسية معناه: إنها امرأة صالحة، إلاّ أنها أذنبت ذنبًا عظيمًا فهي الليل كله تبكي وتصلي.

* وقال عبد الكريم بن معاوية: ذُكر لي عن حفصة أنها كانت تقرأ نصف القرآن في كل ليلة، وكانت تصوم الدهر وتفطر أيام العيدين والتشريق(٢)

* عن عاصم بن الأحول: كنا ندخل على حفصة بنت سيرين: وقد جعلت الجلباب هكذا وتنقبت به فنقول لها: رحمك اللَّه قال تعالى: ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاَّتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ﴾ وهو الجلباب، قال: فتقول لنا: أي شيء بعد ذلك؟ فنقول: ﴿ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ﴾ فتقول: هو إثبات الجلباب(٣) .

وكانت ـ رحمها اللَّه ـ راوية للحديث.

* * *

(١) «مختصر قيام الليل» ص(١٩)، «صفة الصفوة» (ج٤ ص٢٤، ٢٥ ، ٢٦).
(٢) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٢٦).
(٣) « صفة الصفوة» (ج٤ ص٢٤).

* قيام أم الدرداء (الصغرى) هُجَيْمة - جُهَيْمة - بنت حُيي الأوصابية - رحمها اللَّه -:

كانت - رحمها اللَّه - إذا حدّثت بحديث عن زوجها قالت: حدّثني سيدي - تعني أبا الدرداء -.

* عن يونس بن ميسرة قال: كنا نحضر أم الدرداء وتحضرها نساء متعبدات يقمن الليل كله حتى إن أقدامهن قد انتفخت من طول القيام[١].

* عن جبير بن نفير عن أم الدرداء أنها قالت لأبي الدرداء: إنك خطبتني إلى أبويّ في الدنيا فأنكحوني، وإني أخطبك إلى نفسك في الآخرة، قال: فلا تنكحي بعدي. فخطبها معاوية فأخبرته بالذي كان - فقال: عليك بالصيام[٢].

وفي راية أخري: ولست أريد بأبي الدرداء بدلاً [٣].

* قيام ابنة أم حسان الأسدية - رحمها اللَّه -:

عن سفيان الثوري قال: دخلت عليّ بنت أم حسان الأسدية في جبهتها مثل ركبة العنز من أثر السجود، وليس به خفاء.

قال سفيان: وكان إذا جنّ عليها الليل دخلت محرابًا لها، وأغلقت عليها ثم نادت، إلهي خلا كل حبيب بحبيبه، وأنا خالية بك يا محبوب، فما كان من سجن تسجن به من عصاك إلا جهنّم،

(١) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٢٩٦، ٢٩٧).
(٢) «تهذيب التهذيب» (ج٢ ص٤٦٦).
(٣) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٢٩٦).

ولا عذاب إلاّ النار(١).

* قيام رابعة العدوية ـ رحمها اللَّه ـ:

ومن هؤلاء الناسكات رابعة العدوية البصرية، وكانت مضرب المثل في تَدَلُّه القلب واحتراق الكبد حبّا للَّه وإيثاراً لرضاه، وكانت تواصل صيامها وقيامها، وتتابع زفراتها، وتدفق عبراتها، وتستقل كل ذلك في جنب اللَّه، قال يومًا شيخ الزهاد سفيان الثوري وهو عندها: «وا حزناه» فقالت: «لا تكذب! بل قل: وا قلة حزناه، ولو كنت محزونًا لم يتهيأ لك أن تتنفس».

*قالت عنها أشبه الناس بها في نسكها وعبادتها خادمتها عبدة بنت أبي شوال ـ وكانت من خيار إماء اللَّه : «كانت رابعة تصلي الليل كله، فإذا طلع الفجر هجعت في مصلاها هجعة خفيفة حتى يسفر الفجر. فكنت أسمعها تقول إذا وثبت من مرقدها ذلك وهي فزعة: يا نفس كم تنامين؟ وإلى كم تقومين؟ يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها إلاّ لصرخة يوم النشور»(٢).

قالت عبدة: وكان هذا دأبها أمد دهرها حتى ماتت، ولما حضرتها الوفاة دعتني،وقالت: يا عبدة! لا تؤذني بموتي أحدًا، وكفنيني في جبتي هذه» ـ وهي جبة من شعر كانت تقوم فيها إذا هدأت العيون.

قال ابن كثير ـ رحمه اللَّه ـ:

---

(١) «حلية الأولياء» (ج٧ ص٩).
(٢) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٢٩، ٣٠).

«وقد ذكروا لها أحوالاً وأعمالاً صالحة، وصيام نهار، وقيام ليل، ورؤيت لها منامات صالحة، فاللَّه أعلم»، وقال أيضًا: «وأثنى عليها أكثر الناس، وتكلم فيها أبو داود السجستاني واتهمها بالزندقة، فلعله بلغه عنها أمر»[1] .

* قيام عجردة العمية ـ رحمها اللَّه ـ:

قال رجاء بن مسلم العبدي: كنا نكون عند عجردة العَمِية في الدار فكانت تحيي الليل صلاة. وربما قال: تقوم من أول الليل إلى السحر، فإذا كان السحر نادت بصوت لها محزون:

«إليك قطع العابدون دجى الليالي بتكبير الدلج إلى ظُلم الأسحار، يستبقون إلى رحمتك وفضل مغفرتك، فبك إلهي لا بغيرك أسألك أن تجعلني في أول زمرة السابقين إليك، وأن ترفعني إليك في درجة المقربين، وأن تلحقني بعبادك الصالحين فأنت أكرم الكرماء، وأرحم الرحماء، وأعظم العظماء، يا كريم»، ثم تخر ساجدة فلا تزال تبكي وتدعو في سجودها حتى يطلع الفجر فكان ذلك دأبها ثلاثين سنة.

* وحدثت آمنة بنت يَعْلى بن سُهَيْل قالت: كانت عجردة العمية تغشانا فتظل عندنا اليوم واليومين، قالت: فكانت إذا جاء الليل لبست ثيابها وتقنعت ثم قامت إلى المحراب فلا تزال تصلي إلى السحر ثم تجلس فتدعو حتى يطلع الفجر، فقلت لها ـ أو قال بعض أهل الدار ـ:

---

(١) «البداية والنهاية» (١٠/١٨٦ ـ ١٨٧)، وانظر: «عودة الحجاب» للشيخ محمد بن إسماعيل (ج٢ ص٣٠٢، ٣٠٣).

لو نمت من الليل شيئًا، فبكت وقالت: ذكر الموت لا يدعني أنام[1].

* قيام حبيبة العدوية ـ رحمها اللَّه ـ:

* قال عبد اللَّه المكي أبو محمد: كانت حبيبة العدوية إذا صلت العتمة قامت على سطح فشدت عليها درعها وخمارها فقالت: «إلهي غارت النجوم، ونامت العيون، وغلقت الملوك أبوابها، وبابك مفتوح، وخلا كل حبيب بحبيبه، وهذا مقامي بين يديك».

ثم تقبل على صلاتها، فإذا كان السحر قالت: اللَّهم وهذا الليل قد أدبر، وهذا النهار قد أسفر، فليت شعري هل قبلت مني ليلتي فَأُهَنَّى، أم رددتها عليّ فَأُعَزَّى؟ فوعزتك لهذا دأبي ودأبك أبدًا ما أبقيتني، وعزتك لو انتهرتني ما برحت عن بابك، ولا وقع في قلبي غير جودك وكرمك[2].

وكانت تقول: اللَّهم اغفر لي سوء أدبي في صلاتي[3].

* قيام عفيرة العابدة وليلها:

قيل لها: إنك لا تنامين بالليل فبكت ثم قالت: ربما اشتهيت أن أنام فلا أقدر عليه، وكيف ينام أو يقدر على النوم من لا ينام حافظاه عنه ليلاً ولا نهارًا؟[4].

---

(١) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٣١).
(٢) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٣٢).
(٣) «تنبيه المغترين» ص(١١٦).
(٤) «مختصر قيام الليل» ص(٢٩).

وكانت ـ رحمها اللَّه ـ لا تضع جنبها إلى الأرض في ليل وتقول: أخاف أن أؤخذ على غرة وأنا نائمة، وكانت لا تملّ من البكاء فقيل لها: أما تسأمين من كثرة البكاء؟ فقالت: كيف يسأم إنسان من دوائه وشفائه؟!(١) .

* وكانت تقول في مناجاتها: «عصيتك بكل جارحة مني على حدتها، واللَّه لئن أعنتَ لأطيعنَّك ما استطعتُ بكل جارحة عصيتك بها»(٢) .

* وقدم ابن أخ لها طالت غيبته فبُشِّرت به، فبكت، فقيل لها: ما هذا البكاء؟ اليوم يوم فرح وسرور، فازدادت بكاءً ثم قالت: «واللَّه ما أجد للسرور في قلبي مسكنًا مع ذكر الآخرة، ولقد ذكرني قدومه يوم القدوم على اللَّه فَمِنْ بين مسرور ومثبور»(٢) .

* ودخل عليها قوم فقالوا: ادعي اللَّه لنا. فقالت: «لو خرس الخطّاءون ما تكلمت عجوزكم، ولكن المحسن أمر المسيء بالدعاء، جعل اللَّه قراكم من نبق الجنة، وجعل الموت مني ومنكم على بال، وحفظ علينا الإيمان إلى الممات وهو أرحم الراحمين»(٣) .

* عمرة امرأة حبيب العجمي:

* انتبهت ليلة وزوجها نائم فأنبهته في السحر وقالت له: قم يا

---

(١) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٣٤)، و«تنبيه المغترين» ص(١١٦).

(٢) « صفة الصفوة» (ج٤ ص٣٤).

(٣) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٣٣)، و«مختصر قيام الليل» ص(٢٩).

سيدي [رجل] فقد ذهب الليل وجاء النهار، وبين يديك طريق بعيد، وزاد قليل، وقوافل الصالحين قد سارتْ قدّامنا ونحن قد بقينا(١) .

* جارية خالد الورّاق:

قال خالد الوراق: كانت لي جارية شديدة الاجتهاد فدخلت عليها يومًا فأخبرتها برفق الله وقبوله يسير العمل، فبكت ثم قالت: يا خالد إني لأؤمل من اللّه تعالى آمالاً لو حملتها الجبال لأشفقت من حملها كما ضعفت عن حمل الأمانة، وإني لأعلم أن في كرم اللّه مستغاثًا لكل مذنب، ولكن كيف لي بحسرة السباق؟ قال: قلت: وما حسرة السباق؟ قالت: «غداة الحشر إذا بعثر ما في القبور، وركب الأبرار نجائب الأعمال فاستبقوا إلى الصراط، وعزة سيدي لا يسبق مقصر مجتهدًا أبدًا، ولوْ حبا المجدُّ حَبْوًا، أم كيف لي بموت الحزن والكمد إذا رأيت القوم يتراكضون، وقد رفعت أعلام المحسنين، وجاز الصراط المشتاقون، ووصل إلى اللّه المحبون، وخلّفت مع المسيئين المذنبين؟! ثم بكت.

انظر يا أخي: إن أريج العبادة ورائحة الظمأ والسهر لتبدو من هذا الكلام.

* * *

(١) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٣٥).

*** شعوانة ـ رحمها اللَّه ـ:**

كانت تترنم بهذين البيتين:

أذري جفونك إمّا كنت شاجية
إن النياحة قد تشفي الحزينينا
جدّي وقومي وصومي الدهر دائبة
فإنما الدّوب من فعل المطيعينا[1]

وكانت تقول: أنبتَّ لكل داءٍ دواء في الجبال، ودواء المحبين في الجبال لم ينبت.

ولقد بكت حتى خافوا عليها العمى، فقالوا لها في ذلك، فقالت: «أعمى واللَّه في الدنيا من البكاء أحبّ إليّ من أن أعمى في الآخرة من النار».

وكانت تقول: من استطاع منكم أن يبكي فليبك، وإلاّ فليرحم الباكي، فإن الباكي إنما يبكي لمعرفته بما أتى إلى نفسه.

وكانت تقول: وددت أني أبكي حتى تنفد دموعي، ثم أبكي الدماء حتى لا تبقى في جسدي جارحة فيها قطرة من دم، وأنى لي البكاء؟[2]، فلم تزل تردد: «وأنى لي البكاء؟» حتى غشي عليها.

* * *

(١) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٤٦، ٤٧).
(٢) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٥٥، ٥٦).

* **ريحانة ـ رحمها الله ـ:**

كانت تقوم أول الليل وتقول:

قـــام المحـــب إلى المؤمّـــل قومـــةً

كـــاد الفـــؤاد من الســـرور يطيـــرُ

وفي جوف اليل تقول:

لا تَأنَســـنّ بمـــن توحشـــك نظـــرتُه

فتُمْنَعَـــنَّ مـــن التَّـــذكـــارِ في الظُّـــلـــم

واجهـــد وكـــدّ وكن في الليل ذا شجن

يسقيـــك كـــأس وداد العـــز والكـــرم

ثم نادت: وا حرَباه وَا سَلَباه. فقيل لها ممّ ذا؟ قالت:

ذهب الظـــــلام بأنســـــه وبألفـــــه

ليت الظـــــلام بأنســـــه يتجـــدّدُ(١)

* **منيفة بنت أبي طارق:**

وكانت بالبحرين، وكانت ـ رحمها اللَّه ـ إذا هجم عليها الليل قالت: «بخ بخ يا نفسُ قد جاء سرور المؤمن، فتقوم في محرابها فكأنها الجذع القائم حتى تصبح.

وعن أم عمار بنت مليك البحراني قالت: بت ليلة عند منيفة بنة أبي طارق فما زادت على هذه الآية ترددها وتبكي: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ

---

(١) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٥٧).

﴿صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[آل عمران: ١٠١][1]

* قيام بردة الصريمية وبكاؤها ـ رحمها اللَّه ـ:

كانت بالبصرة، وكانت تقوم الليل، فإذا سكنت الحركات وهدأت العيون نادت بصوت لها حزين: هدأت العيون، وغارت النجوم، وخلا كل حبيب بحبيب، وقد خلوت بك يا محبوبي، أفتراك تعذبني وحبك في قلبي؟ لا تفعل يا حبيباه[2].

وكانت تقول: ربما سمعتُ القرآن فأرى مُلك بني مروان قد حوي لي.

وكانت تبكي حتى يرحمها من رآها، ولقد بكت حتى ذهب بصرها فلاموها على ذلك فقالت: لو رأيتم بكاء العصاة يوم القيامة لقلتم إن هذا البكاء كاللعب[3].

وكانت تقول للحسن: يا أبا سعيد إنْ أكنْ من أهل الجنة فسيبدلني اللَّه بصرًا خيرًا من بصري، وإنْ أكنْ من أهل النار فأبْعَدَ اللَّه بصري.

وكانت إذا قيل لها كيف أصبحت؟ تقول: «أصبحنا أضيافًا مُنتجعه بأرض غربة ننتظر إجابة الداعي».

* أم طلق ـ رحمها اللَّه ـ:

أمّا أم طلق فكانت تكثر التهجد وتقول: ما ملكت نفسي ما تشتهي منذ جعل اللَّه لي عليها سلطانًا، وكانت تقول لابنها طلق: ما أحسن

(١) انظر: «صفة الصفوة» (ج٤ ص٧٣، ٧٤).
(٢) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٣٦).
(٣) «تنبيه المغترين» ص(١١٦).

صوتك بالقرآن فليته لا يكون عليك وبالاً يوم القيامة[١]

قال ابن شعبة بن دخان: إن أم طلق كانت تصلي في كل يوم وليلة أربعمائة ركعة وتقرأ من القرآن ما شاء اللَّه[٢] .

* أم حيّان السُّلَمِية ـ رحمها اللَّه ـ:

قال أبو خلدة: ما رأيت رجلاً قط ولا امرأة أقوى ولا أصبر على طول القيام من أم حيان السلمية، إن كانت لتقوم في مسجد الحي كأنها نخلة تصفقها الرياح يمينًا وشمالاً[٣] .

وكانت تقرأ القرآن في يوم وليلة.

* حسنة العابدة:

كانت ـ رحمها اللَّه ـ جميلة، ولقد تركت نعيم الدنيا وأقبلت على العبادة فكانت تصوم النهار وتحيي الليل وليس في بيتها شيء.

قالت لها امرأة تزوجي فقالت: هات رجلاً زاهدًا لا يكلفني من أمر الدنيا شيئًا ولا أظنك تقدرين عليه، فواللَّه ما في نفسي أن أعبد الدنيا ولا أتنعم مع رجال الدنيا، فإن وجدت رجلاً يبكي ويُبكيني، ويصوم ويأمرني، ويتصدق ويحضني عليها فبها ونعمت، وإلاّ فعلى الرجال السلام[٤] ، ـ رحمها اللَّه ـ أي أنها لا ترغب إلاّ في الزواج مِمَّنْ يَمَّمَ وجهه صوب الدار الآخرة.

---

(١) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٣٧).

(٢) «كتاب التهجد» ص(٢٣٢)، و«صفة الصفوة» (٤/ ٣١).

(٣) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٣٨).

(٤) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٣٩، ٤٠).

* زجلة العابدة مولاة معاوية ـ رحمها اللَّه ـ:

عن سعيد بن عبد العزيز قالت: ما بالشام ولا بالعراق أفضل من زجلة.

دخل عليها نفر من القرّاء فكلّموها في الرفق بنفسها فقالت: ما لي وللرفق بها؟ فإنها هي أيامُ مبادرة. فمنْ فاته اليوم شيء لم يدركه غدًا. واللَّه يا إخوتاه لأُصلينّ ما أقلّتني جوارحي، ولأصومن له أيام حياتي، ولأبكين له ما حملت الماء عيناي، ثم قالت: أيّكم يأمر عبده بأمرٍ فيحب أن يقصّر فيه؟.

ولقد قامت ـ رحمها اللَّه ـ حتى أُقعدت، وصامت ـ رحمها اللَّه ـ حتى اسودّت، وبكت حتى عمشت، وكانت تقول: «علمي بنفسي قرّح فؤادي، وكَلَمَ قلبي، واللَّه لوددت أن اللَّه لم يخلقني ولم أك شيئًا مذكورًا»[1]، وكانت ـ رحمها اللَّه ـ تخرج إلى الساحل فتغسل ثياب المرابطين في سبيل اللَّه.

* غصنة وعالية ـ رحمهما اللَّه ـ:

وكانتا من عابدات البصرة.

قال أبو الوليد العبدي: ربما رأيت غصنة وعَالية تقوم إحداهما من الليل فتقرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف في ركعة[2].

---

(١) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٤٠، ٤١).

(٢) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٤١).

* غنضكة ـ رحمها اللَّه ـ:

وهي من عابدات البصرة: وكانت تصلي عامة الليل، ثم تقول: «أعوذ باللَّه من ملائكة غلاظ شداد لا يعصون اللَّه ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون» فإذا قضت صلاتها قالت: هذا الجهد مني وعليك التكلان[١] .

* امرأة أبي عمران الجوني ـ رحمهما اللَّه ـ:

من عابدات البصرة، كانت ـ رحمها اللَّه ـ تقوم من الليل تصلي حتى تعصب ساقيها بالخرق، فيقول لها أبو عمران الجوني: دون هذا يا هذه. فتقول: «هذا عند طول القيام في الموقف قليل» فيسكت عنها[٢] .

* جارية عبيد اللَّه بن الحسن العنبري قاضي البصرة ـ رحمهما اللَّه ـ:

قال عبيد اللَّه بن الحسن العنبري: كانت عندي جارية أعجمية وضيئة وكنتُ بها معجبًا، فكانت ذات ليلة نائمة إلى جنبي، فانتبهت فلم أجدها، فالتمستها فإذا هي ساجدة تقول: بحبك لي اغفر لي، فقلت: يا جارية لا تقولي بحبك لي، قولي: بحبي لك اغفر لي[٣] ، فقالت: يا بطال، حُبّه لي أخرجني من الشرك إلى الإسلام، فأيقظ عيني وأنام عينك. فقلت: اذهبي فأنت حرة لوجه اللَّه. فقالت: يا مولاي أسأت إليّ، كان لي أجران فصار لي أجر واحد[٤] .

---

(١) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٤٣).
(٢) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٤٣).
(٣) دلّها على التوسل المشروع وهو التوسل بالعمل الصالح وترك غيره.
(٤) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٤٦).

*** الماوردية ـ رحمها اللَّه ـ:**

من عابدات البصرة، كانت عجوزًا صالحة تكتب وتقرأ وتعظ النسوان، ولم تأكل خبزًا ولا رُطبًا ولا تمرًا، وإنما تطحن لها باقلاً وتخبز لها خبزًا تقتات به، وتأكل التين اليابس دون الرطب، وتنال من الزيت والعنب واللحم الشيء اليسير، وظلت خمسين سنة لا تنام من ليلها.

*** عابدة وأيتامها:**

وانظر أخي إلى أثر التهجد والعبادة وكيف أنها تورث الزهد في الدنيا والقناعة والرضا عن اللَّه عزّ وجل. قال حماد بن سلمة: «ألحّ المطر علينا سنة من السنين، وفي جواري امرأة من المتعبدات، لها بنات أيتام فوكف السقف عليهن فسمعتها تقول: يا رفيق ارفق بي، فسكن المطر، فأخذت صرة فيها عشرة دنانير وقرعت بابها، فقالت: اجعله حماد بن سلمة. فقلت: أنا حمّاد، سمعتك وقد تأذيت بالمطر فقلت: يا رفيق ارفق بنا، فما بلغ من رفقه؟ قالت: سكّن المطر، وأدفأ الصبيان، وجفّ البيت، قال: فأخرجت الدنانير وقلت: انتفعي بها، فخرجت صبية عليها مدرعة من صوف تستبين خروقها وقالت: ألا تسكت يا حمّاد، تعترض بيننا وبين ربنا ومولانا؟ ثم قالت: يا أماه قد علمنا أنّا لما شكونا مولانا أنه سيبعث إلينا بالدنيا ليطردنا عن بابه، ثم ألصقت خدها بالتراب، ثم قالت: أمّا أنا، وعزتك لا زايلت بابك وإن طردتني.

ثم قالت: يا حمّاد رُدّ عافاك اللَّه دنانيرك إلى الموضع الذي

أخرجتها منه، فإنا رفعنا حوائجنا إلى من يقبل الودائع ولا يبخس المعاملين»(١).

* عابدة من البصرة:

كانت تقول:

زهد الزاهدونا والعابدونا إذ لمولاهم أجاعوا البطونا
أسهروا الأعين القريحة فيه فمضى ليلهم وهم ساهرونا
حيّرتهم محبّة اللّه حتى علم الناس أن فيهم جنونا
هُمْ أَلِبّا ذوو عقولٍ ولكن شجاهم جميع ما يعرفونا(٢)

* ماجدة القرشية:

وهي عابدة من قريش وكانت تسكن البحرين. وكانت تقول ـ رحمها اللّه ـ : لم ينل المطيعون ما نالوا من حلول الجنان ورضا الرحمن إلا بتعب الأبدان للّه والقيام للّه بحقه في المنشط والمكره.

وكانت تقول: كفى المؤمنين طول اهتمامهم بالمعاد شغلاً.

وتقول: طوى أملي طلوع الشمس وغروبها، فما من حركة تُسمع ولا من قدم توضع إلا ظننت أن الموت في أثرها.

وكانت تقول: «سكان دار أُوذنوا بالنقلة، وهم حيارى يركضون في المهلة كأن المراد غيرهم، أو التأذين ليس لهم والمعنى بالأمر سواهم.

آه من عقول ما أنقصها، ومن جهالة ما أتمها، بؤسًا لأهل

(١) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٥٠).
(٢) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٥١).

المعاصي.. ماذا غُرّوا به من الإمهال والاستدراج؟.

وتقول: بسطوا آمالهم فأضاعوا أعمالهم، ولو نصبوا الآجال وطَوَوا الآمال خَفّت عليهم الأعمال»[١].

*** لبابة العابدة ببيت المقدس ـ رحمها اللَّه ـ:**

قالت ـ رحمها اللَّه ـ: ما زلت مجتهدة في العبادة حتى صرت أستروح بها، وإذا تعبت من لقاء الخلق آنسني بذكره، وإذا أعياني الخلْق روّحني التفرّغ لعبادة اللَّه عز وجل والقيام إلى خدمته[٢].

*** فاطمة بنت عبد الرحمن بن عبد الغفّار الحرّاني ـ رحمها اللَّه ـ:**

*وكانت من المصطفيات العابدات في مصر، وما كانت تنام إلا في مصلاها فوق ستين سنة[٣].

منيرة السدوسية:

وكانت من عابدات العرب وأهل البادية. وكانت تقول إذا جاء الليل: قد جاء الهول قد جاءت الظلمة، قد جاء الخوف، ما أشبه هذا بيوم القيامة، ثم تقوم فلا تزال تصلي حتى تصبح[٤].

* * *

(١) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٧٤).
(٢) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٢٥١).
(٣) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٣٣١).
(٤) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٣٨٨).

* هُنيدة ـ رحمها الله ـ:

* وكانت عابدة من أهل البادية، كانت تقوم إذا مضى من الليل ثلثه أو نصفه فتوقظ ولدها وزوجها وخدمها فتقول لهم: قوموا فتوضئوا وصلوا، فستغتبطون بكلامي هذا، فكان هذا دأبها حتى ماتت، فرأى زوجها في منامه: إن كنت تحب أن تَزَوَّجها هناك فاخلفها في أهلها بمثل فعلها، فلم يزل دأب الشيخ حتى مات فأُتي أكبر ولده في منامه فقيل له: إن كنت تحب أن تجاور أبويك في درجتهما من الجنة فاخلفهما في أهلهما بمثل عملهما، قال: فلم يزل دأبه حتى مات، فكانوا يُدْعون: «القوّامين»[١] .

عابدات الشام

* البيضاء بنت المفضل:

سألتها أسماء الرملية وكانت عابدة: يا أختي: هل للمحب للَّه دلائل يعرف بها؟ قالت: يا أختي، والمحبُّ للسيد يخفى!!، لو جهد المحب للسيد أن يخفي ما خفيَ، قالت: صِفيه لي. قالت: «لو رأيت المحب للَّه عز وجل لرأيت عجبًا عجيبًا من والهٍ ما يقرّ على الأرض، طائر مستوحش، أُنسه في الوحدة، قد مُنِع الراحة طعامه الحب عند الجوع، وشربه الحب عند الظمأ؟ لا يملّ من طول الخدمة للَّه تعالى[٢] .

(١) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٣٩١).
(٢) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٣٥٠).

* أم هارون:

قالت ـ رحمها اللَّه ـ: قد أنزلت الدنيا منزلتها، وكانت تقول: بأبي الليلُ ما أطيبه، إني لأغتمّ بالنهار حتى يجيء الليل، فإذا جاء الليل قمت أوّلهُ، فإذا جاء السّحر داخل الرّوح قلبي(١).

* رابعة زوجة أحمد بن أبي الحواري ـ رحمها اللَّه ـ:

قال أحمد: قلت لرابعة وقد قامت بالليل: قد رأينا أبا سليمان وتعبدّنا معه، ما رأينا من يقوم من أول الليل. فقالت: سبحان اللَّه مثلك يتكلم بهذا؟ إنما أقوم إذا نوديت قال: وجلست آكل وجعلت تذكرني، فقلت لها: دَعينا يَهنينا طعامُنا. قالت: ليس أنا وأنت ممَّنْ يتنغّص عليه الطعام عند ذكر الآخرة.

قال زوجها ريحانة الشام: ربما نظرت إلى وجهها ورقبتها فيتحرك قلبي على رؤيتها مالا يتحرك مع مذاكرتي أصحابنا من أثر العبادة.

وقالت لي: لست أحبك حب الأزواج. إنما أحبك حب الإخوان، وإنما رغبت فيك رغبة في خدمتك، وإنما كنت أحب وأتمنى أن يأكل مِلْكي ومَالِي مثلك ومثلُ إخوانك. قال أحمد: وكان لها سبعة آلاف درهم فأنفقتها عليّ، فكانت إذا طبخت قدرًا قالت: كلها يا سيدي فما

(١) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٣٠٣).

نضجت إلا بالتسبيح، وقالت لي: لست أستحل أن أمنعك نفسي[١] وغيري، اذهب فتزوّجْ، قال: فتزوجت ثلاثًا، وكانت تطعمني اللحم وتقول: اذهب بقوتك إلى أهلك.

وكانت ـ رحمها اللَّه ـ تقول: «ما سمعت الأذان إلاّ ذكرت منادي القيامة، ولا رأيت الثلج إلا رأيت تطاير الصّحف، ولا رأيت جرادًا إلا ذكرت الحشر»[٢] يا سبحان اللَّه: امرأة تزوج زوجها من مالها ثلاث من النسوة... ولا تقوم إلاّ إذا نوديت.

لا تقعــدن لذكرنـــا في ذكرهـــم ليــس الصحيح إذا مشى كالمقعـد

* امرأة الهيثم بن جماز:

قال الهيثم: «كانت لي امرأة لا تنام الليل، وكنت لا أصبر معها على السهر، فكنت إذا نعست ترش عليّ الماء في أثقل ما أكون من النوم وتنبهني برجلها وتقول: «أما تستحي من اللَّه، إلى كم هذا الغطيط» فواللَّه إن كنت لأستحيِ مما تصنع.

* جوهرة العابدة البراثية زوج أبي عبد اللَّه البراثي ـ رحمها اللَّه ـ:

قال زوجها: كانت جوهرة تنبهني من الليل وتقول: يا أبا عبد اللَّه قد سارت القافلة.

---

(١) لا يفهم من هذا الكلام.. عصيانها لزوجها فهذا ليس من حسن الظن بزوجة تلميذ أحمد ابن حنبل ومعنى كلامها واللَّه أعلم: «شعورها بتقصيرها في حق زوجها أو خوفها من أن تكون مقصره في حقه، فزوجته عليها من مالها ثلاث من النسوة.. واللَّه أعلم.

(٢) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٣٠٢).

ورأت في منامها خيامًا مضروبة فقالت: لمن ضُربت هذه الخيام؟ فقيل للمتهجدين بالقرآن. فكانت بعد ذلك لا تنام[1] .

*** فاطمة بنت بزيع امرأة أبي عثمان:**

عن رباح بن الجراح قال: رأيت فاطمة بنت بزيع امرأة أبي عثمان وكانت من العابدات وكانت تصلي أكثر الليل، ما كنت أنتبه من الليل فأفقد صوتها في القراءة والصلاة حتى تصلي الصبح بوضوء العتمة[2] .

*** عابدة:**

تزوجّت عابدة من العابدات رجلاً فرأته نائمًا طوال الليل، توقظه عدة مرات في الليل فيتناعس هو ليرى عبادتها فقالت له: «مضى الليل وعسكر المحسنون وأنت نائم». ليت شعري مَنْ غرنّي بك؟

[قال أبو يوسف البزاز: تزّوج رياح القيسي امرأة فبنى بها، فلما أصبحت قامت إلى عجينها فقال: لو نظرت إلى امرأة تكفيك هذا، فقالت: إنما تزوجت رياحًا القيسي، ولم أرني تزوجت جبارًا عنيدًا، فلما كان الليل نام ليختبرها فقامت ربع الليل، ثم نادته، قم يا رياح فقال: أقوم، فقامت الربع الآخر ثم نادته فقالت: قم يا رياح، فقال: أقوم فلم يقم، فقامت الربع الآخر، ثم نادته فقالت:

قم يا رياح فقال: أقوم، فقالت: مضى الليل وعسكر المحسنون وأنت نائم!! ليت شعري مَنْ غرّني بك يا رياح.

(١) «صفة الصفوة» (ج٢ ص٥٢١).

(٢) «الزهد الكبير» للبيهقي ص(٣١٨).

قال: وقامت الربع الباقي.

قال رياح: ذُكرت لي امرأة فتزوجتها فكانت إذا صلّت العشاء الآخرة تطيبت وتدخنت ولبست ثيابها، ثم تأتيني فتقول ألك حاجة؟ فإن قلت نعم، كانت معي، وإن قُلت لا، قامت فنزعت ثيابها ثم صفت بين قدميها حتى تصبح}[1] :

رياح بن عمرو القيسي وهو من العباد يستصغر نفسه أمام زوجه الصالحة «ذؤابة».. يتناعس؛ حتى يرى قيامها: «يا عبد اللَّه إن الجنس يألفه الجنس إذا كنت طيبًا فلن يقرنك اللَّه إلا بطيب فاطمئن»، وتأتي نتيجة الامتحان: امتحان ذؤابة من زوجها المبارك رياح: «يا ليت شعري من غرّني بك يا رياح؟».

فيا ليت نساءنا يسلكن هذا المسلك فيقلن للرجال: يا ليت شعري من غرنا بكم، من غرّنا بك عندما أفسدتنا وما اتقيت اللَّه فينا، وجعلت بيتنا قطعة من باريس»[2] .

* عابدة من بني عبد القيس:

كانت إذا جاء الليل تحرمت ثم قامت إلى المحراب، وكانت تقول: «المحب لا يسأم من خدمة حبيبه، وكانت تقول: «عاملوا اللَّه على قدر نعمه عليكم وإحسانه إليكم، فإن لم تطيقوا فَعَلَى قدر سَتْرِه، فإن لم تطيقوا فعلى الحياء منه، فإن لم تطيقوا فعلى الرجاء لثوابه، فإن لم

(١) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٤٣ ـ ٤٤).

(٢) انظر: شريط قيام الليل للشيخ الطحان وثناؤه على ذؤابة وزوجها رياح.

تطيقوا فعلى خوف عقابه»[١] .

* **عابدة:** نظرت عابدة أعرابية إلى فتى حسن الوجه بضّه فقالت: إني لأرى وجهًا ما غضّنه[٢] بدد وضوء السحر[٣] .

* **عابدة:** قال السري: بلغني أن امرأة كانت إذا قامت من الليل قالت: «اللَّهم إن إبليس عبد من عبيدك، ناصيته بيدك، يراني من حيث لا أراه، وأنت تراه من حيث لا يراك، اللَّهم إنك تقدر على أمره كله، وهو لا يقدر من أمرك على شيء، اللَّهم إنْ أرادني بشرٍّ فأَرِدْه، وإن كادني فكده، أدرأ بك في نحره، وأعوذ بك من شره»[٤] .

* **عابدة:** كانت تصلي بالليل لا تستريح وكانت تقول لزوجها: قُمْ ويحك إلى متى تنام؟ قم يا غافل قم يا بطّال، إلى متى أنت في غفلتك، أقسمت عليك ألا تكسب معيشتك إلا من حلال، أقسمت عليك أن لا تدخل النار من أجلي، برَّ أمك، صل رحمك، لا تقطعهم فيقطع اللَّه بك[٥] .

عابدة: كانت لا تنام من الليل إلا يسيرًا، فعوتبت في ذلك فقالت:

(١) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٣٩١).
(٢) أي: جعّده.
(٣) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٣٩٥).
(٤) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٤٤٠).
(٥) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٤٣٧).

«كفى بالموت وطول الرقدة في القبور للمؤمنين رقادًا». وكانت تصوم حتى يسودّ وجهها وتقول: «إنما أدور على طول الريّ والشبع في الآخرة»(١).

* **عابدة:** قالت عابدة لذي النون المصري: أول المحبة يبعث على الكد الدائم حتى إذا وصلت أرواحهم إلى أعلى الصفا جرّعهم من محبته لذيذ الكؤوس(٢).

* **عابدة:** قال ذو النون المصري: خرجت ليلة من وادي كنعان، فلماعلوت الوادي إذا سواد مقبل عليّ وهو يقول: ﴿**وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ**﴾ ويبكي، فلما قرب مني السواد إذا هي امرأة عليها جبة صوف وبيدها ركوة، فقالت: من أنت؟ غير فزعة مني، فقلت: رجل غريب. فقالت: يا هذا! وهل يوجد مع اللَّه غربة؟ قال: فبكيت لقولها فقالت لي: ما الذي أبكاك؟ فقلت: «قد وقع الدواء على داء قد قرح، فأحسن في نجاحه»، قالت: «فإن كنت صادقًا فلم بكيت؟» قلت: «يرحمك اللَّه والصادق لا يبكي؟»، قالت: «لا.. إن الصادق لا يبكي؛ لأن البكاء راحة القلب وملجأ يلجأ إليه، وما كتم القلب شيئًا أحق من الشهيق والزفير، فإذا أسبلت الدمعة استراح القلب، وهذا نقص» فسكت متعجبًا من قولها. ثم قالت: اخدم مولاك شوقًا إلى لقائه، فإن له يومًا يتجلى فيه لأوليائه، وإنه تعالى سقاهم في الدنيا من محبته كأسًا لا

(١)«صفة الصفوة» (ج٤ ص١٩٥).
(٢)«صفة الصفوة» (ج٤ ص٤٢٩).

يظمأون بعدها أبدًا ثم قالت:

إذا كان داء العبد حب مليكه

فمن دونه يرجو طبيبًا مداويا؟(١)

* سرية العابدة:

قال أبو هاشم القرشي: «قدمت علينا امرأة من أهل اليمن يقال لها: «سرية» فنزلت في بعض ديارنا، قال: فكنت أسمع لها من الليل أنينًا وشهيقًا، فقلت يومًا لخادم لي: «أشرف على هذه المرأة، ماذا تصنع؟»، قال: فأشرف عليها، فما رآها تصنع شيئًا غير أنها لا ترد طرفها عن السماء وهي مستقبلة القبلة، تقول: «خلقت سرية، ثم غذيتها بنعمتك من حال إلى حال، وكل أحوالك لها حسنة، وكل بلائك عندها جميل، وهي مع ذلك متعرضة لسخطك بالتوثب على معاصيك فلتة بعد فلتة، أتراها تظن أنك لا ترى سوء فعالها وأنت عليم خبير، وأنت على كل شيء قدير»(٢).

* فخرية بنت عثمان البصرية:

«كانت من أسرة عريضة الجاه موفورة الغنى، ولكنّ ذلك كله لم يطب لها، فخرجت وتزهدت وتنسكت، وهجرت الراحة والمنام إلى الصلاة والقيام، وقنعت من العيش برغيف وقدح ماء

(١) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٤٢٧، ٤٢٨)، «عودة الحجاب» (ج٢ ص٣٠٠)، «تنبيه المغترين» ص(٣٥).

(٢) «عودة الحجاب» (ج٢ ص٢٩٩، ٣٠٠).

فذلك قوتها كل يوم.

وكانت أشبه الناس برابعة في الوحشة من الدنيا والتـدله. هاجرت إلى بيت المقدس وأقامت أربعين عامًا تقف الليل كله بباب المسجد الأقصى تصلي حتى يفتح الباب فتكون أول داخل وآخر خارج»[١].

* عبدة البصرية:

وهي امرأة عكفت على العبادة وأفرطت في السهر وأسرفت في البكاء حتى كف بصرها.

سمعت قائلاً يقول: «ما أشد العمى على من كان بصيرًا»! فقالت: «يا عبد اللَّه، عمى القلب عن اللَّه أشد من عمى العين، وددت أن اللَّه وهب لي كنه محبته، وأن لم يبق مني جارحة إلا أخذها»[٢].

فلو كان النسـاء كمـا ذكرنـا لفضلت النسـاء على الرجـال

* جارية الحسن بن صالح:

كان الحسن بن صالح يقوم الليل هو وجاريته، فباعها لقوم فلما صلّت العشاء افتتحت الصلاة فما زالت تصلي إلى الفجر، وكانت تقول لأهل الدار كل ساعة تمضي من الليل: يا أهل الدار قوموا، يا أهل الدار صلوا، فقالوا لها: «نحن لا نقوم إلى الفجر، فجاءت إلى الحسن بن صالح وقالت: بعتني لقوم ينامون الليل كله وأخاف أن أكسل من شهود

(١) «عودة الحجاب» (ج٢ ص٣٠٤) نقلاً عن «المرأة العربية» (٣/ ٩٨).
(٢) «عودة الحجاب» (ج٢ ص٣٠٣) نقلاً عن «المرأة العربية» (٣/ ٩٧).

نومهم.. فردها الحسن إليه رحمة بها ووفاءً بحقها»[١] البدار البدار يا أخي وليكن لك في ذلك أسوة... أتسبقك وأنت رجل نسوة.

* * *

(١) «صفة الصفوة» (ج٣ ص١٩٥).



عَبير مِن مَواعِظ المتهجدين

«ليست النائحة الثكلى كالمستعارة»

«لا يعرف الشوق إلاّ من يكابده

ولا الصبابة إلاّ من يعانيها»

عَبِير مِنْ مَوَاعِظ المُتَهَجِّدين

ولأن النائحة الثكلى ليست كالنائحة المستعارة، وكما يقول القائل:

مَنْ لم يبت والحب حشـــو فـؤاده

لم يـــدر كيـف تفتت الأكبـــاد

فلقد تركنا المجال لهم؛ حتى يصلك عبير وأريج من كلام القانتين المتهجدين الركع السجود فانظر مقالهم، وإليك شذى من كلامهم:

* قال أبو سليمان الداراني ـ رحمه اللَّه ـ : «لولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا».

وكان ـ رحمه اللَّه ـ يقول: لأهل الطاعة في ليلهم ألذّ من أهل اللهو بلهوهم.

ودخل عليه ابن أبي الحواري فوجده باكيًا فقال له ابن أبي الحواري: ما يبكيك، فقال أبو سليمان: «ويحك يا أحمد، كيف لا أبكي وقد بلغني أنه إذا جنّ الليل وهدأت العيون، وخلا كل خليل بخليله، واستنارت قلوب العارفين، وتلذذت بذكر ربهم، وارتفعت هممهم إلى ذي العرش وافترش أهل المحبة أقدامهم بين يدي مليكهم في مناجاته، وردّدوا كلامه بأصوات محزونة جرت دموعهم على خدودهم، وتقطرت في محاريبهم خوفًا واشتياقًا، فأشرف عليهم الجليل جل جلاله، فنظر إليهم فأمدّهم محبة وسرورًا، فقال لهم: أحبابي والعارفين بي، اشتغلوا بي، وألقوا عن قلوبكم ذكر غيري، أبشروا فإن لكم عندي الكرامة والقربى يوم تلقوني، فينادي اللَّه جبريل: يا جبريل بعيني من

تلذّذ بكلامي واستراح إليّ، وأناخ بفنائي، وإني لمطلع عليهم في خلواتهم، أسمع أنينهم وبكاءهم، وأرى تقلبهم واجتهادهم، فناد فيهم يا جبريل: ما هذا البكاء الذي أسمع، وما هذا التضرع الذي أرى منكم؟ هل سمعتم أو أخبركم عني أحد أن حبيبًا يعذب أحباءه؟ أوما علمتم أني كريم فكيف لا أرضى؟ أيشبه كرمي أن أردّ قومًا قصدوني؟ أم كيف أذل قومًا تعززوا بي؟! أم كيف أحجب غدًا أقوامًا آثروني على جميع خلقي وعلى أنفسهم وتنعموا بذكري؟ أم كيف يشبه رحمتي؟ أو كيف يمكن أن أُبيت أقوامًا تملقوا إليّ وقوفًا على أقدامهم[1] وعند البيات أخزوهم، أم كيف يجمل بي أن أعذِّب قومًا إذا جنّهم الليل تملقوني وانقطعوا إليّ واستراحوا إلى ذكري، وخافوا عذابي، وطلبوا القربة عندي، فبي حلفت لأرفعنّ الوحشة عن قلوبهم، ولأكوننّ أنيسهم إلى أن يلقوني، فإذا قدموا عليّ يوم القيامة فإن أول هديتي إليهم أن أكشف لهم عن وجهي حتى ينظروا إليّ وأنظر إليهم، ثمّ لهم عندي ما لا يعلمه غيري»، يا أحمد إن فاتني ما ذكرت لك فيحق لي أن أبكي دمًا بعد الدموع. قال أحمد: فأخذت معه في البكاء، وكنت أرى أثر ذلك عليه حتى الممات، وكنت إذا سألته عن شيء من الحديث يقول: ما كفاك الذي سمعت.

ثم بكى ابن الحواري وقال: واحرماناه، واشؤم خطيئتاه، مضى القوم وبقينا بعد حين قد أمضيناه، فالناس ظفروا بما طلبوا ولا ندري ما ينزل بنا، فواخطراه وجعل يبكي[1].

* وقال عمر بن ذرّ: «لما رأى العابدون الليل قد هجم عليهم،

---

(١) «حلية الأولياء» (ج١٠ ص١٦، ١٧).

ونظروا إلى أهل الغفلة قد سكنوا إلى فُرُشهم ورجعوا إلى ملاذهم من النوم، قاموا إلى اللَّه فرحين مستبشرين بما قد وهب لهم من حُسن عادة السهر وطول التهجد، فاستقبلوا الليل بأبدانهم وباشروا الأرض بصفاح وجوههم، فانقضى عنهم الليل وما انقضت لذتهم من التلاوة، ولا ملّت أبدانهم من طول العبادة، فأصبح الفريقان وقد ولّى عنهم الليل بربح وغبن، أصبح هؤلاء قد ملّوا النوم والراحة، وأصبح هؤلاء متطلعين إلى مجيء الليل للعبادة، شتان ما بين الفريقين، فاعملوا لأنفسكم رحمكم اللَّه في هذا الليل وسواده، فإن المغبون من غُبن خير النهار والليل، والمحروم من حُرِم خيرهما، إنما جُعِلا سبيلاً للمؤمنين إلى طاعة ربهم، ووبالاً على الآخرين للغفلة عن أنفسهم فأحُيوا أنفسكم بذكر اللَّه، فإنما تحيا القلوب بذكر اللَّه، كم من قائم للَّه في هذا الليل قد اغتبط بقيامه في ظلمة حفرته، وكم من نائم في هذا الليل قد ندم على طول نومه عندما يرى من كرامة اللَّه للعابدين غدًا، فاغتنموا ممر الساعات والأيام رحمكم اللَّه»[1] .

وقال الربيع بن عبد الرحمن: «إن للَّه عبادًا أخمصوا له البطون عن مطاعم الحرام، وغضوا له الجفون عن مناظر الآثام، وأهملوا له العيون لما اختلط عليهم الظلام، رجاء أن ينير لهم ذلك ظلمة قبورهم إذا تضمنتهم الأرض بين أطباقها، فهم في الدنيا مكتئبون، وإلى الآخرة متطلعون، نفذت أبصار قلوبهم بالغيب إلى المكتوب، فرأت فيه ما رجت من عظيم ثواب اللَّه فازدادوا بذلك للَّه جدًا واجتهادًا عند معاينة أبصار قلوبهم ما

(١) «مختصر قيام الليل» ص(١٧).

انطوت عليه آمالهم، فهم الذين لا راحة لهم في الدنيا، وهم الذين تقر أعينهم غدًا بطلعة ملك الموت عليهم» ثم بكى حتى بلّ لحيته بالدموع(١).

قطـــع الليـــل رجـــال ورجـــالٌ وصـــــلوه

رقـــدوا فيـــه أنـــاس وأنـــاس وصـــــلوه

لا يميـــلون إلى النـــــوم ولا يستعذبـــوه

فكأن النــــوم شيء لم يكونــوا يعرفــوه

لبســــوا ثوبًا من الخدمـــة حتى خلعــوه

مع جلبـــاب من الحـــزن فما إن نزعـــوه

* قيل للحسن البصري: ما بال المتهجدين بالليل من أحسن الناس وجوهًا؟ قال: «لأنهم خَلَوْا بالرحمن فألبسهم نورًا من نوره».

* وقال سفيان: «شر حالات المؤمن أن يكون نائمًا، وخير حالات الفاجر أن يكون نائمًا؛ لأن المؤمن إذا كان مستيقظًا فهو متحل بطاعة اللَّه فهو في خير له من نومه، والفاجر إذا كان مستيقظًا فهو متحل بمعاصي اللَّه فنومه خير من يقظته.

وقال سفيان ـ رحمه اللَّه ـ عَمَّنْ نام الليل ومَنْ قامه: تراه كسلانًا ضجرًا قد بات جيفة على فراشه، وأصبح نهاره يحتطب على نفسه لعبًا ولهوًا، وترى صاحب الليل منكسر الطرف، فرح القلب.

* مواعظ لذي النون المصري تدمي القلوب والأجفان:

قال ـ رحمه اللَّه ـ: «إن للَّه عبادًا ملأ قلوبهم من صفاء محض

---

(١) «مختصر قيام الليل» ص(٢٩).

محبته، وهيّج أرواحهم بالشوق إلى رؤيته، فسبحان من شوّق إليه أنفسهم، وأدنى منه هممهم، وَصَفَتْ له صدورهم، سبحان موفقهم ومؤنس وحشتهم وطبيب أسقامهم، إلهي لك تواضعت أبدانهم منك إلى الزيادة، وانبسطت أيديهم إلى طيبت به عيشهم، وأدمت به نعيمهم، فأذقتهم من حلاوة الفهم عنك، ففتحت لهم أبواب سماواتك، وأبحت لهم الجواز في ملكوتك، بك أنست محبة المحبين، وعليك معول وشوق المشتاقين، وإليك حنّت قلوب العارفين، وبك أنست قلوب الصادقين، وعليك عكفت رهبة الخائفين، وبك استجارت أفئدة المقصرين، قد بسطت الراحة من فتورهم، وقلّ طمع الغفلة فيهم، لا يسكنون إلى محادثة الفكرة فيما لا يعنيهم، ولا يفتروا عن التعب والسهر يناجونه بألسنتهم، ويتضرعون إليه بمسكنتهم، يسألونه العفو عن زلاّتهم، والصفح عمّا وقع الخطأ به في أعمالهم، فهم الذين أذابت قلوبهم الأحزان، وخدموه خدمة الأبرار الذين تدفقت قلوبهم ببره، وعاملوه بخالص من سره كنت لهم سيدي مؤيدًا ولعقولهم مؤدبًا، ذهبت الآلام عن أبدانهم لما أذاقهم من حلاوة مناجاته، ولما أفادهم من ظرائف الفوائد من عنده.

فيا حسنهم والليل قد أقبل بحنادس ظلمته، وهدأت عنهم أصوات خليقته، وقدموا إلى سيدهم الذي له يأملون، فلو رأيت أيها البطّال أحدهم، وقد قام إلى صلاته وقراءته، فلما وقف في محرابه واستفتح كلام سيده، خطر على قلبه أن ذلك المقام هو المقام الذي يقوم فيه الناس لرب العالمين، فانخلع قلبه، وذهل عقله، فقلوبهم في ملكوت السموات معلقة، وهمومهم بالفكر دائمة، فما ظنك بقوم خيار أبرار وقد خرجوا

من رق الغفلة، واستراحوا من وثائق الفترة، وأنسوا بيقين المعرفة، وسكنوا إلى روح الجهاد والمراقبة، بلغنا اللَّه وإياكم هذه الدرجة»(١) .

* وقال ـ رحمه اللَّه ـ عن المتهجدين: «عبدوه سرًا فأوصل إلى قلوبهم طرائف البر، عملوا ببعض ما علموا، فلما وقفوا في الظلام بين يديه، هَدَى قلوبهم إلى ما لا يعلمون فحسرت ألبابهم لمعرفة الوقوف بين يديه»(٢) .

يا مؤنس الأبرار في خلواتهم يا خير من حطّت به النُّزَّالُ

وانظر إليه كيف يستمطر الدمع حين يصف المتهجدين فيقول:

«قد هدّ أجسامهم الوعيد، وغيرّ ألوانهم السهر الشديد، يتلذذون بكلام الرحمن، ينوحون به على أنفسهم نوح الحمام، فرحين في خلواتهم، لا يفتر لهم جارحة في الخلوات، ولا تستريح لهم قدم تحت سطور الظلمات، فيا لها نفوس طاشت بهممها، والمسارعة إلى محبتها لما أملت من اتصال النظر إلى ربها.

رجال أطاعوا اللَّه في السر والجهر
فما باشروا اللذات حينًا من الدهر
يراعون نجم الليل ما يرقدونه
فباتوا بإدمان التهجد والصبر
فداخل هموم القوم للخلق وحشة
فصاح بهم أنس الجليل إلى الذكر(٣)

---

(١) «الحلية» (ج٩ ص٣٣٩، ٣٤٠).

(٢، ٣) «الحلية» (ج٩ ص٣٥٥).

فأجســـادهم في الأرض هونـًا مقيمـة
وأرواحهـم تسري إلى معـــدن الفخـر
فهـــذا نعيـــم القـــوم إن كنت تبتـغي
وتعقّــل عن مولاك آداب ذوي القـــدر [١]

انظر رحمك اللَّه إلى طبيب القلوب ذي النون وهو يصف نفسًا عليّة فيقول: «نفس على الجوع صبرت، وفي سربال الظلام خطرت. نفس تدرّعت رهبانية القلق، ورعت الدُّجى إلي واضح القلق، فما ظنك بنفس في وادي الحنادس سلكت، وهجرت اللذات فملكت، وإلى الآخرة نظرت، وإلي العيناء أبصرت وعن الذنوب أقصرت، وعلى الذر من القوت اقتصرت، ولجيوش الهوى قهرت، وفي ظلم الدياجي سهرت، فهي بقناع الشوق مختمرة، وإلي عزيزها في ظلم الدُّجى مشتمرة، قد نبذت المعايش. هذه نفس خدوم، عملت ليوم القدوم، وكل ذلك بتوفيق الحي القيوم» [٢].

* ويقول ـ رحمه اللَّه ـ:

«إن للَّه عبادًا أسكنهم دار السلام، فأخمصوا البطون عن مطاعم الحرام وأغمضوا الجفون عن مناظر الآثام، وقيدوا الجوارح عن فضول الكلام، وطووا الفرش وقاموا في جوف الظلام، وطلبوا الحور الحسان من الحي الذي لا ينام، فلم يزالوا في نهارهم صيامًا، وفي ليلهم قيامًا حتى أتاهم ملك الموت عليه السلام» [٣].

(١) «الحلية» (ج٩ ص٣٨٥، ٣٨٦).
(٢) «الحلية» (ج٩ ص٣٥٦، ٣٥٧).
(٣) «الحلية» (ج٩ ص٣٦٠).

«إن للَّه عبادًا علموا الطريق إليه، والوقوف غدًا بين يديه، فثارت القلوب إلى محجوب الغيوب، فجرعوا مرارة مذاق خوف، واستعملوا الظلام في رضى صاحب السموات، فسقاهم من أعين العلم والزيادات. وغوّصهم في بحار السلامات، فهم غدًا يسلمون من هؤلاء الزلازل والسطوات ويسكنون الغرفات»[1] .

* **أخي:**

كن كالطير الوحداني يأكل من رءوس الأشجار ويشرب من ماء القراح، وإذا جنّه الليل أوى إلى كهف من الكهوف استئناسًا بمولاه، واستيحاشًا ممّن عصاه وكن مع قوم - إن عجزت أن تكون منهم - وصفهم أبو الفيض ذو النون فقال: «هم يا أخي قوم قد ذوّب الحزن أكبادهم، وأنحل الخوف أجسامهم، وغيّر السهر ألوانهم، وأقلق خوف البعث قلوبهم، قد سكنت أسرارهم إليه، وتذللت قلوبهم عليه، فنفوسهم عن الطاعات لا تسلو، وقلوبهم عن ذكره لا تخلو، وأسرارهم في الملكوت تعلو، الخشوع يخشع لهم إذا سكنوا، والدموع تخبر عن خفى حرقتهم إذا كمدوا، قد نَسَوْا فرح الشهوات بحلاوة المناجاة، فليس للغفلة عليهم مدخل، ولا للهو فيهم مطمع، قد حجب التوفيق بينهم وبين الآفات، وحالت العصمة بينهم وبين اللذات، فهم على بابه يبكون وإليه يبكون ومنه يبكون فطوبى للعارفين ما أغنى عيشهم وما ألذ شربهم وما أجلّ حبيبهم»[2] .

---

(١) «الحلية» (ج٩ ص٣٦٠).

(٢) «الحلية» (ج٩ ص٣٨٠).

رحمك اللَّه أبا الفيض صاحب العبارات الوثيقة، والإشارات الدقيقة فهذا الكلام لا يصدر إلا عن سيد حطّت همة قلبه في عاريات التقى حتى أناخت في رياض النعيم، وسرحت روحه في العلا، وشرب من الحكمة وطارت همته في ملكوت السموات فعادت بظرائف الفوائد، ولكم عزفت على أوتار القلوب وجعلت القلوب تحن إلى مولاها وتشتاق للسهر، فطيّب اللَّه قبرك وسقاك من أنهار الجنة.

* قال الأوزاعي ـ رحمه اللَّه ـ: «كان السلف إذا صدع الفجر أو قبله بشيء كأنما على رءوسهم الطير مقبلين على أنفسهم حتى لو أنّ حميمًا لأحدهم قد غاب عنه حينًا، ثم قدم ما التفت إليه».

* وكان أحد الصالحين في بعض المغازي يحيي الليل حيث كان على ظهر دابته، أو على الأرض وكان إذا نظر إلى الفجر يلمع ضوءه قال: «يا إخوتاه عند بلوغ الماء يفرح الواردون بتعجيل الرواح».

* وقال شيخ من بني تيم اللَّه لفتيان الحي ونسّاكه: «يا إخوتاه قوموا قيام قوم قد يئسوا من المعاودة لمجلسهم خوفًا من خطفات الموكّل بالنفوس فيبكي ويُبكِّي.

* وعن عاصم بن أبي النجود قال: أدركت أقوامًا كانوا يتخذون هذا الليل جملاً.

* أما عليّ بن بكار فيقول: منذ أربعين سنة ما أحزنني إلا طلوع الفجر.

* وقال السري: رأيت الفوائد تَرِدُ في ظلم الليل.

* عن طلحة بن مصرف قال: بلغني أن العبد إذا قام من الليل

للتهجد ناداه ملكان: طُوبى لك سلكت منهاج العابدين قبلك».

* وقال محمد بن قيس: «بلغني أن العبد إذا قام من الليل للصلاة تناثر عليه البر من عنان السماء إلى مفرق رأسه، وهبطت عليه الملائكة لتستمع إلى قراءته، واستمع له عمّار داره، وسكان الهواء، فإذا فرغ من صلاته، وجلس للدعاء أحاطت به الملائكة تؤمن على دعائه، فإن هو اضطجع بعد ذلك نودي: نم قرير العين مسرورًا.. نم خير نائم على خير عمل.

* وقال وهب بن منبه: «لن يبرح المتهجدون من عرصة القيامة؛ حتى يُؤْتَى بنجائب من اللؤلؤ قد نفخ فيها الروح، فيُقَال لهم: انطلقوا إلى منازلكم من الجنة ركبانًا، فيركبونها فتطير بهم متعالية، والناس ينظرون إليهم، يقول بعضهم لبعض: من هؤلاء الذين قد منّ اللَّه عليهم مِنْ بيننا، فلا يزالون كذلك حتى ينتهي بهم إلى مساكنهم من الجنة.

* وعن إسحاق بن سويد: « كانوا يَرَوْن السياحة: صيام النهار وقيام الليل.

* وقال يزيد الرقاشي لحبيب العجمي: ما أعلم شيئًا أقرّ لعيون العابدين في الدنيا من التهجد في ظلمة الليل، وما أعلم شيئًا من نعيم الجنة وسرورها ألذّ عند العابدين ولا أقرّ لعيونهم من النظر إلى ذي الكبرياء العظيم إذا رُفعت تلك الحجب وتجلّى لهم الكريم. فصاح حبيب عند ذلك، وخرّ مغشيًا عليه.

بكى الباكـون للرحمن ليــلاً وباتــوا دمعهـــم لا يسأمونــا
بقــاع الأرض من شــوق إليهــم تحن متى عليها يسجدونــا

* قال كرز بن وبرة: بلغني أن كعبًا قال: إن الملائكة ينظرون من السماء إلى الذين يتهجدون بالليل كما تنظرون أنتم إلى نجوم السماء[1].

* وفي بعض الآثار يقول اللَّه عز وجل في كل ليلة: يا جبريل أقم فلانًا، وأنم فلانًا.

* قيل لبعضهم: كيف الليل عليك؟ قال: هو ساعة أنا فيها بين حالين، أفرح بظلمته إذا جاء، وأغْتَمُّ بفجره إذا طلع، ما تَمّ فرحي به قط ولا اشتفيت منه قط.

* قال بعض الصالحين: ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم أهل الجنة إلا ما يجده أهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة.

* وقال بعضهم: قيام الليل والتملق للحبيب والمناجاة للقريب في الدنيا، ليس من الدنيا، هو من الجنة، أُظْهِر لأهل اللَّه تعالى في الدنيا لا يعرفه إلا هم، ولا يجده سواهم رَوْحًا لقلوبهم.

* «بأبي وأمي قوم يراعون الظلام بالنهار، كما يراعي الراعي الشفيق غنمه، ويحنون إلى غروب الشمس كما تحنّ الطير إلى أوكارها بعد الغروب، فإذا جنّهم الليل، واختلط الظلام، وفرشت الفرش، ونصبت الأسِرّة، وخلا كل حبيب بحبيبه، نصبوا للَّه أقدامهم، وافترشوا له وجوههم، وناجوه بكلامه، وتملقوا له بإنعامه، فَبَيْن صارخ وباك، ومتأوه وشاكٍ، وبين قائم وقاعد، وبين راكع وساجد، بعيني مولاهم ما يتحملون لأجله، وبسمعه ما يشتكون من حبه».

---

(1) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٢٠٥).

* نعم يا أخي هم قوم أكلهم أكل المرضى ونومهم نوم الغرقى.

* كان عمير بن حبيب يقول لأهله: «يا أهلاه الدُّلجة الدُّلْجة.. إنه مَنْ يُسبَق إلى الماء يظمأ.. يا أهلاه الدلجة الدلجة.. إنه مَنْ يُسبَق إلى الظلّ يضحى..

للَّه درك ما أجمل هذا الكلام يا عمير.

* قال المسيح عليه السلام للحواريين وقد رأى النور على وجوههم: يا أبناء الآخرة ما تنعم المتنعمون إلا بفضل نعيمكم.

* وكان الفضيل ـ رحمه اللَّه ـ يقول: «أفرح بالليل لمناجاة ربي وأكره النهار للقاء الخلق..

* قالت أم غزوان له: أمَا لفراشك عليك حق.. أما لنفسك عليك حق؟ قال: يا أماه إنما أطلب راحتها.. أبادر طي صحيفتي[1].

* **يا أخي**: اصرف أربعة أشياء إلى أربعة مواضع وخذ الجنة: النوم إلى القبر، والراحة إلى الصراط، والفخر إلى الميزان، والشهوات إلى الجنة[2].

* قال إبراهيم الهروي:

«من أراد أن لا يُحجب دعاؤه من السماء فليتعاهد من نفسه خمسة أشياء:

أولا: أن يكون أكلة غُلبة، لا يأكل إلاّ ما لا بُدّ منه. ولباسه غلبة،

(١) «مختصر قيام الليل» (ص٢٧).
(٢) «الحلية» (ج١٠ص٥٠).

لا يلبس إلا ما لا بد منه، ونومه غلبة لا ينام إلا ما لا بدّ منه، وكلامه غلبة لا يتكلم إلاّ ما لا بد منه، والخامس: أن يكون متضرعًا حافظًا لإرادته دائمًا حافظًا لأعضائه كلها»[1] .

* ووصف عابد جماعة من المتهجدين فقال:

«قد يئسوا من الدنيا ويئست الدنيا منهم، قد لصقوا بمقام الأرض، وتلفّقوا بالخرق، فلو رأيتهم لرأيت رجالاً إذا جنّهم الليل ذُبِحُوا بسكاكين السهر إنّ القوم أعطوا المجهود من أنفسهم، فلما دبرت المفاصل من الركوع، وقرحت الجباه من السجود، وتغيرت الألوان من السهر، ضجّوا إلى اللّه بالإستغاثة، فهم أحلاف اجتهاد، لا يسكنون إلى غير الرحمن، فعليك بمنابذة نفسك إذا دعتك إلى الفترة فإن لها مكرًا وخداعًا»[2] .

* نعم يا أخي.. لو رأيت المتهجدين لرأيت قومًا ذبلاً شفاههم، خمصًا بطونهم، حزينة قلوبهم، ناحلة أجسامهم، باكية أعينهم، ذبحهم الليل بسكاكين السهر، وفصل الأعضاء منهم بخناجر التعب، خمص لطول السرى، شعث لفقد الكرى، قد وصلوا الكلال بالكلال للنقلة والارتحال[3] .

* ومما جاء في وصف المتهجد:

توجــع بأمراض وخــوف مطالب	وإشفاق محـزون وحـزن كئيب
ولوعـة مشتـاق وزفـرة واله	وسقطـة مسقـام بغيـر طبيب

(١) «الحلية» (ج١٠ ص٤٣).
(٢) «الحلية» (ج١٠ ص٣٨١).
(٣) «الحلية» (ج٩ ص٣٤٦).

وفطنــة جــوّال، وبطأة عائص ... ليأخذ من طيب الصفا بنصيب
ألمتّ بقلب حيّرتـــه طـــوارق ... من الشوق حتى ذلّ ذل غريب
يكاتـم لي وجداً، ويخفى حميـة ... شوق فاستكنت في قرار لبيب
يقـول إذا ما شفّه الشوقِ وآجدى ... بك العيش يا أنس المحب يطيب
فهذا لعمري عبد صدق مهذب ... صفى فاصطفى فالرب منه قريب

* ويقول آخر عن حاله وتهجده:

أراعي النجـــوم ولا علـــم لي ... بعـدّ النجـــوم بحيث الـظلامْ
وكيف ينــام فتىً لا ينـام ... إذا نــــام عنـــه عيـــون الحمـامْ
أسـير يســـير إليـــه هـــواه ... فيضحى الأسير قتيل الغرامْ
فلم يبـق منـــه ســـوى اسمـــه ... يقال له «عابـــد» والسلامْ
فـرط النحـــول وحب القليـــل ... وحزن مذيب بطـــول السَقامْ(١)

وأنشد سمنون المصري:

أحنّ بأطراف النهــــار صبـــابة ... وبالليـل يدعـوني الهوى فأجيبُ
وأيامنـــا تفنى وشـــوقي زائـــد ... كأنّ زمـان الشوق ليس يغيبُ(٢)

* قال يحيى بن معاذ: «دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتفكر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين»(٣).

---

(١) «الحلية» (ج١٠ص٣١٨).
(٢) «الحلية» (ج١٠ص٣١١).
(٣) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٩٢).

وسئل - رحمه اللَّه -: ما العبادة؟ قال: حرفة حانوتها الخلوة وربحها الجنة(١) .

* قال أحمد الموصلي لأحمد الميموني - من ولد ميمون بن مهران -:

«يا أحمد إن تعملْ فقد عمل العاملون قبلك، وإن تعبد فقد تعبّد المتعبدون قبلك، أولئك الذين قرّبوا الآخرة، وباعدوا الدنيا، أولئك الذين وَلِيَ اللَّه إقامتهم على الطريق، فلم يأخذوا يمينًا ولا شمالاً، فلو سمعت نغمة من نغماتهم المختمرة في صدورهم، المتغرغرة في حلوقهم نغّبّت عليك عيشك، ولطردت عنك البطالة أيام حياتك»(٢) .

* والمتهجدون يا أخي كما قال عبد العزيز بن عمير: « ترى نور الجلال عليهم، وأثر الخدمة بين أعينهم. إن الرجل لينقطع إلى بعض ملوك أهل الدنيا فيَرَى أثره عليه، فكيف بمنْ ينقطع إلى اللَّه عز وجل كيف لا يرى أثره عليه؟!!»(٣) .

* قال بشر بن الحارث: يا أخي بادر بادر، فإن ساعات الليل والنهار تذهب بالأعمار(٤) .

* وقال القاسم بن عثمان الجوعي: «أصل الدين الورع، وأفضل العبادة مكابدة الليل، وأفضل طرق الجنة سلامة الصدر»(٥) .

(١) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٩٧).
(٢) «صفة الصفوة» (ج٤ ص١٨٩).
(٣) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٢٣٤).
(٤) «صفة الصفوة» (ج٢ ص٣٢٦).
(٥) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٢٣٦).

* قيل لرجل من عباد بيت المقدس وكان يبيت ليله يصلي فإذا طلع الفجر مدّ بصوت له: «عند الصباح يغبط القوم السرى ـ: «ألا ترفق بنفسك؟» فقال: «إنما هي نفسي أبادرها أن تخرج.

هجرت الورى في حُبَ من جاد بالنعم وعِفْت الكَرَى شوقًا إليه فلم أَنَمْ
فلما رأيت الشوق والحب بائحًا كشفت قناعي ثم قلت: نعمْ نعمْ
فإن قيل مجنون فقد جنّني الجوى وإن قيل مِسقامٌ فما بي من سقمَ
فقد لامني الواشون فيك جهالة فقلت لطرفي: أفصِحِ العُذْر فاحتشم
فعاتبهم طرفي بغيـــر تكلم وأخبرهم أن الجوى يورث السقم[1]

فاركض يا أخي في ميدان السباق، وشمِّرْ تشمير الحذّاق.

* قال يوسف بن أسباط: «عجبت كيف تنام عين مع المخافة؟! أو يغفل قلب مع اليقين بالمحاسبة!!. مَنْ عرف وجوب حق اللَّه عز وجل على عباده لم تستحل عيناه أبدًا إلا بإعطاء المجهود من نفسه، خلق اللَّه تعالى القلوب مساكن الذكر فصارت مساكن للشهوات. والشهوات مفسدة للقلوب وتلف للأموال، وإخلاق للوجوه، ولا يمحو الشهوات من القلوب إلا خوف مزعج، أو شوق مقلق»[2].

* وكتب إلى حذيفة المرعشي: «احسر عن رأسك قناع الغافلين، وانتبه من رقدة الموتى، وشمر للسباق غدًا، فإن الدنيا ميدان المتسابقين».

* وقال عابد بجبال بيت المقدس: «ذهبت الآلام عن أبدان الخدام،

---

(١) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٢٤٩).
(٢) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٣٦١ ـ ٣٦٣).

وولهت بالطاعة عن الشراب والطعام، وألفت أبدانهم طول القيام بين يدي الملك العلام».

* أسلم رجل كان عابدًا للصنم، فقال لمن أسلم على أيديهم حين رآهم بعد أن جنّ عليهم الليل وصلوا العشاء أخذوا مضاجعهم - قال: هذا الإله الذي دللتموني عليه إذا جنّ عليه الليل ينامْ؟ فقالوا: هو عظيم قيوم لا ينام. قال: بئس العبيد أنتم تنامون ومولاكم لا ينام[1].

ومشتاق وليس له قرار ... نفور ليس يملِكُه العذارُ
ومؤنس قلبه ليل طويل ... يلذّ به ويوحشه النهار
قضى وطراً به فأفاد علماً ... فنهمته التعبد والفرار
ألا صبراً على دنياك صبراً ... فكل أمورها فيها اعتبار[2]

* * *

(١) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٣٦١).
(٢) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٣٧٣).

وصف المتهجدين وليلهم
بقلم ابن القيـــــم

إذا أردت أن تعرف قدر سلفنا وقدر شيخ الإسلام ابن قيم الجوزية فهذا كلامهم.. فمن نظر فيه وفي سيرهم عرف تقصيره وتخلفه عن درجات الرجال.

كانوا واللَّه كهيئة الروحانين، تجد الرجل منهم معلّق القلب بما هناك، ليست له في الدنيا راحة، ولكلماتهم مذاق خاص؛ لأنهم أرادوا بها عز الآخرة ورضا الرحمن.. فاسمع رحمك اللَّه مواعظهم التي تدمي القلوب قبل الأجفان استمع إلى حالهم بقلم يشع منه النور ويفيض روحانية وهو يصف المتهجدين. يقول طبيب القلوب وحادي الأرواح إلى بلاد الأفراح:

«أمّا السابقون المقربون فنستغفر اللَّه الذي لا إله إلا هو، أوّلاً من وصف حالهم وعدم الاتصاف به، بل ما شممنا له رائحة، ولكن محبة القوم تحمل على تعرف منزلتهم والعلم بها، وإن كانت النفوس متخلفة منقطعة عن اللحاق بهم. فاسمع الآن وصف القوم واحضر ذهنك لشأنهم العجيب وخطرهم الجليل، فإن وجدت من نفسك حركة وهمّة إلى التشبه بهم فاحمد اللَّه وادخل فالطريق واضح والباب مفتوح:

إذا أعجبتـــك خصـــال امرئ فكُنْـــهُ تكنْ مثـــل ما يعجبكْ
فليس على الجـــود والمكرمـــ ـــات إذا جئتهـــا حاجب يحجبكْ

فنبأ القوم عجيب، وأمرهم خفي إلا على من له مشاركة مع القوم، فإنه يطلع على ما يريه إياه القدر المشترك. وجملة أمرهم أنهم

قوم قد امتلأت قلوبهم من معرفة اللَّه، وغمرت بمحبته وخشيته وإجلاله ومراقبته، فسرت المحبة في أجزائهم فلم يبق فيها عرق ولا مفصل إلا وقد دخله الحب.

فإذا وضع أحدهم جنبه على مضجعه صعدت أنفاسه إلى إلهه ومولاه، واجتمع همه عليه، متذكرًا صفاته العلى وأسمائه الحسنى، مشاهدًا له في أسمائه، قد تجلت على قلبه أنوارها، فانصبغ قلبه بمعرفته ومحبته، فبات جسمه على فراشه يتجافى عن مضجعه، وقلبه قد آوى إلى مولاه وحبيبه فآواه إليه، وأسجده بين يديه خاضعًا خاشعًا ذليلاً منكسرًا من كل جهة من جهاته، فيا لها سجدة ما أشرفها من سجدة، لا يرفع رأسه منها إلى يوم اللقاء. وقيل لبعض العارفين: أيسجد القلب بين يدي ربه؟ قال: إي واللَّه، بسجدة لا يرفع رأسه منها إلى يوم القيامة، فشتان بين قلب يبيت عند ربه قد قطع في سفره إليه بيداء الأكوان، وخرق حجب الطبيعة، ولم يقف عند رسم، ولا سكن إلى علم، حتى دخل على ربه في داره، فشاهد عز سلطانه وعظمة جلاله وعلو شأنه وبهاء كماله. فإذا صارت صفات ربه وأسماؤه مشهدًا لقلبه أَنْسَتْهُ ذكر غيره، وشغلته عن حب من سواه، وبالجملة فيبقى قلب العبد ـ الذي هذا شأنه ـ عرشًا للمثل الأعلى ـ أي عرشًا لمعرفة محبوبه ومحبته. وناهيك قلب هذا شأنه فيا له من قلب مِنْ ربه ما أدناه!!

فهؤلاء قلوبهم قد قطعت الأكوان وسجدت تحت العرش وأبدانهم في فرشهم كما قال أبو الدرداء: «إذا نام العبد المؤمن عرج بروحه حتى تسجد تحت العرش، فإن كان طاهرًا أُذن لها في السجود، وإنْ كان جنبًا لم يؤذن لها بالسجود» وهذا ـ واللَّه أعلم ـ هو السر الذي لأجله أمر

النبي ﷺ الجنب إذا أراد النوم أنْ يتوضأ.

فإذا استيقظ هذا القلب من منامه، صعد إلى اللَّه بهمه وحبه وأشواقه، مشتاقًا إليه. طالبًا له محتاجًا إليه عاكفًا عليه، فحاله كحال المحب الذي غاب عنه محبوبه الذي لا غنى له عنه. ولا بد له منه، وضرورته إليه أعظم من ضرورته إلى النّفس والطعام والشراب. فإذا نام غاب عنه، فإذا استيقظ عاد إلى الحنين إليه وإلى الشوق الشديد والحب المقلق، فحبيبه آخر خطراته عند منامه وأولها عند استيقاظه كما قال بعض المحبين لمحبوبه.

وآخر شيء أنت في كل هجعــــة وأول شيء أنت عند هبــــوبي

فأُفٍّ لقلب لا يصلح لهذا ولا يصدق به، لقد صُرف عنه خير الدنيا والآخرة.

* فإذا استيقظ أحدهم، وقد بدر إلى قلبه هذا الشأن، فأول ما يجرى على لسانه ذكر محبوبه والتوجه إليه، واستعطافه والتملق بين يديه، والاستعانة به أن لا يخلى بينه وبين نفسه وألا يكله إليها فيكله إلى ضعة وعجز وذنب وخطيئة، بل يكلأه كلاءة الوليد الذي لا يملك ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا.

فأول ما يبدأ به «الحمد للَّه الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور» متدبرًا لمعناها من ذكر نعمة اللَّه عليه بأن أحياه بعد نومه الذي هو أخو الموت وأعاده إلى حاله سويًا سليمًا محفوظًا مما لا يعلمه ولا يخطر بباله من المؤذيات والمهلكات التي هو عرض وهدف لسهامها كلها، التي تقصده بالهلاك أو الأذى، والتي من بعضها شياطين الإنس والجن. فمن

الذي كلأه وحرسه وقد غاب عنه حسه وعلمه وسمعه وبصره، فإذا تصور العبد ذلك فقال: «الحمد للَّه» كان حمده أبلغ وأكمل من حمد الغافل عن ذلك، ثم تفكر في أن الذي أعاده بعد هذه الإماتة قادرًا على أن يعيده بعد موتته الكبرى ثم يقول: «لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، سبحان اللَّه والحمد للَّه ولا إله إلا اللَّه واللَّه أكبر ولا حول ولا قوة إلا باللَّه»، ثم يدعو ويتضرع، ثم يقوم إلى الوضوء بقلب حاضر مستصحب لما فيه، ثم يصلي ما كتب اللَّه له صلاة محب ناصح لمحبوبه، متذلل منكسر بين يديه، لا صلاة مُدِلّ بها عليه، يرى من أعظم نعم محبوبه عليه أن أقامه وأنام غيره، واستزاره وطرد غيره، وأهَّلَهُ وحرم غيره، فهو يزداد بذلك محبة إلى محبته، ويرى أن قرة عينه وحياة قلبه وجنة روحه ونعيمه ولذته وسروره في تلك الصلاة فهو يتمنى طول ليله، ويهتم بطلوع الفجر كما يتمنى المحب الفائز بوصل محبوبه ذلك فهو كما قيل:

يـــــود أنّ ظـــــلام الليل دام لــه وزيــــد فيه ســــواد القلب والبصر

فهو يتملق فيها مولاه تملق المحب محبوبه العزيز الرحيم، ويناجيه بكلامه معطيًا لكل آية حظها من العبودية، فتجذب قلبه وروحه إليه آيات المحبة والوداد، والآيات التي فيها الأسماء والصفات، والآيات التي تعرَّف بها إلى عباده بآلائه وإنعامه عليهم، وإحسانه إليهم، وتطيب له السير آيات الرجاء والرحمة وسعة البر والمغفرة فتكون له بمنزلة الحادي الذي يطيب له السير ويهونه، وتقلقه آيات الخوف والعدل والانتقام وحلال غضبه بالمعرضين عنه العادلين به غيره، المائلين إلى سواه، فيجمعه عليه ويمنعه أن يشرد قلبه عنه، فتأمل هذه الثلاثة وتفقه فيها،

والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وبالجملة فيشاهد المتكلم سبحانه وقد تجلّى في كلامه، ويعطي كل آية حظها من عبودية قلبه الخاصة الزائدة على مجرد تلاوتها والتصديق بأنها كلام الله، بل زائدة على نفس فهمها ومعرفة المراد منها. ثم شأن آخر لو فطن له العبد لعلم أنه كان قبل يلعب، كما قيل:

وكنت أرى أن قد تناهى به الهوى إلى غاية ما بعدها لي مذهب
فلما تلاقينا وعاينت حسنها تيقنت أني إنما كنت ألعب

فوا أسفاه وواحسرتاه كيف ينقضي الزمان وينفد العمر والقلب محجوب ما شم لهذا رائحة، وخرج من الدنيا كما دخل إليها وما ذاق أطيب ما فيها، بل عاش فيها عيش البهائم، وانتقل منها انتقال المفاليس، فكانت حياته عجزًا وموته كمدًا ومعاده حسرة وأسفًا، فإذا صلى ما كتب الله له جلس مطرقًا بين يدي ربه هيبة له وإجلالاً، واستغفره استغفار من قد تيقن أنه هالك إن لم يغفر له ويرحمه، فإذا قضى من الاستغفار وطرًا وكان عليه بعد ليل اضطجع على شقه الأيمن مجمًا لنفسه مريحًا لها مقويًا لها على أداء وظيفة الفرض فيستقبله نشيطًا بجده وهمته كأنه لم يزل نائمًا طول ليلته لم يعمل شيئًا»[1] ا.هـ. انتهى كلام طبيب القلوب وريحانة المتهجدين ابن القيم ـ رحمه الله ـ.

* روي عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أنه قال:

«وأيم الله ـ يمينًا أستثنى فيها بمشيئة الله ـ لأروضن نفسي رياضة

(١) «طريق الهجرتين» من ص(٢٠٥ ـ ٢١١) طبعة السلفية.

تهش معها إلى القُرص[١] إذا قدرت عليه مطمومًا، وتقنع بالملح مأدومًا[٢]، ولأدعنّ مُقْلتي كعين ماء نضب معينها، مستفْرَغة دموعُها. أتمتلي السائمة من رعيها[٣] فتبرك، وتشبع الربيضة[٤] من عشبها فتربض؟ ويأكل عليٌّ من زاده فيهجع؟! قرت إذًا عينه[٥] إذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة[٦] والسائمة المرعية!!».

طوبى لنفس أدت إلى ربها فرضها، وعركت بجنبها بؤسها[٧]، وهجرت في الليل غمضها، حتى إذا غلب الكرى عليها افترشت أرضها، وتوسدت كفها، في معشر أسهر عيونهم خوف معادهم، وتجافت عن مضاجعها جنوبهم، وهمهمت[٨] بذكر ربهم شفاههم، وتقشعت بطول استغفارهم ذنوبهم ﴿**أولئك حزب اللَّه ألا إن حزب اللَّه هم المفلحون**﴾[٩] ا.هـ.

* وروي عنه أن كتب إلى الأشتر النخعي فقال له:

«اعط للَّه من بدنك في ليلك ونهارك، ووفّ ما تقربت به إلى اللَّه

---

(١) أي: تنبسط إلى الرغيف وتفرح به من شدة ما حرمها.
(٢) أي: مأدومًا به الطعام.
(٣) الرعي: ما ترعاه الماشية.
(٤) الربيضة: الغنم مع رعاتها إذا كانت في مرابضها، والربوض للغنم كالبروك للإبل، يقال ربضت الغنم: طوت قوائمها ولصقت بالأرض.
(٥) دعاء على نفسه ببرود العين أي: جمودها من فقد الحياة.
(٦) الهاملة: المرسلة، والهمل من الغنم ترعى نهارًا بلا راع.
(٧) البؤس: الضر، وعركه بالجنب: الصبر عليه كأنه شوك فيسحقه بجنبه، ويقال: فلان يعرك الأذى إذا كان صبارًا.
(٨) الهمهمة: الصوت يردد في الصدر، وأراد منه الأعم، انقشع الغمام: انجلى.
(٩) «نهج البلاغة» ص(٣٢٨، ٣٢٩).

من ذلك كاملاً غير مثلوم ولا منقوص بالغًا من بدنك ما بلغ»[١] .

قال يحيى بن معاذ:

كل محبـوب سوى اللّه سرف ... وهمـوم وغمـوم وأسف
كل محبـوب فمنـه لي خلف ... ما خـلا الرحمـن ما منـه خلف
إن للـحـب دلالات إذا ... ظهـرت من صـاحب الحب عُرِف
صـاحب الحب حزيـن قلبـه ... دائـم الغصـة مغمـوم دنف
همـه في اللّه لا في غيـره ... ذاهـب العقـل وباللّه كلف
أشـعث الرأس خميـص بطنـه ... أصفـر الوجـه وفي الطرف ذرف
دائـم التـذكـار من حُب الذي ... حبـه غايـة غايـات الشرف
فـإذا أمعـن في الحـب لـه ... وعـلاه الشـوق مما قـد كشف
باشـر المحـراب يشـكو بثـه ... وأمـام اللّه مـولاه وقـف
قائـم قدامـه منتصبـًا ... لهجًا يتلـو بآيـات الصحف
راكعـًا طـورًا وطـورًا ساجـدًا ... باكيًـا والدمـع في الأرض يكف
أورد القلـب على حب الذي ... فيـه حب اللّه حقًا فعرف
ثـم جـالت كفـه في شـجر ... ينـبت الحب فسـمّى واقتطف
إن ذا الحب لمن يعنـي بـه ... لا بدار ذات لهـو وطرف

وقال آخر:

تشـاغل قـوم بدنيـاهم ... وقـوم تخلـوا لمولاهـم
فألزمهـم باب مرضـاتـه ... وعن سائـر الخلق أغنـاهم
فمـا يعرفـون سـوى حبـه ... وطاعتـه طـول محياهـم

(١) «نهج البلاغة» ص(٣٤٤).

يصفون بالليل أقدامهم … وعين المهيمن ترعاهم
فطوراً يناجونه سجداً … ويبكون طوراً خطاياهم
إذا فكروا في الذي أسلفوا … أذاب القلوب وأبكاهم
وإن يسكن الخوف لاذوا به … وباحوا إليه بشكواهم
وأصبحوا صياماً على جهدهم … تبارك منْ هو قوّاهم
هم القوم أعطوا مليك الملـ … ـوك صدق القلوب فوالاهم
هم المجتبون بنياتهم … أرادوا رضاه فأعطاهم
وأسكنهم في فراديسه … وأعلا المنازل بوّاهم
فنالوا المراد وفازوا به … فطوبى لهم ثم طوباهم

وقال آخر:

قليل العزاء كثير الندم … طويل النحيب على ما اجترم
جرى دمعه فبكى جفنه … فصار البكاء بدمع ودم
يخاف البيات بهجم الممات … وفقد الحياة بضر السقم
ويخفي محبة رب العلى … فتظهر أنفاسه ما اكتتم
وأسبل من طرفه عبرة … على الصحن من خده فانسجم
وبات محارب محرابه … ولما تزل قدم على قدم
فلما تفتتت أحشاؤه … من الشوق رقبا عليه الألم
وكم ليلة رام فيها المنام … فصاح به حبه لا تنم
وناح على جسد ناحل … أطال النحول به فانهدم
وتاب إلى الله مستغفراً … فصار له من أعز الخدم[1]

(١) «استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس» للحافظ ابن رجب ص(٨) طبع دار الفتح.

للَّه در السادة العُبّاد:

لله دَرُّ السادةِ العُبَّادِ في أيّ كهفٍ قد ثَوَوْا أو وادي
ألوانُهُم تُنْبِيكَ عن أحوالهم ودُمُوعهم عن حُرْقة الأكبادِ
كَتَموا الضنى حفظًا لهم وتَحَمَّلوا سُقْمَ الهوى ومَشَقَّةَ الأجسادِ
هجروا المراقدَ في الظلام لربهم واستبدلوا سَهَرًا بطيبِ رُقادِ
لا يَفْتُرون إذا الدجى وافاهُمُوا من كثرة الأذكار والأورادِ
ورأوا علاماتِ الرحيل فبادَرُوا تحصيلَ ما التمسوا من الأزوادِ
ومضوا على منهاج صَحب نبيهم فنجوا غداً من هول يوم مَعَادِ[1]

أيها الراقد ذا الليل التمام:

أيها الراقدُ ذا الليلِ التمامْ قُمْ بجدٍّ فالليالي في انصرامْ
وتقربْ بصلاةٍ وصِيامْ وابتهلْ للّه في جُنْح الظلامْ
فعسى تلحقُ بالقومِ الكرامْ

أيها الراقدُ ذا الليلِ الطويلْ ليس في الدنيا مقامٌ يا نبيلْ
ضُربت واللّه أبواقُ الرحيلْ وسَرَى الركبُ بوخدٍ وذَميلْ
يَتبارونَ إلى دارِ السلامْ

أيها الراقدُ كَمْ هذا الهجودْ ما ترى القومَ استعدوا للوُفُودْ
بقيامٍ وركوعٍ وسجودْ وخشوعٍ وخضوعٍ للودودْ
ودموعٍ تتجاري كالغمامْ

---

(١) «مجموعه القصائد الزهديات» لعبد العزيز المحمد السلمان (٢/ ٤٦١ ـ ٤٦٢).

أيها الراقد كم هذا الكرى إنَّ أهل اللَّه جدُّوا في السُّرَى
طَلَّقوا الدنيا ومَرُّوا زُمَرَا أفترضي أنت أن تبقي ورَى
فاستعن باللَّه وانهض باهتمامْ

أيها الراقد كَمْ هذا الرُّقَادْ قم بإخلاصٍ وجِدٍّ واجتهادْ
وتزودْ فالتُّقَى أفضلُ زادْ إن أهل الجِّد فازوا بالمرادْ
مَنْ يُطع مولاه يظفر بالَمرامْ

كيف يَهْنى بمَنام وَسُبَاتْ عالمٌ أن سوف يلقى السكراتْ
ويذوقُ المُرَّ من كأسِ المَمَات رَبِّ وفقنا وايدْ بالثَّبَات
عندما نجرعُ كاسات الحِمَامْ

* * *

فَهِمُوا عن الملك الكريم كلامَهُ وأقام أمرَهُم الرشادُ فقامُوا
وتَوَسَّلُوا بمدامع مُنْهَلَّةٍ تحتَ الدياجي والأنامُ نيامُ
وتَلَوْا من الذِّكْرِ الحكيم جوامعًا جُمعَتْ لها الألبابُ والأفهامُ
يا صاحِ لو أبصرتَ لَيْلَهُمُ وقدْ صَفَت القلوبُ وصُفَّت الأقدامُ
لرأيتَ نُورَ هدايةٍ قد حَفَّهُمْ فسرى السُّرورُ وأشرقَ الاظلامُ
فهُمُ العبيدُ الخادمونَ مَليكَهُمْ نِعْمَ العبيدُ وأَفْلَحَ الخدّام
سَلِمُوا من الآفاتِ لما استسلمُوا فعليهمُ حتى المماتِ سلامُ[1]

* * *

(١) «مجموعة القصائد الزهديات» (٢/ ٨٤).

قال ابن الرومي ـ رحمه اللَّه ـ:

بَاتَ يدعوا الواحدَ الصَّمَدَا في ظلامِ الليلِ منفرِدَا
خَادِمٌ لم تُبْقِ خدْمَتُهُ منْهُ لا رُوحا ولا جَسَدا
قد جَفَتْ عيناهُ غَمْضَهُما والخليُّ القَلبِ قَدْ رَقَدَا
في حشاهُ مِنْ مَخافَتِه حُرُقاتٍ تَلْذَعُ الكَبِدَا
لو تراه وهو مُنْتَصِبٌ مُشْعِرٌ أجفانَه السُّهُدَا
كَلَّمَا مَرَّ الوَعِيدُ به سَحَّ دَمْعُ العينِ فاطَّرَدَا
ووَهنتْ أَرْكَانُهُ جَزَعًا وارْتَقَتْ أنفاسُه صُعُدَا
قائلٌ يا منتهى أَمَلِي نَجِّني مما أخافُ غَدَا
أنا عبدٌ غرّني أَمَلِي وكأنَّ الموتَ قَدْ وَرَدَا
وخَطيئاتِي التي سَلَفَتْ لَسْتُ أُحْصِي بعضَها عَدَدَا
فَلِيَ الوَيْلُ الطويلُ غدا ليتَ عُمري قبلها نَفَدَا
وَيْحَ عيني سَاءَ مَا نَظَرَتْ ويح قلبي ساء ما اعتقدا
ليتَ عيْنِي قبل نظرتِها كُحِلَتْ أجفانُها رَمَدَا[1]

وقال ـ رحمه اللَّه ـ:

تتجـــافى جُنُـوبُـهُـمْ عن وَطِـئِ المضـاجِـعِ
كُلُّهُـــمْ بَيْـــنِ خـــائفٍ مستجيـــرٍ وطـــامِـعِ

(١) «ديوان ابن الرومي» (٢/ ٧٧٦ ـ ٧٧٧) نقلاً عن «مختارات البارود» لمحمود سامي البارودي (٤/ ٨٢٥ ـ ٨٢٦).

تركُـــوا لـــذَّةَ الكَـــرى	للعيـــونِ الهواجِـــعِ
لَوْ تَراهُـــمْ إذا هُـــمُ	خطَـــروا بالأصابِـــعِ
وإِذَا هُـــمْ تأَوَّهُـــوا	عنـــد مَـــرٍّ القـــوارِعِ
وإذا باشـــروا الثَّـــرَى	بالخـــدودِ الضَّـــوارِعِ
واسْـــتَهلَّتْ عُيُونُهـــم	فائضـــاتِ المـــدامِـــعِ
وَدَعَـــوْا: يا مليكَنَـــا	يـــا جميـــلَ الصنائـــعِ
أُعْـــفُ عنَّـــا ذنوبَنَـــا	للعيـــونِ الدوامِـــعِ
أنْتَ - إنْ لمْ يَكُنْ لَنَـــا	شافِـــعٌ - خَيْـــرُ شافِـــعِ
فـــأُجِيبـــوا إجـــابَـــةً	لم تَقَعْ في المسامِـــعِ
ليـــس مـــا تصنعونـــه	أوليـــائي بضائـــعِ
تاجـــروني بطـــاعتـــي	تربحـــوا في البضائِـــعِ
وابذلـــوا لي نُفُوسَكُـــم	إنهـــا فـــي ودائـــعي[1]

* * *

(١) «ديوان ابن الرومي» (٤/ ١٤٨٢ - ١٤٨٣) نقلاً عن «مختارات البارود» لمحمود سامي البارودي (٤/ ٨٢٧ - ٨٢٦) - مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين.



دُموع المتهجدين ومناجَاتهم

سبحانك سبحانك.. لك الجلال والجمال
ولك الكمال.. أنت أنت.. سبحانك قدستك
ألسن التماديح وأفواه التسابيح

فما الحب حتى يلصق القلب بالحشا
وتذبل حتى ما تجيب المناديا
وتنحل حتى ما يُبقي لك الهوى
سوى مقلة تبكي بها وتناجيا

***

نزف البكاء دموع عينك فاستعر
عيناً لغيرك دمعها مدرار
من ذا يُعيرك عينه تُبكي بها
أرأيت عيناً للدموع تعار!!

دُمُوعُ المُتَهَجِّدِينَ وَمُنَاجَاتُهُم

اعلم رحمك اللَّه أن البكاء هو من أعظم ما تقرب به العابدون، واسترحم به الخائفون، ولا يذكر التهجد إلاّ ويذكر البكاء، ولا يذكر الليل إلا وقارنه ذكر الدموع، وَمَنْ أرقّ من المتهجدين أفئدة حين اتخذوا من الدمع رسولهم لربهم؟. فالدمع ألح شفعائهم، وهم كاتبوا اللَّه بدموعهم وهم ينتظرون الجواب.

صحائفنا إشارتنا وأكثر رسلنا الحرقُ
لأن الكتب قد تُقْرَا بغير الدمع لا نثقُ

قال ﷺ: «**عينان لا تمسهما النار أبدًا: عين بكت من خشية اللَّه، وعين باتت تحرس في سبيل اللَّه**»[(1)]

* ضرب عامر بن عبد قيس بيده على عينه فقال: جامدة شاخصة لا تندى[(2)].

* وقيل لصفوان بن محرز عند طول بكائه وتذكر أحزانه: إن ذلك يورث العمى، فقال: ذلك لها شهادة فبكى حتى عمى[(3)].

ولكم تحلو مناجاة المتهجدين لمولاهم وقد خالطها الدموع.. لكم

---

(1) **صحيح**: رواه الضياء عن أنس وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٩٩٢).
(2) «البخلاء» للجاحظ ص(٦) طبع دار المعارف تحقيق طه الحاجري الطبعة السادسة.
(3) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٩١).

يحلو البكاء وتحلو المناجاة وقد أرخى الليل سدوله، وكأنّ القوم جعلوا شعارهم قول يحيى بن معاذ:

«ليكنْ بيتك الخلوة، وطعامك الجوع، وحديثك المناجاة، فإمّا أن تموت بدائك، وإما أن تصل إلى دوائك»(١).

* عن ثور بن زيد قال: قرأت في التوراة أن عيسى عليه السلام قال: «يا معشر الحواريين كلّموا اللَّه كثيرًا، وكلّموا الناس قليلاً. قالوا: كيف نكلم اللَّه كثيرًا؟ قال: «اخلوا بمناجاته اخلوا بدعائه»(٢).

* وقال أحد الصالحين في مناجاته لربه:

«إذا سئم البطالون من بطالتهم فلن يسأم محبوك من مناجاتك وذكرك»(٣).

* قال عابد باليمن: «سرور المؤمن ولذته في الخلوة بمناجاة سيده»(٤).

* وعن عبد العزيز بن سليمان الراسبي ـ وكانت رابعة تسميه سيد العابدين ـ أنه قيل له: «ما بقى مما يتلذذ به؟ قال: سرداب أخلو بربي فيه»(٥).

* وعن مسلم العابد قال: ما يجد المطيعون للَّه لذة في الدنيا أحلى من الخلوة بمناجاة سيدهم، ولا أحب لهم في الآخرة من عظيم الثواب أكبر في صدورهم وألذ في قلوبهم من النظر إلى

---

(١) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٩١).

(٢) «استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس» لابن رجب ص(٤٥).

(٣) «استنشاق نسيم الأنس» ص(٣٧).

(٤) «استنشاق نسيم الأنس» ص(٤٦).

(٥) «استنشاق نسيم الأنس» ص(٤٧).

اللَّه عز وجل ثم غشي عليه»[١] .

* وقال بكر المزني: «مَنْ مثلك يا بن آدم، خُلِّيَ بينك وبين المحراب والماء، كلما شئت دخلت على اللَّه عز وجل ليس بينك وبينه ترجمان»[٢] .

* قال نصر: اجتمعنا ليلة على الساحل ومعنا مسلم أبو عبد اللَّه فقال رجل من الأزد:

ما للمحب سوى إرادة حبه إنّ المحب بكل بر يضرعُ

قال: فبكى مسلم حتى خشيت واللَّه أين يموت[٢] .

وعن حبيب أبي محمد أنه كان يخلو في بيته ثم يقول:

« من لم تقر عينه بك فلا قرت، ومن لم يأنس بك فلا أنس»[٣] .

انظر أخي إلى دموع البكائين ومناجاة قلوبهم تجد لسان حالهم يقول:

نزف البكاء دموع عينك فاستعر عينًا لغيرك دمعها مدرار

من ذا يعيرك عينه تبكي بها أرأيت عينًا للدموع تعار

حتى نصيح بأعيننا الجامدة . . «لماذا الجفاف يا عين؟» .

* كان داود الطائي يقول في جوف الليل: «اللَّهم همك عطّل عليَّ الهموم، وحالف بيني وبين السهاد، وشوقي إلى النظر إليك أوثق مني، وحال بيني وبين اللذات، فأنا في سجنك أيها الكريم مطلوب» .

قالوا تشاغل عنا واصطفى بدلا منا وذلك فعل الخائن السالي

(١) «استنشاق نسيم الأنس» ص(٤٦).
(٢) «استنشاق نسيم الأنس» ص(٣٩).
(٣) «استنشاق نسيم الأنس» ص(٤٦).

وكيف أشغل قلبي عن محبتكم   بغير ذكركم يا كلَّ أشغالي

* قال عبد الرحمن بن مهدي: «ما عاشرت في الناس رجلاً أرق من سفيان الثوري، وكنت أرمقه الليلة بعد الليلة، فما كان ينام إلا أول الليل، ثم ينتفض فزعًا مرعوبًا ينادي: النار النار شغلني ذكر النار عن النوم والشهوات، ثم يتوضأ ويقول على أثر وضوئه: «اللَّهم إنك عالمٌ بحاجتي غير معلم، وما أطلب إلا فكاك رقبتي من النار، إلهي إن الجزع قد أرّقني، وذلك من نعمك السابغة عليّ، وإلهي لو كان لي عذر في التخلي ما أقمت مع الناس طرفة عين»، ثم يقبل على صلاته وكان البكاء يمنعه من القراءة حتى إن كنت لا أستطيع سماع قراءته من كثرة بكائه»[1]

* وكانت خنساء بنت خدّام: إذا جنّ عليها الليل وهدأت العيون وسكنت الحركات تقول: «يا حبيب المطيعين، إلي كم تحبس خدود المطيعين في التراب؟ ابعثهم حتى ينجزوا موعدك الصادق الذي أتعبوا له أنفسهم ثم نصبوا» فتبكي الدور التي حولها.

* قال الحسن البصري: يا حُسنَ عين بكت في جوف الليل من خشية اللَّه عز وجل[2]

* كانت مع هشام بن عطية جارية في الدار فكانت تقول: أي ذنب عمل هذا؟ مَنْ قتلَ هذا؟ فتراه الليل كله يبكي.

وكيف تنام العين وهي قريرة   ولم تدر في أيّ المحلين تنزل

* قال الحسن بن عرفة ليزيد بن هارون: يا أبا خالد: ما فعلت

---

(١) «الحلية» (ج٧ ص٦٠).
(٢) «الزهد» لابن حنبل ص(٢٨٢).

العينان الجميلتان؟ قال: «ذهب بهما بكاء الأسحار» وحين سئل عن حزبه قال: وأنام من الليل شيئًا!! إذًا لا أنام اللَّه عيني.

* وكان حبيب العجمي أبو محمد رقيقًا، من أكثر الناس بكاءً، فبكى ذات ليلة بكاءً كثيرًا، فقالت عمرة - زوجته - لم تبكي يا أبا محمد؟ فقال لها: دعيني فإني أريد أن أسلك طريقًا لم أسلكه من قبل[1].

وكان عمر بن المنكدر لا ينام الليل يكثر البكاء على نفسه، فشقّ ذلك على أمه فقالت لأخيه محمد بن المنكدر: إن الذي يصنع عمر يشقّ عليّ فَلَوْ كلّمته في ذلك، فاستعان عليه بأبي حازم، فقالا له: إن الذي تصنع يشق على أمك. فقال: فكيف أصنع؟ إن الليل إذا دخل عليّ هالني فأستفتح بالقرآن، وما تنقضي نهمتي فيه. قالا: فالبكاء؟ قال: آية من كتاب اللَّه أبكتني. قالا: وما هي؟ قال: قوله عز وجل: ﴿**وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ**﴾.

* وكان عتبة الغلام يقول في ليله على ساحل البحر: «إن تعذبني فإني لك محب، وإن ترحمني فإني لك محب» فلم يزل يرددها ويبكي حتى مطلع الفجر. وكان - رحمه اللَّه - يبكي من السّحر بكاءً شديدًا ويقول لمّا يُسأل في ذلك: «إني واللَّه ذكرت يوم العرض على اللَّه» ثم يقول وقد غشي عليه: «قطّع ذكرُ يوم العرض على اللَّه أوصال المحبين»، ويقول تراك مولاي تعذب محبيك وأنت الحي الكريم.

ويقول عنه عبد الواحد بن زيد: ربما سهرت مفكرًا في طول حزن

---

(١) «الحلية» (ج٦ ص١٥٤).

عتبة، وقد كلّمته ليرفق بنفسه فقال: «إنما أبكي على تقصيري»، وكان لا ينقطع بكاؤه في مجلس عبد الواحد فكلموا عبد الواحد وقالوا: إنا لا نفهم كلامك من بكاء عتبة. فقال: فأصنع ماذا؟ يبكي عتبة على نفسه وأنهاه أنا؟ لبئس واعظ قوم أنا!! [١].

*لما رأت أم الربيع بن خيثم ما يلقى الربيع من البكاء والسهر نادته فقالت:

«يا بني لعلك قتلت قتيلاً؟ فقال: نعم يا والدة، قتلت قتيلاً. فقالت: ومن هذ القتيل يا بني نتحمل على أهله فيعفوك، واللَّه لو علموا ما تلقى من البكاء والسهر لقد رحموك، فيقول: يا والدتي هي نفسي».

*أما منصور بن المعتمر فقد قسّم الليل ثلاثًا: فكان ثلث الليل يقرأ، وثلثه يبكي، وثلثه يدعو.

*بكى مسعر بن كدام فبكت أمه فقال لها مسعر: ما أبكاك يا أماه؟ فقالت: يا بني رأيتك تبكي فبكيت. فقال: يا أماه لمثل ما نهجمُ عليه غدًا فلنطل البكاء، قالت: وما ذاك فانتحب فقال: القيامة وما فيها. قال ثم غلبه البكاء فبكى [٢].

رحمك اللَّه يا مسعر، وللَّه در سفيان بن عيينة حين يفتخر بك وبالصالحين من أحبابه فيقول:

أجاعتهم الدنيـــا فخافوا ولم يزل ... كذلك ذو التقوى عن العيش ملجما

---

(١) «صفة الصفوة» (ج١ ص٣٧٠، ٣٧١).

(٢) «صفة الصفوة» (ج٣ ص١٣٠).

أخوطيئ داود منهم ومسعر ... ومنهم وهيب والعريب بن أدهمـا
وحسبك منهم بالفضيل مع ابنه ... ويوسف إن لم يأل أن يتسلما
وفي ابن سعيد قدوة البر والنهى ... وفي الوارث الفاروق صدقًا مقدما
أولئك أصحـابي وأهـل مودتي ... فصلى عليهم ذو الجـلال وسلّما
فما ضرّ ذو التقوى نصال أسنّةٍ ... وما زال ذو التقوى أعز وأكرما (١)

*كان أنس بن مالك يقول لثابت البناني: ما أشبه عينيك بعيني رسول اللَّه ﷺ، ولما كان كثير البكاء اشتكى عينه فقال له الطبيب: اضمن لي خصلة تبرأ عينك. قال: وما هي؟ قال: لا تبك. قال: وما خير عين لا تبكي (٢).

ولقد بكى ورّاد العجلي في مجلس وعظ ابن ذر فقال ابن ذر: ما الذي قصر بنا وكَلَمَ قلبه حتى أبكاه؟ واللَّه إنْ هذا يا أخا بني عجل إلا من صفاء قلبك وتراكم الذنوب على قلوبنا.

ولما سُئِلت أخته وكانت أصغر منه عن ليله قالت: كان يبكي عامة الليل، فقالوا لها: فتحفظين من دعائه شيئًا. قالت: نعم. كان إذا كان السحر أو قريبًا من طلوع الفجر سجد، ثم بكى، ثم قال: «مولاي عبدك يحب اجتناب سخطك فأعنه على ذلك بمنّك أيها المنان، مولاي: عبدك يحب الاتصال بطاعتك، فأعنه عليها بتوفيقك يا أيها المنان، مولاي، عبدك عظيم الرجاء لخيرك فلا تقطع رجاءه يوم يفرح الفائزون،

(١) «التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول» ص(٤٩٨) للدكتور مجاهد مصطفى - منشورات وزارة الأوقاف بالعراق.
(٢) «صفة الصفوة» (ج٣ ص٢٦٢).

فلا يزال كذلك حتى يصبح»(١) .

* وبكى أسيد الضبي حتى عمى، وكان إذا عوتب على البكاء قال: الآن حين لا أهدأ، وأنا أموت غدًا، والله لأبكين ثم لأبكينّ، فإن أدركت بالبكاء خيرًا فمن الله وفضله عليّ، وإن تكن الأخرى فما بكائي في جنب ما ألقى غدًا(٢) .

* ولقد بكى بديل بن ميسرة العقيلي حتى قرحت مآقيه ولما عوتب قال: إنما أبكي خوفًا من طول العطش يوم القيامة(٣) .

* وقالت جارية محمد بن واسع في بكائه: هذا رجل إذا جاء الليل لو كان قتل أهل الدنيا ما زاد(٤) .

* ولما عوتب عطاء السليمي في كثرة البكاء قال:

«إني إذا ذكرت أهل النار وما ينزل بهم من عذاب الله وعقابه تمثلت لي نفسي بهم، فكيف لنفس تُغَلّ يدها إلى عنقها وتُسحب في النار؟ ألا تصيح فتبكي؟ وكيف لنفس تعذب؟ ألا تبكي؟ ويحك وما أقل غناء البكاء عن أهله إن لم يرحمهم الله.

وكان ـ رحمه الله ـ يقول: الموت في عنقي، والقبر بيتي، وفي القيامة موقفي، وعلى جسر جهنم طريقي، وربي لا أدري ما يصنع بي.

وكان يقول أشتهي أن أبكي؛ حتى لا أقدر أن أبكي(٥) .

(١) «صفة الصفوة» (ج٣ ص١٦٢).
(٢) «صفة الصفوة» (ج٣ ص١٦٣).
(٣) «صفة الصفوة» (ج٣ ص٢٦٥).
(٤) «صفة الصفوة» (ج٣ ص٢٦٧).
(٥) «صفة الصفوة» (ج٣ ص٣٢٧).

* أخي حتى متى نسهو ونلعب وليلنا ليل البطّالين وملك الموت في طلبنا لا يكفّ.

* وبكى يزيد بن مرثد.. يسأله عبد الرحمن بن يزيد بن جابر: ما لي أرى عينك لا تجف؟ قال: وما مسألتك عنه؟ قلت: عسى اللَّه أن ينفعني به. قال: يا أخي: إن اللَّه توعّدني إنْ عصيته أن يسجنني في النار، واللَّه لو لم يتوعدني أن يسجنني إلا في الحمّام لكنت حريًا أن لا تجف لي عين، قلت له: فهكذا أنت في صلاتك؟ قال: وما مسألتك عنه؟ قلت: عسى اللَّه أن ينفعني به. قال: واللَّه إن ذلك ليعرض لي حين أسكن إلى أهلي فيحول بيني وبين ما أريد، وإنه ليوضع الطعام بين يدي فيعرض لي فيحول بيني وبين أكله حتى تبكي امرأتي وتبكي صبياننا ما يدرون ما أبكانا، وربما أضجر ذلك امرأتي فتقول: يا ويحها ما خصت به من طول الحزن معك في الحياة الدنيا، ما يقر لي معك عين[1].

قال مسمع بن عاصم: «بت أنا وعبد العزيز بن سليمان وكلاب بن جري وسلمان الأعرج على ساحلٍ من بعض السواحل فبكى كلاب حتى خشيت أن يموت، ثم بكى عبد العزيز لبكائه، ثم بكى سلمان لبكائهما، وبكيتُ واللَّه لبكائهم لا أدري ما أبكاهم، فلمّا كان بعد سألتُ عبد العزيز فقلت: يا أبا محمد ما الذي أبكاك ليلتئذ؟ قال: إني واللَّه نظرت إلى أمواج البحر تموج وتجيل فذكرت أطباق النيران وزفراتها فذلك الذي أبكاني، ثم سألت كلابًا أيضًا نحوًا مما سألت عبد العزيز فواللَّه لكأنما سمع قصته فقال لي مثل ذلك.

---

(١) «التخويف من النار» ص(١٩، ٢٠)، انظر: «الزهد» لابن حنبل وابن المبارك.

ثم سألت سلمان الأعرج نحواً مما سألتهما فقال: «ما كان في القوم شرٌّ مني، ما كان بكائي إلا لبكائهم رحمة لهم مما كانوا يصنعون بأنفسهم - رحمهم اللَّه - تعالى»[١] .

* أما الحسن البصري شيخ البكّائين الذي وصفوه بأنه إذا بكى فكأنّ النار لم تخلق إلا له، لما قيل له ما يبكيك؟ قال: أخاف أن يطرحني غداً في النار ولا يبالي[٢] . وفي رواية: «وما يؤمنني أن يكون اطلع على فيّ بعض زلاتي فقال: اذهب فلا غفرت لك.

لعلك غضبـــان وقلبي غافــــل سلام على الـــدارين إن كنت راضـــيًا

- رحمك اللَّه - يا أبا سعيد يا من يصدق فيك قولهم: «أهل مكة أعلم بشعابها» حين تقول: «إن المؤمنين قوم ذلت واللَّه منهم الأسماع والأبصار والأبدان حتى حسبهم الجاهل مرضى، وهم واللَّه أصحاب القلوب، ألا تراه يقول: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ للَّه الَّذي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ واللَّه لقد كابدوا في الدنيا حزنًا شديدًا وجرى عليهم ما جرى على من كان قبلهم، واللَّه ما أحزنهم ما أحزن الناس، ولكن أبكاهم وأحزنهم الخوف من النار»[٣] .

نعم يا سيدي. . أبكاهم ما أبكى العابدين قبلهم.

وإذا أردت أن تعلم حزن الحسن فانظر إلى قول أم ضيغم بن مالك كمل سيأتي.

---

(١) «التخويف من النار» لابن رجب ص(٨٣، ٨٤).
(٢) «التخويف من النار» لابن رجب ص(٢١).
(٣) «التخويف من النار» لابن رجب ص(٢٣).

* خذ يا أخي حديث واحد من البكائين وهو ضيغم بن مالك ـ رحمه اللَّه ـ: كان يقول: لو أعلم أن رضاه أن أقرض لحمي لدعوتُ بالمقراض فقرضته.

قال عنه يسار: رأيت ضيغمًا صلى نهاره وليله أجمع حتى بقى راكعًا لا يقدر أن يسجد، وكان يرفع رأسه إلى السماء ويقول: «قرة عيني»، وكان ـ رحمه اللَّه ـ إذا سجد يقول: إلهي كيف عزفت قلوب الخليقة عنك!!، وكان ربما أصابته الفترة، فإذا وجد ذلك اغتسل ثم دخل بيتًا فأغلق بابه وقال: إلهي إليك جئت.

وقال رجل لأم ضيغم: ما أطول حزن ضيغم، فبكت وقالت: لمثل ما نُدب إليه فليحزن، ذهب الحسن وأصحابه بالحزن وهل رأيت يا بني محزونًا؟!.

وكانت أم ضيغم تقول له تحب الموت؟ قال: لا يا أماه. قالت: لم يا بني؟ قال: لكثرة تفريطي وغفلتي عن نفسي فتبكي أمه ويبكي هو.

* وبكى ليلة من أول الليل إلى آخره لم يسجد فيها سجدة ولم يركع فيها ركعة، ولما سُئل عن ذلك بكى وقال: «لو يعلم الخلائق ما يستقبلون غدًا مالذّوا بعيش أبدًا. واللَّه إني لما رأيت الليل وهوله وشدّة سواده، ذكرت به الموقف وشدة الأمر هناك، وكل أمرئ يومئذ تهمه نفسه ﴿لاَّ يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا﴾، ثم يشهق ـ رحمه اللَّه ـ ويضطرب.

* وكان ـ رحمه اللَّه ـ يقول: احذر نفسك على نفسك، فإني رأيت هموم المؤمنين في الدنيا لا تنقضي، وأيم اللَّه لئن لم تأت الآخرة

المؤمن بالسرور لقد اجتمع عليه الأمران: همّ الدنيا وشقاء الآخرة. فقال له مولاه أبو أيوب: بأبي أنت، وكيف لا تأتيه الآخرة بالسرور وهو ينصب للّه في دار الدنيا ويدأب؟ فقال: يا أبا أيوب: فكيف القبول: وكيف بالسلامة؟ كم من رجل يرى أنه قد أصلح شأنه قد أصلح قربانه، قد أصلح همّته، قد أصلح عمله، يُجمع ذلك يوم القيامة، ثم يضرب به وجهه[1]

رحمك اللّه يا ضيغم وأجزل لك المثوبة وأمّنك يوم الفزع الأكبر.

* تعبد - رحمه اللّه - قائمًا حتى أقعد، وقاعدًا حتى استلقى، ومستلقيًا حتى أفحم، فلما جهد رفع بصره إلى السماء وقال: سبحانك، عجبًا للخليقة كيف أرادت بك بدلاً، سبحانك عجبًا للخليقة كيف استنارت قلوبها بذكر غيرك، وعجبًا للخليقة كيف أنست بسواك[2].

قال الربيع بن أبي راشد - الذي قال عنه عمر بن ذر: كنت إذا رأيت الربيع بن أبي راشد كأنه مخمار من غير شراب[3] -: «فلولا ما يأمل المؤمنون من كرامة اللّه عز وجل لهم بعد الموت لا نشقت في الدنيا مرائرهم ولتقطعت أجوافهم».

* أخي: لقد وعى المتهجدون قول مولاهم: ﴿**أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ**﴾ [الأعراف: ٩٧]. فبكت عيونهم دومًا.

قال عبد اللّه بن المبارك:

---

(١) «صفة الصفوة» (ج٣ ص٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩).

(٢) «عيون الأخبار» لابن قتيبة الدينوري.

(٣) «صفة الصفوة» (ج٣ ص١٠٩، ١١٠).

إذا ما الليل أظلم كابدوه ... فيسفر عنهم وهمُ ركوعُ
أطار الخوف نومهمُ فقاموا ... وأهل الأمن في الدنيا هجوعُ
لهم تحت الظلام وهم سجود ... أنين منه تنفرج الضلوعُ
وخرسٌ بالنهار لطول صمت ... عليهم من سكينتهم خشوعُ(١)

* كانت آمنة بنت أبي الورع من العابدات الخائفات، وكانت إذا ذكرت النار قالت: أُدخلوا النار، وشربوا من النار وعاشوا، ثم تبكي وكأنها حبة على مقلى(٢).

* ويبكي أحد العباد بالليل ويقول: «إن أقل ما ينبغي أن يكون لنفسي عندي أن أبكيها وأبكي عليها أيام الدنيا لعلمي بما يمر عليها غدًا»(٣).

* كان فضالة بن صيفي كثير البكاء، فدخل عليه رجل وهو يبكي فقال لزوجته: ما شأنه؟ قالت: «زعم أنه يريد سفرًا بعيدًا وماله زاد»(٤).

* وكانت عابدة من أحسن الناس عينًا، فأخذت في البكاء فقيل لها: تذهب عيناك. فقالت: إن يكن لي عند اللَّه خير فسيبدلني خيرًا منهما، وإن تكن الأخرى فواللَّه لا أحزن عليهما.

قد كنت أشفق من دمعي على بصري
فاليوم كل عزيز بعدكم هانا

(١) «التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي» ص(٤٩٣).
(٢) «التخويف من النار» ص(٢٠).
(٣) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٣٨١).
(٤) «المدهش» لابن الجوزي ص(٢٠٥).

بكاء المتهجدين وسهرهم خوفًا من النار:

ومن المتهجدين من منعه خوف جهنم من النوم:

منهم شداد بن أوس وقد مضى ذكره، وطاووس والربيع بن خيثم وعامر بن عبد اللَّه والثوري ومالك بن دينار:

* كان صفوان بن محرز إذا جنّه الليل يخور كما يخور الثور ويقول: منع خوف النار مني الرقاد.

* وكان رجل من الموالي يقال له صهيب يسهر الليل ويبكي. فعوتب على ذلك، وقالت له مولاته: أَفْسَدت على نفسك، فقال: إن صهيبا إذا ذكر الجنة طال شوقه وإذا ذكر النار طار نومه.

* قال ابن المبارك يصف انتظار المتهجدين وتأهبهم للانتقال وخوفهم:

مستوفدين على رحـــل كأنهـــم
ركب يـريـدون أن يمضـوا وينتقلوا
عفّت جـوارحهـم عـن كل فاحشـة
فالصدق مذهبهم والخوف والوجلُ(١)

يقول ابن المبارك عن منع خوف جهنم نوم المتهجدين:

وما فرشهم إلا أيامن أزرهـــم   وما وســدهم إلا مــلاء وأذرعُ
وما ليلهم فيهن إلا تخـــوف   وما نومهم إلا عشاش مروعُ
وألوانهم صفر كأن وجوههـــم   عليها جساد وهي بالورس مشبعُ

---

(١) «التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي» ص(٤٩٣).

نواحل قد أذري بها الجهد والسرى إلى اللَّه في الظلماء والناس هجّعُ
ويبكون أحيانًا كأن عجيجهم إذا نومَ الناس الحنين المرجــــعُ
ومجلس ذكر فيهم قد شهدته وأعينهم من رهبة اللَّه تدمعُ(١)

رحمك اللَّه يا ابن المبارك فهذا الكلام لا يخرج إلا من فمك الطاهر الذي أدمن التلاوة، ومن روحك التي أقلقها الخوف من القيامة، فجزاك اللَّه خيرًا عن نبيك.

* عن القاسم بن محمد قال: كنا نسافر مع ابن المبارك، فكثيرًا ما كان يخطر ببالي فأقول في نفسي: بأي شيء فُضِّل هذا الرجل علينا حتى اشتهر في الناس هذه الشهرة؟ إن كان يصلي إنا نصلي، ولئن كان يصوم إنّا لنصوم، وإن كان يغزو فإنا لنغزو، وإن كان يحج إنا لنحج، قال: فكنا في بعض مسيرنا في طريق الشام ليلة نتعشى في بيت إذ طفئ السراج، فنظرت إلى وجه ابن المبارك ولحيته قد ابتلت من الدموع فقلت في نفسي: بهذه الخشية فُضِّل هذا الرجل علينا، ولعلّه حين فقد السراج، فقام بعضنا فأخذ السراج وخرج يستصبح فمكث هنيهة، ثم جاء بالسراج، فصار إلى الظلمة ذكر القيامة(٢).

* وعوتب يزيد الرقاشي على كثرة بكائه وقيل له: لو كانت النار خُلِقَتْ لك ما زدت على هذا، فقال: وهل خُلقت النار إلاّ لي ولأصحابي ولإخواننا من الجن والإنس، أما تقرأ: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١]، أما تقرأ: ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ

(١) «التخويف من النار والتعريف بحال أهل البوار» لابن رجب ص(٢٦، ٢٧). الناشر مكتبة الإيمان ـ عابدين.

(٢) «صفة الصفوة» (ج٤ ص١٤٥).

فَلا تَنتَصِرَانِ﴾ [الرحمن: ٣٥]، فقرأ حتى بلغ ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ فجعل يجول في الدار ويبكي[1] .

* أما منصور بن المعتمر وهو سيد من سادات المتهجدين فإنه لما مات صاحت أمه: واقتيل جهنماه ما قتل ابني إلا خوف جهنم[2] .

* قال أبو عاصم العبّاداني عن عابد من بني سعد: كان يصلي الليل والنهار لا يكاد يفتر، فإذا كان السحر احتبى، واستقبل البحر فجعل يبكي وينوح على نفسه، قال: فإذا أحس بإنسان أمسك، قال: فخرجت ذات ليلة إلى الساحل فإذا أنا بصوته وإذا هو يبكي ويقول في بكائه:

ألا يا عين ويحك أسعديني بطـول الدّمـع في ظلم الليـالي
لعلك في القيامــة أن تفــوزي بخير الدهـر في تلك العلالي[3]

* وقال عباد بن زياد يرثي إخوة له متعبدون:

فتية يعرف التخشع فيهـم كلهـم أحكـم القرآن غلامـا
قد برى جلــده التهجــد حتى عـاد جلــداً مصفراً وعظامـا
تتجـافى عن الفـراش من الخو ف إذا الجاهلـون باتـوا نيامـا
بأنيــن وعبــرة ونحيب ويظلون بالنهــار صيامـا
يقــرأون القــرآن لا ريب فيــه ويبيتــون سجــداً وقيامـا[4]

---

(١) «التخويف من النار» ص(٢٣).
(٢) «التخويف من النار» ص(٣١).
(٣) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٥٩).
(٤) «التخويف من النار» ص(٢٨).

* كان يحيى بن معاذ ـ رحمه الله ـ يقول في مناجاته في الليل:

«اللَّهم إن خطيئتي تعذبني، وتوبتي تذوبني فعيشتي طول دهري بين تعذيب وتذويب»(١) .

* إلهي وسيدي ومولاي:

سهر العيون لغير وجهك باطل وبكاؤهن لغير فقدك ضائعُ

* بكى أحد العباد من أهل البحرين في جوف الليل وهو على ساحل البحر وقال: قرة عيني وسرور قلبي، ما الذي أسقطني من عينك يا مانح العصم، ثم يبكي ويقول:

«طوبى لقلوب ملأتها خشيتك، واستولت عليها محبتك، فمحبتك مانعة لها من كل لذة غير مناجاتك، والاجتهاد في خدمتك، وخشيتك قاطعة لها عن كل معصية خوفًا لحلول سخطك، ثم بكى وقال: يا إخوتاه ابكوا على خوف فوات الآخرة حيث لا رجعة ولاحلية»(٢) .

بكى الباكون للرحمن ليلاً وباتوا دمعهم لا يسأمونا
بقاع الأرض من شوق إليهم تحنّ متى عليها يسجدونا

* وكانت شعوانة تقول في مناجاتها:

«إلهي ما أشوقني إلى لقائك، وأعظم جزائي لجزائك، وأنت الكريم الذي لا يخيب لديك أمل الآملين، ولا يبطل عندك شوق المشتاقين، إلهي إن كان دنا أجلي، ولم يقرِّبني منك عملي، فقد جعلت

(١) «تنبيه المغترين» ص(١٠٦).
(٢) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٧٣).

الاعتراف بالذنب وسائل عللي، فإن عفوت فمن أولى منك بذلك؟ وإن عدلت فمن أعدل منك هنالك! إلهي قد جرتُ على نفسي في النظر لها، وبقى لها حسن نظرك، فالويل لهاإن لم تسعدها، إلهي إنك لم تزل بي بَرًّا أيام حياتي، فلا تقطع عني برك بعد مماتي، ولقد رجوت ممن تولاني في حياتي بإحسانه، أن يسعفني عند مماتي بغفرانه، إلهي كيف أيأس من حسن نظرك بعد مماتي، ولم تولني إلا الجميل في حياتي، إلهي إن كانت ذنوبي قد أخافتني، فإن محبتي لك قد أجارتني، فتول من أمري ما أنت أهله، وعُدْ بفضلك على من غرّه جهله، إلهي لو أردت إهانتي لما هديتني، ولو أردت فضيحتي لم تسترني، فمتعني بما له هديتني، وأدم لي ما به سترتني...»[(١)].

واسمع يا أخي إلى مناجاة غريبة في جوف الليل لأحد المتهجدين وهو أبو محمد فتح بن محمد الموصلي: كان ـ رحمه الله ـ يجمع عياله في ليالي الشتاء ويقول بكسائه عليهم ثم يقول: «اللَّهم أفقرتني وأفقرت عيالي، وجوّعتني وجوّعت عيالي، وأعريتني وأعريت عيالي، بأي وسيلة توسلتها إليك، وإنما تفعل هذا بأوليائك وأحبابك فهل أنا منهم حتى أفرح؟

ودخل ليلة إلى أهله وهو صائم فلم يجد عندهم شيئًا ولا ما يسرجون به فجلس يبكي من الفرح ويقول: إلهي مثلي يُترك بلا عشاء ولا سراج، بأيّ يدٍ كانت مني، فما زال يبكي إلى الصباح[(٢)].

(١) «عودة الحجاب» القسم الثاني للشيخ محمد بن أحمد بن إسماعيل ص(٣٠١).
(٢) «استنشاق نسيم الأنس» ص(٧٦، ٧٧).

رحمك اللّه يا موصلي تدعو بهذا الدعاء الجميل، أنت من قوم علموا أن لطف اللطيف لا ينفك عنه أبدًا، وأن الرحمن رحمان على الدوام فصار المنع عندهم عين العطاء، ورضوا من مولاهم أن يكون جزاؤهم على الطاعة الابتلاء، بل صار نعتهم الصبرعند السراء والشكر عند الضراء، فربما كان الرخاء استدراجًا من اللّه عز وجل وللّه در أبي تراب النخشبي:

لا تخـدعن فللمحب دلائـل ... ولديـه من تحف الحبيب سائلُ
منهـا تنعمـه بمر بلائـه ... وسروره في كل ما هـو فـاعلُ
فالمنـع منـه عطيـة مقبـولة ... والفقـر إكـرام وبـر عاجلُ[1]

معشر المتوجهين إليه ما ضرّكم ما فاتكم من الدنيا إذا كان اللّه لكم حظًا، وما ضرّكم من عاداكم إذا كان اللّه لكم سلمًا: وللّه در القائل:

هنيئـًا لمن أضحى وأنت حبيبه ... ولو أن لوعات الغـرام تذيبهُ
وطوبـى لصبٍ أنت ساكن سرِّه ... ولو بان عنه إلفـه وقريبهُ
وما ضرّ صبّا أن يبيت ومـاله ... نصيب من الدنيـا وأنت نصيبهُ
ومن تك راض عنـه في طيّ غيبه ... فما ضرّه في الناس من يستغيبهُ
فيا علة في الصدر أنت شفاؤهـا ... ويا مرضًا في القلب أنت طبيبهُ
عُبيدك في باب الرجـا متضـرع ... إذا لم تجبه أنت من ذا يجيبهُ
بعيد عن الأوطـان يبكي بذلة ... وهـل ذاق طعم الذل إلا غريبـه
تصدّق على من ضاع منه زمانه ... ولم يـدر حتى لاح منه مشيبه
غدا خاسرًا فالعـار يكفيه والعنا ... وقد آن من ضوء النهار مغيبه[2]

---

(١) «استنشاق نسيم الأنس» ص(٧٦).

(٢) «استنشاق نسيم الأنس» ص(١٠٤).

وتعدد ألوان مناجاتهم:

* فهذا عابد آخر: «عتبة الغلام» إذا جنّه الليل لبس المسح، وغلّ نفسه وناجى مولاه قائلاً: احشرني من حواصل الطيور. فاستجاب اللَّه دعاءه، ولقى ربه شهيدًا وأكلت الطيور لحمه [١].

* أما أبو صخر يزيد بن أبي سمية الأيلي: فكان يصلي ليله ويبكي وكانت معه في الدار امرأة يهودية ساكنة فكانت تبكي رحمة له، فقال ليلة في دعائه: «اللَّهم إن هذه اليهودية قد بكت رحمة لي ودينها مخالف لديني، فأنت أولى برحمتي» [٢].

* وكان أحد العباد يناجي مولاه في جوف الليل ويقول: يا سيدي وأملي، ومؤملي ومَنْ به تمّ عملي، أعوذ بك من بدن لا ينتصب بين يديك، وأعوذ بك من قلب لا يشتاق إليك وأعوذ بك من دعاء لا يصل إليك، وأعوذ بك من عينٍ لا تبكي عليك».

وآخر يدعو ويناجي مولاه فيقول: «سبحان من أخرج قلوب المشتاقين في رياض الطاعة بين يديه، سبحان من أوصل الفهم إلى عقول ذوي البصائر فهي لا تعتمد إلا عليه، سبحان مَنْ أورد حياض المودّة نفوس أهل المحبة فهي لا تحنّ إلا إليه»، ثم يقول: «إن للَّه عز وجل عبادًا قدح في قلوبهم زند الشغف ونار الومق، فأرواحهم لشدة الاشتياق تسرح في الملكوت، وتنظر إلى ما ذُخر لها في حجب الجبروت» [٣].

(١) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٢٠٠، ٢٠١).
(٢) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٣٣٥).
(٣) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٣٤١).

* بربك يا أخي خبرّني عن هذه المناجاة ألا تهظل المدامع وتهيج وتهيج بلابل الشوق إلى المولى عز وجل.

أبـــداً نفـــوس الطالبيـــن إلى رياضكم تحـــنُّ
وكـــذا القلـــوب بذكـــركم بعـــد المخافـــة تطمئـــنُّ
حنّت بحبـــكم ومَـــنْ ناجـى الحبيـــب ولا يحـــنُّ؟[1]

* وعابد آخر يناجي في جوف الليل بصوت محزون:

«يا منْ آنسني بقربه، وأوحشني من خلقه، وكان عند مسرّتي ارحم اليوم عبرتي»[2].

* وآخر يناجي فيقول: «شهد لك قلبي في النوازل بمعرفة الفضل لك، وكيف لا يشهد لك قلبي بذلك، ولا يحسن بقلبي أن يألف غيرك، هيهات، لقد خاب لديك المقصّرون عنك»[2].

* فانظر يا أخي إلى هذه الأنفس الطاهرة، صافوا مولاهم بالعقول، ودققوا له الفطن، فسقاهم من كأس حبه شربة فظلوا في عطشهم أروياء، وفي ريّهم عطاشًا.

أمّا أهل زماننا فقد توعرت الطريق، وقلّ السالكون وهُجرت الأعمالُ، وقَلّ الراغبون فيها، وقلّ الحق ودرس هذا الأمر فلا نراه إلا في لسان كل بطّال ينطق بالحكمة ويفارق الأعمال، قد افترش الرخصة وتمهد للتأويل، واعتل بزلل العاصين، وسكنت القلوب إلى روح الدنيا

(١) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب ص(٤١٩).
(٢) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٣٤٧).

وانقطعت عن روح ملكوت السموات وإنا لله وإنا إليه راجعون.

* وعابد آخر يبكي بالليل ويقول في بكائه:

«أتُرى بكائي نافعي عندك، ومنقذ رقبتي من حكمك، أتراك آخذًا من نفسي بحقك وموبّخها على رءوس الأشهاد بما ضيعتْ من أمرك، آوّه لكشف سترك عني، آوّه لوقوفي بين يديك»[1].

* وآخر يناجي ويبكي على الساحل بالليل: «جرمي عظيم وعفوك كثير فاجمع بين جرمي وعفوك يا كريم»[2].

* وآخر يقول في مناجاته: «يا سيدي بك تفرد المتفردون في الخلوات، ولعظمتك سبّحت الحيتان في البحار الزاخرات، وبجلال قدسك اصطفقت الأمواج المتلاطمات أنت الذي سجد لك سواد الليل وضوء النهار، والفلك الدوّار، والبحر الزخّار، والقمر النوّار، وكل شيء عندك بمقدار.

يا مؤنس الأبـــرار في خلواتهــم ... يا خير من حطّتْ به النــزّالُ[3]

وآخر يقول:

ألوذ بباب من أدعـــوه فـــردًا ... وآمـــل أن أُقـــرَّب من حبيبي
إذا نامت عيـــون النـــاس طـــرًا ... قرعت البـــاب بالقلب الكئيبِ

وآخر يناجي فيقول:

«عجبت للخليقة كيف أنست بسواك؟! بل عجبت للخليقة كيف

(١) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٣٦٥).
(٢) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٣٧٠).
(٣) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٣٧٤).

استنارت قلوبهم بذكر سواك؟!».

* قال ابن قتيبة: بلغني عن الوليد بن مسلم عن عثمان بن أبي العاتكة قال: كان داود النبي عليه السلام يقول في مناجاته:

«سبحانك إلهي، إذا ذكرت خطيئتي ضاقت عليّ الأرضُ برحبها، وإذا ذكرت رحمتك ارتد إليّ روحي، سبحانك إلهي أتيتُ أطباء عبادك ليداووا لي خطيئتي فكلهم عليك يدلّني»[1].

* «سبحانك.. ما أضيق الطريق على مَنْ لم تكن دليله، سبحانك.. ما أوحش الطريق على منْ لم تكن أنيسه».

سبحانك سبحانك، لك الجمال والجلال ولك الكمال.. سبحانك أنت أنت سبحانك قدستك ألسن التماديح وأفواه التسابيح.

* كان علي بن سهل المدائني - رحمه اللَّه - يقوم إذا هدأت العيون فينادي بصوت له محزون: «يا من اشتغلت قلوب خلقه عنه بما يعقبهم عند لقائه ندمًا، ويا مَنْ سَهَتْ قلوب عباده عن الاشتياق إليه إذ كانت أياديه إليهم قبل معرفتهم به»، ثم يبكي حتى تبكي لبكائه جيرته، ثم ينادي: «ليت شعري سيدي، إلى متى تحبسني؟ ابعثني سيدي إلى حسن وعدك، وأنت العليم أن الشوق قد برّح بي، وطال عليّ الانتظار»، ثم يخر مغشيًا عليه فلا يزال كذلك حتى يحرك لصلاة الصبح[2].

* وكان الحارث بن عمير - رحمه اللَّه - يقول إذا أصبح:

(١) «عيون الأخبار» لابن قتيبة الدينوري.

(٢) «الطريق إلى اللَّه (الصدق)» لأبي سعيد الخرّاز تحقيق دكتور عبد الحليم محمود ص(١٨) الناشر دار الإنسان.

«أصبحت ونفسي وقلبي مصر على حبك سيدي، ومشتاق إلى لقائك فعجّل بذلك قبل أن يأتيني سواد الليل»، فإذا أمسى قال مثل ذلك، فلم يزل على مثل هذه الحال ستين سنة(١).

* وكان أحد العبّاد يقوم الليل حتى إذا برق عمود الصبح وثب قائمً على قدميه ونادى بأعلى صوته: ذهب الليل بما فيه، وأقبل النهار بدواهيه، ولم أقض من خدمتك وطرًا، آخر خسر من أتعب لغيرك بدنه، وألجأ إلى سواك همه»، ثم أنشد يقول:

مَنْ عـامَلَ اللّه بتقـواه وكان في الخلـوة يرعـاهُ
سـقاه كـأسـاً من صفى حبـه يسلبـه لـذة دنيـاهُ
فأبعـد الخلـق وأقصاهـم وانفـرد العبـد بمـولاهُ(٢)

* وانظر ها هو أبو سليمان الداراني تسّمع قوم عليه ليلاً فسمعوه يقول:

«إن طالبتني بسريرتي طالبتك بتوحيدك، وإن طالبتني بذنوبي طالبتك بكرمك، وإن جعلتني من أهل النار أخبرت أهل النار بحبي إياك»(٣).

قال ذو النون في مناجاته لربه:

«اللَّهم متّع أبصارنا بالجولان في جلالك، وسهِّرنا عما نامت عنه عيون الغافلين، واجعل قلوبنا معقودة بسلاسل النور، وأطلقنا من الأسر

---

(١) «الطريق إلى اللَّه» ص(١١٩).
(١) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٤٠٧، ٤٠٨).
(٣) «الحلية» (ج٩ ص٣٥٥).

لنجول في خدمتك مع الجوّالين»(١) .

للَّه در القائل:

قوم تخلّلهم زهو بسيدهم والعبد يزهو على مقدار مولاهُ
تاهوا به عمّنْ سواه له يا حسن رؤيتهم في حُسن ما تاهوا

* وكان خليفة العبدي: يقوم إذا هدأت العيون فيقول: «اللَّهم إليك قمت أبتغي ما عندك من الخيرات»، ثم يعمد إلى محرابه فلا يزال يصلي حتى يطلع الفجر، وكان يدعو في السحر فيقول:

«هب لي إنابة إخبات، وإخبات منيب، وزيّني في خلقك بطاعتك، وحسّني لديك بحسن خدمتك، وأكرمني إذا وفد إليك المتقون، فأنت خير مسئول وخير معبود وخير مشكور وخير محمود». وكان إذا دعا في السحر يقول: «قام البطّالون وقمت معهم، قمنا إليك ونحن متعرضون لجودك فكم من ذي جرم قد صفحت له عن جرمه، وكم من ذي كرب عظيم قد فرجت له عن كربه، وكم من ذي ضر كبير قد كشفت له عن ضرّه، فبعزتك ما دعانا إلى مسألتك بعد ما انطوينا عليه من معصيتك إلا الذي عرّفتنا من جودك وكرمك، فأنت المؤمل لكل خير، والمرجوّ عند كل نائبة»(٢) .

ومن مناجاتهم: «سيد قصدَك عبدٌ روحه لديك، وقياده بيديك، واشتياقه إليك، واحسراته عليك، ليله أرق، ونهاره قلق، وأحشاؤه تحترق، ، ودموعه تستبق، شوقًا إلى رؤيتك، وحنينًا إلى لقائك، ليس له

(١) «الحلية» (٩/٣٥٨).
(٢) «الحلية» (٦/٣٠٣ ـ ٣٠٤).

راحة دونك، ولا أمل غيرك».

* ويقول يحيى بن معاذ: «أحلى العطايا في قلبي رجاؤك، وأعذب الكلام على لساني ثناؤك، وأحب الساعات إليّ ساعة يكون فيها لقاؤك».

* ويقول آخر:

ارحم حشاشة نفس فيك قد ذهبت ... قبل الممات فهذا آخر الرمق
ولو مضى الكل مني لم يكن عجبًا ... وإنما عجبي للبعض كيف بقي

ويقول آخر:

ألا خلوة أشكو إليك صبابة ... لها بين جلدي والعظام دبيبُ

ويقول آخر:

زماني كله بهم سرور ... وهم عيشي وهم سمعي وهم بصري

ويقول آخر:

فروحي وريحاني إذا كنت حاضراً ... وإن غبت فالدنيا عليّ محابس
إذا لم أنافس في رضاك ولم أغر ... لدينك فيمن ليت شعري أنافس؟

* ويقول آخر:

فكيف يصنع من أقصاه مالكه ... فليس ينفعه طب الأطباء
مَنْ غصّ داوى بشرب الماء غصّته ... فكيف يصنع مَنْ قد غُصّ بالماءِ؟

وكان أحد الصالحين يناجي ربه في سجوده في جوف الليل فيقول:

«إلهي، أغلقت الملوك أبوابها، وبابك مفتوح للسائلين، إلهي، غارت النجوم، ونامت العيون، وأنت الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، إلهي فُرِشت الفُرُش، وخلا كل حبيب بحبيبه، وأنت حبيب المتهجدين وأنيس المستوحشين».

* إلهي إن طردتني عن بابك فإلى باب من التجي، وإن قطعتني عن خدمتك فخدمة من أرتجي.

* إلهي إن عذّبتني فإني مستحق العذاب والنِّقَم، وإن عفوت عني فأنت أهل الجود والكرم، يا سيدي لك أخلص العارفون، وبفضلك نجا الصالحون، وبرحمتك أناب المقصرون، يا جميل العفو أذقني برد عفوك وحلاوة مغفرتك، وإن لم أكن أهلاً لذلك فأنت أهل التقوى وأهل المغفرة».

وللَّه در أحمد بن زيد البحراني حيث يقول:

محب نفي ما التذّ من غمضه الفكرُ ... فأعقبه ضرّا وأنهكــه الضــرُ
وبـات يراعي أنجمًـا بعد أنجـم ... ويرعد من خوف إلى أن بدا الفجرُ
ويخدم مولاه بألطف خدمـــة ... ويسعده في حسن خدمته الصبرُ
به وبمن ساواه في الزهــد والتقى ... إذا الجدب عم الأرض يستنزل القطرُ
محب خلا بالحب خلـــوة واجـــد ... خـــلا بحبيب، والظلام له سترُ
يقول بذلت الحب يا منتهى المنى ... ويا نور قلبي أنت لي سيدي ذخرُ
فلا تخزني يا رب وارحم تضرعي ... فقد وعظيم العفـو أثقلني الوزرُ
وقد خفت من يوم المعــاد مخافة ... تيقنت أني ليس لي فيهما عــذرُ
بفضلك زدني منك قربًا وأدنني ... إليك دنـــوًا لا يغيـرّه الدهــرُ
شفائي مقامي في الهوى وهو قاتلي ... وبين سقامي والشفا ينفد العمرُ
وفي كبدي مما أقاسي من الهوى ... ومن زفرات الحب يا واحدي جمرُ
غزا الحب قلبي قاصداً بجيوشه ... ليأسره قسراً فأذهله الأسرُ
وحقك لا أنساك ما دمت باقيًا ... وهل يتسلى من محبته فخرُ(١)

(١) «استنشاق نسيم الأنس» ص(١٠٤ ـ ١٠٥).

المحب إن كتم حاله نطق به دمعه..

ظفرتم بكتمان اللســان فمنْ لكم بكتمان عين دمعها الدهر ينزف[(١)]

معاتبة نفس ومناجاة متهجد

هذي مناجاة متهجد.. نفثات صدر وأشجان قلب يمّم وجهه شطر الدار الآخرة ـ مستراح العابدين ـ يبثها في خشوع وصدق تابعي جليل من القرون الخيرية، من تلامذة الصحابة، تربى وصُنع على أعينهم.. شرب من سلسبيل القرآن والسنة وكحّل أجفان قلبه بهما. فانظر إليه كيف يستمطر الدمع حين يقول في مناجاته، يقول عون بن عبد اللّه بن عتبة:

«ويحي بأي شيء لم أعصِ ربي. ويحي إنما عصيته بنعمته عندي ويحي من خطيئةٍ ذهبت شهوتُها وبقيت تبعتُها عندي في كتاب كتبه كُتّابٌ لم يغيبوا عني.

واسوأتاه، لم أستحيهم ولم أراقب ربي، ويحي نسيت ما لم ينسوا مني. ويحي غفلت ولم يغفلوا عني، لم أستحيهم ولم أراقب.

واسوأتاه، ويحي حفظوا ما ضيّعتُ مني، ويحي طاوعت نفسي وهي لا تطاوعني، ويحي طاوعتها فيما يضرها ويضرني.

ويحها ألا تطاوعني فيما ينفعها وينفعني... أريد إصلاحها وتريد أن تفسدني، ويحها إني لأنصفها وما تنصفني، وأدعوها لأرشدها وتدعوني لتغويني، ويحها إنها لعدو لو أنزلتها تلك المنزلة مني.

(١) «استنشاق نسيم الأنس» (١٠٨).

ويحها تريد اليوم أن تُردِيني، وغدًا تخاصمني.

ربِّ لا تسلطها على ذلك مني، ربِّ إنّ نفسي لم ترحمني فارحمني، ربِّ إني أعذرها ولا عذرتني، إنه إن يك خيرًا أخذلها وتخذلني، وإن يك شرًا أحبها وتحبني، رب فعافني منها وعافها مني، حتى لا أظلمها وتظلمني، وأصلحني لها وأصلحها لي، فلا أهلكها وتهلكني، ولا تكلني إليها ولا تكلها إليّ.

ويحي كيف أفرّ من الموت وقد وكّل بي، ويحي كيف أنساه ولا ينساني؟ ويحي إنه يقص أثري فإن فررت لقيني، وإن أقمت أدركني.

ويحي هل عسى أن يكون قد أظلني فمسّاني وصبّحني، أو طرقني فبغتني. ويحي أزعم أن خطيئتي قد أقرحت قلبي ولا يتجافى جنبي، ولا تدمع عيني، ولا يسهر ليلي ويحي كيف أنام على مثلها ليلي؟.

ويحي هل ينام على مثلها مثلي؟ ويحي لقد خشيت ألا يكون هذا تصدق مني بل ويلي إن لم يرحمني ربي.

ويحي كيف لا توهن قوتي ولا تعطش هامتي.. بل ويلي إن لم يرحمني ربي.

ويحي كيف لا أنشط فيما يطفيها عني.. بل ويلي إن لم يرحمني ربي.

ويحي كيف لا يُذهبُ ذكر خطيئتي كسلي، ولا يبعثني إلى ما يذهبها عني.. بل ويلي إن لم يرحمني ربي.

ويحي لا تناهي الأولى من خطيئتي عن الآخرة، ولا تذكرني الآخرة من خطيئتي بسوء ما ركبت من الأولى فويلي، ثم ويلي إن لم

يتم عفو ربي..

ويحي لقد كان لي فيما استوعبت من لساني وسمعي وقلبي وبصري اشتغال.. فويل لي إن لم يرحمني ربي.

ويحي إن حجبت يوم القيامة عن ربي فلم يزكني ولم ينظر إليّ ولم يكلمني، فأعوذ بنور وجهه من خطيئتي، وأعوذ به أن أُعطى كتابي بشمالي أو وراء ظهري فيسود به وجهي.. وتَزْرَقُ به مع العمى عيني.. بل ويلي إن لم يرحمني ربي.

ويحي بأي شيء أستقبل ربي؟

بلساني أم بيدي أم بسمعي أم بقلبي أم ببصري، ففي كل هذا له الحجّة والطِّلْبةُ عندي، فويل لي إن لم يرحمني ربي.

كيف لا يشغلني ذكر خطيئتي عما لا يعنيني؟

ويحك يا نفس ما لك تنسين ما لا يُنسى؟

وقد أوتيت ما لا يؤتى، وكل ذلك عند ربي يُحصى، في كتاب لا يبيد ولا يَبْلى.

ويحك لا تخافين أن تُجْزَىْ فيمنْ يُجْزى، يوم تجزى كل نفس بما تسعى، وقد آثرت ما يفنى على ما يبقى.

يا نفس ويحك ألا تستفيقين مما أنت فيه: إن سقمت تندمين، وإن صححت تأثمين، مالك إن افتقرت تحزنين، وإن استغنيت تُفتنين، مالك إن نشطت تزهدين فلم إن دُعيت تكسلين؟ أراك ترغبين قبل أن تنصبي، فلم لا تنصبين فيما ترغبين؟

يا نفس ويحك لِمَ تُخالفين؟ تقولين في الدنيا قول الزاهدين

وتعملين فيها عمل الراغبين، ويحك لم تكرهين الموت؟

يا نفس ويحك أترجين أن تَرْضَىْ ولا تُراضين، وتُجَانبين وتَعْصين.

مالك إن سألت تُكثرين؟ فلم إن أنفقت تقترين؟

أتريدين الحياة، تعظمين في الرهبة حين تسألين، وتقصرين في الرغبة حين تعملين، تريدين الآخرة بغير عمل، وتُؤخرين التوب لطول الأمل.

لا تكوني كمن يقال هو في القول مُدِلّ ويستصعب عليه الفعل.

ويح لنا ما أغرّنا، ويح لنا ما أغفلنا، ويح لنا ما أجهلنا، ويح لنا لأى شيء خلقنا، أللجنة أم للنار، ويح لنا أي خطر خطرنا، ويح لنا من أعمال قد أخطرتنا، ويح لنا ممّا يراد بنا، ويح لنا كأنما يعني غيرنا، ويح لنا إن ختم عى أفواهنا، وتكلمت أيدينا، وشهدت أرجلنا، ويح لنا حين تفتش سرائرنا، ويح لنا حين تشهد أجسادنا، ويح لنا مما قصرنا، لا براءة لنا ولا عذر عندنا، ويح لنا ما أطول أملنا، ويح لنا حيث نمضي إلى خالقنا، ويح لنا ولنا الويل الطويل إن لم يرحمنا ربنا فارحمنا يا ربنا.

رب ما أحكمك وأمجدك وأجودك وأرأفك وأرحمك وأعدلك وأقربك وأقدرك وأقهرك وأوسعك وأقضاك وأبينك وأنورك وألطفك وأخبرك وأعلمك وأشكرك وأحلمك وأحكمك وأعطفك وأكرمك.

رب ما أرفع حجتك وأكثر مدحتك، رب ما أبين كتابك وأشد عقابك، رب ما أكرم مآبك وأحسن ثوابك، رب ما أجزل عطاءك وأجل ثناءك، رب ما أحسن بلاءك وأسبغ نعماءك، رب ما أعلى مكانك

وأعظم سلطانك، رب ما أمتن كيدك وما أغلب مكرك، رب ما أعز ملكك، وأتم أمرك، رب ما أعظم عرشك وأشد بطشك، رب ما أوسع كربيك وأهدى مهديك، رب ما أوسع رحمتك وأعرض جنتك، رب ما أعز نصرك وأقرب فتحك، رب ما أعمر بلادك وأكثر عبادك، رب ما أوسع رزقك وأزيد شكرك، رب ما أسرع فرجك وأحكم صنعك، رب ما ألطف خيرك وأقوى أمرك، رب ما أنور عفوك وأجل ذكرك، رب ما أعدل حكمك وأصدق قولك، رب ما أوفى عهدك وأنجز وعدك، رب ما أحضر نفعك وأتقن صنعك.

ويحي كيف أغفل ولا يغفل عني؟ أم كيف تهنئني معيشتي واليوم الثقيل ورائي؟ أم كيف لا يطول حزني ولا أدري ما يُفعل بي؟ أم كيف تهنئني الحياة ولا أدري ما أجلي؟ أم كيف تعظم فيها رغبتي والقليل منها يكفيني؟ أم كيف آمن ولا يدوم فيها حالي؟ ... أم كيف يشتد حبي لدار ليست بداري؟ أم كيف أجمع لها وفي غيرها قراري؟

أم كيف يشتد عليها حرصي ولا ينفعني ما تركت فيها بعدي؟

أم كيف أوثرها وقد أضرّت بمن آثرها قبلي؟

أم كيف لا أبادر بعملي قبل أن يغلق باب توبتي؟ .. أم كيف يشتد إعجابي بما يزايلني وينقطع عني؟

أم كيف أغفل عن أمر حسابي وقد أظلني واقترب مني؟ أم كيف أجعل شغلي فيما قد تُكفِّل به لي؟

أم كيف أعاود ذنوبي وأنا معروض على عملي؟ أم كيف لا أعمل بطاعة ربي وفيها المنجاة مما أحذر على نفسي؟

أم كيف لا يكثر بكائي ولا أدري ما يراد بي؟ أم كيف تقر عيني مع ذكر ما سلف مني؟ أم كيف أعرض نفسي لما لا يقوى له هوائي؟

أم كيف لا يشتد هولي مما يشتد منه جزعي؟ أم كيف تطيب نفسي مع ذكر ما هو أمامي؟

أم كيف يطول أملي والموت في أثري؟ أم كيف لا أراقب ربي وقد أحسن طلبي؟ ويحي فهل ضرّت غفلتي أحدًا سوائي.

أم هل يعمل لي غيري إن ضيّعت حظي..؟ أم هل يكون عملي إلا لنفسي؟ فَلِمَ أدّخر عن نفسي ما يكون نفعه لي؟

ويحي كأنه قد تِصرّم أجلي، ثم أعاد ربي خلقي كما بدأني؟ ثم أوقفني وسألني وسأل عني وهو أعلم بي.. ثم أشهدت الأمر الذي أذهلني عن أحبابي وأهلي، وشُغلت بنفسي عن غيري وبُدِّلت السموات والأرض وكانتا تطيعان وكنت أعصى.

وسُيِّرت الجبال وليس لها مثل خطيئتي... وجمع الشمس والقمر وليس عليهما مثل حسابي. وانكدرت النجوم وليست تطلب بما عندي.. وحشرت الوحوش ولم تعمل بمثل عملي، وشاب الوليد وهو أقل ذنبًا مني..

ويحي ما أشد حالي وأعظم خطري فاغفر لي.

واجعل طاعتك همي، وقوّ عليها جسدي، وسخّ نفسي عن الدنيا، واشغلني بما ينفعني وبارك لي في قواها حتى ينقضي مني حالي.. وامنن عليّ وارحمني حين تُعيد بعد اللقا خلقي ومن سوء الحساب فعافني يوم تبعثني فتحاسبني، ولا تعرض عني يوم تعرضني بما سلف من ظلمي

وجرمي. وآمنّي يوم الفزع الأكبر يوم لا تهمني إلا نفسي، وارزقني نفع عملي يوم لا ينفعني عمل غيري.

إلهي أنت الذي خلقتني، وفي الرحم صورتني، ومن أصلب المشركين نقلتني، قرنًا فقرنًا حتى أخرجتني في الأمة المرحومة فارحمني إلهي. فكما مننت عليَّ بالإسلام فامنن عليّ بطاعتك وبترك معاصيك أبدًا ما أبقيتني، ولا تفضحني بسرائري ولا تخذلني بكثرة فضائحي.

سبحانك خالقي.. أنا الذي لم أزل لك عاصيًا فمنْ أجل خطيئتي لا تقر عيني، وهلكت إن لم تعف عني. سبحانك خالقي بأي وجه ألقاك، وبأي قدم أقف بين يديك، وبأي لسان أناطقك، وبأي عين أنظر إليك؟ وأنت قد علمت سرائر أمري، وكيف أعتذر إليك إذا ختمت على لساني ونطقت جوارحي بكل الذي قد كان مني.

سبحانك خالقي.. فأنا تائب إليك.. فاقبل توبتي واستجب دعائي وارحم شبابي، وأقلني عثرتي، وارحم طول عبرتي، ولا تفضحني بالذي قد كان مني.

سبحانك خالقي.. أنت غياث المستغيثين، وقرة أعين العابدين، وحبيب قلوب الزاهدين، فإليك مستغاثي ومنقطعي، فارحم شبابي، واقبل توبتي، واستجب دعوتي، ولا تخذلني بالمعاصي التي كانت مني، إلهي علمتني كتابك الذي أنزلته على رسولك محمد ﷺ، ثم وقعت على معاصيك وأنت تراني، فمن أشقى مني إذ عصيتك وأنت تراني، وفي كتابك المنزل قد نهيتني، إلهي أنا إنْ ذكرت ذنوبي ومعصيتي لم تقر عيني للذي كان مني فأنا تائب إليك فاقبل ذلك مني، ولا تجعلني لنار

جهنم وقودًا بعد توحيدي وإيماني بك فاغفر لي ولوالدي ولجميع المسلمين برحمتك آمين يا رب العالمين(١).

قالوا عن البكاء والمناجاة بالليل

* ابك على ظلام قلبك يضيء.

* ابسط في الدجى يد الطلب، فأطيب ما أكل الرجل من كسب يده، وقل بلسان التملق:

أحبابنا أنا ذاكُم العبد الذي راعيتموه ناشئًا ووليدا
حالت به الأحوال بعد فراقكم فرمى بأسرته وجاء فريدا

* إذا جلست في ظلام الليل بين يدي سيدك، فاستعمل أخلاق الأطفال، فإن الطفل إذا طلب من أبيه شيئًا فلم يعطه بكى عليه.

* يا من نزلت به بليّة الطرد تروّح إلى حديث المناجاة وإن لم تسمع منك، وابعث رسائل الأحزان مع رياح الأسحار ولو لم تصل.

* أدلج القوم طول الليل في السرى، وخافوا عوز الماء فتمّموا المزاد بالبكا.

سلو غير طرفي إن سألتم عن الكرى
فما لجفون القانتين منامُ

---

(١) «الحلية».

* كان فتح الموصلي يبكي الدموع، ثم يبكي الدم، فقيل له على ماذا بكيت الدم؟ قال: «خوفًا على الدموع أن تكون ما صَحّت لي»[(١)] .

والعيـــن لها دم ودمـــع سح ذا يكتب شجـوه وهـــذا يمحـــو

* لابد واللَّه من قلق وحرقة، إما في زاوية التعبد أوْ في هاوية الطرد، فإمّا أن تحرق قلبك بنار الندم على التقصير والشوق إلى لقاء الحبيب، وإلاّ فنار جهنم أشد حرًّا.

شجاك الفراق فما تصنـــع أتصبـــر للبيـــن أم تجـــزعُ
إذا كنت تبكي وهـــم جيـــرة فكيف تكـــون إذا ودّعـــوا؟

* كان أحد العباد يصيح في جوف الليل: «قرة عيني وسرور قلبي ما الذي أسقطني من عينك، أقلت هذا فراق بيني وبينك».

ما في الصحـاب أخو جد تطارحه حديث نجـــد ولا صبّ تجاريـــه
إليك عن كل قلب في أماكنـــه ساهٍ، وعن كل دمـــع في مآقيه

* كان سرى يدافع أول الليل، فإذا جَن أخذ في البكاء إلى السحر.

* قال الإمام أحمد: «لقد رأيت قومًا صالحين، رأيت عبد اللَّه بن إدريس وعليه جبة من لبود قد أتت عليها سنون، رأيت أبا داود الحفري وعليه جبّة مخرقة قد خرج منها القطن وهو يصلي فيترجح من الجوع. ورأيت أيوب النجار وقد خرج من كل ما يملكه، وكان في المسجد شاب مصفر يقال له العوفي يقوم من أول الليل إلى الصباح يبكي»[(٢)] .

---

(١) «المدهش» لابن الجوزي ص(٢٣٨).
(٢) «المدهش» لابن الجوزي ص(٣١٢).

قد كنت أطوي على الوجد الضلوع ولا
أبـدي الهـوى وأســوم القلبَ كتمـــانا
فخـــانني الصبـــر إذ نـــاديته ووفت
لي الشـــئون فعـــاد السر إعلانــــا
أُكَتِّـــمُ الوجـــد والعينـــان تـظهــره
للحب أعظـــم ممـــا رمتـــه شـــانـا

* قال أبوعمران الجوني: أرتني أمي موضعًا من الدار قد انحفر فقالت: هذا موضع دموع أبيك.

* المتهجدون على شواطئ أنهار الدمع نزول، فلو سِرْت عن هواكَ خطوات لاحت لك الخيام.

وصلـــوا إلى مولاهـم وبقينـــا ... وتنعمـــوا بوصـــاله وشقينـــا
فتجمعـــوا أهـــل القطيعة والجفا ... نبكي شهـــوراً قـد مضت وسنينا
كُثُـــرٌ فيـــكَ اللُّـــوَّمُ ... فـــأين سمعـــي منهــــمُ
قالـــوا سهـــرت والعيـــون ... الســـاهـــرات نُـــوَّمُ
وليـــس من جسمـــك إلا ... جـــلـــدةٌ وأعـــظـــمُ
ومـــا عليهـــم سهـــري ... ولا رقـــادي لهـــمُ
خُـــذْ أنـــت في شـــأنـك ... يـــا دمعـــي وخـــلِّ عنْهُـــمُ

* كان في خد عمر بن الخطاب خطان أسودان من البكاء، وكان في وجه ابن عباس كالشراكَيْنْ البالَيْنِ من الدمع:

أَلا مَنْ لعينٍ من بكاها على الحمى ... تجف ضروع المُزْن وهي حلوبُ
وما كنتُ أدري أن عينًا ركية ... ولا أن مـاء الماقيين شروبُ

* كان عطاء يبكي في غرفة له حتى تجري دموعه في الميزاب، فقطرت يومًا إلى الطريق على بعض المارّين فصاح: يا أهل الدار أماؤكم طاهر؟ فصاح عطاء: اغسله فإنه دمع من عصى اللَّه.

وقالوا لعطاء السلمي: ما تشتهي؟ قال: أشتهي أن أبكي حتى لا أقدر أن أبكي.

* قالوا لثابت البناني: عالجْ عينك ولا تبكِ. فقال: أي خير في عين لا تبكي:

بقلبي منهم علق ودمعي فيهم علقُ
وبي من حبهم حرق لها الأحشاء تحترقُ
وما تركوا سوى رمقي فليتهم له رمقوا

* يا عجبًا من خلّي يعذل ذا شجي، ويحك خل شانه وشانه:

فيا حبهم زدني جوى كل ليلة
ويا سلوة الأيام موعدك الحشرُ

* سهر القوم يقع ضرورة؛ لأن القلق مانع من النوم، وليس لهم في تلك الشدائد إلاّ جريان الدموع:

بلاني الحب فيك بما بلاني فشأني أن تفيض غروب شاني
أبيت الليل مرتفقًا أناجي بصدق الوجد كاذبة الأماني
فتشهد لي على الأرق الثريا ويعلم ما أجنّ الفرقدان
فيا ولع العواذلِ خلّ عني ويا كف الغرام خذي عناني

* إن الذنب لا يغسل إلا بدمع، وإنه لقلب رقيق قلب الفقيه

لزاهد أبي سهل الصعلوكي يظهر تأنيبه لنفسه:

أنــام على سهـو وتبكي الحمائم — وليس لها جرم ومني الجرائمُ

كذبت لعمرو الله لو كنت عاقلاً — لما سبقتني بالبكاء الحمائمُ[(١)]

* كيف لا يذهب العيون البكاء؟ وما تدري ما قدْ أعدّ لها:

أحليــفَ النَّــــوْمِ أَقِــلَّ اللَــوْمَ — فعنــــدي اليــوم بهـــم شُغْلُ

* للّه در قوم أقلقهم الخوف والفَرَق، أطافت بقلوبهم الحرق، يا نورهم إذا جنّ الغسق، يا حسن دمعهم محدقًا بالحدق، كتبت عذرها في خدّ لا في الورق، دابت أجسامهم فلم يبق إلا رمق.

لو رأيتهم يتشبثون بذيل الظلام ويأنسون بنوح الحمام، وغاية لذاتهم الخلوات:

حمـــام الأراك ألا فاخبرينـــا — بِمَنْ تهتفين ومن تندبينـــــا

فقـد سُقتِ ويحــك نــوح القلوب — وأذريت ويحك دمعًا معينــــا

تعــالَ نقــم مأتمًــا للفراق — ونندب إخواننا الظاعنينــــا

ونسعدِك بالنـــوح كي تسعدي — كذاك الحزينُ يواسي الحزينــــا

نعم يا أخي:

وذو الشوق القديــم وإن تعــزّى — مشوق حين يلقى العاشقينا

نعم:

كلٌّ كَنَى عن شـــوقه بلغاتـــه — ولربما أبكى الفصيــحَ الأعجـــمُ

* كان محمد بن واسع إذا جنّ عليه الليل يبكي ويقول في بكائه:

---

(١) «الرقائق» لمحمد أحمد الراشد نقلاً عن «طبقات الشافعية» (٣/ ١٧١).

«ويلي من ذنوب قد أحصيت، ومنْ صحيفة قد مُلئت، وربي قد علم ذلك ولم يخف عليه من ذلك شيء»[١].

منْ كان يخشى اللَّه جل جلاله … فليكثر العبــرات في الخلــوات
فلعلّه بعد التذكر والبكــا … بدلت له العبرات بالحسنات
وتخفف الأوزار عن منشــــوره … يوم الحساب وموقف الحسرات[٢]

* جالس البكائين يتعدّ إليك حزنهم يا مَنْ يشاهد ما يجرى على الخائفين ولا ينزعج، أقل الأقسام أن تبكي رحمة لهم.

لا راحة للمحب في الدنيا: إن أحسنّ الحجاب بكى على البعد، وإن فتح له باب القرب خاف الطرد.

فيبكي إن نــأوه شــوقًا إليهم … ويبكي إن دنَــوْا خــوف الفراق

* كم بيننا وبين الصالحين، لا نحنُ إليهم، ولا هُمْ إلينا إلاّ إن كانت الثريا بالأيدي تُرام.. إلى ليلنا ونومنا يشكو ليلهم عتابًا على تقصيرنا وجدهم.

شكونا إلى أحبابنــا طول ليلنا … فقالوا لنــا ما أقصر النوم عندنــا
وذاك لأنّ النــــوم يغشى عيونهم … سريعًا ولا يغشى لنــا النــوم أعينا

* كان مالك بن دينار قد اسوّد طريق الدمع في خده:

ومَنْ لبّه مع غيره كيف حاله … ومَنْ سرّه في جفنه كيف يتكتمُ[٣]

---

(١) «بستان الواعظين ورياض السامعين» لابن الجوزي ص(١٧٥) تحقيق د. السيد الجميلي طبع دار الكتاب العربي.
(٢) «بستان الواعظين ورياض السامعين» ص(١١٧).
(٣) «اللطف في الوعظ» لابن الجوزي ص(٦٧).

* كان داود عليه السلام يؤتى بالإناء ناقصًا فلا يشربه حتى يتمه بدموعه:

يا ساقي القوم إن دارتْ إليَّ فلا تمزج فإني بدمعي مازج كاسي[(١)]

* بكى أبو الشعثاء - رحمه اللَّه - عند موته فقيل له: ما يبكيك، فقال: لم أشتف من قيام الليل[(٢)].

* وبكى يزيد الرقاشي فقيل له: ما يبكيك، فقال: أبكي على ما يفوتني من قيام الليل وصيام النهار، ثم جعل يقول: يا يزيد مَنْ يصلي لك، ومَنْ يصوم عنك؟ ومن يتقرب إلى اللَّه عز وجل بالأعمال الصالحة[(٣)].

* الق نفسك في الدجى على باب الذل وقل: «إلهي كم لك سواى؟ ومالي سواك. عبيدك سواي كثير وليس لي سيد سواك فبفقري إليك وغناك عني، بقوتك وضعفي، بعزك وذلي إلا رحمتني وعفوت عني، هذه ناصيتي الكاذبة الخاطئة بين يديك.. أسألك مسألة المسكين وأبتهل إليك ابتهال الخاضع الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، سؤال من خضعت لك رقبته ورَغِمَ لك أنفه، وفاضت لك عينه، وذلّ لك قلبه».

«إلهي.. تمّ نورك فهديت فلك الحمد، عظم حلمك فغفرت فلك الحمد، بسطت يدك فأعطيت فلك الحمد، ربنا وجهُك أكرم الوجوه، وجاهك أعظم الجاه، وعطيتك أفضل العطية وأهناها، تُطاع ربنا فتَشْكُر،

---

(١) «اللطف في الوعظ» لابن الجوزي ص(٦٧).

(٢) كتاب «عقود اللؤلؤ والمرجان في وظائف شهر رمضان» للشيخ إبراهيم بن عبيد آل عبد المحسن. دار نبة للطباعة.

وتُعصى فتغفر، وتجيب المضطر، وتكشف الضر، وتشفي السَّقم، وتغفر الذنب، وتقبل التوبة، ولا يُجْزي بآلائك أحد، ولا يبلغ مدحتك قول قائل: يا حسن التجاوز، يا من أظهر الجميل، وستر القبيح، يا من لا يؤاخذ بالجريرة، ولا يهتك الستر، يا واسع المغفرة، يا باسط اليدين بالرحمة، يا صاحب كل نجوى، يا منتهى كل شكوى، يا كريم الصفح، يا عظيم المنّ، يا مبتدئًا بالنعم قبل استحقاقها، يا ربنا ويا سيدنا ويا مولانا ويا غاية رغبتنا، أسألك يا اللَّه أن لا تشوي وجهي بالنار».

«اللَّهم أنت أحق من ذكر، وأحق من عبد، وأعظم مَن ابْتُغِيَ، وأرأف من مَلَكْ، وأجود من سُئِل، وأوسع من أَعْطَى، أنت الملك لا شريك لك، والفرد لا ند لك، كل شيء هالك إلا وجهَك، لن تُطاع إلا بإذنك، ولَن تُعصى إلا بعلمك، تُطاع فتشكر، وتعصى فتغفر، أقرب شهيد، وأدنى حفيظ، حُلْتَ دون النفوس، وأخذت بالنواصي، وكتبت الآثار، ونسخت الآجال، القلوب لك مفضية، والسر عندك علانية، الحلال ما أحللت والحرام ما حرمت، والدين ما شرعت، والأمر ما قضيت، الخلق خلقك، والعبد عبدك وأنت الرءوف الرحيم».

«إلهي وَفِّرْ حظي من خيرٍ تُنزِلُه، أوْ إحسان تُفْضِلُه، أو برٍّ تنشره، أو رزق تبسطه، أو ذنب تغفره، أو خطأ تستره، يا إلهي يا من بيده ناصيتي، يا عليمًا بضري ومسكنتي، يا خبيرًا بفقري وفاقتي، يا رب أسألك بحقك وقدسك، وأعظم صفاتك وأسمائك أن تجعل أوقاتي بالليل والنهار بذكرك معمورة، وبخدمتك موصولة، وأعمالي عندك مقبولة، يا مَنْ عليه مُعَوَّلي، يا من إليه شكوت أحوالي، قوِّ على

خدمتك جوارحي، وأشدد على العزيمة جوانحي، وهب لي الجد في خشيتك، والدوام على الاتصال في خدمتك، حتي أخافك مخافة الموقنين، وأجتمع في جوارك مع المؤمنين».

«اللَّهم لا تحرمني خير ما عندك بسوء ما عندي».

«إلهي أنا الذي كلما طال عمري زادت ذنوبي، أنا الذي كلما هممت بترك خطيئة عرضت لي أخرى».

واذنوباه! خطيئة لم تبل، وصاحبها في أخرى.

واذنوباه! إن كانت النار لي مقيلاً ومأوى.

واذنوباه! إن كانت المقامع لرأسي تُهيأ[1].

لبست ثوب الرجا والناس قد رقدوا ... وقمت أشكو إلى مولاي ما أجدُ
وقلت: يا عدتي في كل نائبة ... ومَنْ عليه لكشف الضر أعتمدُ
وقد مددت يدي والضرّ مشتمل ... إليك يا خير من مُدَّتْ إليه يدُ
فلا تردنّها يا رَبِّ خائبة ... فبحر جودكَ يروي كل من يردُ[2]
إليك وإلا لا تُشدُّ الركائب ... ومنك وإلا فالمؤمَّلُ خائبُ
وفيك وإلا فالغرام مضيَّعٌ ... وعنك وإلا فالمحدث كاذبُ[3]

يقول إقبال:

نائح والليل ساج سادل ... يهجع الناس ودمعي هاطلُ[4]

---

(١) «النصيحة في الأذكار والأدعية الصحيحة» للشيخ محمد إسماعيل من ص(٩٨) إلى ص(١٠٩) «مختارات».

(٢) «النصيحة في الأذكار والأدعية الصحيحة» للشيخ محمد إسماعيل ص(١١٠).

(٣) «النصيحة في الأذكار والأدعية الصحيحة» للشيخ محمد إسماعيل ص(١١١).

(٤) «الأسرار والرموز» ديوان لمحمد قطب.

هذه الجفون الموطَّنات على السهر للَّه والتي تجود بدمع كالوابل الهطال ما أحلاها من جفون:

للَّه أجفان عين فيك ساهرة ... شوقًا إليك وقلب بالغرام شجِ
أرواحهم خشعت للَّه في أدب ... قلوبهم من جلال اللَّه في وجلِ
نجواهم: ربنا: جئناك طائعة ... نفوسنا، وعصينا خادع الأملِ
إذا سجى الليل قاموه وأعينهم ... من خشية اللَّه مثل الجائد الهطلِ
هم الرجال فلا يلهيهم لعب ... عن الصلاة، ولا أكذوبة الكسلِ[(١)]

للَّه ما أحلى أصوات المتهجدين وهي تدعو بأفضل الدعاء من الأدعية القرآنية ـ وما أكثرها ـ ثم الأدعية النبوية، ثم ما ورد عن صالحي هذه الأمة. فاحرص يا أخي أن تكون مع هذه الرفقة وناجِ مولاك وامدحه بما هو أهل له في دجى الليل.

إلهي ثكلت خواطر أنست بغيرك... عدمت قلبًا يحب سواك

رباه، عفوك إني ... للنور مُدت يدايا
أبكي وأبكي يبكي دمعي ويبكي بكايا
وحفنة من دعاء ... غرفة من دمايا
ولا لغيرك دوًى ... يا رب يومًا ندايا
إليك أنت صباحي ... مصفدًا في مسايا
فاسكب ضياءك إني ... ظمآن ضل صدايا[(٢)]
لم أدر من أي نبع ... أسقي حنين الركايا

---

(١) «رقائق» ص(١٧).

(٢) «قاب قوسين» ديوان شعر لمحمود حسن إسماعيل.

والشط لا ماء فيه يطفي اللظى في حشايا
رحماك يا رب هذا إثمي وهذى تقايا
وذاك دربي وهذي على الطريق عصايا
رحماك يا رب إني وزورقي والخطايا
في لجة.. ليس فيها مـ ـن الضياء بقايا
جفّت وغاضت.. ولكن ما زلت أُزجي رجايا
غفرت أم لم فإني ما زلت أدعوك يايا

يارب

* «اللَّهم نوّر دنيانا».

اللَّهم نوّر دنيانا بنور من توفيقك، واقطع أيامنا في الاتصال بك، وانظم شتاتنا في سلك طاعتك، عجبًا لمن عرفك ثم أحب غيرك، ولمن سمع مناديك ثم تأخر عنك، إلهي لا تعذب نفسًا قد عذّبها الخوف منك.

ولا تخرس لسانًا كل ما يروي عنك.

ولا تقذ بصرًا طالما يبكي لك.

ولا تخيّب رجاءً وهو منوط بك.

إلهي، ضع في ضعفي قوة منك، ودع في كفِّي كَفِّي عن غيرك، ارحم عبرة تترقرق على ما فاتها منك.

بِرِّد كبدًا تحترق على بعدها عنك» يا أرحم الراحمين.

* ونختم فصلنا هذا بمناجاة وتذلل وتسبيح لزين العابدين على بن

الحسين ـ رحمه اللَّه ـ[1].

«رب أفحمتني ذنوبي، وانقطعت مقالتي فلا حجة لي، فأنا الأسير ببليتي، المرتهن بعملي، المتردد في خطيئتي، المتحير عن قصدي، المنقطع بي. قد أوقفت نفسي موقف الأشقياء المجترئين عليك، المستخفين بوعدك.

سبحانك، أي جرأة اجترأت عليك، وأي تغرير غررت بنفسي، مولاي ارحم كبوتي لحر وجهي وزلة قدمي، وعد بحلمك على جهلي، وبإحسانك على إساءتي، فأنا المقر بذنبي، المعترف بخطيئتي، وهذه يدي وناصيتي، أستكين بالقود من نفسي.

ارحم شيبتي ونفاد أيامي واقتراب أجلي، وضعفي ومسكنتي، وقلة حيلتي.

مولاي وارحمني إذا انقطع من الدنيا أثري، وامحى من المخلوقين ذكري وكنت في المنسيين كمن قد نُسي. مولاي وارحمني عند تغير صورتي وحالي، إذا بلى جسمي وتفرقت أعضائي وتقطعت أوصالي.

يا غفلتي عما يراد بي، مولاي وارحمني في حشري ونشري، واجعل في ذلك اليوم من أوليائك موقفي، وفي أحبائك مصدري، وفي جوارك مسكني يا رب العالمين. سبحانك اللَّهم وحنانيك، سبحانك اللَّهم وتعاليت، سبحانك اللَّهم والعز إزارك، سبحانك اللَّهم والعظمة رداؤك، سبحانك اللَّهم والكبرياء سلطانك، سبحانك من عظيم ما

(١) انظر: «زين العابدين» للشيخ عبد الحليم محمود ص(١٣٣، ١٣٤) دار الإسلام ـ القاهرة.

أعظمك، سبحانك سبحت في الملأ الأعلى، تسمع وترى ما تحت الثرى.

سبحانك أنت شاهد كل نجوى، سبحانك موضع كل شكوى، سبحانك حاضر كل ملأ، سبحانك عظيم الرجاء، سبحانك ترى ما في قعر الماء، سبحانك تسمع أنفاس الحيتان في قعور البحار، سبحانك تعلم وزن السموات، سبحانك تعلم وزن الأرضين، سبحانك تعلم وزن الشمس والقمر، سبحانك تعلم وزن الظلمة والنور، سبحانك تعلم وزن الفيء والهواء، سبحانك تعلم وزن الريح كم هي من مثقال ذرة، سبحانك قدوس، قدوس.

سبحانك عجبًا من عرفك كيف لا يخافك؟ سبحانك اللَّهم وبحمدك سبحان العليّ العظيم.

وقال الشاعر:

ذَكَرَ الوعيـدَ فَطرفُهُ لا يَهجَعُ ... وجَفَا الرقاد فَبَانَ منه المضجعُ
لَمَا تَيقَّنَ صِدْقَ مَا جَاءَتْ بِهِ الآيـ ... ـاتُ صَارَ إلى الإنابة يُسرِعُ
فجَفَا الأحبةَ في محبةِ ربِّه ... وسما إليهِ بهمـةٍ مـا يقـلعُ
وتمتعتْ بـودادِه أعضـاؤُه ... إذ خصَّهـا منـه بـودٍ ينفعُ
كم في الظلامِ له إذا نام الورى ... من زفرةٍ في أثرهـا يتوجَّعُ
ويقـول في دعواته: يا سـيدي ... العينُ يُسعدُها دمـوعٌ رُجَّـعُ
إني فزعتُ إليك فارْحَمْ عَبْرَتي ... وإليكَ من ذلِّ الخطيئـة أفـزَعُ
مَنْ ذا سواكَ يُجيـرني من زلَّتي ... يا منْ لعزَّتِـه أَذِلُّ وأخضـعُ
فامـنُنْ عليّ بتوبةٍ أحيـا بهـا ... إنِّي بما اجترأت يـداي مُـرَوَّعُ
قَلّ التصبـرُ عنك يا من حُبُّـهُ ... في الجارحات سقامه بي يسـرع

كيف اصطبار متيم في حبه قدما لكاسات الهوى يتجرَّعُ
لاحتْ وعنْ صدقِ المحبة ما بَدَتْ للناظرين نُجومُ ليلٍ تَطلعُ(١)

هَبَّ منْ لَيْله... ! جفَتْهُ المَضاجعْ
وَدَعَاهُ نداءُ قَلْبٍ خَاشِعْ
وَطَيُوفٌ... عَلَى الجُفُونِ الدَّوامِعْ
رَعشَاتٌ مِنَ الأَكُفِّ الضَّوارِعْ

* * *

قَدْ صَفَا القَلْبُ، مَا رَأَى فيْه حقْدا
وَخلاَ منْ هَوًى وَأَقْبلَ زُهْدَا
تَرك النَّاسَ... ! كَيْ يرَى مَا أَعَدَّا
ليَرَى نَفْسَهُ... ! رَأَى الأَمْرَ جدًّا
غَنيَتْ أَنْفُسٌ وَلاَنَتْ قُلُوبُ
وَدُعَاءٌ مَعَ الضُّلُوعِ يَذُوبُ
وَأَكُفٌ تَمُوجُ... !، دَمْعٌ... !، وَجيْبُ!
وَطُيُوفٌ تَلُمُّهُنَّ الغُيُوبُ

* * *

ربنا... سبَّحتْ لكَ الفَلَواتُ
وأقاصي الأعماقِ والظلماتُ
والحصى... ! والرِّمالُ... ! والرَّبَوَاتُ

---

(١) «بحر الدموع» لابن الجوزي ص(١٣٤).

ورفيفُ الغصونِ...! والزَّهَراتُ

* * *

ونداءُ الطيورِ...! والوُكُناتُ
وهديلُ الحمامِ...! والهمساتُ
ورفيفُ الضمير...! والنظراتُ
موكب رَفْرَفَتْ به الآياتُ
وَمَضَى اللَّيْلُ في صَدَى دَعَواتهْ
وَالنُّجُومُ، الزَّهْرَاءُ رَعْشَةُ ذَاتهْ
وَنَسِيْمٌ غَفَا عَلَى عبراتهْ
وَصَحَا...! يَنْثُرُ النَّدَى عَلَى رَبَوَاتهْ

* * *

تَلْمسُ الأفقَ في هَوًى وحنينِ
يُوقظُ النُّورَ من مَرَاقدِ لِيْنِ
يُوقظُ الزَّهْرَ من دَلاَلِ جُفُونِ
يُوقظُ العطرَ في مرابِعَ غَينِ
مَوْكِبُ الفجرِ فضّ من ألحانهْ
رَجَّعَتْها الرُّبَى شَذَا ألوانه
حائراتٍ...! تَعَثَّرَتْ بجنانه
فإذا هُنَّ عَبْقَرِيُّ بَيَانه[١]

---

(١) للشاعر عدنان النحوي.

ولله دره حين يقول:

عَجَبًا أن ترى مع الخوف أَمْنًا ... ومَعَ الليلِ شُعْلَةً مِنْ يَقينِ
مَاقِسَا قَلْبُهُ ولكنْ لديه ... دَمْعَةٌ لم تَجفَّ بين الجُفُون
خَشْيةٌ في الفؤادِ تَعْصرُ دَمْعًا ... ذَوَّبَتْهُ على مَطَاف الحنينِ
رَقَّ في خَشْيَةٍ ففاضتْ عليه ... رَحْمَةُ اللهِ في حمَى مَأْمُون
كُلَّمَا أقبلُ الدجى وطواهُ ... أشرقتْ منه سجدةٌ من جَبَين
في خشوعِ الدُّجَى عرفتكُ يا ربُّ ... وفي نَجْمِه، وفَيْضِ السكون
جلَّ في صَمْته فكانَ بَيانًا ... في قُلوبٍ وَعَتْهُ أو في جُفُون
هَدأَ الناسُ غَيْرَ قَلْبٍ شَجِيٍّ ... هَبَّ من لَهْفَةٍ وَشَوْقٍ دَفِين
مَدَّ كَفَّيْه في ثنايا الليالي ... رَعَشَاتٍ مُبَلَّلات الحنينِ
وَهَبَتْ للنُّجُومِ رَعْشَةَ شَوقٍ ... وأَعَارَتْ لها انفلاتَ الشُّجُون
في شُعَاعٍ يموجُ بَيْنَ ثنايـ ... ـاهُ رفيقٌ من الدُّعَاءِ الحزينِ(١)

* * *

وأخيـــراً:

لله ما أحلى قول القائل:

كم دمعـةٍ سُفِحَتْ في الليـــل ســـاربةً
وكـــم تـــرَدَّدَ في جنبـــيّ تعليــــلُ
وكـــم تنفس صبـــحٌ ما تسائمـــه
إلا ابتهـــالٌ إلى الرحمـــن متبـــول

(١) من قصيدة «موكب النور» من ديوان «موكب النور» للدكتور عدنان النحوي ص(٥٥ - ٥٨).

وما نداه سوى دمع أكفكفهُ

يا رب علّ دعائي منك مقبول

خفق القلوب دعاء أنت تسمعهُ

وللجوارح تسبيح وتهليلُ

* * *



أهل الليل والقرآن

«مزامير أنس، في مقاصير قدس، بألحان توحيد، في رياض تمجيد، بشدو المثاني في تلك المعاني المؤدية بأهلها إلى النعيم الدائم في مقعد صدق عند مليك مقتدر. هذا طعم الخبر فكيف طعم النظر».

والليل تحلو به اللقيا وإن قصرت
ساعاتها ما أحلاها وأحلاه!!
فنوره يجعل الليل البهيم ضحى
فما أجَلّ وما أجْلَى مُحَيَّاه[1]

---

(1) رسالة شوق وحنين من «ديوان نفحات ولفحات» للقرضاوي ص(١٠٠).

أَهل اللّيـل والقُرْآن

جعل اللَّه عزّ وجل نزول القرآن نعمة لا تحصى فقال تعالى: ﴿**أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ [العنكبوت: ٥١].

* وقال تعالى: ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ**﴾ [المائدة: ٤٨].

قال ابن عباس: المهيمن: الأمين، القرآن أمين على كل كتاب قبله.

* وقال تعالى: ﴿**قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون**﴾.

قال ابن عباس: فضل اللَّه: الإسلام، ورحمته: أن جعلكم من أهل القرآن.

وسماه مولانا عز وجل شفاء فقال تعالى: ﴿**وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة**﴾، وسماه نورًا لتوقف الهداية عليه: ﴿**قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين**﴾.

* وقال تعالى: ﴿**وهذ ذكر مبارك أنزلناه**﴾.

وقال تعالى: ﴿**لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم**﴾ أي: شرفكم وما تُذكرون به.

وسماه روحًا لتوقف الحياة الحقيقية عليه، وهي حياة القلب فقال تعالى: ﴿**وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا**

الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا﴾.

* وهو أحسن الحديث قال تعالى: ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**﴾ [الزمر: ٢٣].

* وقال تعالى: ﴿**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ**﴾ [الحديد: ١٦].

* وقال تعالى: ﴿**لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله**﴾، وقال تعالى في حق الذين أوتوا العلم: ﴿**إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا**﴾. وقال تعالى: ﴿**ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا**﴾.

وبين القرآن ورجال الليل والليل أوثق العرى إلى يوم القيامة، كيف لا وما بدأ نزول القرآن وإشراقة النور إلا في ليلة من الليالي.

ولنعلم قدر هذه الصلة يكفينا حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، وأجود ما يكون في شهر رمضان؛ لأن جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن، فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة»(١) .

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن باب: «كان جبريل يعرض القرآن على=

وفي الحديث كما قال الحافظ ابن حجر: إن ليل رمضان أفضل من نهاره، وأن المقصود من التلاوة الحضور والفهم؛ لأن الليل مظنة ذلك لما في النهار من الشواغل والعوارض.

ولقد أمر اللَّه سبحانه وتعالى نبيه بالتلاوة فقال تعالى: ﴿**وأمرت أن أكون من المسلمين وأن أتلوا القرآن...**﴾، وخاصة الليل قال تعالى: ﴿**أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا**﴾.

والأحاديث كثيرة في فضل تلاوة القرآن وتعليمه[1].

* عن عثمان ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه**»[2]، وعن عائشة قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «**الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران**»[3].

* وعن عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن اللَّه يرفع بهذا الكلام أقوامًا ويضع به آخرين**»[4].

* وعن عبد اللَّه بن عمرو ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتِّلْ كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها**»[5].

= النبي ﷺ (ج٩ ص٤٣).

(١) سنفرد للقرآن كتيبًا خاصًا من جمعنا إن مدّ اللَّه في العمر.

(٢) رواه البخاري.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه مسلم.

(٥) حسن: أخرجه أحمد، والترمذي، وأبو داود، والنسائي، وصححه ابن حبان، والحاكم =

* وعن ابن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «من سرّه أن يحب اللَّه ورسوله فلينظر في المصحف»[١].

* وعن عثمان بن عفان ـ رضي اللَّه عنه ـ: «لو طهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام ربكم».

وقال خباب بن الأرت ـ رضي اللَّه عنه ـ: «يا هنتَاهُ: تقرب إلى اللَّه ما استطعت، فإنك لن تقرب إلى اللَّه بشيء أحب إليه من كلامه»[٢].

وقال ابن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ: من أحب القرآن أحب اللَّه ورسوله.

* وعن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ: ضمن اللَّه لمن قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه اللَّه من الضلالة ووقاه سوء الحساب، ذلك بأن اللَّه يقول: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ ولا يَشْقَىٰ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤].

* وقال إسماعيل بن أبي خالد: «وهدوا إلى الطيب من القول» القرآن. . ، «وهدوا إلى صراط الحميد»: الإسلام.

* وقال قتادة: «لم يجالس هذا القرآن أحد إلا قام بزيادة أو

= ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في «المشكاة» رقم (٢١٣٤)، والأرناؤوط في «التعليق على شرح السنة» (ج٤ ص٤٣٥).

(١) حسن: أخرجه أبو نعيم في «الحلية»، والبيهقي في «شعب الإيمان»، وابن شاهين، وابن عدي. وقال ابن رجب: «الموقوف أصح»، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦١٦٥).

(٢) خاطب نفسه أي يا هذه، تفتح النون فيه وتسكن وتضم الهاء الأخيرة وتسكن وقيل معناها: يا بلهاء.

نقصان، قضاء اللَّه الذي قضى شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا».

* وعن «مطرف» في قوله تعالى: ﴿**إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور**﴾ قال: هذه آية القراء.

* وعن عبد اللَّه بن عمير: «كان يقال أنقى الناس عقولاً قراء القرآن».

* وقال كعب: «عليكم بالقرآن فإنه فهم العقل ونور الحكمة وأحدث الكتب بالرحمن».

* وقال جندب: [أوصيكم بتقوى اللَّه، أوصيكم بالقرآن فإنه نور الليل المظلم، وهدى النهار فاعملوا به على ما كان فيكم من جهد وفاقة] ا.هـ. من قيام الليل للمروزي.

* وقال أحد الصالحين لتلميذه: أتحفظ القرآن؟ قال: لا. قال: واغوثاه يا للَّه لمريد لا يحفظ القرآن فبم يتنعم، فبمَ يترنم؟ فبم يناجي مولاه؟.

وقال أحمد بن أبي الحواري: سمعت ابن عيينة يقول: «لا تبلغون ذروة هذا الأمر حتى لا يكون شيء أحب إليكم من اللَّه عز وجل، فمن أحب القرآن فقد أحب اللَّه عز وجل[1]».

وللَّه در القائل في علامة المحب للَّه:

---

(١) «استنشاق نسيم الأنس» لابن رجب ص(٤٠).

ومن الدلائـــــل أن يُرى متفهمًا   لكلام مَنْ يحظى لديه السائــلُ

وقال ذو النون: الأنس بالله العلم والقرآن(١).

* ومن كلام الفضيل بن عياض: «كفى بالله محبًا، وبالقرآن مؤنسًا، وبالموت واعظًا، اتخذ الله صاحبًا، ودع الناس جانبًا»، وقال: «من لم يستأنس بالقرآن فلا آنس الله وحشته»(٢).

* وقال زين القراء محمد بن واسع: «القرآن بستان العارفين، فأينما حلوّا منه حلوّا في نزهة»(٣)

* ودموع العين جواب عند تلاوة القرآن.. قال عليّ - رضي الله عنه - في وصف الصحابة: «كانوا إذا ذكروا الله مادوا كما تميد الشجرة في اليوم الشديد الريح وجرت دموعهم على خدودهم».

* وقال زهير البابي: «إن لله عبادًا ذكروه فخرجت نفوسهم إعظامًا واشتياقًا، وقوم ذكروه فوجلت قلوبهم فرقًا وهيبة، فلو حرّقوا بالنار لم يجدوا مسّ النار، وآخرون ذكروه في الشتاء فارفضوا عرقًا من خوفه، وقوم ذكروه فحالت ألوانهم غبرًا، وقوم ذكروه فجفّت أعينهم سهرًا»(٤).

* وقال الله تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

وفي الأثر: «وينيبون إلى الذكر كما تنيب النسور إلى وكورها».

---

(١) «استنشاق نسيم الأنس» ص(٤٩).
(٢) «استنشاق نسيم الأنس» ص(٥٠).
(٣) «الحلية» (ج٢ ص٣٤٧).
(٤) «جامع العلوم والحكم» ص(٣١٨، ٣١٩) طبعة دار عمر بن الخطاب.

وقال ابن عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ : «أخبرني أهل الكتب أن هذه الأمة تحب الذكر كما تحب الحمامة وكرها. ولهم أسرع إلى ذكر اللَّه من الإبل إلى ورودها يوم ظمئها»[1] .

* قال ذو النون: ما طابت الدنيا إلا بذكره.

وأشرف الذكر وأعلاه القرآن.

«والمحب للَّه طائر القلب كثير الذكر متسبّب إلى رضوانه بكل سبيل يقدر عليه من الوسائل والنوافل دأبًا وشوقًا».

وكن لربك ذا حب لتخدمه إن المحبين للأحباب خُدامُ[2]

* قال مالك بن دينار: «ما تنعّم المتنعمون بمثل ذكر اللَّه»[3] .

وصدق ـ رحمه اللَّه ـ وللَّه در القائل:

لها أحاديث من ذكراك تشغلها عن الطعام وتلهيها عن الزادِ

وكان ـ رحمه اللَّه ـ يقول: «يا حملة القرآن ماذا غرس القرآن في قلوبكم، فإن القرآن ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض، وقد ينزل الغيث من السماء إلى الأرض فيصيب الحش فيكون فيه الحبة فلا يمنعها نتن موضعها أن تهتز وتخضرّ وتحسن، فيا حملة القرآن ماذا زرع القرآن في قلوبكم، أين أصحاب سورة، أين أصحاب سورتين، ماذا عملتم فيهما»[4] .

وقال أيضًا ـ رحمه اللَّه ـ: إن الصديقين إذا قرئ عليهم القرآن طربت قلوبهم إلى الآخرة، ثم يقرأ، اسمعوا ما يقول

(١، ٢) «جامع العلوم والحكم» ص(٣١٨، ٣١٩).

(٣، ٤) «صفة الصفوة» (ج٣ ص٢٧٣، ٢٧٤، ٢٨٦).

الصـادق من فوق عرشه[١] .

ولتلك الخاصية والصلة بين الليل والقرآن، يكثر في السنة الاهتمام بالتلاوة ليلاً وفضلها، ويكفيك أن السكينة والملائكة تتنزل بالقراءة ليلاً كما مرّ في الحديث، وهاك مجموعة من الأحاديث لنستشعر تلك الصلة:

قال رسول اللّه ﷺ : **«من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»**[٢] كفتاه من قيام الليل أو من الجن والشياطين، فما بالك لو جمع مع هاتين الآيتين التهجد.

* عن عقبة بن عامر قال: قال رسول اللّه ﷺ : **«اقرؤوا هاتين الآيتين في أواخر سورة البقرة فإن ربي أعطانيهما من تحت العرش»**[٣] .

* وعن البراء: «كان رجل يقرأ سورة الكهف وإلى جانبه حصان مربوط بشطنين فتغشته سحابة فجعلت تدنو وتدنو، وجعل فرسه ينفر، فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال: **«تلك السكينة تنزلت بالقرآن»**[٤] .

وقال رسول اللّه ﷺ لعمر وكان يسير معه ليلاً:

«لقد أنزلت عليّ الليلة سورة لهي أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس»، ثم

(١) سبق في الصفحة السابقة برقم (٣).

(٢) أخرجه البخاري، ومسلم، وأصحاب السنن الأربعة عن ابن مسعود، وأيضًا أحمد في «مسنده»، والدارمي.

(٣) **صحيح**: رواه أحمد في «مسنده»، والطبراني في «الكبير»، وابن نصر، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١١٨٣).

(٤) متفق عليه.

قرأ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾[١]

* عن عقبة بن عامر قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «ألم تر آيات أنزلت الليلة لم يُرَ مثلهن قط ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾»[٢].

أفلا ترى رحمك اللَّه ترداد كلمة ليلة.. من قرأ في ليلة، أنزلت الليلة، ألا يدعو هذا رجال الليل أن يكثروا من القرآن دواء أشجانهم، وقد علموا قول رسولهم ﷺ: «من قرأ حرفًا من كتاب اللَّه فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: ﴿الم﴾ حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف»[٣].

* وقال رسول اللَّه ﷺ: «ما أذن اللَّه لشيء ما أذن لنبي أن يتغنى بالقرآن»[٤] وهو سماع النبيين ألا تسمع قول رسول اللَّه ﷺ لابن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ: «إني أشتهي أن أستمعه من غيري».

* قال تعالى عن القرآن وأثره على القلوب الصادقة: ﴿فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾.

وهل حرّك أشجان المتهجدين وهيّج بلابل أحزانهم سوى سماع القرآن ليلاً.

وكيف لا يدمنون تلاوة القرآن والقيام وهم يسمعون قول النبي

---

(١) جزء من حديث عند البخاري باب: فضل سورة الفتح.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الترمذي، والدارمي، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، غريب إسنادًا، وقال الألباني: صحيح انظر: «المشكاة» رقم (٢١٣٧).

(٤) متفق عليه.

ﷺ ودعاؤه لصحابي متهجد، فعن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت: «سمع رسول اللَّه ﷺ رجلاً يقرأ في سورة بالليل فقال: «**يرحمه اللَّه لقد أذكرني آية كذا وكذا كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا**»(١).

* أما عَلِمَ أهل التهجد بشغف رسول اللَّه ﷺ وأمهات المؤمنين ـ رضي اللَّه عنهن ـ بسماع القرآن من أبي موسى الأشعري، قال رسول اللَّه ﷺ: «**لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة لقد أُوتيت مزماراً من مزامير آل داود**»(٢) وذلك حين مرّ رسول اللَّه ﷺ وعائشة عليه وهو يقرأ في بيته فقاما يستمعان لقراءته، فقال أبو موسى: «أما أني لو علمت بمكانك لحبرّته لك تحبيراً».

وعن أنس أن أبا موسى قام ليلة فسمع أزواج النبي ﷺ صوته وكان حلو الصوت فقمن يستمعن فلمّا أصبح قيل له فقال: لو علمت لحبّرته لهنّ تحبيراً»(٣).

وكيف لا يترنم المتهجدون بالقرآن وهم يسمعون قول نبيهم ﷺ: «**حسنّوا القرآن بأصواتكم، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حُسنًا**»(٤).

وعن طاووس مرسلاً قال: سُئل النبي ﷺ: «أي الناس أحسن صوتًا بالقرآن؟ وأحسن قراءة؟» قال: «**من إذا سمعته يقرأ أُريت أنه يخشى**

(١) البخاري باب: نسيان القرآن (ج٩ ص٨٥).
(٢) رواه مسلم.
(٣) لفظ ابن سعد، والإسناد على شرط مسلم كما قال الحافظ في «الفتح» (ج٩ ص٩٣، ٩٤).
(٤) رواه الدارمي عن البراء بن عازب، وقال الألباني: إسناده صحيح، انظر: «المشكاة» حديث رقم (٢٢٠٨).

اللَّه» قال طاووس: وكان طلق كذلك[١].

فانظر رحمك اللَّه إلى قول المتهجدين عن القرآن:

قال أبو سليمان الداراني: «ربما أقمت في الآية الواحدة خمس ليالٍ ولولا أني أدع الفكر فيها ما جُزتها أبدًا، ولربما جاءت الآية من القرآن تطير العقل فسبحان الذي ردّه عليّ»[٢].

* وقيل لرجل لِمَ لا تنام؟ قال: إن عجائب القرآن قد أطرْنَ نومي.

* وقال أحمد بن أبي الحواري: «إني لأقرأ القرآن فأنظر فيه آية آية فيحار عقلي فيها فأعجب من حفاظ القرآن كيف يهنيهم النوم ويسعهم أن يشتغلوا بشيء من الدنيا وهم يتلون كلام الرحمن؟! أما لو فهموا ما يتلون وعرفوا حقه، وتلذذوا به، واستَحلوا المناجاة به لذهب عنهم النوم فرحًا بما رُزقوا»[٣].

يرحم اللَّه سلفنا الصالح لقد قرأوا القرآن على أنه رسائل من ربهم فقدروه حق قدره، وقدروا المرسل، أما نحن فممَّن يعاتبنا القرآن وقلوبنا غافلة.

قال الفضيل بن عياض: «ما ثَمَّ مصيبة أعظم من مصيبتنا يتلو أحدنا القرآن ليلاً ونهارًا ولا يعمل به وكُلُّه رسائل من ربنا إلينا»[٤].

(١) حديث صحيح لطرقه رواه الدارمي، وصححه الألباني في «المشكاة» حديث رقم (٢٢٠٩).
(٢) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٢٣٢).
(٣) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٢٣٨).
(٤) «تنبيه المغترين» للشعراني ص(١١٩).

إن كنت تـــزعـــم حبـــي فلـــم هجـــرت كتـــابي
أمـــا تأمـــلت مـــا فيـــه مـــن لذيـــذ خـطـــابي

* قال شميط بن عجلان في وصفه للمؤمنين: «أتاهم عن اللَّه تبارك وتعالى أمر وقذهم عن الباطل، فأسهروا الأعين وأجاعوا البطون وأظمأوا الأكباد وأنفقوا الأموال واهتضموا التالد والطارف في طلب ما يقربـهم إلى اللَّه عز وجـل وفي طلب النجـاة ممّا خوّفهـم به». ويقول - رحمه اللَّه -: «إن المؤمن اتخذ كتاب اللَّه عز وجل مرآة، فمرة ينظر إلى ما نعت اللّه عز وجل به المؤمن ومرّة ينظر إلى ما نعت اللَّه عز وجل به المُغترّين، ومرة ينظر إلى الجنة وما وعد اللَّه عز وجل، ومرة ينظر إلى النار وما أعد اللَّه عز وجل فيها، وتلقاه حزينًا كالسهم المرميّ به شوقًا إلى ما شوّقه اللَّه عز وجل. وهربًا مما خوّفه اللَّه عز وجل منه».

ولما كان القرآن بستان العارفين سهر العباد والمتهجدون معه وتأملوه وتدبروه وعاشوا في رياضه: «والسير إلى اللَّه بالتهجد بطريق التدبر بالأسماء والصفات، شأنه عجب وفتحه عجب» «والسائر على هذا الطريق له شهود خاص فيها، مطابق لما جاء به الرسول ﷺ لا مخالف له، وإذا كان السالك ذو همة عالية فذاك السابق حقًا، واحد الناس بزمانه، لا يُلحق شأوه، ولا يُشق غباره، وشتان بين من يتلقى أحواله وإراداته عن الاسماء والصفات ومَنْ يتلقاه عن الرسوم والأذواق والوجد»[1].

---

(١) «طريق الهجرتين» ص(٢١٥).

أما تسمع قول اللَّه عز وجل: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١]. ثم يردف هذه الآية بأسمائه وصفاته: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ إلى آخر السورة. فعضّ بالنواجذ على هذا الطريق يرسمه لك شيخ الإسلام ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ.

* قال محمد بن كعب القرظي: قرأت في بعض الكتب: «أيها الصدّيقون افرحوا بي وتنعموا بذكري»[٢].

* ولمّا كان أشرف الذكر وأعلاه تلاوة القرآن ـ فكم يحلو الترنم به وتحلو المناجاة حين تهدأ الأصوات ويتجاوب الكون في الدياجي مع قارئ القرآن ذي الصوت الحسن.

واسمع رحمك اللَّه إلى يحيى بن معاذ وهو يشوقك إلى القرآن لتكون من هؤلاء القوم الذين قال فيهم ـ رحمه اللَّه ـ: «قوم على فرش من الذكر في مجلس من الشوق وبساتين من المناجاة، بين رياض الأطراب، وقصور الهيبة، وفناء مجالس الأنس، مع أنقى عرائس الحكمة بصدور الأفهام، منّاعي زفرات الوجد بفنون الأفراح، وجوه الآخرة تعاطوا بينهم كئوس حبه، سقاهم فيها، وغوتهم على شربها فرقان الشجى، تجري في الأكباد، تديم عليهم ذكر الحبيب، ويبلبلهم معها هيمان الوجود».

(١) «مختصر قيام الليل» ص(٢٧).

طرب الحب على الحب ... مع الحب يدومُ
عجبًا لمن رأيناه ... على الحب يلومُ
حول حب اللَّه ما عشت ... مع الشوق أحومُ
وبه أقعد ما عشـ ... ـت حياتي وأقومُ(١)

يا أخي:

أتاك حديث لا يمل سماعه ... شهي إلينا نثره ونظامه
إذا ذكرته النفس زال عناؤها ... وزال عن القلب الكئيب قتامه

ولما كان الليل يا أخي وقت الأنس باللَّه والسمر، وقت الذكر والصفاء، وقت الشوق والأنين والحنين، ورجال الأنفاس هم رجال الليل يضيئون ظلمته بنور الإيمان ويملأون صمته بكلام الرحمن، حتى إذا جاء وقت السحر وما أدراك ما وقت السحر استيقظت القلوب فتلقت من ربها ما تلقت، وتحمّلت وتحلت، وأذنت لربها وحُقت، ولليل عند رجال اللَّه مقام أي مقام، ولمّا كان للإنسان في الليل سبحًا طويلاً لَمنْ أراد أن يذكّر أو أراد شكورًا، كان للقرآن في الليل مع أهل الليل شأن خاص، وقد جعل اللَّه الليل لأهله مثل الغيب لنفسه ـ وللَّه المثل الأعلى ـ فكما لا يشهد أحد فعل اللَّه في خلقه لحجاب الغيب الذي أرسله دونهم، فهم خير عصبة في حق اللَّه، وهم شرفتية في حق أنفسهم، فجعل الليل لباسًا لأهله، يلبسونه فيسترهم هذا الليل عن أعين الأغيار الرقباء سباتًا، أيْ راحة لأهل الليل إلهية كما هو راحة للناس طبيعية فإذا نام الناس، استراح هؤلاء مع ربهم، وخلَوْا به حِسًّا ومعنى، فيما يسألونه من قبول توبة وإجابة دعوة ومغفرة وغير ذلك، فنوم الناس راحة لهم، وإن اللَّه

(١) «نشأة التصوف الإسلامي».

تعالى ينَزل إليهم بالليل إلى السماء الدنيا فأهل الليل هم الفائزون بهذه الحظوة في هذه الخلوة وهذه المسامرة في محرابهم، فهم قائمون يتلون كلامه ويفتحون أسماعهم لما يقوم لهم في كلامه سبحانه إذ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ يقولون: نحن الناس فما تريد منّا يا ربنا في ندائك هذا، فيقول لهم عز وجل على لسانهم بتلاوتهم كلامه الذي أنزله ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ وأولئك هم رجال الليل يقطعونه ذكرًا بقرآن مولاهم، يقرأونه وكأنهم يستمعون إلى ربهم ويكلمهم بقرآنه، فكل آية عندهم سؤال وجواب، وذلك لون من التذوق هبة من هبات الرحمن لأهل الليل، ومقدار تلك الهبة إنما يعرفها من ذاق.

عن أبي رجاء قلت للحسن: ما تقول في رجل قد استظهر القرآن كله عن ظهر قلبه ولا يقوم به، إنما يصلي المكتوبة، قال: لعمر اللَّه، ذاك إنما يتوسد القرآن. قلت: قال اللَّه تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ منه﴾ قال: نعم ولو خمسين آية[1].

وقال الحسن أيضًا: إن هذه القلوب سريعة الدثور اقدعوها[2] امنعوها هواها، حادثوها بعمارتها وربيعها القرآن، فإنه شافع مشفع، وماحل مصدق، واللَّه ما دون القرآن من غنى، وما بَعْد القرآن من فقر.

فانظر رحمك اللَّه إلى المتهجدين، إلى قوم لا يجدون لكلام المخلوقين شهوة، ولا بغير كلام اللَّه لذة. قال ذو النون ـ رحمه اللَّه ـ:

---

(١) «مختصر قيام الليل» ص(٨).

(٢) أي: كُفّوها عما يطلع إليه من الشهوات.

منــع القرآن بوعــده ووعيـــده مقل العيـــون بليلها أن تهجعـــا
فهمـــوا عن الملك الكريم كـــلامه فهمًا تذلّ له الرقـــاب وتخضـــعُ

فقال بعض منَ كان حاضرًا في المجلس: يا أبا الفيض مَنْ هؤلاء القوم يرحمك اللَّه، فقال: ويحك: «هؤلاء قوم جعلوا الركب لجباههم وسادًا، والتراب لجنوبهم مهادًا، هؤلاء قوم خالط القرآن لحومهم ودماءهم فعزلهم عن الأزواج وحركهم بالإدلاج، فوضعوه على أفئدتهم فانفرجت، وضمّوه إلى صدورهم فانشرحت، وتصدعت هممهم به فكدحت، فجعلوه لظلمتهم سراجًا، ولنومهم مهادًا، ولسبيلهم منهاجًا، ولحجتهم إفلاجًا، يفرح الناس ويحزنون، وينام الناس ويسهرون، ويفطر الناس ويصومون، ويأمن الناس ويخافون، فهم خائفون حذرون وجلون مشفقون مشمرون، يبادرون من الفوت، ويستعدون للموت، لم يتصغر جسيم ذلك عندهم لعظم ما يخافون من العذاب، وخطر ما يوعدون من الثواب، درجوا على شرائع القرآن، وتخلصّوا بخالص القربان، واستناروا بنور الرحمن، فما لبث أن أنجز لهم القرآن موعوده، وأوفى لهم عهوده، وأحلهم سعوده، وأجارهم وعيده، فنالوا به الرغائب، وعانقوا به الكواعب، وأمنوا به العواطب، وحذروا به العواقب؛ لأنهم فارقوا بهجة الدنيا بعين قالية، ونظروا إلى ثواب الآخرة بعين راضية، واشتروا الباقية بالفانية، فنعْمَ ما اتجروا، ربحوا الدارين، وجمعوا الخيرين، واستكملوا الفضلين، بلغوا أفضل المنازل بصبر أيام قلائل، قطعوا الأيام باليسير حذار يوم قمطرير، وسارعوا في المهلة، وبادروا خوف حوادث الساعات، ولم يركبوا أيامهم باللهو واللذات، بل خاضوا

الغمرات للباقايات الصالحات، وأوهن واللَّه قوتهم التعبُ، وغيرّ ألوانهم النصب، وذكروا نارًا ذات لهب، مسارعين إلى الخيرات، منقطعين عن اللهوات، بريئون من الريب والخنا، فهم خرس فصحاء، وعمى بصراء، فعنهم تقصر الصفات، وبهم تُدفع النقمات، وعليهم تُنزل البركات، فهم أحلى الناس منطقًا ومذاقًا، وأوفى الناس عهدًا وميثاقًا، سراج العباد، ومنار البلاد، ومصابيح الدجى، ومعادن الرحمة، ومنابع الحكمة، وقوام الأمة، تجافت جنوبهم عن المضاجع، فهم أقبل الناس للمعذرة، وأصفحهم للمغفرة، وأسمحهم بالعطية، فنظروا إلى ثواب اللَّه عز وجل بأنفسٍ تائقة وعيون رامقة، وأعمال موافقة، فحلّوا عن الدنيا مطيّ رحالهم، وقطعوا منها حبال آمالهم، لم يدع لهم خوف ربهم عز وجل من أموالهم تليدًا ولا عتيدًا، فتراهم لم يشتهوا من الأموال كنوزها، ولا من الأدبار خزوزها، ولا من المطامع عزيزها، ولا من القصور مشيدها، لا، ولكنهم نظروا بتوفيق اللَّه لهم وإلهامه إياهم فحرّكهم ما عرفوا بصبر أيام قلائل، فضموا أبدانهم عن المحارم، وكفوا أيديهم عن ألوان المطاعم، وهربوا بأنفسهم عن المآثم، فسلكوا من السبيل رشاده، ومهدوا للرشاد مهاده، فشاركوا أهل الدنيا في آخرتهم، عزوا عن الرزايا وغصص المنايا، هابوا الموت وسكراته وكرباته وفجعاته، ومن القبر وضيقه ومنكر ونكير، ومنَ ابتدارهما وانتهارهما، وسؤالهما، ومن المقام بين يدي اللَّه عز ذكره وتقدست أسماؤه(١) .

رحمك اللَّه يا أبا الفيض فهؤلاء هم المتهجدون أهل الليل والقرآن وهذا نعتهم.

---

(١) «الحلية» (ج١ ص١٤، ١٥).

قال الحسن: فضل القرآن على الكلام كفضل اللَّه على عباده(١).

وأهل الليل يا أخي لا يرضون بالقرآن بدلاً فهو دواء قلوبهم، فهم ما نَسَوْا قول الناصح لهم:

أطيلوا على السبع الطوال وقوفكم ... تَدُرّ عليكم بالعلوم سحابُ
وفي طيّ أثناء المثانى نفائس ... يطيب بها نشر ويُفتح باب
تلي فصّلت لما أتاه مجادل ... فأبلس حتى ما يكون جواب
أقرّ بأن القول فيه طلاوة ... ويعلو ولا يعلو عليه خطاب

انظر إلى وصف أهل الليل ورجاله من المتهجدين وحالهم مع القرآن يصفهم علي بن أبي طالب فيما رُوي عنه: «أمَّا الليل فصافّون أقدامهم تالين لأجزاء القرآن، يرتلونه ترتيلاً يحزنون به أنفسهم، ويستثيرون دواء دائهم، فإذا مرّوا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعًا، وتطلعت نفوسهم إليها شوقًا، وظنوا أنها نصب أعينهم، وإذا مرّوا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم. وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها في أصول آذانهم، فهم حانون على أوساطهم، مفترشون لجباههم وأكفهم وركبهم وأطراف أقدامهم يطلبون إلى اللَّه تعالى فكاك رقابهم»(٢).

قال أبو موسى الأشعري: «إن هذا القرآن كائن لكم ذخرًا، وكائن لكم أجرًا، وكائن عليكم وزرًا، فاتبعوا القرآن ولا يتبعنكم القرآن، فإنه من يتبع القرآن يهبط به في رياض الجنة، ومن يتبعه القرآن يزجّ في قفاه

(١) «شرح السنة» (ج٤).
(٢) «نهج البلاغة» (ص٢٤٢) ـ كتاب الشعب.

حتى يقذفه في جهنم»[١] ، وعن عقبة بن عامر - رضي اللَّه عنه -: «القرآن حجيج يوم القيامة فلكم أو عليكم»[٢] ، وقال الحسن: «هذا القرآن قرأه عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله، ولم يأتوا الأمر مِنْ قِبَل أوله قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ وما تدبرُ آياته إلا اتباعه، ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى أن أحدهم ليقول: قد قرأ القرآن كله فما أُسقط منه حرفًا، وقد واللَّه أسقطه كله، ما ترى القرآن له في خُلُق ولا عمل، حتى إن أحدهم ليقول: إني لأقرأ السورة في نفَسَ واللَّه ما هؤلاء بالقراء ولا العلماء ولا الحكماء ولا الوَرِعة، ومتى كان القرّاء تقول مثل هذا لا أكثر اللَّه في الناس مثل هؤلاء».

وقال أيضًا: «ما بقى في أيدينا بقية غير هذا القرآن فاتخذوه إمامًا، وائتمنوه على أنفسكم، واستغشوا عليه أهواءكم، اعلموا أنه شافع مشفع وما حل مصدق، من يشفع له القرآن يوم القيامة يُشفع، ومن محل به صدّق عليه، وأيْمُ اللَّه إن مِنْ شرار هذه الأمة أقوامًا قرأوا هذا القرآن جهلوا سنته وحرّفوه عن مواضعه، وإن أحقّ الناس بهذا القرآن من عمل به وإنْ كان لا يقرؤه»[٣] .

* ولمّا كان المتهجدون في ظلم الدياجي جعلوا القرآن شعارهم ودثارهم، وعلموا أن للَّه أهلين من الناس وخاصة، فَعَلتْ بهم هممهم

---

(١) «مختصر قيام الليل» ص(٧٦).
(٢) «مختصر قيام الليل» ص(٧٦، ٧٧).
(٣) «مختصر قيام الليل» ص(٧٦).

أن يكونوا هم أهل اللَّه وخاصته، وسهروا ليلهم مع القرآن تلاوة وتدبرًا، تلاوةً سَمَتْ بأرواحهم إلى رياض الفردوس، وحنّت أسماعهم لصوت داود صاحب المزامير عليه السلام فاتخذوا من القرآن مزامير أنس في مقاصير قدس بألحان توحيد في رياض تمجيد، وما طربت آذانهم إلا لشدو المثاني في تلك المعاني المؤدية بأهلها إلى النعيم الدائم في مقعد صدق عند مليك مقتدر وكان هذا لهم خبرًا فما طعم النظر؟

ولما تدبروا آياته براهم الخوف برى القداح ينظر الناظر إليهم فيقول مرضى، وما بهم مرض، ويقول قد خولطوا وما خالط القوم من ذكْر الآخرة أمر عظيم جعلوا الذكر جلاءً للقلوب، تسمع به بعد الوقْرة، وتبصر به بعد العشْوة، وتنقاد به بعد المعاندة ما ناجاهم ربهم في فكرهم، وكلمّهم في ذات عقولهم فاستصبحوا بنور يقظة في الأبصار والأسماع والأفئدة.

ولقد اتخذ المتهجدون القرآن من الدنيا بدلاً يقطعون به أيام الحياة، فكأنهم قطعوا الدنيا إلى الآخرة وهم فيها فشاهدوا ما وراء ذلك فكأنما اطلعوا غيوب أهل البرزخ في طول الإقامة فيه. وحققت القيامة عليهم عداتها فكشفوا غطاء ذلك لأهل الدنيا، فلو مثلتهم لعقلك في مقاومهم المحمودة، ومجالسهم المشهورة، وقد نشروا دواوين أعمالهم، وفرغوا لمحاسبة أنفسهم في كل صغيرة وكبيرة، وحملوا ثقل أوزارهم ظهورهم فنشجوا نشيجًا وتجاوبوا نحيبًا، يعجون إلى ربهم من مقام خوف وندم واعتراف ـ لرأيت أعلام هدى قد أعدّت لهم الكرامات وتنزلت عليهم السكينة، في مقام اطلع اللَّه عليهم فيه فرضى سعيهم وحمد مقامهم،

يتنسَّمون بدعائه رَوْح التجاوز، رهائن فاقة إلى فضله، وأُسارَى ذلة لعظمته، وجرح طولُ الأسى قلوبهم، وطولُ البكاء عيونهم، لكل باب رغبة إلى اللَّه منهم يد قارعة، يسألون مَنْ لا تضيق لديه المنادح ولا يخيب عليه الراغبون»[١].

فها هو عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ قد حفرت الدموع خطان أسودان في وجهه.

قال الحسن: كان عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ يمر بالآية من ورده بالليل فيبكي حتى يسقط، ويبقى في البيت حتى يعاد للمرض[٢].

وسمع ـ رضي اللَّه عنه ـ رجلاً يتهجد في الليل ويقرأ سورة الطور، فلمّا بلغ إلى قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ** ﴾ قال عمر: قسم ورب الكعبة حق، ثم رجع إلى منزله فمرض شهرًا يعوده الناس لا يدرون ما مرضه»[٣].

وكان تحت عيني ابن عباس مثل الشراك البالي من كثرة الدموع.

وكان جماعة من عباد البصرة قد مرضوا من تدبر القرآن وخوف النار ولزموا منازلهم كالعلاء بن زياد وعطاء السلمي، واشتكى داود الطائي أيامًا، وكان سبب علته أنه مرّ بآية فيها ذكر النار فكررها مرارًا في ليلته فأصبح مريضًا فوجدوه قد مات[٤].

---

(١)بتصرف من «نهج البلاغة» ص(٢٧٠).
(٢)«مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ » لابن الجوزي ص(١٦٨، ١٦٩) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
(٣)«التخويف من النار» ص(٢٩).
(٤)«التخويف من النار» ص(٢٩، ٣٠).

وسل منصور بن عمار عن قتيل جهنم ذلك الشاب الذي مرَّ ذكره ومات بسبب آية.

* واسمع يا أخي قوارع القرآن ومواعظه وتعالى أخبرك بالعجب العجاب من حال سيد من سادات المسلمين علي بن الفضيل بن عياض مات من سماع قراءة هذه الآية: ﴿ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين﴾[1]

* وسل عمرو بن المنكدر وسل سادات المتهجدين عمّا فعلت آيات القرآن بهم. لقد كانت آيات القرآن محرك أشجانهم ومواجيدهم، بل وهزّهم الحنين إلى روضات الفردوس إذا ذكروا الجنة، وتنعموا بكلام مولاهم؛ لأنهم علموا أن كلام الملوك ملوك الكلام، وطافوا برياض الأسماء والصفات، قدّسوا مولاهم بألسن التماديح في القرآن، وأفواه التسابيح وأورثهم ذلك شوقًا إليه وتذللاً بين يديه، وحبًّا نحلت منه أجسادهم وفاضت مآقيهم بالدموع والعبرات.

فما الحب حتى يلصق القلب بالحشا وتذبل حتى ما تجيب المناديا
وتنحل حتى لا يُبَقَى لك الهوى سوى مقلة تبكي بها وتناجيا

كان القرآن روحهم وريحانهم، ونزهتهم وبستانهم.

ولله در القائل:

شواهد أهل الحب باد دليلها بأعلام صدق ما يضل سبيلها
جسوم أولى صدق المحبة والرضى تبين عن صدق الوداد نحولها

(١) «التخويف من النار» لابن رجب ص(٣١).

إذا ناجت الأفهام أنس نفوسهم ... بألسنة تخفي على الناس قيلها
وضجت نفوس المستهامين واشتكت ... جوى كان عن أجسامها شر بيلها
يحنون حرنًا ضاعف الخوف شجوه ... ونيران شوق كالسعير عليلها
وساروا على حب الرشاد إلى العلا ... تؤمهم تقواه وهو دليلها
فحطوا بدار القدس في خير منزل ... وفاز بزلفى ذي الجلال حلولها[1]

ولا يعلم إلاّ اللَّه ثم نفوسهم الطاهرة وقع آيات القرآن على أفئدتهم حتى أناطوا برياض القدس، وكم روّحهم نسيم الآيات، ولم تصل إلينا إلا إشاراتهم وعباراتهم وكم حاولوا إخفاءها ولكن عبير التهجد يفوح عبقًا من خلال تلك الكلمات النيّرات.

إن العبارة الواحدة من عباراتهم، من أثر التهجد بالقرآن لو اجتمع المتأخرون على أن يأتوا بمثلها ـ ولو نمّقوا ـ ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، وما كانت تخرج تلك الكلمات منهم إلا عفوًا.

دع الشوق لأناس يعرفون به ... قد مارسوا الحب حتى لان أصعبهُ

رحل من أصفه وبقى من لا أعرفه

سن الطلول كأنهن ... بجذع ذي سلم سطورُ
تطوى معالمها الصّبا ... طورًا وتنشرها الدبورُ
وكفتْ بها من أدمعي ... في الركب غادية درورُ
ولقلّ ما تحوى الدمو ... عُ وينفع الصبَّ الزفيرُ
أقْوَتْ من الحي الديا ... رُ فمالها في العين نورُ

[1] «الحلية» (ج٩ ص٣٧٨).

لما علموا قول رسولهم ﷺ : «**إذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار في ذكره، وإن لم يقم به نسيه**»[(١)] .

يخبرهم ويقول لهم عبدة بن أبي لبابة الأسدي التابعي: «إذا ختم الرجل القرآن بنهار صلت عليه الملائكة حتى يمسي، وإن فرغ منه ليلاً صلّت عليه الملائكة حتى يصبح»[(٢)] ، فكيف يطيب لهم العيش إلا بالتنافس في الختم وإنارة الليالي بصلاة الملائكة وهم أحوج الناس إليها. إن كانت تتنزل بقراءتهم في الدياجي فهم مشتاقون إلى صلاتهم «كل يهيج لهم ذكرى تشوّقهم إلى الملأ الأعلى».

فمنهم من كان يختم في كل يوم وليلة، ولقد كان عثمان ـ رضي اللَّه عنه ـ يختم في الوتر وصح ذلك عنه، وتميم الداري وسعيد بن جبير ومجاهد والشافعي.

وعن كثيرين في كل ثلاث. والذين ختموا في الأسبوع مرة فكثيرون نُقل ذلك عن عثمان وعبد اللَّه بن مسعود وزيد بن ثابت وأبي ابن كعب، وجماعة من التابعين كعبد الرحمن بن يزيد وعلقمة وإبراهيم.

وقد كره جماعة من المتقدمين الختم في يوم وليلة ويدل عليه الحديث الصحيح عن عبد اللَّه بن عمرو ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال

---

(١) **إسناده صحيح**: أخرجه ابن نصر في «قيام الليل» عن ابن عمر، وقال الألباني: إسناد صحيح ورجاله كلهم رجال الشيخين. انظر: «الأحاديث الصحيحة» رقم (٥٩٧).

(٢) أخرجه الدارمي (٢/٤٦٩) بسند صحيح كما قال الشيخ شعيب والشاويش في «تحقيق شرح السنة» (ج٤ ص٤٩٣).

رسول الله ﷺ: «**لم يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث**»[(١)]، وهذا اختيار أحمد وأبي عبيد وإسحاق بن راهويه وقد ثبت عن كثير من السلف - كما يقول الحافظ في «الفتح»: «كالشافعي - أنهم قرأوا القرآن في دون ذلك.

قال النووي: «والاختيار أن ذلك يختلف بالأشخاص، فمن كان من أهل الفهم وتدقيق الفكر استحب له أن يقتصر على القدر الذي لا يختل به المقصود من التدبر واستخراج المعاني، وكذا من كان له شغل بالعلم أو غيره من مهمات الدين ومصالح المسلمين العامة يستحب له أن يقتصر منه على القدر الذي لا يخلّ بما هو فيه، ومن لم يكن كذلك، فالأولى له الاستكثار ما أمكنه من غير خروج إلى الملل ولا يقرؤه هذرمة والله أعلم»[(٢)].

«ولقد أغرب بعض الظاهرية فقال: يحرم أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث. وقال النووي: أكثر العلماء على أنه لا تقدير في ذلك، وإنما هو بحسب النشاط والقوة، فعلى هذا يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص والله أعلم»[(٣)].

قال الحافظ ابن رجب في كتابه «لطائف المعارف» (١٨١، ١٨٢):

---

(١) **إسناده صحيح**: رواه أبو داود، والنسائي، والترمذي، والدارمي وقال: حديث حسن صحيح، وصححه النووي في «التبيان في آداب حملة القرآن» ص(٣٠)، وقال الألباني: إسناد صحيح، انظر: «المشكاة» رقم (٢٠١).

(٢) «التبيان في آداب حملة القرآن» ص(٣٠) طبع مصطفى الحلبي، و«فتح الباري» (ج٩) باب: «في كم يقرأ القرآن من كتاب فضائل القرآن» ص(٩٧).

(٣) «الفتح» (ج٩ ص٩٧).

«وإنما ورد النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث على المداومة على ذلك، فأما في الأوقات المفضلة، كشهر رمضان خصوصًا الليالي التي يطلب فيها ليلة القدر أو في الأماكن المفضلة كمكة لمن دخلها من غير أهلها فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن اغتنامًا للزمان والمكان وهو قول أحمد وإسحاق وغيرهما من الأئمة وعليه يدل عمل غيرهم كما سبق ذكره»[1] ا.هـ.

ولله در القائل:

لولا الذين لهم ورد يقومونا وآخرون لهم سرد يصومونا
لدكدكت أرضكم من تحتكم سحراً لأنكم قوم سوء لا تطيعونا

ولقد بّوب النووي وعقد فصلاً في المحافظة على القراءة بالليل وقال - رحمه الله -: «ينبغي أن يكون اعتناؤه بقراءة القرآن في الليل أكثر، وفي صلاة الليل أكثر والأحاديث والآثار في هذا كثيرة.

وقال: وإنما رجّحت صلاة الليل وقراءته لكونها أجمع للقلب وأبعد عن الشاغلات والملهيات، والتصرف في الحاجات، وأصون عن الرياء وغيره من المحبطات مع ما جاء الشرع به من إيجاد الخيرات في الليل فإن الإسراء برسول الله ﷺ كان ليلاً، وحديث: «**ينزل ربكم كل ليلة...**» الحديث والصحيح عن رسول الله ﷺ قال: «**في الليل ساعة يستجيب الله فيها الدعاء في كل ليلة**»، وكلما كثرت القراءة والصلاة كان أفضل إلا أن يستوعب الليل كله فإنه يكره الدوام عليه ولا أن يضرّ بنفسه» ا.هـ.

(١) مذهب مالك: جواز ذلك وسيأتي في التراويح فصل: «من اختار الصلاة وحده على القيام مع الناس.

(٢) «التبيان في آداب حملة القرآن» للنووي ص(٣٢، ٣٤).

عجبت من جسم ومن صحة ... ومن فتى نام إلى الفجر
والموت لا يؤمن من خطفاته ... في ظلم الليل إذا يسر

* نعم يا أخي لقد كان للقرآن مع المتهجدين شأن أي شأن علموا من مولاهم: «أنزله نورًا لا تطفأ مصابيحه فاستضاءوا به، وسراجًا لا يخبو توقده، وبحرًا لا يُدرَك قعْرهُ، فغاصوا طلبًا للآلئه، ومنهاجًا لا يُضل نهجُه فتركوا لأجله بنيات الطريق، وشعاعًا لا يُظلِم ضوءه، وفرقانًا لا يخمد برهانه، وتبيانًا لا تُهدم أركانه، وشفاءً لا تُخشى أسقامه، فجعلوه دواء أمراضهم، وعزًا لا تهزم أنصاره فثبت عزهم به، وحقًا لا تخذل أعوانه، فهو معدن الإيمان لهم وبُحبوحَتُه[1]، وينابيع العلم وبحوره، فشربوا من منهله ورياض العدل وغدرانه، وأثافي[2] الإسلام وبنيانه، وأودية الحق وغيطانه[3]، وبحر لا يَنْزفه المنتَزِفون، وعُيون لا يُنضبِها الماتحون[4]، ومناهل لا يغيضها الواردون، ومنازل لا يضل نهجها المسافرون، وأعلام لا يعمى عنها السائرون، وآكام لا يجوز عنها القاصدون[5]. جعله اللَّه ريًّا لعطش العلماء، وربيعًا لقلوب الفقهاء، ومحاجّ لطرق الصلحاء، ودواء ليس بعده داء، ونورًا ليس معه ظلمة، وحبلاً وثيقًا عروته، ومعقلاً منيعًا ذروته، وعزًا لمن تولاه، وسلمًا لمن

(١) بحبوحته: وسطه.
(٢) الأثافي: جمع أثفية: الحجر يوضع عليه القدر. أي: عليه قام الإسلام.
(٣) غيطان الحق: جمع غاط أو غوط وهو المطئن من الأرض... أي: أن هذا الكتاب منابت طيبة يزكو بها الحق وينمو.
(٤) جمع ماتح: نازع الماء من الحوض.
(٥) طرق الحق تنتهي إلى أعالى هذا الكتاب وعندها ينقطع سير السائرين.

دخله، وهى لمن ائتم به، عذرًا لمن انتحله[١]، وبرهانًا لمن تكلم به، وشاهدًا لمن خاصم به، وفَلْجًا[٢] لمن حاج به، وحاملاً لمن حمله، ومطية لمن أعمله، وآية لمن توسم، وجُنة لمن استلأم[٣]، وعلمًا لمن وعى، وحديثًا لمن روى، وحكمًا لمن قضى»[٤].

لمّا علموه هكذا سمت هممهم إلى الرفيع من المحل، واشتاقت نفوسهم إلى الملك الأعلى الأجل، فلو رأيتهم لرأيت قومًا يتلون كتاب اللَّه بشفاه ذابلة، ودموع وابلة، وزفرات قاتلة، وأجسام ناحلة، وخواطر في عظمته جائلة:

للَّه قـــوم شروا للَّه أنفسهم — فأتعبوها بزجر اللَّه أزمانـــا
أما النهـــار فقد وافـــوا صيامهم — وفي الظـــلام تراهـــم فيه رهبانا
أبدانهم أتعبت في اللّه أنفسهم — وأنفس أتعبت في اللَّه أبدانـــا
ذابت لحومهم خوف الحساب غداً — وقطعّوا الليل تسبيحًا وقرآنـــا[٥]

* * *

(١) انتحله: انتسب إليه ودان به.
(٢) الفلج: الظفر والفوز.
(٣) استلأم: لبس اللأمة وهي الدرع وجميع أدوات الحرب أي: كأن القرآن وقاية له.
(٤) انظر: «نهج البلاغة».
(٥) «بستان الواعظين» لابن الجوزي ص(٣٧٦).



هُبّي يا
رِيحَ السَّحَر

«لو شممت نسيم الأسحار لاستفاق منك
قلبك المخمور»

هُبِّـي يا رِيْـح السَّحَـر

بأبي الليل ما أطيبه وما أعظم قدره عند اللَّه عز وجل فقد أقسم به في كتابه الكريم، والعظيم لا يقسم إلا بعظيم قال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ وقال تعالى: ﴿وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ وما أطيب السحر ونسيمه، هذا الوقت المبارك الذي نجّى اللَّه فيه نبيه لوطًا فقال: ﴿إنا أرسلنا عليهم حاصباً إلا آل لوط نجيناهم بسحر﴾.

عن ثوبان ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«إن للَّه تبارك وتعالى ديكًا براثنه[1] في الأرض السفلى، وعنقه مثني تحت العرش، وجناحاه في الهواء، يخفق بهما سحر كل ليلة «سبّحوا القدوس، ربنا الرحمن، لا إله غيره»[2]**.

* يُروى بإسناد فيه ضعف عن مجاهد عن عطية عن أبي سعيد قال: إن اللَّه عز وجل خلق جنة عدن من ياقوتة حمراء، ثم قال لها تزيّني فتزينت، ثم قال لها تكلمي، فقالت: طوبى لمن رضيتَ عنه، فأطبقَها وعلقها بالعرش فلم يدخلها بعد ذلك إلا اللَّه لا إله غيره يَدْخُلها كل سحر، فذلك برد السحر. وخرجه الحاكم والبيهقي بإسناد جيد عن مجاهد من قوله مختصراً وأنشد بعضهم:

---

(١) جمع برثن، وهي من السباع والطير بمنزلة الأصابع من الإنسان.

(٢) **صحيح بمجموع الطرق**: أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» رقم (٥٢٥) (٣/١٠٠٦)، والسيوطي في «الوديك في أخبار الديك» ص(٥)، وله شاهد من حديث صفوان بن عسال أخرجه الطبراني في «الكبير». وبهذا الشاهد يصح الحديث.

تمر الصبا صفحًا بسكان ذي الغضا ويصدع قلبي أن يهب هبوبها
قريبة عهد بالحبيب وإنما هوى كل نفس حيث حل حبيبها(١)

* عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - عن النبي ﷺ:

«لن يُنَجّي أحدًا منكم عمله»، قالوا: ولا أنت يا رسول اللَّه؟ قال: «ولا أنا إلاّ أن يتغمدني اللَّه برحمته، سددوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشيء من الدجلة، والقصد القصد تبلغوا»(٢).

وفي موضع آخر من البخاري: «إن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين أحدٌ إلا غلبه، فسدّدوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة»(٣).

وهذه الأوقات الثلاثة تكون أوقات السير إلى اللَّه بالطاعات، وهي آخر الليل وأول النهار وآخره. وقد ذكر اللَّه هذه الأوقات في قوله تعالى: ﴿واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا * ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا﴾ وقال تعالى: ﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى﴾.

والدُّلجة والإدلاج: سير آخر الليل، والمراد به ها هنا في الحديث العمل في آخر الليل وهو وقت الاستغفار كما قال تعالى:

(١) «استنشاق نسيم الأنس» ص(٦).

(٢) رواه البخاري، ومسلم، وأخرجه البخاري بلفظه في «الرقائق» (٧/ ١٨١)، وفيه «برحمة» بدل برحمته.

(٣) أخرجه البخاري بلفظه ولكن أسقط «هذا» من «إن هذا الدين» وزاد لفظ «هذا» في «ولن يشاد هذا الدين» في «كتاب الإيمان» (١٠/ ١٥)، وأخرجه النسائي بلفظ في «كتاب الإيمان».

﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَبِالأَسْحَارِهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾.

* وفي الحديث عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبي ﷺ: «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إنّ سلعة اللَّه غالية، ألا إن سلعة اللَّه الجنة»(١).

وسير الدلجة آخرِ الليل يقطع به سفر الدنيا والآخرة، ولهذا في الحديث الذي رواه أنس عن النبي ﷺ: «إذا سافرتم فعليكم بالدُّلجة فإن الأرض تطوى بالليل».

وقال بعض الفضلاء:

اصبر على مضض الإدلاج في السحر ... وفي الرواح على الطاعات والبُكرِ
لا تضجرن ولا يُعجزك مطلبها ... فالهمّ يتلف بين اليأس والضجرِ
إني رأيت وفي الأيام تجربة ... للصبر عاقبة محمودة الأثرِ
وقلّ من جدّ في أمر تطلّبه ... واستصحب الصبر إلا فاز بالظفرِ

وقد روى أن الأشتر دخل على علي بن أبي طالب ـ رضي اللَّه عنه ـ بعد هدأة من الليل وهو قائم يصلي فقال: يا أمير المؤمنين صوم بالنهار وسهر بالليل وتعب فيما بين ذلك، فلما فرغ من صلاته قال: سفر الآخرة طويل فُيحتاج إلى قطعه بسير الليل.

واعلم يا أخي أن مفاوز الدنيا تقطع بالأقدام، ومفاوز الآخرة تقطع

(١) صحيح: رواه الترمذي، والحاكم في «المستدرك»، وعبد بن حميد، والعقيلي في «الضعفاء»، وأبو نعيم في «الحلية»، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وصححه الألباني، انظر: «صحيح الجامع» رقم (٦٠٩٨).

بالقلوب، فلتكن همة طالب الآخرة عالية فإن سلعة اللَّه غالية.

يا نائماً بالليل كم ترقد   قم يا حبيبي قد دنا الموعد
وخذ من الليل وأوقاته   ورداً إذا ما هجع الرُقّد
من نام حتى ينقضي ليله   لم يبلغ المنزل أو يجهد[1]

وللسحر والدعاء فيه والاستغفار شأن عظيم عند اللَّه كما مر بك قول اللَّه تعالى: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾، وهو أفضل الليل ووقت التنزل الإلهي وقد مر بك من الأحاديث في فضله وفضل قيامه والاستغفار فيه، ولا يحرمه إلا كل غمر مطرود.

* وروي أنه لما قال أبناء يعقوب له: ﴿اسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ أخّرهم إلى السحر بقوله: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾.

* وفي «الزهد» لابن حنبل: «إن داود سأل جبريل فقال: يا جبريل أي الليل أفضل؟ قال: يا داود ما أدري إلاّ أن العرش يهتز من السّحر.

كيف لا وهو وقت التنزل الإلهي، ومن أُبعد عنه فقد حرم الخير كله ونقول كما قال بعض السلف: «اللّهم إن منعتني ثواب الصالحين فلا تحرمني أجر المصاب على مصيبته». ويقول الآخر: «اللّهم إن لم ترض عنا فاعف عنا».

* كان بعض الصالحين يقوم الليل فإذا كان السحر نادى بأعلى صوته:

«يا أيها الركب المُعرِّسون، أكلّ هذا الليل ترقدون؟ ألا تقومون

---

(١) «لطائف المعارف» ص(٤٢) ابن رجب طبع دار الدعوة الإسكندرية.

فترحلون؟ فإذا سمع الناس صوته وثبوا من فرشهم فيسمع من هنا باك ومن هنا داع ومن هنا تال ومن هنا متوضئ، فإذا طلع الفجر نادى بأعلى صوته: «عند الصباح يحمد القوم السرى»[1].

ولقد مرّ بك دعاء خليفة العبدي إذا دعا في السحر: «قام البطالون وقمت، قمنا إليك ونحن متعرضون لجودك، فكم من ذي جرم عظيم قد صفحت له عن جرمه، وكم من ذي كرب عظيم قد فرجت له عن كربه، وكم من ذي ضر كثير قد كشفت له عن ضره، فبعزتك ما دعانا إلى مسألتك بعد ما انطوينا عليه من معصيتك إلا الذي عرفنا من جودك وكرمك فأنت المؤمل لكل خير، والمرجو عند كل نائبة».

*وفي كل الليل تهب الرياح، ولكن لنسيم السحر خاصيّة ما أظنه تعطّر إلا بأنفاس المستغفرين فَلِنَفَس المحب عطر ينم على قدر طيبه.

*قال سعيد بن الحسن: إذا كان من السحر ألا ترى يفوح ريح كل شجر.

* قال سفيان: إن للَّه ريحًا مخزونة تحت العرش تهب عند الأسحار فتحمل الأنين والاستغفار.

أخي: اقعد على جانب وادي السحر فلعلّ إبل القوم تمر بك: «منهم تعلمت الحمام النوح والإبل الحنينا» وا أسف المتقاعد عنهم، وا حسرة البعيد منهم.

صحائف التائبين خدودهم، ومدادهم دموعهم كما قال بعضهم: «إذا

---

(١) انظر المرجع السابق.

بكى الخائفون فقد كاتبوا اللَّه بدموعهم».

وا عجبًا! رسائل الأسحار تُحمل ولا يدري بها الفلك، وأجوبتها ترد إلى الأسرار ولا يعلم بها الملك:

صحائفنا إشارتنا ... وأكثر رسلنا الحرقُ
لأن الكتب قد تقرا ... بغير الدمع لا نثقُ

لا تزال القصص تستعرض، ويوقع بقضاء حوائج أهلها إلى أن يطلع الفجر، ينزل اللَّه كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول: هل من تائب فأتوب عليه، هل من مستغفر فأغفر له، هل من داع فأجيب دعوته إلى أن ينفجر الفجر فلذلك كانوا يفضلون صلاة آخر الليل على أوله.

نحن الذين إذا أتانا سائل ... نوليه إحسانًا وحُسن تكرمِ
ونقول في الأسحار هل من تائب ... مستغفر لينال خير المغنمِ

الغنيمة تقسم على كل من حضر الوقعة فيعطى منها الرَّجالة والأجراء والغلمان من الأمراء والأبطال والشجعان والفرسان، فما يطلع فجر الأجر إلا وقد حاز القوم الغنيمة وفازوا بالفخر وحمدوا عند الصباح السرى، وما عند أهل الغفلة والنوم خبر مما جرى.

يا نفس قومي فقد نام الورى ... إن تصنعي الخير فذو العرش يرى
وأنت يا عين دعي عنك الكرى ... عند الصباح يحمد القوم السرى[1]

أخي: رياح هذه الأسحار تحمل أنين المذنبين وأنفاس المحبين وقصص التابين، ثم تعود برد الجواب بلا كتاب.

(١) «لطائف المعارف» (من ٤٢ ـ ٤٣).

أعلمتمُ أن النسيم إذا سرى حمل الحديث إلى الحبيب كما جرى
جهل الحبيب بأنني في حبهم سهر الدجى عندي ألذ من الكرى

فإذا ورد بريد السحر يحمل ملطفات الألطاف لم يفهمها غير من كتبت إليه.

نسيم صبا نجد متى جئت حاملاً تحيتهم فاطو الحديث عن الركب
ولا تذع السر المصون فإنني أغار على ذكر الأحبة من صحبي

* يا يعقوب الهجر قد هبت ريح يوسف الوصل فلو استنشقت لعدت بعد العمى بصيرًا ولو جدت ما كنت لفقده فقيرًا.

كان لي عيش أعيش به ضاع مني في تقلبه
رب فاردده عليّ فقد عيل صبري في تطلبه
وأغثني ما دام بي رمق يا غياث المستغيثين به

* لو قام المذنبون في الأسحار إلى مولاهم، وتركوا النوم، ومالوا إلى الاستغفار، واشتاقوا إلى موقف نافع وابن عمر: «أسحرنا يا نافع؟» ومحمد بن واسع وهرم بن حيان وخليفة وعتبة لرقّت منهم القلوب، وحنّت إلى أيام الصالحين من سلفنا، واعلم أنك:

* لو شممت رحيق الأسحار لاستفاق منك قلبك المخمور.

يا نائمًا طول الليل..

كنت تستطيبُ رياح الأسحار وما تغير المحب عز وجل، كنت مع الرعيل الأول فما الذي ردّك إلى الساقة.

* يا نائمًا طول الليل ما تحس برد السحر لقد دلت أغاريد الحمام

على دنو الفجر، صاح الديك فلم تنتبه، وأعاد فلم تفق، فقوى ضرب الجناحين لطمًا على غفلتك.

* أرواح الأسحار لا يستنشقها مزكوم غفلة، إنها لتأتي بألطاف الحبيب ثم تعود فيحاء تطلب رسالة «ألا من مستغفر فأغفر له».

*لو رأيت رياح الأسحار تحرك أشجار القلوب فتقع ثمار المحبة.

يا لذة خلوّهم بالحبيب، يا موفور نصيبهم من ذلك النصيب.

هبّت رياح وصالهم سحرًا لحدائق الأشواق في قلبي
واهتز عُود الوصل من طرب وتساقطت ثمر من الحبِّ
ومضت خيول الهجر سادرة مطرودة بعساكر القربِ
وبدت شموس الوصل خارقة بشعاعها لسُرادق الحُجْبِ
وصفا لنا وقت أضاء به وجه الرضا عن ظلمة العَتْبِ[1]

*قف في السحر على أقدام الذل وقل: «يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر».

*من لازم المنام لم ير إلا الأحلام.

*أما تستنشق ريح السحر أما تجد برد الفجر.

يا مطولاً بالقيام مستلذًا بالمنامِ
قم فقد فاتك يا مغبون أرباح الكرامِ
وخَلَوْا دونك بالمولي وفازوا بالمرامِ
وكذا يسبقك القوم إلى دار السلامِ

(١) «التبصرة» (ج٢ ص٣٢٥).

* يا نائمًا طول الليل سارت الرفقة، طلعت شمس التشيب وما نتبهت من الرقدة، لو قمت وقت السحر رأيت طريق العباد قد غصّ بالزحام، ولو وردت ماء مدين وجدت عليه أمة من الناس يسقون، وأسحرة ليل القوم ما أضواها، قاموا على أقدام التحير، بين كنّ الحذر، وشارع الشوق، سترهم ذيل الليل تحت مخيم الظلام، إن ناحوا فأشجى من متيم، وإن ندموا فأصبح من خنساء.

سقــوا بميــاه أعينهــم هنــاك الضــال والرّنْــدا
بأنفــاس كبــرق في أنين يشــبه الرعــدا

لاحت لهم الجادة فلما سلكوا قالوا: «ربنا اللَّه»، ثم استقاموا.

هيهات منك غبار ذلك الموكب، أخبارهم أرق من النسيم، نومهم أعز من الوفاء، السهر عندهم أحلى من رقدة الفجر، كلما افتتحوا سورة وجدوا بها وجد يعقوب بقميص يوسف احضُر وقت السحر مع القوم حين تفريق الخلع، فإن لم تصلح أسهم لك من نصيب: «وإذا حضر القسمة أولو القربى»، لو صعدت عن صدرك صعداء أنفاس الأسف لأثارت سحابًا يقطر من قطريه قطر العفو، لو أرسلت عبرة من جفن على جفاء أعادت نحس الزلل جُفا.

*أبواب الملوك لا تطرق بالأيدي، ولا تضرب بالحجر، بل بنفس المحتاج، وعُذْري إقراري بأن ليس لي عذر، إذا سارت ركائب الأسحار فابعث معهم رسالة لهف يحتوي على حسرة محصر.

يا سائق العيس ترّفــق واستمع منـــ ـــي وبلّـــغ إن وصلت عني
عرَض بذكري عندهـــم عساهم أن يســـمعك ســـائلـوك عني

قــل ذلك المحبوس عن قصدكم　　معــذب القلب في كل فنِ
يقـــول أمــلت أن أزوركــم　　في جملــة الوفــد فخــاب ظني

* يا هذا، إذا حضر قلبك فنسيم السحر يذكرك، وإن غاب فمائة ألف نبي لا يوصولون التذكرة إليك!.

ولي ألف بــاب قـــد عرفت سبيله　　ولكن بلا قلب إلى وأين أذهبُ

إن لم تكن مع القوم في السحر، تلمح آثار الحبيب عليهم وقت الضحى، ترى في صحائف الوجوه سطور القبول بمداد الأنوار: «وجوه زهاها الحسن أن تتبرقعا».

* قاموا جميع الدجى على قدر الاعتذار، ثم تساندوا إلى رواحل البكاء والاستغفار، رفعوا رسائل الجوى فعاد جواب الأبرار.

* وا أسفى متى رحلوا؟ ليت شعري أين نزلوا؟

* مالت بالقوم ريح السحر ميل الشجرة بالأغصان، فهزّ منهم الخوف أفنان القلوب، فانتثرت الأفنان، فاللسان يتضرع، والعين تدمع، والوقت بستان، خلوتهم بالحبيب تشغلهم عن نعم ونعمان. سورهم أساورهم والخشوع تيجان، خضوعهم حلاهم فما در ولا مرجان، أين أنت منهم؟ كم بينك وبينهم؟.

* ريح الأسحار ركابي الرسائل، ونسيم الفجر ترجمان الجواب.

فيا ريــح الصبـــا اقترحـــي　　على الأحشـــــاء واحتكمـــي
أراك نَســِمْت تختبريـــن　　ما عهـــدي ومــا ذممـــي
فهـــذي في يـــدي كبـــدي　　وذا في وجنتـــيّ دمـــي

* لسان الدمع أفصح من لسان التائب.

* يا من كان له قلب فانقلب، يا من كان له وقت مع اللَّه فذهب، قيام السحر يستوحش لك، صيام النهار يعاتبك. يا مَنْ كان قريبًا فطُرِد يا عزيزي ما ألفت الشقاء فكيف تصبر.

قلت لليـــل: كم بصـــدر أنبئني مـــا أروع الأســـرار
قـــال ما ضـــاء في ظـــلامي سر كدمـــوع المنيب في الأسحـــار[1]

* أفترى المؤمن إلا مصدق بجواب الليل فهو مسارع مستبق؟ أم ترى أهل البلاغة إلاّ في إذاعة لما قال؟ يستملون الناس:

فـــاز من ســـبّح والنـــاس هجـــوعَ
يدفن الرغبـــة ما بين الضلـــوعَ
ويغشّيـــه ســـكون وخشـــوعَ
ذاكـــرًا للَّه والدمـــع همـــوعَ
سوف يغـــدو ذلك الدمـــع شموعَ
لتضيء الدرب يـــوم المحشـــرِ
ســـجـــدة للَّه عنـــــد السحرِ[2]

ويلقنون المذنبين المخطئين طريق الجنة، فيستملون المسرف في أخرى أن عد إلى اللَّه بقلب خاشع.

---

(١) عبد الوهاب عزام ـ «ديوان المثاني» ص(٣٥) ـ انظر: «الرقائق» لمحمد أحمد الراشد ص(٣٦).

(٢) وليد ـ في «مجلة التربية الإسلامية» (٧/ ٦٣).

ودّعي ليلاً بطرف دامعِ
يتولاك بعفو واسعِ
ويبدل كل تلك السيئاتِ
حسنات أجرها لن ينفدا
كل هذا العفو للعبد المنيبِ
سابغًا من خالق الكون الرحيبِ
للذي تاب إليه من قريبِ[1]

* أخي: لن تحل في جوار الجبّار حتى تحل بضائع الأسحار.

* اجلس ليلة على مائدة السحر، وذق طعم المناجاة تنسيك كل لذة.

* أرواح الأسحار أقوات الأرواح.

لم تثر وجدي حمامات اللوى بل غرامي علّم الشجو الحماما

* إذا جن الغاسق حنّ العاشق.

قلوب المحبين جمرة تحت فحمة الليل كلما هبّ عليها نسيم السحر التهبت وأجّج ما فيها من شوق إلى اللَّه عز وجل.

أفي نجد تحاورك القبول أظن الريح تفهم ما تقولُ
صحبنا في ديارهم صباها يناوبها التنفس والنحولُ
وأمطرنا سحاب الدمع حتى حسبنا أنها مهج تسيلُ
وعجبنا ذاهلين فما علمنا أنحن السائلون أم الطلولُ؟

---

(١) وليد - في «أغاني المعركة» (٩٤)، «الرقائق» ص(٣٦، ٣٧).

* يقول الداعية الكبير الشيخ حسن البنا - رحمه اللَّه - وتقبله في عداد الشهداء عنده:

«أمامك كل يوم لحظة بالغداة ولحظة بالعشي ولحظة في السحر تستطيع أن تسمو فيها كلها بروحك الطهور إلى الملأ فتظفر بخير الدنيا والآخرة، وأمامك مواسم الطاعات وأيام العبادات وليالي القربات التي وجّهك إليها كتابك الكريم ورسولك العظيم ﷺ فاحرص أن تكون فيها من الذاكرين لا من الغافلين، ومن العاملين لا من الخاملين، واغتنم الوقت، فالوقت كالسيف، ودع التسويف فلا أضر منه»[1].

* قال سفيان: إن للَّه ريحًا تسمى الصبحية مخزونة تحت العرش، تهب عند الأسحار فتحمل الأنين والاستغفار.

يا نسيم الريح من كاظمة ... شدّ ما هجت الأسا والبرحا
الصبا إن كان لابد الصبا ... إنها كانت لقلبي أروحا
اذكرونا مثل ذكرانا لكم ... رب ذكرى قرّبت من نزحا
وارحموا صبًّا إذا غنى بكم ... شرب الدمع وعاف القدحا

* يا هذا كنت تدّعي حبنا وتؤثر القرب منا، فما هذا الصبر الذي قد عنّ عنّا.

* «إلهي ما أكثر المُعرض عنك والمعترض عليك، وما أقلّ المتعرضين لك يا روُح القلوب أين طلاّبك، يا نور السموات أين أحبابك، يا رب الأرباب أين عبّادك، يا مُسَبِّبَ الأسباب أين قصّادك.

---

(١) «الرقائق» ص(١٨) نقلاً عن مجلة «الدعوة» في دورتها الأولى عدد ٨سنة (١٩٥١).

مَنْ الذي عاملك بلُبِّه فلم يربح، من الذي جاءك بكربه فلم يفرح، أي صدر صدر عن بابك ولم يشرح، من ذا الذي لاذ بحبلك فاشتهى أن يبرح.

يا معرضًا عنه إلى مَنْ أعرضت — يا مشغولاً بغيره بِمَنْ تعوضت؟
مُت على مَنْ غِبْتَ عنــه أسفا — لست عنــه بمصيب خلفــا
لن تــرى قــرة عينٍ أبــدا — أو تــرى نحوهــم منصرفــا

* * *



قيام ليـل الشتاء

الشتاء ربيع المؤمن..

طال ليله فقام، وقصر نهاره فصام

قيام ليل الشتاء

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]

وقال تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم﴾ [التوبة: ١٢٣]

وأعدى عدو لك نفسك التي بين جنبيك، ومن انتصر على نفسه فملكها استطاع أن ينتصر على عدوه.

* وعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «الشتاء ربيع المؤمن»، قال الدكتور نايف بن هاشم الدعيس في تحقيق كتاب «المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي»: إدارة النشر بتهامة ـ جدة ـ السعودية «باب الشتاء ربيع المؤمن»:

حدثنا أبو كريب، ثنا رشدين، عن عمرو بن الحارث، عن أبي السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ قال: «الشتاء ربيع المؤمن».

أبو كريب: محمد بن العلاء الهمداني الحافظ الثقة مات سنة (٢٤٨) وله سبع وثمانون سنة «تذكرة الحفاظ» (٢/ ٤٩٧) «طبقات ابن سعد» (٦/ ٤١٤).

رشدين بن سعد بن مفلح المَهْري: أبو الحجاج: ضعيف ورجّح أبو حاتم عليه ابن لهيعة، قال ابن يونس: كان صالحًا في دينه فأدركته غفلة الصالحين فخلط الحديث، من السابعة مات سنة (٨٨) وله ٧٨سنة،

وقال الذهبي: كان صالحًا عابدًا سيئ الحفظ غير معتمد «الميزان» (٢/ ٤٩)، «التهذيب» (٣/ ٢٧٧)، «التقريب» (١/ ٢٥١).

عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصاري مولاهم: ثقة فقيه حافظ من السابعة مات قديمًا قبل الخمسين ومئة «التهذيب» (٨/ ١٤)، و«التقريب» (٢/ ٦٧).

أبو السمح هو درّاج بن سمعان: قيل اسمه عبد الرحمن، ودراج لقبٌ، القاص. قال ابن حجر: صدوق في حديثه عن أبي الهيثم، ضعيف، من الرابعة مات سنة (١٢٦). وقال النسائي: ليس بالقوي، وقال أبو حاتم: ضعيف.

ونقل الذهبي عن النسائي قوله: منكر الحديث، وقوله: ليس بالقوي «الضعفاء والمتروكين» ص(٢٨٩)، «الميزان» (٢/ ٢٤)، «التقريب» (١/ ٣٥).

أبو الهيثم سليمان بن عمرو الليثي المصري. ثقة من الرابعة «التهذيب» (٤/ ٢١٢)، «التقريب» (١/ ٣٢٩).

ثم قال الدكتور نايف الدعيس عن هذا الحديث بعد ذلك:

«أخرجه أبو يعلى في «مسنده» ص(١٢٣)، والإمام أحمد من طريق الحسن بن موسى الأشيب، عن ابن لهيعة، عن دراج وساق بإسناده ومتنه «المسند» (٣/ ٧٥)، وذكره الهيثمي وعزاه لأحمد ولأبي يعلى وحسن إسناده «مجمع الزوائد» (٣/ ٢٠٠).

وأورده العجلوني في «كشف الخفاء» بلفظ: «الشتاء ربيع المؤمن، طال ليله فقام، وقصر نهاره فصام»، وعزاه للعسكري بتمامه،

ولأبي يعلى وأحمد وأبي نعيم باختصار، ونبّه على وجود أبي الهيثم في إسناده، وقال: على أن لهذا الحديث شواهد فيصير حسنًا لغيره «كشف الخفاء» (٢/ ٥)، وأبو الهيثم ثقة، وأبو السمح صدوق في حديثه عنه، ورشدين بن سعد سيئ الحفظ وتابعه الحسن بن موسى، عن ابن لهيعة، عن دراج، فالحديث حسن لذاته باعتبار طريقين، لا أنه حسن لغيره كما ذكر العجلوني فأورد شواهد له من مسند أنس وغيره ا. هـ.

الكلام على حديث: «الشتاء ربيع المؤمن» والرد على الدكتور نايف:

«الشتاء ربيع المؤمن».

أخرجه أبو يعلى بإسنادين (الحديث ٥٤١، ٥٤٢)، والإمام أحمد (٣/ ٧٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٢٥) كلهم من طرق، عن أبي السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري به مرفوعًا مختصرًا، وكذا أخرجه القضاعي في «الشهاب» مختصرًا «اللباب شرح الشهاب» (ص٢٦).

وأخرجه البيهقي، والعسكري بتمامه بزيادة (.. طال ليله فقامه وقصر نهاره فصامه) كما أورده العجلوني في «كشف الخفا» (٢/ ٥)، وقال: في سنده أبو الهيثم ضعفه جماعة ووثقه آخرون كابن معين، وأضرابه على أن لهذا الحديث شواهد فيصير حسنًا لغيره ا. هـ.

والحديث أخرجه الهيثمي في «المجمع» (٣/ ٢٠٠) مختصرًا وعزاه إلى أحمد وأبي يعلى، وقال: إسناده حسن ا. هـ. وأيده المناوي في «فيض القدير» (٤/ ١٧٢) حيث قال: رمز المصنف لحسنه وهو كما قال

فقد قال الهيثمي: إسناده حسن، وأورده ابن الجوزي في «الواهيات»، وقال: لا يصح ا.هـ.

والحديث ضعفه الشيخ ناصر الدين الألباني في «ضعيف الجامع الصغير» (٣٤٢٨، ٣٤٢٩) مختصرًا ومطولاً، وحسّنه الدكتور/ نايف ابن هاشم في تحقيقه لمسند أبي يعلى ص(٥٠٠، ٥٠١)، وفي هذا التحسين نظر لأسباب:

مدار الحديث على إسناد واحد وهو: أبو السمح (دراج بن سمعان) عن أبي الهيثم (سليمان بن عمرو الليثي) عن أبي سعيد مرفوعًا.

وأبو الهيثم ثقة كما في «التقريب»، أما أبو السمح دراج بن سمعان ففيه خلاف. قال الحافظ في «التقريب» (١/ ٢٣٥): صدوق، في حديثه عن أبي الهيثم ضعف، (في الأصل طبعة عبد الوهاب عبد اللطيف: صدوق في حديثه عن أبي الهيثم، ضعيف)، ويؤيد ما صححناه ما ذكره الحافظ في «التهذيب» (٣/ ٢٠٨): وقال الآجري عن أبي داود: أحاديثه مستقيمة إلا ما كان عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، وحكى ابن عدي، عن أحمد بن حنبل: أحاديث دراج عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد فيها ضعف، وقال ابن شاهين في «الثقات»: ما كان بهذا الإسناد فليس به بأس ا.هـ.، ويرد عليه ما نقله الحافظ، عن ابن عدي قال: عامة الأحاديث التي أملتها عن دراج مما لا يتابع عليه ومما ينكر في حديثه: أصدق الرؤيا بالأسحار، والشتاء ربيع المؤمن... حتى قال: وأرجو أن أحاديثه بعد هذه التي أنكرت عليه لا بأس بها ا.هـ.

وقد وقع الدكتور/ نايف في وهم نتيجة هذا التصحيف فقال:

ص(٥٠١): «وأبو الهيثم ثقة، وأبو السمح صدق في حديثه عنه»[1] فحسن الحديث بذلك فلزم التنبيه، حيث أنه أغرب بعد ذلك وقال: فالحديث حسن لذاته باعتبار الطريقين لا أنه حسن لغيره كما ذكر العجلوني فأورد شواهد له في «مسند أنس» وغيره ا.هـ. ووجه الغرابة أنه جعل حديث له متابع حسن لذاته خلاف لما هو مقرر في الأصول.

ودراج بن سمعان هذا ذكره الذهبي في «الميزان» (٢/ ٢٤) وقال: قال أحمد: أحاديثه مناكير ولينة، وقال عباس عن يحيى ليس به بأس، وقال عثمان بن سعيد عن يحيى: ثقة، وقال فضلك الرازي: ما هو ثقة ولا كرامة، وقال النسائي: منكر الحديث، وقال أبو حاتم: ضعيف، وقال النسائي أيضًا: ليس بالقوي، وقد ساق ابن عدي له أحاديث. وقال: عامتها لا يتابع عليها ا.هـ.

وذكر الذهبي منها «الشتاء ربيع المؤمن»، ونقل قول الدارقطني: ضعيف، وقال مرة: متروك» ا.هـ.

وما نميل إليه في حال دراج هذا أنه صدوق كما قال الحافظ أي حديثه في مرتبة الحسن إلا في حديثه عن أبي الهيثم (كما في الحديث المذكور) خاصة ما نصّ عليها ابن عدي كما نقله عن الحافظ في «التهذيب» والذهبي في «الميزان».

وأظنها هي العلة التي ضعف من أجلها الألباني الحديث في «ضعيف الجامع» وعزاه إلى «الروض النضير» حيث إن عادة الشيخ ناصر الألباني تضعيف هذا الإسناد كما في «الضعيفة» (الحديث ٢٩٤،

---

(١) وممن حسّن الحديث أيضًا البوصيري.

٥١٧)ا .هـ. كلام الأخ عـلاء الديــن محمــود من طلاب علم الحديث ـ حفظه اللَّه ـ.

ولقد ذكرنا سابقًا عن عبد اللَّه بن مسعود أنه قال: ألا إن اللَّه يضحك إلى رجلين: رجل قام في ليلة باردة من فراشه ولحافه ودثاره، وفتوضأ، ثم قام إلى الصلاة، فيقول اللَّه عز وجل لملائكته: ما حمل عبدي هذا على ما صنع؟ فيقولون: ربنا رجاء ما عندك، وشفقة مما عندك، فيقول: فإني قد أعطيته مَا رَجَا، وأَمَّنته مما يخاف[1].

اعلم يا أخي أن «فتح كل باب وكل علم نفيس بذل المجهود»[2] كما قال الجنيد ـ رحمه اللَّه ـ ولا يجعل اللَّه عبدًا أسرع إليه كمن أبطأ عنه.

وكل هذا يجتمع في قيام ليل الشتاء، فهو ربيع قلب المؤمن. . .

قال ابن رجب: «لأنه يرتع فيه في بساتين الطاعات ويسرح في ميادين العبادات، وينزه قلبه في رياض الأعمال الميسرة فيه كما ترتع البهائم في مرعى الربيع فتسمن وتصلح أجسادها، فكذلك يصلح دين المؤمن في الشتاء بما يَسّر اللَّه فيه من الطاعات فإن المؤمن يقدر في الشتاء على صيام نهاره من غير مشقة ولا كلفة تحصل له من جوع ولا عطش؛ فإن نهاره قصير بارد فلا يحس فيه بمشقة الصيام.

أما قيام ليل الشتاء: فلطوله يمكن أن تأخذ النفس حظها من النوم

---

(١) إسناده حسن: رواه الطبراني في «الكبير»، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (ج٢ ص٢٥٧): «إسناده حسن».

(٢) «الحلية» (ج٧ ص٢٦٣).

ثم تقوم بعد ذلك إلى الصلاة فيقرأ المصلي ورده كله من القرآن، وقد أخذت نفسه حظها من النوم، فيجتمع له فيه نومه المحتاج إليه مع إدراك ورده من القرآن فيكمل له مصلحة دينية وراحة بدنه.

* قال يحيى بن معاذ: «الليل طويل فلا تقصّره بمنامك، والإسلام نقيّ فلا تدنسه بآثامك» بخلاف ليل الصيف فإنه لقصره وحره يغلب النوم فيه فلا تكاد تأخذ النفس حظها بدون نومه كله، فيحتاج القيام فيه إلى مجاهدة، وقد لا يتمكن فيه لقصره من الفراغ من ورده من القرآن.

* وروى الحافظ أبو نعيم بإسناده عن عمر قال: الشتاء غنيمة العابدين[1].

* ويروى عن ابن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «مرحبًا بالشتاء تنزل فيه البركة، ويطول فيه الليل للقيام، ويقصر فيه النهار للصيام».

* وقال الحسن: «نعم زمان المؤمن الشتاء: ليله طويل يقومه، ونهاره قصير يصومه.

* وكان عبيد بن عمير الليثي إذا جاء الشتاء يقول: «يا أهل القرآن، قد طال الليل لصلاتكم، وقصر النهار لصومكم، فإن أعياكم الليل أن تكابدوه، وخفتم العدو أن تجاهدوه وبخلتم بالمال أن تنفقوه فأكثروا من ذكر اللَّه عز وجل»[2]. وفي رواية طال ليلكم لقراءتكم فاقرءوا.

---

(١) «الحلية» (ج١ ص٥١). وهو صحيح عن عمر انظر: «تبييض الصحيفة» لمحمد عمرو.

(٢) «لطائف المعارف» ص(٣٤١ ، ٣٤٢) ، «الزهد» لابن حنبل ص(٣٧٩).

وقيام ليل الشتاء يعدل صيام نهار الصيف، ولهذا بكى معاذ بن جبل ـ رضي اللَّه عنه ـ عند موته وقال: إنما أبكي على ظمأ الهواجر وقيام ليل الشتاء، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر.

* وقال معضد: «لولا ثلاث: ظمأ الهواجر، وقيام ليل الشتاء، ولذاذة التهجد بكتاب اللَّه ما بَالَيْتُ أن أكون يعسوبًا»[(١)].

* وقال قتادة: إن الملائكة تفرح بالشتاء للمؤمن يقصر النهار فيصومه ويطول الليل فيقومه.

وبلغنا أن عامرًا لما احتضر جعل يبكي، فقالوا: ما يبكيك يا عامر؟ قال: «ما أبكي جزعًا من الموت ولا حرصًا على الدنيا، وإنما أبكي على ظمأ الهواجر وقيام الشتاء»[(٢)].

قال عمر بن عبد العزيز: أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس[(٣)]

والقيام في ليل الشتاء يشق على النفوس من وجهين:

أحدهما: من جهة تألم النفس بالقيام من الفراش في شدة البرد.

قال داود بن رشيد: قام بعض إخواني إلى ورده بالليل في ليلة شديدة البرد فكان عليه خلقان فضربه البرد فبكى، فهتف به الهاتف: «أقمناك وأنمْناهمُ ثُمَّ تبكي علينا» فكفاك جزاءً على الطاعة أن رضيك لها

---

(١) « ذكر النحل » « لطائف المعارف » ص(٣٤١ ، ٣٤٢).

(٢) « الزهد » ص(٢٢٥).

(٣) « سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز » لابن الجوزي ص(٢٤٧).

أهلاً، أنعمَ عليك بالقرب من مولاك وأقامك بين يديه، وحرم غيرك من هذه النعمة.

وحسبي انتسابي من بعيدٍ إليكمُ وذلك حظ مثله يُتَيَّمُ
إذا قيل هذا عبدهم ومحبهم تهلل بشراً ضاحكًا يتبَسَّمُ
أحبَّتنا عطفًا علينا فإننا بنا ظمأ والمورد العذب أنتمُ.

والثاني: بما يحصل بإسباغ الوضوء في شدة البرد من التألم، وإسباغ الوضوء في شدة البرد من أفضل الأعمال. وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**ألا أدلكم على ما يمحو اللَّه به الخطايا ويرفع به الدرجات؟**»، قالوا: بلى يا رسول اللَّه قال: «**إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط**».

وفي حديث اختصام الملأ الأعلى: «**والكفّارات إسباغ الوضوء في الكريهات، ونقل الأقدام إلى الجمعات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، من فعل ذلك عاش بخير، ومات بخير، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه**».

وفي بعض روايات هذا الحديث: «**إسباغ الوضوء في السبرات**».

والسبرة: شدة البرد وإسباغ الوضوء في شدة البرد من أعلى خصال الإيمان.

روى ابن سعد عن عمر أن عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ وصى ابنه عند موته فقال: «يا بنيّ عليك بخصال الإيمان. قال: وما هي؟ قال:

الصوم في شدة الحر أيام الصيف، وقتل الأعداء بالسيف، والصبر على المصيبة، وإسباغ الوضوء في اليوم الشتاء. وتعجيل الصلاة في يوم الغيم، وترك ردغة الخبال. قال: وما ردغة الخبال؟ قال: شرب الخمر».

* وفي «الزهد» للإمام أحمد: عن عطاء بن يسار - رضي اللَّه عنه - قال: قال موسى عليه السلام: «**يا رب، مَنْ هُمْ أهلك الذين هم أهلك تظلهم في ظل عرشك؟ قال: «هم البريئة أيديهم الطاهرة قلوبهم، الذين يتحابون لجلالي؟ الذين إذا ذكرت ذُكِروا بي، وإذا ذُكروا ذكرت بذكرهم، الذين يسبغون الوضوء في المكاره، وينيبون إلى ذكري كما تنيب النسور إلى أوكارها، ويكلفون بحبي كما يكلف الصبي بحب الناس، ويغضبون لمحارمي إذا استحلت كما يغضب النمر إذا حَرِب**».

* ومعالجة الوضوء في جوف الليل للتهجد موجب لرضا الرب ومباهاة الملائكة ففي شدة البرد يتأكد ذلك، ولقد قال رسول اللَّه ﷺ: «**الرجل من أمتي يقوم من الليل يعالج نفسه إلى الطهور وعليه عقد، فإذا وضأ يديه انحلت عقدة، وإذا وضأ وجهه انحلت عقدة، وإذا وضأ رجليه انحلت عقدة فيقول اللَّه عز وجل للذين وراء الحجاب: انظروا إلى عبدي هذا يعالج نفسه، ويسألني ما سألني عبدي هذا فهو له**»(١).

قال أبو سليمان الداراني: كنت ليلة باردة في المحراب فأقلقني البرد، فخبأت إحدى يدي من البرد وبقيت الأخرى ممدودة، فغلبتني عيني، فهتف بي هاتف يا أبا سليمان قد وضعنا في هذه ما أصابها، ولو

(١) هذا النقل من كتاب «لطائف المعارف» لابن رجب ص(٣٤١) حتى ص(٣٤٧).

كانت الأخرى لوضعنا فيها؟ قال: فآليت أن لا أدعو إلا ويداي خارجتان حرًا كان أو بردًا.

قال مالك: كان صفوان بن سليم يصلي - يعني بالليل - في الشتاء في السطح، وفي الصيف في بطن البيت، يتيقّظ بالحر والبرد حتى يصبح، ثم يقول: هذا الجهد من صفوان، وأنت أعلم، وإنه لترم رجلاه حتى يعود مثل السقط من قيام الليل، ثم يظهر فيها عروق خضر.

وكان صفوان وغيره من العباد يصلون في الشتاء بالليل في ثوب واحد ليمنعهم البرد من النوم، ومنهم مَنْ كان إذا نعس ألقى بنفسه في الماء ويقول: هذا أهون من صديد جهنم.

أيا عجبًا للناس قرّت عيونهم ... مطاعم غمض بعدها الموت منتصب
وطول قيام الليل أيسر مؤنة ... وأهون من نار تفور وتنتصب

* قال أزهر بن مغيث: رأيت ليلة حوراء من أجمل النساء فقلت لها: من أنت؟ فقالت: لمن يقوم الليل في الشتاء[1].

فما لي بعيد الدار لم أقرب الحمى ... وقد نصبت للسائرين خيامُ
علامة طردي طول ليلي نائم ... وغيري يرى أن المنام حرامُ

فرحم اللّه رجالاً ألبسهم مولاهم في البرد فيحًا من محبته، وفي الصيف بردًا من محبته.

ومحسن ظني أنني بفنائه ... وهل أحد في كنه يجد البردا

حتى وإن شعر القوم بالبرد القارس فيدفعهم هذا إلى تذكر زمهرير

(١) «تنبيه المغترين» ص(٣٥).

جهنم ويوجب لهم الاستعاذة منها، ويذكرهم بالجنة التي يصف اللَّه عز وجل أهلها فيقول تعالى: ﴿**مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلاَ زَمْهَرِيراً**﴾ [الإنسان: ١٣] فيدفعهم هذا إلى النصب وإلى التهجد، فكل ما في الدنيا يذكرهم بالآخرة.

لا سَكَّنَ اللَّه قلبًا عَنّ ذكركم فلم يطر بجنــاح الشوق خَفّاقا

اللَّهم شوقنا إلى فردوسك واسلك بنا سبيل الصالحين.

* * *

قيام الليل في السفر والحج

عن أبي الدرداء ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**ثلاثة يحبهم اللَّه، ويضحك إليهم، ويستبشر بهم: الذي إذا انكشفت فئة قاتل وراءها بنفسه للَّه عز وجل، فإما أن يُقتل وإما أن ينصره اللَّه ويكفيه، فيقول: انظروا إلى عبدي هذا كيف صبر لي بنفسه؟! والذي له امرأة حسنة وفراش لين حسن فيقوم من الليل، فيقول: يذر شهوته ويذكرني، ولو شاء رقد، والذي إذا كان في سفر، وكان معه ركب فسهروا، ثم هجعوا، فقام من السحر في ضرّاء وسراء**»[1].

* وعن أبي ذر ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ثلاثة يحبهم اللَّه، وثلاثة يشنؤهم اللَّه: الرجل يلقى العدو في فئة فينصب لهم نحره حتى يقتل أو يفتح لأصحابه، والقوم يسافرون فيطول سراهم حتى يحبوا أن يمسوا الأرض فينزلون فيتنحى أحدهم فيصلي حتى يوقظهم لرحيلهم، والرجل يكون له الجار يؤذيه جاره، فيصبر على أذاه حتى يفرق بينهما موت أو ظعن، والذين يشنؤهم: التاجر الحلاّف، والفقير المختال، والبخيل المنّان**»[2].

* وعن عبد اللَّه بن أبي قيس قال: قالت عائشة: «لا تدع قيام الليل، فإن رسول اللَّه ﷺ كان لا يدعه، وكان إذا مرض أو كسل صلى قاعدًا»[3].

* عن ثوبان مولى رسول اللَّه ﷺ قال: كنا مع رسول اللَّه

(١) سبق تخريجه. (٢) سبق تخريجه.
(٣) سبق تخريجه.

ﷺ في سفر فقال: «**إن هذا السفر جهد وثقل، فإذا أوتر أحدكم فليركع ركعتين خفيفتين فإن استيقظ وإلا كانتا له**»(١).

* وفي الحديث عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - عن النبي ﷺ: «**من خاف أدلج، ومَنْ أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة اللَّه غالية، ألا إن سلعة اللَّه الجنة**».

وفي حديث أنس - رضي اللَّه عنه - عن النبي ﷺ: «**إذا سافرتم فعليكم بالدلجة فإن الأرض تطوى بالليل**».

أخي: إن مفاوز الدنيا تقطع بالأقدام ومفاوز الآخرة تقطع بالقلوب، والدلجة تطوي الأرض، وقيام الليل وسفره يقرب الأحباب من منازلهم.

يا بعيد الدار عن وطنه　　　مفرداً يبكي على فننه

كان النبي ﷺ يواظب على قيام الليل على راحلته في أسفاره كلها ويوتر عليها، قال ابن رجب الحنبلي:

«وقد كان السلف يواظبون في الحج على نوافل الصلاة».

وحج مسروق فما نام إلا ساجدًا.

---

(١) إسناده صحيح لغيره: رواه ابن خزيمة في «صحيحه». وقال الدكتور مصطفى الأعظمي: إسناده صحيح لغيره، انظر «موارد الظمآن» حديث (٦٨٣)، والدارمي وفيه: إن هذا السهر جهد بدل السفر، وقال الهيثمي في «الزوائد» (٢/٢٤٦): رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط»، وفيه عبد اللَّه بن صالح كاتب الليث وفيه مقال ا.هـ.، وصححه، وكذا رواه الدارقطنيَ، وابن حبان، والدارمي وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (١٩٩٣).

وكان محمد بن واسع يصلي في طريق مكة ليله أجمع في محمله يومئ إيماءً ويأمر حاديه أن يرفع صوته خلفه حتى يشغل عنه بسماع صوت الحادي فلا يتفطن له.

*وكان المغيرة بن الحكيم الصنعاني يحج من اليمن ماشيًا، وكان له ورد بالليل يقرأ فيه كل ليلة ثلث القرآن، فيقف فيصلي حتى يفرغ من ورده، ثم يلحق بالركب متى لحق، فربما لم يلحقهم إلا في آخر النهار.

سلام اللَّه على تلك الأرواح... رحمة اللَّه على تلك الأشباح نزلوا بمكة في قبائل هاشم، ونزلت بالبيداء أبعد منزل[1].

أخي: إنما سمي السفر سفرًا ؛ لأنه يسفر عن أخلاق الرجال. فكيف ينسى الرجال التهجد في سفرهم وبه تُبنى غرف الجنان؟!.

كان إبراهيم بن أدهم يشترط على أصحابه في السفر: الخدمة والأذان، وسافر هو وجمع من إخوانه وأوى بهم السفر إلى مسجد مهجور ليس له باب، وكانت الليلة من ليالي الشتاء الباردة، فانتظر حتى نام إخوانه، ثم قام حتى يسد الباب عنهم بجسمه.

انظروا رجل يحج ماشيًا ويتهجد ويقرأ ثلث القرآن وآخر يسد الباب بجسمه ولا ينسى القيام!! أي قوم كان سلفنا الصالح.. من طينتنا؟! لكأنما خلقوا من معدن نفيس مثال أعمالهم النفيسة.

---

(١) « لطائف المعارف » ص(٢٤٩).

قال ابن رجب في «اللطائف»:

«ترافق بهيم العجلي ـ وكان من العابدين البكائين ـ ورجل تاجر موسر في الحج، فلما كان يوم خروجهم للسفر بكى بهيم حتى قطرت دموعه على صدره، ثم قطرت على الأرض، وقال: ذكرت بهذه الرحلة الرحلة إلى اللَّه، ثم علا صوته بالنحيب فكره رفيقه التاجر منه ذلك، وخشي أن يتنغص عليه سفره معه بكثرة بكائه، فلما قدما من الحج جاء الرجل الذي رافق بينهما إليه ليسلم عليهما فبدأ بالتاجر فسلم عليه، وسأله عن حاله مع بهيم فقال له: واللَّه ما ظننت أنَّ في هذا الخلق مثله، كان ـ واللَّه ـ يتفضل عليّ في النفقة وهو معسر وأنا موسر، ويتفضل عليّ في الخدمة وهو شيخ ضعيف وأنا شاب، ويطبخ لي وهو صائم وأنا مفطر، فسأله عمّا كان يكرهه من كثرة بكائه فقال: واللَّه ألفت ذلك البكاء وأُشرب حبه قلبي حتى كنت أساعده عليه حتى تأذى بنا الرفقة، ثم ألفوا ذلك فجعلوا إذا سمعونا نبكي بكوا، ويقول بعضهم لبعض: ما الذي جعلهما أولى بالبكاء منا والمصير واحد، فجعلوا واللَّه يبكون ونبكي، ثم خرج من عنده فدخل على بهيم فسلّم عليه وقال له: كيف رأيت صاحبك؟ قال: خير صاحب، كثير الذكر للَّه، طويل التلاوة للقرآن سريع الدمعة، متحمل هفوات الرفيق، فجزاه اللَّه عني خيراً»[1] ا.هـ.

* * *

(١) «لطائف المعارف» ص(٢٤٧، ٢٤٨).



يا لكِ ركضةً
إلى الفردَوس الأعلى!

دع المصوغات من ماءٍ وطين

واشغل هواك بحورٍ عين

يا لكِ رَكْضَةٌ إِلى الفِرْدَوْس الأعْلَى

* إن اشتاقت نفسك إلى دارك التي طردت منها فعرّج بوادي المتهجدين فهناك تمر القافلة.

* اعلم يا أخي أن قيام الليل من موجبات الجنة قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝١٥ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ۝١٦ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٥: ١٨] فوصفهم بالتيقظ والاستغفار بالأسحار.

* كان بعض السلف نائمًا فأتاه آت في منامه فقال له: «قم فصلّ، أما علمت أن مفاتيح الجنة مع أصحاب الليل هم خزّانها».

* ويوجب قيام الليل أيضًا نعيم الجنة ممّا لم يطّلع عليه العباد في الدنيا. وفي «الصحيح» عن رسول اللَّه ﷺ: «**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**»، ثم قرأ هذه الآية: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ. إلى قوله: بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.

* ولقد مرّ قول ابن عباس: الأمر في هذا أجل وأعظم من أن يعرف تفسيرة، فليراجع.

* قال ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ:

«تأمّل كيف قابل ما أخفوه من قيام الليل بالجزاء الذي أخفاه لهم مما لا تعلمه نفس، وكيف قابل قلقهم وخوفهم واضطرابهم على مضاجعهم، حين يقوموا إلى صلاة الليل بقرة الأعين في الجنة»[1].

---

(١) «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» لابن القيم الباب الرابع والستون ص(٢٧٠) طبعة المدني.

فإن نال المتهجدون أعالي الجنان والجنة هي الجنة حسنًا وجمالاً «ولقاب قوس أحدكم في الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب»(١) - بصبر على الليل وقيامه، فما أهون ما بذلوا في عظيم ما نالوا.

* وقيام الليل من مكفرات الذنوب تحط به الخطايا كما مرّ بك في حديث معاذ: «وصلاة الرجل في جوف الليل...» الحديث.

المتهجدون والحور العين:

* ولما كان الجزاء من جنس العمل، فمما يجزي به اللَّه المتهجدين في الليل كثرة الأزواج من الحور العين في الجنة، فإن المتهجد قد ترك لذة النوم بالليل، ولذة التمتع بالأزواج، ترك لحافه وفراشه طلبًا لما عند اللَّه عز وجل، فعوّضه اللَّه خيرًا مما تركه، وكان الجزاء الحور العين، ويا نعم الجزاء. يقول ﷺ: «ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملأت ما بينهما ريحًا، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها»، إذا كان النصيف خير من الدنيا وما فيها فما بالك بربة النصيف وصاحبة الخمار؟!

يا خاطب الحور الحسان وطالبًا ... لوصالهن بجنة الحيوان
لو كنت تدري من خطبت ومن طلبت ... جعلت السعي منك لها على الأجفان(٢)
أو كنت تدري أين مسكنها ... بذلت ما تحوي من الأزمان

ويقول:

فصم يومك الأدنى لعلك في غد ... تفوز بعيد الفطر والناس صوم

---

(١) جزء من حديث أبي هريرة وهو متفق عليه.

(٢) « شرح القصيدة النونية » للهراس.

كان بعض السلف يحيي الليل صلاة فتكاسل عن ذلك فأتاه آت في منامه فقال له: قد كنت يا فلان تدأب في الخطبة فما الذي قصر بك عن ذلك؟ قال: وما ذلك؟ قال: كنت تقوم من الليل، أو ما علمت أن المتهجد إذا قام إلى التهجد قالت الملائكة: قد قام الخاطب إلى خطيبته[1].

* فاخطب الحوراء من سيدها ومولاها وقدّم مهرها وهو طول التهجد ما دمت ذا إمكان:

أتلهو بالكرى عن طيب عيش ... الخيرات في غرف الجنان
تعيش مخلداً لا موت فيه ... وتنعم في الجنان مع الحسان
تيقظ من منامك إن خيراً ... من النوم التهجد بالقرآن

ويقول الشاعر:

تيقظ لساعات من الليل يا فتى ... لعلك تحظى في الجنان بحورها
فتنعم في دار يدوم نعيمها ... محمد فيها والخليل يزورها
فقم فتيقظ ساعة بعد ساعة ... عساك توفي ما بقى من مهورها

* أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال: «إن في الجنة حوراء يقال لها العيناءُ إذا مشت مشي حولها سبعون ألف وصيف عن يمينها وعن يسارها كذلك، وهي تقول: أين الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر».

* وقال عطاء السلمي لمالك بن دينار: يا أبا يحيى شوّقنا - قال:

(١) «اختيار الأولى شرح حديث اختصام الملأ الأعلى» لابن رجب.

يا عطاء: إن في الجنة حوراء يتباهى أهل الجنة بحسنها، لولا أن اللَّه تعالى كتب على أهل الجنة ألا يموتوا لماتوا من حسنها. فلم يزل عطاء كمدًا من قول مالك.

* عن يزيد الرقاشي قال: بلغني أن نورًا سطع في الجنة لم يبق موضع في الجنة إلا دخل من ذلك النور فيه، فقيل ما هذا؟ قال: حوراء ضحكت في وجه زوجها، قال صالح المري: فشهق رجل من ناحية المسجد فلم يزل يشهق حتى مات.

ولقد رُوِّينا أن برقًا ساطعًا يبدو فيسأل عنه مَنْ بجنان
فيقال: هذا ضوء ثغر ضاحك في الجنة العليا كما تريان

* وعن كُثير بن مُرَّة: إن من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول: ماذا تريدون أن أمطركم، فلا يتمنون شيئًا إلا أُمطروا ـ قال: يقول كثير: لئن أشهدني اللَّه ذلك لأقولنّ أمطرينا جواري مزينات.

يا للَّه من سحاب يتكلم ويمطر حورًا عينًا، أفق إن كان بك شوق إلى العيناء، أما تسمع دعاء الحور وهن في لهف وشوق تدعو الواحدة منهن لك قبل وصولك إليها وأنت بعد في دار الدنيا: «اللَّهم أعنه على دينك، وأقبل بقلبه على طاعتك، وبَلِّغه بعزتك يا أرحم الراحمين» أما يرن في سمعك هذا؟!.

* قال أبو سليمان الداراني لأحمد بن أبي الحواري:

«بينما أنا ساجد إذ ذهب بي النوم فإذا أنا بالحوراء، قد ركضتني برجلها فقالت: يا حبيبي أترقد عيناك والمَلك يقظان ينظر إلى المتهجدين في تهجدهم؟ بؤسًا لعين آثرت لذة نوم على مناجاة العزيز، قم فقد دنا

فراغ، ولقي المحبون بعضهم بعضًا. فما هذا الرقاد؟ حبيبي وقرة عيني، أترقد عيناك وأنا أربى لك في الخدور منذ كذا وكذا؟ فوثبت فزعًا وقد عرقت استحياء من توبيخها إياي، وإن حلاوة منطقها لفي سمعي وقلبي». ا. هـ[1].

أتطلب مثلي وعنّي تنـــام ؟ ونوم المحبين عنّا حـــرام
لأنـــا خلقنـــا لكل امــرئٍ كثيـــر الصلاة بـــراه القيـــام

* وها هو عبد الواحد بن زيد: ينام عن ورده فإذا هو بجارية لم ير أحسن منها وجهًا عليها ثياب حرير خضر.

وهي تقول: يا ابن زيد جدّ في طلبي، فإني في طلبك، ثم جعلت تقول:

من يشـــتريني ومن يكن سكني يـــأمن في ربحــــه من الغبن

فقلت: يا جارية ما ثمنك؟ فأنشأت تقول:

تودَدُ للّه مـــع محبتـــــه وطـــول فكر يشـــاب بالحزن

فقلت: لمن أنت يا جارية؟ فقالت:

لمالك لا يردُّ لي ثمنـــًا من خاطب قـــد أتـــاه بالثمن[2]

ويوم القيامة إذا جمع اللَّه الأولين والآخرين سيعلم الجمع مَنْ أولى بالكرم؟ ومن أحق بالحور الخيرات الحسان؟

---

(١) «صفة الصفوة» (ج٤ ص٢٢٥).
(٢) «صفة الصفوة» (ج٣ ص٣٢٤).

لو اطلعت على الدنيا لملأت ما بين الأرض والسماء ريحًا، ولتزخرف لها ما بين الخافقين، ولو تكلمت لأنطقت أهل الأرض ثناء وتسبيحًا فكيف تغفل عنها، مَثِّلْ بفكرك أين تعيش؟ وما تكون وما تشرب؟ ومَنْ هُنَّ؟.

برانـا إله الناس رب محمـد لقـوم على الأقـدام بالليل قـوّم
يناجـون رب العالمين إلههـم فتسري همـوم القوم والناس نُوّم

وما أكثر حديث الحور منامًا للمتهجدين.

فيا أسير شهوات الدنيا، ويا صاحب الطرف المُعذَّب الذي ينطلق وراء كل غانية وتحتها الداء العضال.

دع المصوغـات من مـاء وطين واشغل هـواك بحـور عين

يمم وجهك يا صاح مثلما يمم المتهجدون، إلى خيام تبدو فيها عرائس الجنـان يبتسمن لك.

* قيام الليل يا أخي يورث أعالي الدرجات كما جاء في حديث اختصام الملأ الأعلى: «**وما الدرجات؟ إطعام الطعام، وطيب الكلام وأن تقوم وبالليل والناس نيام**»، وقال تعالى: ﴿**وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا**﴾.

* وقيام الليل يورث سكنى غرف يُرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها كما في الحديث الذي مرّ سابقًا، قال ابن قيم الجوزية:

غرفاتهـا في الجـو ينظر بطنها من ظهـرهـا والظهر من بطنـان
سكانها أهل القيام مع الصيام وطيب الكلمات والإحسـان

ثنتان خالص حقه سبحانه وعبيده أيضًا لهم ثنتان[1]

فاعمل لخيام في الجنة رآها أحد سلفنا في منامه فقيل له: هذه خيام المتهجدين بالقرآن.

وخيامها منصوبة برياضها وشواطئ النهار ذي الجريان
للَّه هاتيك الخيام فكم بها للقلب من علق ومن أشجان

وفوق هذا كله رضوان من اللَّه أكبر... رؤية الأوجه الساهرة الوجوه الناضرة لربها ومولاها في الآخرة ونعيم أعلى وأجَلّ من هذا ـ رؤية وجه اللَّه تبارك وتعالى.

[وهذا أشرف الأبواب وأجلها قدرًا وأعلاها خطرًا وأقرها لعيون أهل السنة والجماعة، وأشدها على أهل البدعة والضلالة، وهي الغاية التي شمر إليها المشمرون وتنافس فيها المتنافسون وتسابق إليها المتسابقون، ولمثلها فليعمل العاملون، إذا ناله أهل الجنة نسوا ما هم فيه من النعيم، وحرمانه والحجاب عنه لأهل الجحيم أشد عليهم من عذاب الجحيم، اتفق عليها الأنبياء والمرسلون وجميع الصحابة والتابعون، وأئمة الإسلام على تتابع القرون، أنكرها أهل البدع المارقون، والجهمية المتهوكون، والفرعونية المعطلون، والباطنية الذين هم من جميع الإسلام منسلخون، والرافضة الذين هم بحبائل الشيطان متمسكون، ومن حبل اللَّه منقطعون، وعلى مسبة أصحاب رسول اللَّه عاكفون. وللسنة وأهلها

(١) «شرح النونية» لابن القيم ص(٣٣٢، ٣٣٣) شرح الهراس مطبعة الفاروق الحديثة للطباعة والنشر.

محاربون، وكل هؤلاء عن ربهم محجوبون وعن بابه مطرودون][(١)]

قال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ﴾، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[يونس: ٢٥، ٢٦].

وقال تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[ق: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾. ناضرة من البهاء والحسن ومن قيام الليل والسهر في الدنيا، من النعيم إلى ربها ناظرة.

* فعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة ـ رضي اللَّه عنهما ـ أن أناسًا قالوا: يا رسول اللَّه هل نرى ربنا يوم القيامة؟، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟**»، قالوا: لا يا رسول اللَّه، قال: «**هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟**»، قالوا: لا، قال: «**فإنكم ترونه كذلك...**» الحديث[(٢)].

* وعن جرير بن عبد اللَّه قال: كنا جلوسًا مع النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال: «**إنكم سترون ربكم عيانًا كما ترون هذا، لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل**

---

(١) «حادي الأرواح» ص(٢٨٥).

(٢) رواه الشيخان.

الغروب فافعلوا»، ثم قرأ قوله: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴾»(١)

قال عمر: ألا تسمع ابن أم عبد يا كعب عن أدنى أهل الجنة منزلاً فكيف أعلاها؟ قال كعب: يا أمير المؤمنين: فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت إن اللَّه عز وجل جعل دارًا فيها ما شاء من الأزواج والثمرات والأشربة، ثم أطبقها فلم يرها أحد من خلقه لا جبريل ولا غيره من الملائكة، ثم قرأ كعب: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ قال: وخلق دون ذلك جنتين وزينهما بما شاء وأراهما من شاء من خلقه، ثم قال: منْ كان كتابه في عليين نزل تلك الدار التي لم يرها أحد حتى إن الرجل من أهل عليين ليخرج فيسير في ملكه فلا تبقى خيمة من خيام الجنة إلا دخلها من ضوء وجهه، فيستبشرون بريحه فيقولون: واهًا لهذا الريح، هذا رجل من أهل عليين قد خرج يسير في ملكه. . . »(٢).

* ومن قول عمر بن عبد العزيز: «بتقوى اللَّه نجا أولياء اللَّه مِنْ سخطه، وبها رافقوا أنبياءه، وبها نضرت وجوههم، ونظروا إلى خالقهم».

* وقال الحسن: لو علم العابدون في الدنيا أنهم لا يرون ربهم في الجنة لذابت أنفسهم في الدنيا.

---

(١) رواه الشيخان.

(٢) «حادي الأرواح» ص(٣٠٧، ٣٠٨) قال ابن القيم: حسن رواه المصنفون في السنة كعبد اللَّه بن أحمد والطبراني والدارقطني في «كتاب الرؤية».

* وقال الأعمش وسعيد بن جبير: إن أشرف أهل الجنة لمن ينظر إلى اللَّه تبارك وتعالى.

* وقال كعب: ما نظر اللَّه سبحانه إلى الجنة قط إلا قال: طيبي لأهلها فزادت ضعفًا على ما كانت حتى يأتيها أهلها، وما من يوم كان لهم عيد في الدنيا إلا ويخرجون في مقداره في رياض الجنة فيبرز لهم الرب تبارك وتعالى فينظرون إليه، وتسفي عليهم الريح المسك، ولا يسألون الرب تعالى شيئًا إلا أعطاهم حتى يرجعوا، وقد ازدادوا على ما كانوا من الحسن والجمال سبعين ضعفًا، ثم يرجعوا إلى أزواجهم وقد ازددن مثل ذلك.

* وقال هشام بن حسان: إن اللَّه سبحانه وتعالى يتجلى لأهل الجنة، فإذا رآه أهل الجنة نسوا نعيم الجنة.

* وفي قوله عن الجهمية قال عبد العزيز بن أبى سلمة الماجشون «لم يزل يملي لهم الشيطان حتى جحدوا قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ فقالوا لا يراه أحد يوم القيامة فجحدوا، واللَّه أفضل كرامة اللَّه التي أكرم بها أولياءه يوم القيامة من النظر إلى وجهه ونضرته إياهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر. فورب السماء والأرض ليجعلن رؤيته يوم القيامة للمخلصين له ثوابًا لينضر بها وجوههم دون المجرمين، وتفلح بها حجتهم على الجاحدين وهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون، لا يرونه كما زعموا أنه لا يرى، ولا يكلمهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم».

* وقال الأوزاعي: إني لأرجو أن يحجب اللَّه عز وجل جهمًا

وأصحابه عن أفضل ثوابه الذي وعده اللَّه أولياءه حين يقول: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ فجحد جهم وأصحابه أفضل ثوابه الذي وعده اللَّه أولياءه.

* وقال ابن حنبل: «ينظر إليهم وينظرون إليه ويكلمهم ويكلمونه كيف شاءوا إذا شاءوا». أعلى النعيم نعيم رؤية وجهه.. يعطيه لأهل الجنة ولأعلى أهل الجنة منزلة وأهل عليين من المتهجدين الركع السجود[1].

* * *

(١) سنفرد للجنة كتابًا اسمه «شذا الريحان في ذكر جنة الرحمن» إن شاء اللّه ومدّ في العمر.

فوائـــــد

الفائدة الأولى:

قال عبد اللَّه بن مسعود: «فضل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل صدقة السر على صدقة العلانية».

قال الحافظ ابن رجب في «لطائف المعارف»:

«قال عمرو بن العاص: ركعة بالليل خير من عشر بالنهار»، وإنما فضلت صلاة الليل على صلاة النهار:

* لأنها أبلغ في الإسرار وأقرب إلى الإخلاص. وكان السلف يجتهدون على إخفاء تهجدهم. قال الحسن: كان الرجل يكون عنده زوّاره فيقوم من الليل يصلي لا يعلم به زوّاره، وكانوا يجتهدون في الدعاء ولا يسمع لهم صوت، وكان الرجل ينام مع امرأته على وسادة فيبكي طول ليلته وهي لا تشعر، وكان محمد بن واسع يصلي في طريق الحج طول ليله ويأمر حاديه أن يرفع صوته ليشغل الناس عنه.

* ولأن صلاة الليل أشق على النفوس؛ فإن الليل محل النوم والراحة من التعب بالنهار، فترك النوم مع ميل النفس إليه مجاهدة عظيمة، قال عمر: أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس.

* ولأن القراءة في صلاة الليل أقرب إلى التدبر فإنه تنقطع الشواغل بالليل ويحضر القلب، ويتواطأ هو واللسان على الفهم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ الَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ ولهذا المعنى أمر بترتيل القرآن في قيام الليل ترتيلاً، ولهذا كانت صلاة الليل تنهاه عن الإثم. أما

تسمع عن رجل يقوم الليل ويسرق فيقول الرسول ﷺ : «**سينهاه ما تقول**».

* * ولأن وقت التهجد من الليل أفضل أوقات التطوع بالصلاة، وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو وقت فتح أبواب السماء، واستجابة الدعاء، واستعراض حوائج المسلمين، ووقت التنزل الإلهي.

الفائدة الثانية:

قالت عائشة لرجل: لا تدع قيام الليل فإن رسول اللَّه ﷺ كان لا يدعه، وكان إذا مرض ـ أو قالت: كسل ـ صلى قاعدًا. وفي رواية أخرى: بلغني عن قوم يقولون: إنْ أدينا الفرائض لم نبال أن لا نزداد، ولعمري لا يسألهم اللَّه إلا عما افترض عليهم، ولكنهم قوم يخطئون بالليل والنهار، وما أنتم إلا من نبيكم، وما نبيكم إلا منكم، واللَّه ما ترك رسول اللَّه ﷺ قيام الليل ونزعت كل آية فيها قيام الليل.

فأشارت عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ إلى أن قيام الليل فيه فائدتان عظيمتان:

(أ) الاقتداء بسنة رسول اللَّه ﷺ والتأسي به، وقد قال اللَّه عز وجل: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾.

(ب) وتكفير الذنوب والخطايا فإن بني آدم يخطئون بالليل والنهار فيحتاجون إلى الاستكثار من مكفرات الخطايا، وقيام الليل من أعظم المكفّرات.

فائدة في أسرار الأوقات:

قال الشيخ شاه ولي اللَّه الدهلوي في كتابه «حجة اللَّه البالغة»:

(أ) «من ضروريات الدين أن هناك أوقاتًا يحدث فيها شيء من انتشار الروحانيات في الأرض وسريان قوة مثالية فيها، وليس وقت أقرب لقبول الطاعة واستجابة الدعوات من تلك الأوقات، ففي أدنى سعي حينئذ ينفتح باب عظيم من انقياد البهيمية للملكية». ثم ضرب مثالاً لهذا بالوقت من نصف الليل إلى السحر، ثم قال: «ففي تلك الأوقات وقبلها بقليل وبعدها بقليل تنتشر الروحانية وتظهر البركة، وليست البركة، وليست في الأرض ملة إلا وهي تعلم أن هذه الأوقات أقرب شيء من قبول الطاعات، ولم يفرض الله عليهم الصلاة في نصف الليل لما في ذلك من الحرج، والنصوص في فضل هذا الوقت كثيرة، وقد شاهدت منه أمرًا عظيمًا.

(ب) والأصل الثاني: أن وقت التوجه إلى الله هو وقت كون الإنسان خاليًا عن التشويشات الطبيعية كالجوع المفرط، والشبع المفرط، وغلبة النعاس وظهور الكلال، والخيالية: كامتلاء السمع بالأراجيف واللغط، والبصر بالصور المختلفة والألوان المشوشة، ونحو ذلك من أنواع التشويشات، وذلك مختلف باختلاف العادات، لكن الذي يشبه أن يكون كالمذهب الطبيعي لعربهم وعجمهم ومشارقتهم ومغاربتهم، والذي يليق أن يتخذ دستورًا في النواميس الكلية والذي يعد مخالفة كالشيء النادر هو الغدوة والدلجة. والإنسان يحتاج إلى مصقلة تزيل عنه الرين بعد تمكنه من نفسه، وذلك إذا أوى إلى فراشه ومال للنوم، ولذلك نهى النبي ﷺ عن السمر بعد العشاء.

وسياسة الأمة لا تتم إلا بأن يؤمر بتعهد النفس بعد كل برهة من الزمان حتى يكون انتظاره للصلاة واستعداده لها من قبل أن يفعلها،

وبقية لونها وصبابة نورها بعد أن يفعلها في حكم الصلاة فيتحقق استيعاب أكثر الأوقات إن لم يكن استيعاب كلها. وقد جربنا أن النائم على عزيمة قيام الليل لا يتغلغل في النوم البهيمي، وأن المتوزع خاطره على ارتفاق دنيوي مر وعلى محافظة وقت صلاة أوْ وِردْ أن لا يفوته، لا يتجرد للبهيمية، وهذا سر قوله ﷺ: «من تعارّ من الليل» الحديث، وقوله تعالى: ﴿ رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾.

(جـ) والأصل الثالث: أن وقت أداء الطاعة هو الوقت الذي يكون مذكرًا لنعمة من نعم اللَّه تعالى كرمضان الذي أنزل فيه القرآن.

وقيام الليل يذكر بالجنة حيث يقال لها تزيني في هذا الوقت، ونعمة النزول الإلهي، أو أن تكون جرت سنة الصالحين المشهود لهم بالخير على ألسن الأمم أن يطيعوا اللَّه فيه مثل قيام وصلاة داود عليه السلام.

والأصلان الأولان أصل الأصل، والأصل الثالث يكون معتبرًا في أكثر الأوقات واللَّه أعلم[1] ا. هـ.

وقال أيضًا ـ رحمه اللَّه ـ: «اعلم أنه لما كان آخر الليل ـ وقت صفاء الخاطر عن الأشغال المشوشة، وجمع القلب، وهدوء الصوت، ونوم الناس، وأبعد من الرياء والسمعة، وأفضل أوقات الطاعة ما كان فيه الفراغ وإقبال الخاطر، وأيضًا فذلك الوقت وقت النزول الإلهي وقد ذكرناه من قبل ـ وأيضًا فللسهر خاصية عجيبة في إضعاف البهيمية وهو بمنزلة الترياق ولذلك جرت عادة طوائف الناس أنهم إذا أرادوا تسخير

(١) «حجة اللَّه البالغة» لشاه ولي اللَّه الدهلوي (ج١ ص٩٨ ـ ١٠٠) طبعة دار التراث.

السباع وتعليمها الصيد لم يستطيعوه إلا من قبل السهر والجوع، ولذا كانت العناية بصلاة التهجد أكثر، فبيّن النبي ﷺ فضائلها وضبط آدابها وأذكارها»](١) ا. هـ.

فوائد أنفس من الذهب للطحان:

قال الشيخ عبد الرحيم الطحان في تسجيلاته الثلاث عن قيام الليل ما مختصره:

اعلم أن شعار الصالحين في كل حين قيام الليل، والذي يدفع للكلام عنه أمران عظيمان جليلان:

الأمر الأول: إني تأملت حال الأمة الإسلامية فرأيت حالتهم تقطع الأكباد وتدمي القلوب، وإذا أراد إنسان أن يفكر في إصلاح الأمة فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها. فرأيت أن الهداية في أول هذا الأمر كانت في إصلاح القلوب وربطها بعلاّم الغيوب عن طريق قيام الليل وغيره.

ومن العجيب الغريب الذي يلفت أذهان العقلاء أن اللَّه افترض قيام الليل قبل أن تنزل الفرائض وقبل أن تشرع الحدود، بل قبل أن تفرض الصلوات الخمس، وهذا الأمر عظيم لأن الإنسان إذا خلا بربه جل وعلا، واتصل قلبه باللَّه في جنح الليل طهر القلب ونزلت عليه الفوائد: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ وإذا طهر القلب فإن القلب في حالة استعداد لتلقي كل أمر طاهر بعد ذلك، وإذا

(١) «حجة اللَّه البالغة» (ج٢ ص١٦).

كان القلب فيه فساد فلن يتقبل الأوامر الطاهرة إذا وجهت إليه ولذلك عندما رُبي الرعيل الأول على هذا المعنى خرجت نماذج من جيل فريد ما عرفت له البشرية نظيرًا، فقد ثبت في مستدرك الحاكم بسند صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبي عن ابن عمر: «عشنا برهة من الدهر وإن أحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن وكانت السورة تنزل على النبي ﷺ فنتعلم حلالها وحرامها وما ينبغي أن يوقف عندها، ثم رأيت أناسًا يتلقى أحدهم القرآن قبل الإيمان، يقرأ القرآن من أوله لآخره لا يسقط منه حرفًا ولا يدري ما أمره ولا زجره ولا ما ينبغي أن يوقف عنده».

ولذلك قال أئمتنا الكرام: «من رحمة اللَّه بالحدث وبالشاب أن يوفق في بدايته لرجل من أهل السنة ليربط قلبه باللَّه جلّ وعلا وليعرفه الطريق المستقيم ثم بعد ذلك يقبل على العلوم ويأخذ منها وينهل» لا بد من هذا. في «سنن ابن ماجه» بسند صحيح عن جندب بن عبد اللَّه قال: «كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حزاير[1] فتعلمنا الإيمان قبل القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيمانًا».

وتعلم الإيمان يكون عن طريق الخلو مع الرحمن جل وعلا في جوف الظلام هذا هو الأمر الأول أن القلب إذا طهر واتصل باللَّه جل وعلا تطهر سائر الجوارح، وقد ربىّ اللَّه جلّ وعلا هذه الأمة على هذا المعنى، ففي «صحيح البخاري» عن أم المؤمنين عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ: «أول ما أنزل من القرآن سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل من أول الأمر: لا تزنوا لقالوا: لا ندع الزنا أبدًا، ولو نزل من أول الأمر: لا

(١) جمع حُزَيّر، وهو الشاب الممتلئ نشاطًا وقوة وجلدًا.

تشربوا الخمر لقالوا: لا نترك الخمر أبدًا، أنزل على النبي ﷺ وأنا جارية ألعب: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ وهي من سورة القمر، وما نزلت البقرة والنساء إلا وأنا عنده في المدينة».

لو تفكر الإنسان في شرع الرحمن، حُرِّم الخمر في العام الثاني من الهجرة بعد البعثة خمسة عشر سنة، وحُرّم الغناء في مكة عند بعثته... سبحان اللَّه العظيم.

فرض اللَّه الحجاب في العام السادس للهجرة بعد تسع عشرة سنة من بعثة النبي ﷺ... لماذا كان يركز على القلب؛ لأن الظاهر يُغَيَّر بعد هذا بإشارة فلا بد من تطهير القلب وربطه بالرب، ثم عرّج على حديث أبي الدرداء الذي رواه أحمد، والترمذي، والحاكم، وابن ماجه، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم، فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟! ذكر اللَّه»**. ثم يذكر أن هذا كان له مشكل في الفهم كيف والجهاد ذروة سنام الإسلام ثم فكّ اللَّه له ما صعب عليه. فيقول: المجاهد إذا لم يكن ذاكرًا سيولي الأدبار وسيفرّ، والمتصدق والمزكي إذا لم يكن ذاكرًا للَّه، فلن يزكو عمله، وبصلاح القلوب بالذكر تكون الأعمال زكية.

* ولقد قال رسول اللَّه ﷺ فيما يرويه عنه ابن عباس في «الصحيح» عند الترمذي، وأبي داود، وأحمد، والحاكم: **«خير الصحابة أربعة وخير السرايا أربعمائة وخير الجيوش أربعة آلاف ولن يهزم اثنا عشر ألفًا من**

قلة»[١]، فمعنى هذا أن هزيمتهم إن بلغوا هذا العدد لا تكون من قلتهم ولكن من قلوبهم. . . فانظر كم بلغ المسلمون وتعدادهم؟:

والنــاس ألف منهــم كواحــد وواحــد كالألـف إن أمــر عنــا

فهذا طريق بناء الأمة وتربية الفرد «واحد بألف، وألف بخُفٍّ».

* الأمر الثاني أن أمة نبينا ﷺ كالذهب تظهر معادن الرجال فيها حين يزال ما عليها من الشوائب وحين تشوق ويحفز الرجل منها للصالحات فهنا يظهر معدن رجالها وترى الرجل يتفاعل معك وكأنه قد أنزل عليه القرآن في الحال وصدق رسولنا ﷺ حين يقول: **«لا يزال اللَّه يغرس في هذا الدين غرسًا يستعملهم فيه بطاعة اللَّه إلى يوم القيامة»**[٢]. وهنا تبدو قيمة قيام الليل.

* ويقول ـ حفظه اللَّه ـ: ويقرر اللَّه قيمة قيام الليل في سبع آيات مكية وثلاث آيات مدنية.

* ويقول عن ساعة التنزل الإلهي: هل يليق بنا أن نكون في حكم الجيف في تلك الساعة المباركة؟ سبحان اللَّه كيف فرّطنا في خيرات عظيمة؟!.

* ويقول فيمن يضحك اللَّه إليهم، اثنان منهم أعطيا المجهود في نفسيهما تهجدًا.

روى أحمد، وأبو يعلى بسند رجاله ثقات عن النبي ﷺ: **«إذا**

---

(١) صححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٢٧٣).

(٢) حسن: رواه ابن ماجه، وأحمد، عن أبي عنبة الخولاني، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٥٦٩).

ضحك اللّه من العبد فلا حساب عليه».

* ثم يتكلم ـ رحمه اللَّه وحفظه ـ عن الصالحين ولذتهم وسرورهم بالتهجد، وأن الليل ينقضي وما يشبعون نهمهم منه فيقول: «سَنَةُ الوصال سِنَة، كما أن سِنَةَ الهجر والجفاء سَنَة».

* ويقول: أحيوا قيام الليل فيكم وفي أهليكم وفي جيرانكم فواللَّه ما تحفظ الأمة في هذا الوقت إلا بواسطة ثلة قليلة من المتهجدين للَّه في الليل، ولولا أهل الطاعة لهلك أهل المعصية، ثم يعلل لم كل هذا الاهتمام بالليل؟.

فيقول: لخمسة أمور:

الأول: إن الإنسان عندما يقوم الليل يكون هذا أخلص لربه جل وعلا؛ لأنه يكون في وقت سر لا يطلع عليه أحد. فعند الطبراني في «الكبير»، و«الزهد» لابن المبارك بسند حسن عن ابن مسعود: «فضل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل صدقة السر على صدقة العلانية» وصدقة السر تفضل بسبعين ضعفًا على صدقة العلانية وهكذا صلاة الليل.

الثاني: أنه أشق على النفس ولذلك يكون الأجر أكثر.

الثالث: مع خلو البال من مشاغل الحياة وسكون الليل والفراغ من الدنيا والكد فيها يكون القلب أكثر مواطأة وموافقة للسان في الذكر.

الرابع: أن الليل موطن لتنزل الرحمات ولنزول رب الأرض والسموات فعظمت العبادة فيه وكان لها ذلك الأثر الكبير.

الخامس: أن قيام الليل عبادة جامعة لطهارة القلب، وما يقوم الليل منافق.

* ثم يعرج ـ حفظه اللَّه ـ على أسباب خمسة تعين على القيام:

أولاً: أكل الحلال والابتعاد عن الحرام:

قال سهل التستري: «من أكل الحلال أطاع اللَّه شاء أم أَبَى، ومَنْ أكل الحرام عصى اللَّه شاء أم أبى».

الثاني: ترك المعاصي. ويقول: إن اللئيم عن المكارم يُشغَل.

الثالث: ترك الفضول فإن الفضول يقود إلى المرزول.

الرابع: القيلولة.

وآخرها: تذكر الموت عند النوم.

* ويعدد فوائد القيام الخمس:

أولها: أن الإنسان إذا قام متهجدًا للَّه جل وعلا يسهل عليه القيام يوم يقوم الناس لرب العالمين، فمن استراح وقضى أيامه في البطالة يتعب هناك، والجزاء من جنس العمل. ومن تعب هنا، وفي هذا التعب راحته وبهجته ولذته يستريح هناك.

ثانيها: أن من يكثر القيام في الليل إذا كان من الرجال يعوضه اللَّه يوم القيامة كثرة الأزواج من الحور العين فالجزاء من جنس العمل.

ثالثها: صحة الجسم، وأن الرجل إذا قام من الليل كسى اللَّه وجهه بهاء ونورًا ونضرة.

رابعها: أن الفتوحات والتوفيق وإرشاد الناس لخير الأمور هذا يكون

إذا كان الإنسان قائمًا بحقوق مولاه فيهديه اللَّه لسبل الخير من حيث لا يدري وترد الفوائد والتحف واللطائف والاستنباطات في ظلم الليل، وإذا خفي على الإنسان شيء إذا قام في ظلال الليل يفتح اللَّه عليه ويدركه.

وخامسها وأجلها وأعظمها: رؤية وجه اللَّه فلو علم العابدون أنهم لن يروا ربهم يوم القيامة لذابوا كما يقول الحسن. انتهى كلام الشيخ الطحان بتصرف. ا. هـ

* **فائدة**: الصلاة أفضل من الصوم ؛ لأن الصوم من التروك كما قاله ابن حجر العسقلاني.

* * *



مَا يُعين علَى التهَجُّدِ

مَا يُعينُ على التَّهَجُّدِ

اعلم رحمنا اللَّه وإياك أن قيام الليل عسير على الخلق إلاّ على من سبقت له من ربه الحسنى، ومَنْ وُفِّق للقيام بشروطه الميسرة له ظاهرًا وباطنًا.

الأسباب الظاهرة:

*** الأول: قلة الطعام وعدم الإكثار منه:**

فقلة الطعام سحاب، وإذا قلّ الأكل مطر القلب الحكمة، فالواجب على الناصح لنفسه ألا يكثر الأكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم، ويثقل عليه القيام، أمَا تُبصر حديث رسول اللَّه ﷺ الذي رواه أبو جحيفة: «**أقصر من جُشائك، فإن أكثر الناس شبعًا في الدنيا أكثرهم جوعًا في الآخرة**»(١).

ويذم قومًا كثر أكلهم حتى ظهر فيهم السمن ؛ لأنهم أكلوا تلذذًا فيقول ﷺ : «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يأتي من بعدهم قوم يتسمَّنون، ويحبون السِّمَن، يعطون الشهادة قبل أن يسألوها**»(٢)، بل إن رسول اللَّه ﷺ يغمز من يحبون السمانة فقال ﷺ : «خير

---

(١) حسن: أخرجه الحاكم في «المستدرك» ، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١١٩٠) ، و«الصحيحة» رقم (٣٤٢) ، وذكره نحوه ابن المبارك في «الزهد» عن أيوب بن عثمان ، وأخرجه ابن ماجه ، عن ابن عمر مرفوعًا.

(٢) صحيح: أخرجه الحاكم في «المستدرك» والترمذي وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٢٩٠) و«الصحيحة» رقم (٦٩٩) عن عمر بن هين.

أمتي القرن الذي بعثت فيه، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يخلف قوم يحبون السّمانة، يشهدون قبل أن يستشهدوا»[١].

ويقول ﷺ: «ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»[٢].

* قالت أم سليمان بن داود لابنها سليمان: «يا بني لا تكثر النوم فيفقرك يوم يحتاج الناس إلى أعمالهم»[٣].

* ورأى معقل بن حبيب قومًا يأكلون كثيرًا فقال: ما نرى أصحابنا يريدون يصلون الليلة.

* وقال عون بن عبد اللَّه: «كان قيِّم لبني إسرائيل يقوم عليهم إذا أفطروا فيقول: لا تأكلوا كثيرًا، فإن أكلتم كثيرًا نمتم كثيرًا، وإن نمتم كثيرًا صليتم قليلاً»[٤].

* وقال وهب بن منبه: «ليس من بني آدم أحب إلى شيطانه من الأكول النوّام»[٥].

* وقال عبد الواحد بن زيد: «من قوي على بطنه قوي على دينه، ومن قوي على بطنه قوي على الأخلاق الصالحة، ومن لم يعرف مضرته

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة.
(٢) صحيح: أخرجه أحمد في «مسنده» والترمذي وابن ماجه، والحاكم في «المستدرك» وابن المبارك، وابن سعد وابن عساكر عن المقدام بن معديكرب وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٥٥٠).
(٣، ٤) «مختصر قيام الليل» ص(٢٤).
(٥) «الزهد» لابن حنبل ص(٣٧٣).

في دينه من قِبَلِ بطنه فذاك رجل في العابدين أعمى»[١].

ولَمّا ادعيت الحب قالت كذبتني فما لي أرى الأعضاء منك كواسيا
فما الحب حتى يلصق القلب بالحشا وتذبل حتى ما تجيب المناديا

وقال مسعر بن كدام:

وجدتُ الجوع يطرده رغيف وملء الكف من ماء الفرات
وقل الطعم عون للمصلي وكثر الطعم عون للسبات[٢]

وقال مكحول: أفضل العبادة بعد الفرائض الجوع والظمأ.

وقال بكر بن خنيس: «كان يقال الجائع الظمآن أفهم للموعظة، وقلبه إلى الرقة أسرع، وكان يقال كثرة الطعام تدفع كثيرًا من الخير»[٣].

وليس الجوع هنا هو الجوع المنهي عنه في السنة إنما هو قلة الأكل.

وقال بهلول:

تجوع فإن الجوع من علم التقى وإن طويل الجوع يومًا سيشبع[٤]

ويقول آخر:

أفلح الزاهدون والعابدونا إذ لمولاهمُ أجاعوا البطونا[٥]

وقد يحتج من يلتمس الحيل بأن سفيان الثوري أكل حتى شبع وأنه ـ رحمه اللَّه ـ كان كثير الأكل، فاسمع معي ـ رحمك اللَّه ـ إلى الشيخ

(١) «الحلية» (ج٦ ص١٥٧).
(٢) «الحلية» (ج٧ ص٢١٩).
(٣) «الحلية» (ج٥ ص١٨١).
(٤) «صفة الصفوة» (٢/ ٢٩١).
(٥) «صفة الصفوة» (٤/ ٣٥).

عبد القادر الجيلاني إذ يقول في «الفتح الرباني»: «لا تقتد بسفيان في كثرة الأكل، واقتد به في كثرة عبادته، فلست سفيان، لا تشبع نفسك كما كان يشبعها، فلست تملكها كما كان هو يملك نفسه»[١].

* وها هو ذا سفيان يقول لك: «عليكم بقلة الأكل تملكوا قيام الليل»[٢].

* * **الثاني: الاقتصاد في الكد نهاراً:**

فلا يتعب نفسه بالنهار في الأعمال التي تعيا بها الجوارح، وتضعف بها الأعصاب، فإن ذلك مجلبة للنوم، وعليه بالقصد في هذه الأعمال، وأن يتجنب فضول الكلام، وفضول المخالطة التي تشتت القلب.

* * **الثالث: الاستعانة بالقيلولة نهاراً فإنها سنة:**

عن أنس ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«قيلوا فإن الشياطين لا تقيل»**[٣].

* وعن مجاهد: بلغ عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ أن عاملاً له لا يقيل فكتب إليه: أما بعد فَقِلْ فإن الشيطان لا يقيل.

* وعن خوّات بن جبير قال: نوم أول النهار حمق، ووسطه خلق،

(١) «الفتح الرباني» للجيلاني ص(٢٧٣) ـ دار الكتاب العربي ببيروت.

(٢) «تنبيه المغترين» ص(٣٥).

(٣) **حسن**: أخرجه أبو نعيم في «الطب»، والطبراني في «الأوسط»، وضعفه ابن حجر في «الفتح» (١١/٥٨)، والسخاوي في «المقاصد»، والعجلوني في «كشف الخفاء» والمناوي في «فيض القدير» وحسّنه السيوطي والألباني. انظر «صحيح الجامع» رقم (٤٣٠٧) و«السلسلة الصحيحة» رقم (٢٦٤٧).

وآخره خُرق[١].

* ومرّ الحسن بقوم في السوق فرأى صخبهم ولغطهم، فقال: أما يقيل هؤلاء؟ قالوا: لا قال: إني لأرى ليلهم ليل سوء.

* وقال إسحاق بن عبد اللَّه بن أبي فروة: القائلة من عمل أهل خير، وهي مجمَّة للفؤاد، مقوّاة على قيام الليل.

*** * الرابع: ترك المعاصي فقد قَيَّدَتْنا خطايانا:**

فلا يحتقب الأوزار بالنهار، فإن ذلك يقسي القلب، ويحول بينه وبين أسباب الرحمة.

* قال رجل للحسن البصري: يا أبا سعيد: إني أبيت معافى، وأحب قيام الليل وأعد طهوري فما بالي لا أقوم؟ فقال: ذنوبك قيدتك.

* وقال الثوري: «حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته»[٢]. قيل: وما هو؟ قال: رأيت رجلاً يبكي، فقلت في نفسي: هذا مراء».

رحمهم اللَّه قلّت ذنوبهم فعلموا من أين أُوتوا، ونحن كثرت ذنوبنا فلم ندر من أين أُتينا.

* وقال الحسن: إن العبد ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل وصيام النهار.

---

(١) بالضم اسم، والمصدر خَرَق بفتحتين والصفة أخرق وهو ضد الرقيق.

(٢) «الحلية» (ج٧ ص١٥).

وقيل: كم من أكلة منعت قيام ليلة، وكم من نظرة حرمت قراءة سورة، وإن العبد ليأكل الأكلة، أو يفعل فعلة فيُحرم بها قيام السنة، فبحسن التفقد يعرف المزيد من النقصان، وبقلة الذنب يوقف على التفقد.

* وقال أبو سليمان: لا يفوت أحدًا صلاة جماعة إلا بذنب.

* وقال بعضهم: دخلت على كرز بن وبرة وهو يبكي، فقلت: أتاك نعي بعض أهلك؟ فقال: أشد، فقلت: وجع يؤلمك؟ قال: أشد، قلت: فما ذاك؟ قال: «بابي مغلق وستري مسبل، ولم أقرأ حزبي البارحة، وما ذاك إلا بذنب أحدثته، وهذا لأن الخير يدعو إلى الخير، والشر يدعو إلى الشر، والقليل من كل واحد منهما يجر إلى الكثير». وكما أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلاة وسائر الخيرات.

* قال رجل لإبراهيم بن أدهم: إني لا أقدر على قيام الليل فصِفْ لي دواء؟ فقال: لا تعصه بالنهار، وهو يقيمك بين يديه في الليل، فإن وقوفك بين يديه في الليل من أعظم الشرف، والعاصي لا يستحق ذلك الشرف[1].

* وقال الفضيل بن عياض: إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار، فاعلم أنك محروم مكبل كبّلتك خطيئتك[2].

* قال أبو سليمان الداراني: «من أحسن في ليله كُفي في نهاره،

---

(١) «تنبيه المغترين» ص(٣٤).

(٢) «الحلية» (ج٨ ص٩١).

ومَنْ أحسن في نهاره كُفي في ليله، ومَنْ صدق في ترك شهوة كفي مؤنتها، وكان اللَّه أكرمَ من أن يعذب قلبًا بشهوة تُركت له»[1].

* وقال أحمد بن أبي الحواري: قُلت لأبي سليمان: «لَمْ أوتر البارحة، ولَمْ أصل ركعتي الفجر، ولم أصلّ الصبح في جماعة. قال: بما كسبتْ يداك، واللَّه ليس بظلاّم للعبيد، شهوة أصبتها»[1].

* قيل لابن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ: ما نستطيع قيام الليل؟ قال: «أبعدتكم ذنوبكم، وقيل للحسن: عجزنا عن قيام الليل. قال: قيّدتكم خطاياكم، إنما يؤهل الملوك للخلوة بهم من يصدق في ودادهم ومعاملتهم، فأمّا مَنْ كان من أهل مخالفتهم فلا يرضونه لذلك».

أيها المعرض عنّا إن إعراضك منّا
لو أردناك جعلْنَا كلَّ ما فيك يردنا

نعم يا أخي: هانوا عليه فعصوه، ولو عزّوا عليه لعصمهم، لأوقفهم بين يديه حين يسكن كل خليل إلى خليله.

أردناكم صِرفًا فلمّا مزجتمُ بَعُدْتُمْ بمقدار التفاتكمُ عنّا
وقُلْنا لكم لا تسكنوا القلب غيرنا فأسكنتم الأغيار ما أنتمُ منّا

* من فقد اللَّه فماذا وجد؟ ومَنْ وَجَدَ اللَّه فماذا فقد؟

عبادٌ أعرضوا عنّا بلا جُرم ولا معنى
أساءوا ظنهم فينا فهلاّ أحسنوا الظنا

(1) «الحلية» (ج٩ ص٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٨).

فـإنْ خـانـوا فمـا خُـنّـا وإن عـادوا فقـدْ عُـدْنـا
وإن كـانـوا قـد استغنـوا فـإنّـا عنـهُـم أغنـى

* في بعض الآثار: «قول اللَّه عز وجل في كل ليلة: يا جبريل أقمْ فلانًا، وأنِمْ فلانًا».

يقول الجيلاني: هذا على وجهين:

الوجه الأول: أقم فلانًا المحب، وأنَمْ فلانًا المحبوب، هذا قد ادعى محبتي، لا بُدّ أن أناقشه، وأقيمه مقامه حتى يتساقط عنه أوراق وجوده مع غيري، أقمه حتى يتبين برهان دعواه حتى تتحقق محبته، وأنِمْ فلانًا؛ لأنه محبوب طالما تعب ما بقيت عنده بقية من غيري، اتخذت محبته لي، وتحققت دعواه وبرهانه ووفاؤه بعهدي، جاءت النوبة إليّ، ووفائي بعهده، وهو ضيف والضيف لا يستخدم ويتعب، أُنَوّمه في جحر لطفي، وأُقعده على مائدة فضلي، وأونسه بقربي، وأُغيّبه عن غيري، قد صحّت مودته، فإذا صحّت المودة زال عناء التكليف، وأصبح لذة لا يجد فيها مشقة[(١)].

والوجه الآخر: أنِم فلانًا فإني أكره صوته، وأقم فلانًا فإني أحب سماع صوته، إنما يصير المحب محبوبًا إذا طهّر قلبه عما سوى مولاه عز وجل، إذا تم توحيده وتوكله وإيمانه وإيقانه ومعرفته صار حينئذ محبوبًا يذهب الشقاء وتجيئه الراحة[(٢)].

* يا أخي: قد قيّد الطرد قدميك، وغلّ الإبعاد يديك، أفما لك

(١) هذا لا يعني إسقاط التكليف فهذا كفر بواح.
(٢) «الفتح الرباني» ص(٢٥٦، ٢٦٠).

عين تبكي عليك ؟

وفي نظر الصادي إلى الماء حسرة إذا كان ممنوعاً سبيل الموارد

* * **الخامس: طيب المطعم:**

قال بعض العلماء: إذا صمت يا مسكين، فانظر عند من تفطر، وعلى أي شيء تفطر، فإن العبد ليأكل أكلة فينقلب قلبه عمّا كان عليه ولا يعود إلى حالته الأولى، فالذنوب كلها تورث قساوة القلب، وتمنع من قيام الليل وأخصها بالتأثير تناول الحرام، وتؤثر اللقمة الحلال في تصفية القلب وتحريكه إلى الخير ما لا يؤثر غيرها، ويعرف ذلك أهل المراقبة للقلوب بالتجربة بعد شهادة الشرع، ولذلك قال بعضهم: كم من أكلة منعت قيام ليلة، وإن العبد ليأكل أكلة فيحرم قيام سنة[1] ؛ لأنه لم يجتنب أكل الشبهات.

واسمع إلى قول ابن أدهم: «أطب مطعمك، ولا عليك أن لا تقوم بالليل وتصوم النهار»[2].

* * **السادس: ترك السمر بعد العشاء لكراهته:**

عن ابن مسعود قال رسول اللَّه ﷺ: **«لا سمر إلا لمصل أو مسافر»**[3].

---

١) «إحياء علوم الدين» ص(٢٤٥).

٢) «الحلية» (ج٨ ص٣١).

٣) **صحيح**: رواه أحمد في «المسند» ، والطيالسي ، وابن نصر في «قيام الليل» ، وأبو نعيم في «الحلية» ، والخطيب في «التاريخ» ، وإسناد أحمد ضعفه الشيخ أحمد شاكر لجهالة راويه عن ابن مسعود ، وقال الهيثمي في «المجمع»: رواه أحمد ، وأبو يعلى ، والطبراني في «الكبير» ، و«الأوسط» ، فأما أحمد ، وأبو يعلى =

وعن ابن نصر: لا سمر بعد العشاء الآخرة إلا لأحد رجلين مصل أو مسافر.

«والسَّمَر لغة: بفتح الميم من المسامرة الحديث بالليل، وقيل بسكونها مصدر، وأصل السمر ضوء القمر؛ لأنهم كانوا يتحدثون فيه»(١).

* عن عبد اللَّه بن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «كان رسول اللَّه ﷺ يجدب لنا السمر بعد العشاء»(٢).

ويجدب: يعيب ويذم.

قال عروة بن الزبير: انصرفت بعد العشاء الآخرة فسمعت كلامي عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ خالتي ونحن في حجرة، بيننا وبينها سقف فقالت: يا عروة أو يا عُرَيّة، ما هذا السمر؟ إني ما رأيت رسول اللَّه ﷺ نائمًا قبل هذه الصلاة ولا متحدثًا بعدها، إمّا نائمًا فيسلم، أو مصليًا فيغنم.

* وجاء رجل إلى حذيفة بن اليمان ـ رضي اللَّه عنه ـ فدعاه على

= فقالا: عن خيثمة عن رجل، وقال الطبراني: عن خيثمة، عن زياد بن حدير، وهو تابعي ثقة، وثقه أبو حاتم وذكره ابن حبان في «الثقات». قال الشيخ شاكر: فالإسناد عند الطبراني من طريقه إسناد صحيح، وصحح الحديث الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» وحسنه السيوطي رقم (٧٣٧٥)، و«الصحيحة» رقم (٢٤٣٥)، انظر «مسند أحمد» بتحقيق شاكر رقم (٣٦٠٣).

(١) «فيض القدير» للمناوي (ج٦ ص٤٢٧) ـ طبعة دار المعرفة.

(٢) إسناده حسن: رواه أحمد في «مسنده»، وابن ماجه، وحسّن إسناده الشيخ أحمد شاكر انظر «مسند أحمد» جزء (٥) حديث رقم (٣٦٨٦) ص(٣٧٨٧).

به فخرج إليه فقال: ما حاجتك ؟ فقال: الحديث، فأغلق الباب دونه وقال: جدب لنا عمر بن الخطاب الحديث بعد العتمة.

* وعن سلمان بن ربيعة: كان عمر - رضي اللّه عنه - يجدب لنا السمر بعد صلاة النوم. وعن ابن رافع قال: كان عمر ينُش[1] الناس بدرّته بعد العتمة يقول: قوموا لعلّ اللّه يرزقكم صلاة.

* وعن خرشة بن الحر رأيت عمر بن الخطاب - رضي اللّه عنه - يضرب الناس بالدرة بعد صلاة العشاء ويقول: أسَمَرٌ أوّل الليل ونومٌ آخره ؟!

* وعن حصين: كتب عمر - رضي اللّه عنه -: إن العرب تحب السمر فأخرّوا صلاة العشاء حتى لا يكون بعدها سمر.

* وعن عمرة أن عائشة - رضي اللّه عنها - كانت إذا سمعت أحدًا من أهلها يتحدث بعد العشاء قالت: أريحوا كُتَّابَكُم، وكانت ترسل إلى عروة: يا ابن أختي أَرِحْ كاتبك.

وقالت: لا سمر إلا لثلاثة: مسافر أو متهجد أو عرس.

* وكان ناس من قريش يسمرون بعد العشاء فكانت ترسل إليهم: أن ارجعوا إلى بيوتكم، ليكن لأهليكم فيكم نصيب.

* وقال ابن عباس: ما أحبّ النوم قبلها ولا الحديث بعدها.

وعن معاوية بن قرة أن أباه كان يقول لبنيه إذا صلى العشاء: يا بَنيّ ناموا لعلّ اللّه يرزقكم من الليل خيرًا.

(١) أي يسوقهم سوقًا خفيفًا رقيقًا إلى بيوتهم.

* وقال سعيد بن المسيب: لأن أنام قبل العتمة أحبّ مِنْ أَنْ ألغو بعدها.

* وعن خيثمة: كانوا يستحبون إذا وتر الرجل أن ينام.

* عن أبي برزة الأسلمي قال: كان النبي ﷺ يستحب أن يؤخر العشاء، قال: وكان يكره النوم قبلها والحديث بعدها(١) اهـ.

قال الحافظ في «الفتح»: «قال عياض: السَّمَر: رويناه بفتح الميم، وقال أبو مروان بن سراج: الصواب سكونها؛ لأنه اسم الفعل، وأما بالفتح فهو اعتماد السمر للمحادثة، وأصله من لون ضوء القمر؛ لأنهم كانوا يتحدثون فيه، وهو يطلق على الجمع والواحد وكان يُكره النوم قبلها؛ لأنه قد يؤدي إلى إخراجها من وقتها مطلقًا، أو عن الوقت المختار، والسمر بعدها قد يؤدي إلى النوم عن الصبح، أو عن وقتها المختار، أو عن قيام الليل، وإذا تقرر أن علة النهي ذلك فقد يُفَرّق بين الليالي الطوال والقصار، ويمكن أن تحمل على الكراهة على الإطلاق حسمًا للمادة؛ لأن الشيء إذا شرع لكونه مظنة قد يستمر فيصير مئنة والله أعلم»(٢).

فائدة: إباحة السمر بعد العشاء لمذاكرة العلم أو مع الأهل أو في أمرٍ من أمور المسلمين:

* قال أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ: نظرنا النبي ﷺ ذات

(١) جزء من حديث للبخاري ـ كتاب مواقيت الصلاة باب السمر بعد العشاء، وأخرجه أيضًا محمد بن نصر في «القيام». انظر «مختصر قيام الليل».

(٢) «فتح الباري» (ج٢ ص٧٣).

ليلة حتى كان شطر الليل يبلغه فجاء فصلّى لنا، ثم خطبنا فقال: «**ألا إن الناس قد صلّوا، ثم رقدوا، وإنكم لن تزالوا في صلاة ما انتظرتم الصلاة**»[١].

قال الحسن: وإن القوم لا يزالون بخير ما انتظروا الخير.

* عن عبد اللَّه بن عمر قال: صلّى النبي ﷺ صلاة العشاء في آخر حياته فلما سلم قام النبي ﷺ فقال: أرأيتكم ليلتكم هذه، فإن رأس مائة لا يبقى ممّن هو على ظهر الأرض أحد، فَوهل الناس في مقالة رسول اللَّه ﷺ إلى ما يتحدثون من هذه الأحاديث عن مائة سنة، وإنما قال النبي ﷺ: لا يبقى ممّن هو اليوم على ظهر الأرض - يريد ذلك أنها تخرم ذلك القرن.

* عن عبد الرحمن بن أبي بكر - رضي اللَّه عنه - قال: إن أصحاب الصفّة كانوا أناسًا فقراء، وإن النبي ﷺ قال: «**مَنْ كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، وإن أربع فخامس أو سادس**»، وإن أبا بكر جاء بثلاثة، فانطلق النبي ﷺ بعشرة فهو أنا وأبي وأمي فلا أدري قال وامرأتي - وخادم بيننا وبين بيت أبي بكر، وإن أبا بكر تعشى عند النبي ﷺ، ثم لبث حيث صُليت العشاء، ثم رجع فلبث حتى تعشى النبي ﷺ فجاء بعدما مضى من الليل ما شاء اللَّه، قالت له امرأته: وما حبسك عن أضيافك أو قالت ضيفك ؟ قال: أَوَمَا عشيتهم ؟ قالت: أَبْوا حتى تجيء، قد عرضوا فأبْوا، قال: فذهبت أنا فاختبأت فقال: يا غنثَر، فجدع وسبّ ! وقال: كلوا لا هنيئًا. فقال: واللَّه لا أطعمه أبدًا، وايم اللَّه ما كنا نأخذ من لقمة إلا ربَى من أسفلنا أكثر منها قال: يعني حتى

(١) رواه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة باب السمر في الفقه والخير بعد العشاء.

شبعوا، وصارت أكثر مما كانت قبل ذلك، فنظر إليها أبو بكر فإذا هي كما هي، أو أكثر منها، فقال لامرأته: يا أخت بني فراس ما هذا؟ قالت: لا وقرة عيني لهي الآن أكثر منها قبل ذلك بثلاث مرات، فأكل منها أبو بكر وقال: إنما كان ذلك من الشيطان ـ يعني يمينه ـ ثم أكل منها لقمة... [1] الحديث.

قال الحافظ في «الفتح»: ووجه الاستدلال من حديث عبد الرحمن اشتغال أبي بكر بعد صلاة العشاء بمجيئه إلى بيته، ومراجعته لخبر الأضياف، واشتغاله بما دار بينهم وذلك كله معنى السمر؛ لأنه سمر مشتمل على مخاطبة وملاطفة ومعاتبة[1]ا. هـ.

* عن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: بت في بيت ميمونة، فتحدث رسول اللَّه ﷺ مع أهله ساعة، ثم رقد.. [2] الحديث.

* قال الحافظ: «إنْ قيل هذا إنما يدل على السمر مع الأهل لا في العلم، فالجواب أنه يلحق به والجامع تحصيل الفائدة، هو بدليل الفحوى؛ لأنه إذا شرع في المباح ففي المستحب من طريق الأولى»[3].

* وعن أنس ـ رضي اللَّه عنه ـ: أن أسيد بن حضير ورجل آخر من الأنصار[4] تحدثا عند رسول اللَّه ﷺ في حاجة لهما حتى ذهب

---

(١) رواه البخاري كتاب مواقيت الصلاة باب السمر مع الضيف والأهل (ج٢ ص٧٦) من «فتح الباري».

(٢) رواه البخاري في «التفسير» وهو جزء من حديث ابن عباس.

(٣) «فتح الباري» (ج١ ص٢١٣) كتاب العلم باب السمر بالعلم.

(٤) هو عبّاد بن بشر. جزم به البخاري. وأتما في رواية أحمد والحاكم.

من الليل ساعة في ليلة شديدة الظلمة، ثم خرجا وبيد كل منهما عَصيّة، فأضاءت عصا الآخر فمشى كل منهما في ضوء عصاه حتى بلغ أهله[١].

* عن عبد اللَّه بن عمرو: كان نبي اللَّه ﷺ يحدثنا عن بني إسرائيل حتى يصبح لا يقوم إلا إلى عظيم صلاة[٢].

والسمر في العلم يلحق بالسمر في الصلاة نافلة.

وقد سمر عمر مع أبي موسى في مذاكرة الفقه فقال أبو موسى: الصلاة فقال عمر: إنّا في صلاة، وسمر ابن عباس عند معاوية حتى ذهب هزيع[٣] من الليل، وصلى علي بن أبي طالب ليلة صلاة العتمة وقعد وقعدوا يستفتونه فلما كثروا قال: ليجلس كل نفر منكم في مجلس، ثم ليلقنوا رجلاً منكم حاجتهم، ثم يبعثوه إليّ، ففعلنا ذلك، فلم نزل نسأله ويفتينا حتى أُذِّن بصلاة الصبح، فقال: قوموا فأوتروا فإنا لن نوتر.

* وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى: «أنه كان يسمر مع علي بن أبي طالب»[٤].

* وسمر حذيفة وابن مسعود عند الوليد بن عقبة وهو أمير الكوفة، فخرجا من عنده فلما أصبحا أوتر كل منهما بركعة.

---

(١) أخرجه البخاري معلقًا، ووصله الإسماعيلي من طريق عبد الرزاق في مصنفه وأحمد والحاكم.

(٢) رواه أبو داود وصححه ابن خزيمة.

(٣) أي: طائفة منه، نحو ثلثه وربعه.

(٤) انظر «مختصر قيام الليل».

وسمر المسوّر بن مخرمة عند ابن عباس ليلة حتى طلعت الزهرة، فوضع ابن عباس رأسه فما انتبه إلا بأصوات أهل السوق فقال: أتروني أصلي الوتر وركعتي الفجر وأصلي المكتوبة قبل طلوع الشمس؟ قالوا: نعم، ففعل ذلك.

* وعن ابن عباس: تدارس العلم ساعة من الليل خير من إحيائها.

* وعن مكحول: تواعد المسلمون ليلة بالجابية وهي بلدة بالشام، فقام أبو هريرة يحدثهم حتى أصبح.

* وعن عروة: كنا نتحدث عند حجرة عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ بالليل، فربما نادتني: يا ابن أختي قد طلع الفجر.

* وكان عبد الرحمن بن أبي ليلى وأصحابه بعد العشاء يتحدثون ورجل قائم يصلي، فقال له عبد الرحمن: أما إنك لو دنوت منا فإنّا في خير نتفقه.

* وعن عطاء وطاووس ومجاهد قالوا: لا بأس بالسمر في الفقه.

* وكان لعمر بن عبد العزيز سُمّار، فكان علامة ما بينه وبينهم إذا أحبّ أن يقوموا أن يقول: إذا شئتم، فإذا أوتر لم يكلم أحدًا.

* وكان القاسم يجلس بعد العشاء الآخرة هو وأصحاب له يتحدثون هنيهة.

* والتقى عمر بن عبد العزيز قبل أن يستخلف وطاووس فتقاوما(٢)

(١) أي قام أحدهما للآخر.

في ناحية من المسجد الحرام حتى أصبحا.

* وسمر أيوب مع هشام بن عروة بالمدينة ليلة حتى أصبح[١] ا. هـ.

قال صاحب «تحفة الأحوذي»:

«وطريقة الجمع بينهما - الأقوال في منع وجواز السمر - أن تُحمل أحاديث المنع على السمر الذي لا يكون لحاجة دينية، ولا لما بُدّ من الحوائج، وقد بوّب البخاري في «صحيحه»باب السمر في العلم، وقال العيني في «شرح البخاري»: نبه على أن السمر المنهي عنه إنما هو في ما لا يكون من الخير، وأما السّمر بالخير فليس بمنهي، بل مرغوب فيه»[٢] ا. هـ.

* * السابع: عدم المبالغة في حشو الفراش:

ومما يعين أيضًا على قيام الليل عدم المبالغة في حشو الفراش ؛ لأنه سبب لكثرة النوم والغفلة ومجلب للكسل والدعة، ولقد كان فراش رسول اللَّه ﷺ من الحصير الذي خطّ في جنبه، وكانت وسادته التي ينام عليها بالليل من أدم حشوها ليف. وها هو ذا رسول اللَّه ﷺ يضرب لنا المثل ويجهز فاطمة بالجهاز الذي يقربها ويعينها على الآخرة.

فعن علي - رضي اللَّه عنه - قال: «جهز رسول اللَّه ﷺ فاطمة في خميل وقربة ووسادة أدم حشوها ليف الإذخر»[٣]. الخميل: القطيفة،

(١) «مختصر قيام الليل» ص(٥٠ ، ٥١).

(٢) «تحفة الأحوذي» (ج١ ص١٥٣) الطبعة الهندية.

(٣) إسناده صحيح: رواه أحمد في «مسنده» ، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده =

والإذخر: حشيشة رطبة طيبة الرائحة.

* * الثامن: النوم على الجانب الأيمن:

ومما يعين على قيام الليل النوم على الجانب الأيمن، وقد سبق تفسير شيخ الإسلام ابن قيم الجوزية عن السبب في ذلك وعلته.

* * *

= صحيح. زائدة بن قدامة سمع من عطاء بن السائب قديمًا قبل تغيره.

الميسرات الباطنة لقيام الليل

(١) الإخلاص:

من صفا صُفِّيَ له، ومن كدّر كُدِّرَ عليه، وإنما يكال للعبد كما كال. إذا اطلّع الخبير على ما في الضمير فلم يجد غير الخبير أقامك بين يديه في الدياجي.

سهر العيونِ لغيرِ وجهك باطلُ ... وبكاؤهن لغيـر فقـدك ضائـعُ

(٢) يقينك أن الكبير المتعال هو الذي يدعوك للقيام:

﴿يَأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلا قَلِيلاً﴾.

إنها دعوة السماء وصوت الكبير المتعال.. ويكفي أنها من اللَّه لتُلبي وتنفذ.

نعم أسـعَى إليـكَ عَلَى جُفـوني ... ولـو بَعُـدَتْ لمسـراكَ الطـريقُ

كفاك جزاءً على الطاعة أن رضيك لها أهلاً.. انظر إلى هدية الكريم ﷺ قال: «**يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: مَنْ يدعوني فاستجيب له؟ مَنْ يسألني فأعطيه؟! مَن يستغفرني فاغفر له**»[(١)].

قف بوادي الذل.. وقل في الدياجي يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر.

* * *

(١) سبق تخريجه.

(٣) علمك بأن إمام المتهجدين يدعوك ويحثك على القيام:

تكفي كلمة واحدة عن التهجد من الحبيب ﷺ ليُقال له «على العينين والرأس» فكيف إذا أتت الوصايا الحسان ترغب في التهجد «**عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم**» وعشرات من الأحاديث في فضائل المتهجدين، بل ويخلع أحلى وأغلى النعوت على المتهجدين «**جعل اللَّه عليكم صلاة قوم أبرار يقومون الليل ويصومون النهار...**»، وقوله: «**نعم الرجل عبدَ اللَّه لو كان يصلي من الليل**» فمن كان يصلي من الليل يوصف بكونه «**نعم الرجل**» وهذه شهادة غالية عالية من الحبيب ﷺ.

(٤) معرفة مدى أنس السلف وتلذذهم بالتهجد:

قال وهب بن منبه: ثلاث من روح الدنيا: لقيا الإخوان، وإفطار الصائم والتهجد من آخر الليل[١].

وقال القاسم بن محمد: خصلتان كانتا في الناس ذهبتا منهم «الجود بما رزقهم اللَّه، وقيام الليل»[٢].

وقال أبو سليمان الداراني: لوْ عوّض اللَّه أهل الليل من ثواب أعمالهم ما يجدونه من اللذة لكان ذلك أكثر من ثواب أعمالهم.

وقال أبو سليمان: لأهل الطاعة في ليلهم ألذّ من أهل اللهو بلهوهم.

---

(١) «كتاب التهجد» ص(١٤١).

(٢) «كتاب التهجد» ص(٥١٢ ـ ٥١٣).

* وقال أبو سليمان الداراني: «لو لم يبك الغافل باقي عمره إلا على ما فاته من لذة الطاعة فيما مضى من عمره، لكان ينبغي أن يبكي على ذلك حتى يخرج من الدنيا»(١).

وقال عبد اللَّه بن وهب: «كل ملذوذ إنما له لذة واحدة، إلا العبادة، فإن لها ثلاث لذات، إذا كنت فيها، وإذا تذكّرتها، وإذا أُعطيت ثوابها»(٢).

وقال ثابت البناني: ما شيء أجده في قلبي ألذّ عندي من قيام الليل.

(٥) يقينك أنك بعين اللَّه وأن اللَّه يرى ويسمع صلاتك بالليل:

هان سهر الحرّاس لما سمعوا أن أصواتهم بسمع الملك.

عذابه فيك عذبُ ... وبعده فيك قربُ
وأنت عندي كروحي ... بل أنت منها أَحَبُّ
حسبي من الحب أنيٍّ ... لما تحبّ أُحِبُّ

(٦) علمك بمدى حرص رسولك ﷺ على القيام والإجتهاد فيه:

وأنه كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه، وكان لا يترك القيام وهو مريض ولا في سفر وأنه ﷺ ما ترك القيام في وقت الجهاد ولا أرضه.. فإن كان هذا حال نبينا ﷺ وقد غفر اللَّه له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فكيف بك وقد ضجّ الليل من نومك.

(١، ٢) «كتاب الصلاة والتهجد» لابن الخرّاط.

(٧) النوم على نيّة القيام للتهجد.

(٨) النوم على طهارة.

(٩) سؤال المولى عز وجل ودعاؤه أن يمنّ عليك بالقيام.

(١٠) علمك بمدى اجتهاد الصحابة الكرام في القيام.

(١١) معرفة مدى اجتهاد الخلفاء والملوك - مع شغلهم الشاغل - في قيام الليل.

(١٢) معرفة مدى اجتهاد نساء السلف في القيام.

أمالك بالرجال أسوة؟ . . . أتسبقك وأنت رجل نسوة؟!!

(١٣) علمك أن الشيطان يوسوس لك ويحاول منعك من القيام.

فكيف تطيعه وهو عدوك، وكيف تنام الليل فيبول عليك . .

تصد وتنأي عن إلهك دائمًا فأين عن الأحباب ويحك تهربُ

(١٤) محاسبة النفس وتوبيخها على قيام الليل إن فرّطت فيه.

(١٥) معرفة أن الرسول ﷺ كان يتفقد أصحابه ويوقظهم للقيام.

(١٦) معرفة وصايا السلف في الحث على القيام.

(١٧) علمك ببكاء السلف وتحسرهم على فوات قيام الليل.

(١٨) وضع الجنة نصب عينيك:

ويقينك بأن التهجد يورثك أعلى الجنان . . وتفكرك فيما أعد اللَّه للمتهجدين في الغرف من نعيم الجنة . . ووقوفك طويلاً مع أخبار

متهجدين في ليلهم ونومهم مع الحور العين.. وأخبار أبي سليمان مع حور الحسان.

(١٩) وضع النار وعذابها وأغلالها وأنكالها نصب عينيك:

فمن سهر هنا في طاعة اللَّه متهجدًا باكيًا مناجيًا لا يسهر في النار مع الضريع والزقوم والغسلين.. وسهر الليل بالقيام أهون من مقطعات حديد وشرب الصديد وتمثّل سهر شداد بن أوس وطاوس وعامر بن عبد قيس وصفوان وسفيان الثوري وعلي بن الفضيل وكيف منعهم استحضار النار من النوم وقيامهم الليل.

(٢٠) إتهام النفس دائمًا بالتقصير في القيام:

وقولك لها قومي يا مأوى كل سوء فلأنت أحق بالضرب من شر الدواب أيظن أصحاب محمد ﷺ أن يسبقونا عليه..

وتضع نصب عينيك أن عباد السلف كان الرجل منهم يأتي فراشه زحفًا ومع هذا يعاتب نفسه على التقصير في حق ربه.

(٢١) معاقبة النفس على ترك القيام:

بصيام التطوع، ومنعها من لذاتها أيامًا، والتصدق بالمال.

نام الصحابي تميم الداري ليلة فلم يقم للتهجد فقام سنة لم ينم فيها عقوبة للذي صنع[١] .

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٤٤٥).

(٢٢) الزهد في الدنيا:

فمن زهد في هذه الدنيا وتقلّل منها.. وصحب الدنيا ببدن روحه معلقة بالملأ الأعلى وعلّق قلبه بالآخرة صفى وقته بمناجاة ربه في القيام.. واتخذ القرآن والدعاء دثارًا وشعارًا.

فمن عرف قدر الدنيا وقلة المقام بها، أمات فيها الهوى طلبًا لحياة الأبد، فاستيقظ من نوم الغفلة واسترجع بالقيام ما انتهبه العدو منه في زمن البطالة. ومن لم تبك الدنيا عليه لم تضحك الآخرة إليه.

(٢٣) علمك بأن الحيوانات تذكر ربها وأنت نائم:

لماذا تسبح الحيوانات ربها في السحر، وأنت في نومك وغطيطك؟ وتجتهد الديوك في عبادة ربها وأنت في لعبك وتفريطك.. أما تستحي.

(٢٤) كثرة ذكر الموت وقصر الأمل:

وهذا أسلوب نبوي في تربية أصحابه على قيام الليل.

فعن قبيصة ـ رضي اللَّه عنه ـ أن النبي ﷺ كان إذا ذهب ثلث الليل قام فقال: **«يا أيها الناس اذكروا اللَّه، جاءت الراجفة، من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة اللَّه غاليه، ألا إن سلعة اللَّه الجنة، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه»**[1].

وانظر إلى حفصة بنت سيرين وكيف أنها إذا قامت الليل لبست كفنها، ومعاذة العدوية تقول: يا نفس هذه ليلتك التي فيها تموتين فتحيي

---

(١) سبق تخريجه.

الليل صافة قدمها.

* وكان بالقيروان رجل صالح يمشي ويذكّر الناس عامة الليل، وكان يقول فيما يقول: الرحيل الرحيل! فبقى على هذه الحال زمانًا، ثم فتقد صوته، فسأل عنه أمير البلدة فقيل له: إنه قد مات فأنشد الأمير:

ما زال يلهج بالرحيل وذكره ... حتى أناخ ببابه الجمّالُ
فأصابه ذا أهبة مستيقظًا ... متشمراً لم تُلْهِهِ الآمالُ[1]

* قيل لعجرة العمية ـ وكانت تقوم الليل كله ـ: لو نمت من الليل شيئًا، فبكت وقالت: «ذكر الموت لا يدعني أنام»[2].

(٢٥) قراءة تراجم المتهجدين والعيش معهم:

والتربية بالقدوة خير وسيلة تعين على القيام.. والحكايات عن الصالحين المتهجدين وكيف أنهم ما كانوا يريدون العيش في الدنيا إلا للتهجد هذه الحكايات جند من جنود اللَّه يثبت اللَّه بها قلوب من يريدون سلوك طريق التهجد، فيمقت العبد نفسه، وهو يرى أناسًا مصيرهم ومصيره إلى اللَّه واحد ومع هذا سهرت عيونهم ونامت عينه، وما ذاقت أعينهم غمضًا وهو ينام وله غطيط.. بكوا تحت ستر الليل وهو لاعب.. خافوا وهم قد نصبوا أقدامهم حتى تورمت ومالوا في الأسحار إلى الاستغفار وهو الآمن الغافل النائم.. فإذا أراد أن يلحق بالمتهجدين السادة فليترك مخاللة الفراش والوسادة، وإذا أراد أن يكون

---

(١) «الصلاة والتهجد» لابن الخرّاط.
(٢) «صفة الصفوة».

من أهل الليل فلينظر كيف قام ابن أدهم والفضيل، وليقل بسير الأبطال اهتدى كل بطّال.

* قال الغزالي في «إحياء علوم الدين»: وأما الميسرات الباطنة فأربعة أمور:

الأول: سلامة القلب عن الحقد على المسلمين وعن البدع وعن فضول هموم الدنيا، فالمستغرق الهم بتدبير الدنيا لا يتيسر له القيام، وإن قام فلا يتفكر في صلاته إلا في مهماته، ولا يجول إلا في وساوسه، وفي مثل ذلك يقال:

يُخَبِّرني البَوّابُ أنك نـــائـم وأنت إذا استيقظت أيضـًا فنـائم

الثاني: خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل، فإنه إذا تفكر أهوال الآخرة ودركات جهنم طار نومه وعظم حذره:

إن في القبـــر إن نزلت إليـــه لرقـــادٌ يطـــول بعــد الممــات

ومهـــادًا ممهـدًا لك فيــه بذنوب عملـت أو حسنـــات

أأمنت البيـــات من مَلَك المـــو ت وكم نـال آمنًا ببيات !!

الثالث: أن يعرف فضل قيام الليل بسماع الآيت والأخبار والآثار: حتى يستحكم به رجاؤه فهيّجه الشوق لطلب المزيد، والرغبة في درجات الجنان ـ كما حدث لأبي ريحانة ـ رضي اللَّه عنه ـ حين قدم من غزوته كما مرّ بك.

الرابع: وهو أشرف البواعث: حب اللَّه وقوة الإيمان بأنه في قيامه لا يتكلم بحرف إلا وهو مُناج به ربه ومطّلع عليه: مع مشاهدة ما يخطر بقلبه، وأن تلك الخطرات من اللَّه تعالى خطاب معه، فإذا أحب اللَّه

تعالى أحب لا محالة الخلوة به[١] وتلذذ بالمناجاة، فتحمله لذة المناجاة بحبيب على طول القيام. ولا ينبغي أن تستبعد هذه اللذة إذ يشهد لها العقل والنقل.

* فأما العقل: فليعتبر حال المحب لشخص بسبب جماله، أو لملك بسبب إنعامه وأمواله، أنه كيف يتلذذ به في الخلوة ومناجاته حتى لا يأتيه النوم طول ليله.

إن يطـــل بَعْـــدُك ليلي فلكم بتُّ أشكو قصـــر الليل مَعَكْ

فإن قلت إن الجميل يتلذذ بالنظر إليه، وأن اللَّه تعالى لا يرى، فاعلم أنه لو كان الجميل المحبوب وراء ستر، أو كان في بيت مظلم، كان المحب يتلذذ بمحاورته المجردة دون النظر ودون الطمع في أمر آخر سواه، وكان يتنعم بإظهار حبه له وذكره بلسانه بمسمع منه، وإن كان ذلك أيضًا معلومًا عنده، فإن قلت: إنه ينتظر جوابه فيتلذذ بسماع جوابه، وليس يسمع كلام اللَّه تعالى، فاعلم أنه إن كان يعلم أنه لا يجيبه ويسكت عنه، فقد بقيت له أيضًا لذة في عرض أحواله عليه، ورفع سريرته إليه، كيف والموقن يسمع من اللَّه تعالى كل ما يرد على خاطره في أثناء مناجاته فيتلذذ به؟ وكذا الذي يخلو بالملك ويعرض عليه حاجاته في جنح الليل يتلذذ به في رجاء إنعامه، والرجاء في حق اللَّه صدق، وما عند اللَّه خير وأبقى وأنفع مما عند غيره، فكيف لا يتلذذ بعرض الحاجات عليه في الخلوات؟.

---

(١) كان شيخ الإسلام ابن تيمية يخرج إلى الصحراء ويقول:

وأخرج من بين البيوت لعلني أُحَدِّث عنك القلب بالسر خاليًا

* وأما النقل: فيشهد له أحوال قوّام الليل في تلذذهم بقيام الليل واستقصارهم له كما يستقصر المحب ليلة وصال حبيبه.

* حتى قيل لبعضهم: كيف أنت والليل ؟ قال: «ما راعيته قط يريني وجهه، ثم ينصرف وما تأملته بعد».

* وقال آخر: «أنا والليل فرسا رهان، مرّة يسبقني إلى الفجر، ومرّة يقطعني عن الفكر».

* وقيل لبعضهم: كيف الليل عليك ؟ فقال: «ساعة أنا فيها بين حالتين: أفرح بظلمته إذا جاء وأغتم بفجره إذا طلع، ما تمّ فرحي به قط».

* وقال أبو سليمان: «لو عوّض اللَّه أهل الليل من ثواب أعمالهم ما يجدونه من اللذة لكان ذلك أكثر من ثواب أعمالهم».

* وقال ابن المنكدر: ما بقي من لذات الدنيا إلا ثلاث: قيام الليل، ولقاء الإخوان، والصلاة في الجماعة.

* وقال بعض العارفين: «إن اللَّه تعالى ينظر بالأسحار إلى قلوب المتيقظين فيملؤها أنوارًا فترد الفوائد على قلوبهم فتستنير، ثم تنتشر من قلوبهم العوافي إلى قلوب الغافلين».

* وشكا بعض المريدين إلى أستاذه طول الليل، وطلب حيلة يجلب بها النوم، فقال أستاذه: يا بني إن للَّه نفحات في الليل والنهار، تصيب القلوب المتيقظة، وتخطئ القلوب النائمة فَتَعَرَّض لتلك النفحات. فقال: يا سيدي تركتني لا أنام بالليل ولا بالنهار.

واعلم أن هذه النفحات بالليل أرجى لما في قيام الليل من صفاء

القلوب واندفاع الشواغل.

* واعلم رحمك الله أن قيام الليل علامة من علامات المحبة لله كما قال شيخ الإسلام ابن القيم في «مدارج السالكين».

* قال العلامة الفيروزابادي ـ رحمه الله ـ وقد ذكر الأسباب العشرة الجالبة لمحبة الله تعالى فذكر منها[1]:

١ ـ قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه والتفطن لمراد الله منه ـ ولعمر الله هذا أكمل وأتم وأقوم قيلاً في الليل.

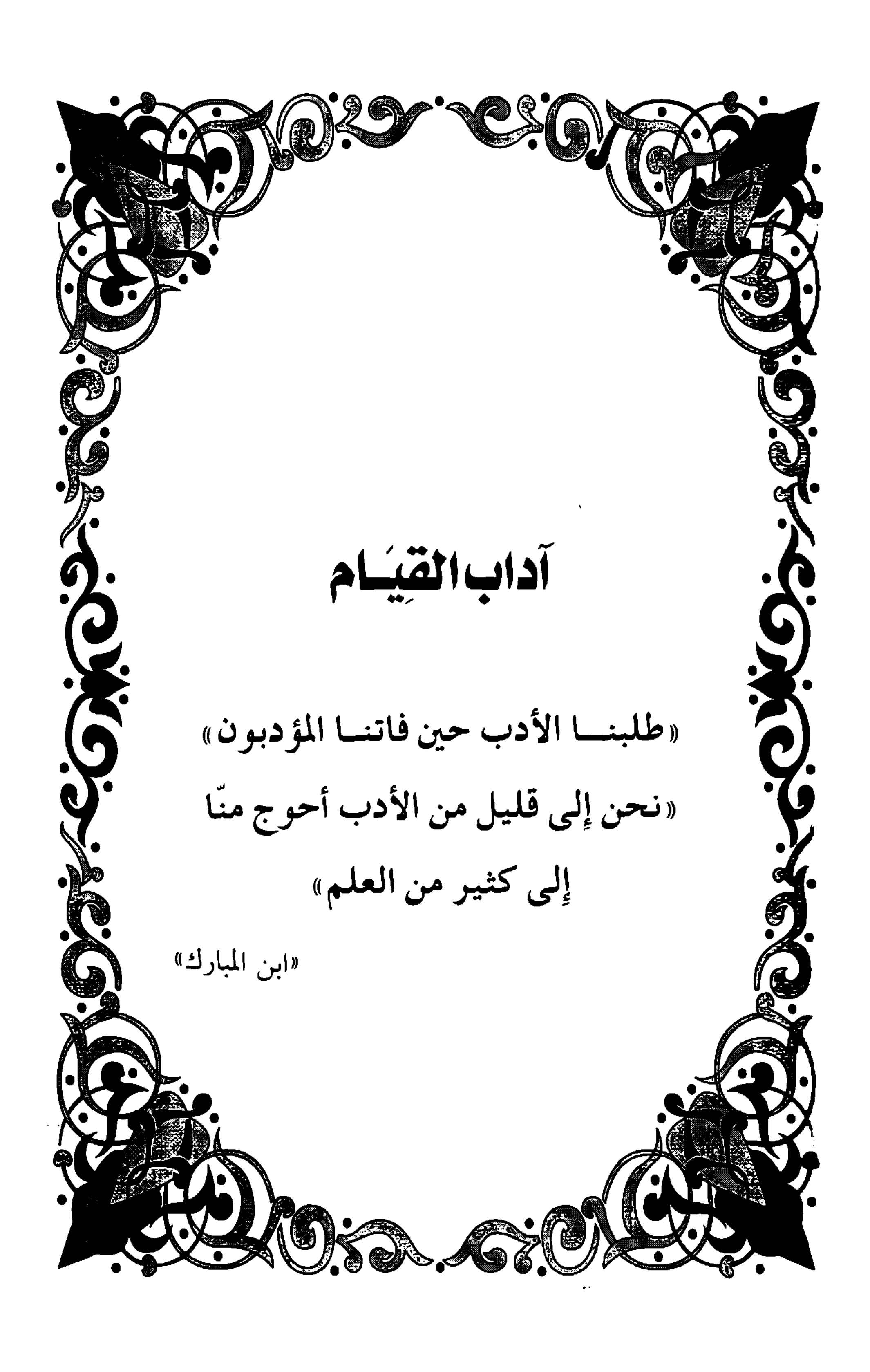
٢ ـ «التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض، فإنها توصل إلى درجة المحبوبية بعد المحبة». وأعلى النوافل مرتبة صلاة الليل.

٣ ـ «الخلوة به سبحانه وقت النزول الإلهي لمناجاته وتلاوة كلامه والوقوف بالقالب والقلب بين يديه، ثم ختم ذلك بالاستغفار».

٤ ـ «إيثار محابّه سبحانه على محابّك عند غلبات الهوى»ـ وهذا أكمل شيء في القيام حين يترك الإنسان دفء الفراش للتهجد.

* * *

(١) «بصائر ذوي التمييز بلطائف الكتاب العزيز» (٢/٤٢١ ـ ٤٢٢) طبع مجمع البحوث الإسلامية.



آداب القِيَام

«طلبنــا الأدب حين فاتنــا المؤدبون»

«نحن إلى قليل من الأدب أحوج منّا
إلى كثير من العلم»

«ابن المبارك»

آداب القيـــام

هذه آداب القيام وردت من قبل متفرقة ونوردها ها هنا ونجمعها عسى اللَّه أن يمنّ علينا بالأدب. وقد مرّ بك هديه ﷺ مفصلاً فهو غاية المثلى لمن يعرف مقادير الرجال:

(١) الإخلاص.. وترك العجب:

وقيام الليل عبادة عنوانها وتاجها الإخلاص، فمنْ أراد أن يخلص في قيامه فليُخرج رؤية العمل ولا يطلب عوضًا على القيام ولا يرضى به ولا يسكن إليه، بل يشاهد منّة اللَّه عليه وفضله وتوفيقه كما يقول طبيب القلوب ابن قيم الجوزية: «وأنّه باللَّه لا بنفسه، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلاَّ أَن يَشَآءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠] ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ [النور: ٢١] فكل خير في العبد فهو مجرد فضل اللَّه ومنّته. وليعلم أنه عبد محض والعبد لا يستحق على خدمته لسيده عوضًا ولا أجرة»(١).

ويخلّصه من رضاه بقيامه وسكونه إليه أمران: «مطالعة عيوبه وآفاته وتقصيره فيه، وما فيه من حظ النفس، وليحذر التفات قلبه إلى ما سوى ربّه، فمَنْ أطال النظر إلى الخالق شُغِل عن المخلوق، وثانيهما: علمه بما يستحق الرب جل جلاله من حقوق العبودية وآدابها الظاهرة والباطنة، وأن العبد أعجز وأضعف وأقل من أن يوفيها حقها، وأن يرضى بها

---

(١) «مدارج السالكين» (ج٢ ص٩٢ ـ ٩٤).

لربه، فالمخلص لا يرضى بشيء من عمله، ولا يرضى نفسه للَّه طرفة عين، ويستحي من مقابلة اللَّه بعمله، فسوء ظنه بنفسه وعمله وبغضه لها، وكراهته لأنفاسه وصعودها إلى اللَّه يحول بينه وبين الرضى بعمله والرضى عن نفسه»[1].

كان بعض السلف يكثر من التهجد، ثم يقول لنفسه: «يا مأوى كل سوء، وهل رضيتك للَّه طرفه عين؟!». فمن لم يتهم نفسه على دوام الأوقات فهو مغرور.

[«وإن لم تخف أن يهلكك اللَّه تعالى بالنقص في أعمالك الصالحة فضلاً عن معاصيك فأنت هالك. كان يزيد بن هارون ـ رحمه اللَّه ـ يقول: «نظرت في قيام الليل فإذا الحارس يحرس الليلة كلها بدانقين»][2] أفيطلب أحدكم الجنة بسهر ليلة واحدة؟! بعبادة لعلها لا تساوي دانقين، وربما منّ بها على ربه.

وكان الفضيل بن عياض ـ رحمه اللَّه ـ يقول: «السلامة من الرياء والنفاق في العلماء والقرّاء أعز من الكبريت الأحمر».

«يا أخي: كم من سراج قد أطفأته الريح، وكم من عبادة أفسدها العجب، وساعة يزري العبد فيها نفسه خير له من عبادة يدلّ فيها بعمله، وأضر الطاعات على العبد ما أنسته مساويه وذكرته حسناته».

(١) «مدارج السالكين» (ج٢ ص٩٢ ـ ٩٤).
(٢) «تنبيه الغافلين» ص(١٠٨، ١٠٩).

* قال مطرف بن عبد اللَّه: «لأن أبيت نائمًا وأصبح نادمًا أحبّ إليّ من أن أبيت قائمًا، وأصبح معجبًا أرى نفسي على النائمين»(١).

* قال محمد بن واسع: «وآصاحباه ذهب أصحابي فقيل له: أبا عبد اللَّه أليس قد نشأ شباب يصومون النهار ويقومون الليل ويجاهدون في سبيل اللَّه. قال: بلى، ولكن أفسدهم العجب»(٢).

انظر رحمك اللَّه، كان الناس يراءون بأعمالهم وذموا لذلك حتى يتغل محمد بن واسع عند ذكرهم ونحن نرائي بأقوالنا، وبالرياء نفسد عبادة عنوانها الإخلاص بل وثمرتها الإخلاص. قال قتادة: «كان يقال قلما سهر الليل منافق»(٣).

أما لك في رسولك ﷺ قدوة؟ وقد نام السحر الأعلى ليذهب النوم بصفرة القيام وهو أبعد الناس عن الرياء، واقرأ ما كتبناه عن محمد بن واسع وأيوب والربيع وتذكر قول نبيك ﷺ: **«صلاة الرجل تطوعًا حيث لا يراه الناس تعدل صلاته على أعين الناس خمسًا وعشرين»**(٤).

أخي: إياك والعجب: فرب معصية أورثت صاحبها عزًا وانكسارًا، ورب طاعة أورثت صاحبها ذلاً طويلاً.

* أخي: «إياك والرياء فيكون حالك حال العنكبوت يقول لدودة القز: لي نسج ولك نسج، فهذا نسجه رداء بنات الملوك أما ذاك فإن

(١) «حلية الأولياء» (ج٢ ص٢٠٠).
(٢) «حلية الأولياء» (ج٢ ص ٣٥٢).
(٣) «حلية الأولياء» (ج٢ ص٣٣٨).
(٤) **صحيح**: انظر «صحيح الجامع» رقم (٣٧١٥).

أوهن البيوت لبيت العنكبوت، وارْو بكتمانك لتهجدك وقصدك وجه اللَّه به شجرة لا يضرها زعزع ﴿ أين شركائي ﴾، ولا تدل بعملك وتريد وجه المخلوقين فتجتث عند نسمة ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾، ولا تغتر بكونك قد قمت في ظلام الليل، أما تسمع الصديق أبعد عن الرياء ـ وهو من هو يقول: «قد أسمعت من ناجيت».. واعلم أن نفاق المنافقين صيّر المسجد مزبلة ﴿لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾، وإخلاص المخلصين رفع قدر ﴿رب أشعث أغبر ﴾، واعلم أن قلب من ترائيه بيَدِ منْ تعصيه. واعلم أن ذا النقائص يحتاج إلى دعاية أما الصادق فلا.

* إذ رأيت مرائيًا قد اتبع فتذكر الدجال غدًا والسامري بالأمس، وانتظر للسامري لا مساس، وللألد باب لد».

في ظلمة الليل يتشبه الشجر بالرجال فإذا طلع الفجر بان الفرق «تراهم كالنخل، وما تدري ما الدخل»[1].

رحل واللَّه أولئك السادة، وبقي قرناء الرياء والوسادة:

تشبهت حــور الظبــاء بهـــم	**إذا سكنت فيك ولا مثــل سكن**
أصامت بناطق ، ونــافر بآنــس	**وذو خــلا بــذي شــجن !!**
مشـــتبه أعــرفـــه وإنمـــا	**مغالطـًا قلت لصحبي : دار منْ ؟**
قف باكيًا فيها ، وإن كنت أخـًا	**مؤانسًا فبكهــا عنـك وعن**
لم يبق لي يوم الفراق فضـــلة	**من دمعــة أبكي بهـا على الدمن**[2]

(١) «اللطف في الوعظ» لابن الجوزي ص(٥١، ٥٧).

(٢) «المدهش» لابن الجوزي ص(٤١٣ ـ ٤١٦).

ليسعك بيتك واكتم فضلك وتهجدك واسأل اللَّه القبول وليكن شعارك:

كلف القلب أن يهوى وألزمه ... صبراً وذلك جمعٌ بين أضداد
وأكتم الركب أوطاري وأسأله ... حاجات نفسي لقد أتعبت زوادي
هل يدلج عنده من مبكر خبر ... وكيف يعلم حال الرائح الغادي
وإن رويت أحاديث الذين مضوْا ... فعن نسيم الصبا والبرق إسنادي[1]

(٢) اتباعك لهدي نبيك ﷺ:

في القيام ليلاً وأذكاره و«إن استطعت ألا تحك رأسك إلا بأثر فافعل». وإياك يا أخي وبنيات الطريق، واعلم أنه إذا جاء نهر اللَّه بطل نهر معقل فاقصد البحر وخلّ القنوات، ولا تترك هدي رسول اللَّه ﷺ وهو يخبر عن جبريل عن ربه، واعلم أن أفضل وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ؛ فالزمه فإنه أعلم بما يصلح النفوس فإنه لا ينطق عن الهوى، واختر ما اختاره الرسول ﷺ وما أقرّه لصحابته وفي هذا الكفاية لمن يعقل. «وأيكم يطيق ما يطيق رسول اللَّه ﷺ؟» فهيا يا همم الرجال إلى هدي رسولكم الذي كانت تتشقق قدماه، ويسمع نشيج صدره، وربما قام الليل بآية واحدة يرددها إلى الصباح، ومع هذا فما رأته السيدة عائشة - رضي اللَّه عنها - في السحر الأعلى عندها إلا نائمًا، وما كان صحابته ﷺ: يشاءون أن يروه نائمًا إلا رأوه، وكان إذا عجز أو مرض ترك القيام أو صلى قاعدًا، فاحرص على هديه،

(١) «المدهش» لابن الجوزي ص(٤١٣ - ٤١٦).

وارفق بالدابة تسير بك إلى نهاية المطاف، واعلم أن مفاوز الدنيا تقطع بالأبدان أما الآخرة فتقطع مفاوزها بالقلوب.

(٣) الاغتسال والتطيب ولبس الثياب الحسنة:

* كان تميم الداري إذا قام من الليل للتهجد اغتلف بالغالية[١]، واشترى حلة بألف كان يصلي فيها.

* وكان ابن مسعود - رضي اللَّه عنه - يعجبه الثياب الحسنة النظيفة والريح الطيبة إذا قام إلى الصلاة.

* وكان ابن محيريز إذا قام إلى الصلاة بالليل دعا بالغالية فتضمّخ ما يردع[٢] ثيابه.

* كان عبد اللَّه بن زكريا وأصحابه يغتسلون كل ليلة بعد العشاء للعبادة.

* وكان المغيرة بن حكيم الصنعاني إذا أراد أن يقوم للتهجد لبس من أحسن ثيابه، وتناول من طيب أهله وكان من المتهجدين.

* واشترى عمرو بن الأسود حلة بثمانين وصبغها بدينار وكان يخمرها النهار كله ويقوم فيها الليل كله.

* وعن مجاهد بن جبير: «كانوا يكرهون أكل الثوم والكرات والبصل من الليل، وكانوا يستحبون أن يمسّ الرجل عند قيامه من الليل طيبًا يمسح به شاربيه وما أقبل من اللحية.

---

(١) الغالية: نوع من الطيب المركب. واغتلف بها وتغلف أي تلطخ.
(٢) أي يلطخ.

* وكان أبو قتادة إذا توضأ لبس ثيابه، ودعا بسُكّة له فامتسح بها.

* ولقد كان رسول اللَّه ﷺ يتعطر بالمسك والعنبر.

عن محمد بن علي قال: قلت لعائشة: هل كان رسول اللَّه ﷺ يتعطرّ؟ قالت: نعم بذكارة العطر. قلت: وما ذكارة العطر؟ قالت: المسك والعنبر. وبالإخلاص حسن الباطن وبالتطيب ولبس حسن الثياب صلاح الظاهر لحرص الإسلام على القشر واللباب.

(٤) التسوك لقيام الليل:

* عن علي قال: أمرنا بالسواك وقال: قال النبي ﷺ: **«إنّ العبد إذا تسوّك ثم قام يصلي، قام الملك خلفه، فسمع لقراءته، فيدنو منه - أو كلمة نحوها - حتى يضع فاه على فيه، وما يخرج من فيه شيء من القرآن إلا صار في جوف الملك فطهّروا أفواهكم للقرآن»**[1].

* عن ابن شهاب قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«إذا قام الرجل يتوضأ ليلاً أو نهاراً فأحسن الوضوء واستنّ، ثم قام فصلى أطاف به الملك ودنا منه، حتى يضع فاه على فيه، فما يقرأ إلا في فيه، وإذا لم يستنّ أطاف به، ولا يضع فاه على فيه»**[2].

---

(١) إسناده جيد: رواه البزار في «مسنده» وقال المنذري: إسناده جيد، لا بأس، وروى ابن ماجه بعضه موقوفًا، وأخرج نحوه البيهقي في «السنن الكبرى»، والضياء في «المختارة»، والأصبهاني في «الترغيب»، وقال الألباني: إسناده جيد، رجاله رجال البخاري وفي الفضيل كلام لا يضر. انظر: «الصحيحة» رقم (١٢١٣).

(٢) صحيح: أخرجه محمد بن نصر في «الصلاة» عن ابن شهاب مرسلاً. وقال الألباني: صحيح وأخرج نحوه البيهقي في «السنن»، والضياء في «المختارة» عن علي انظر «صحيح الجامع» رقم (٧٣٦).

* عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا قام أحدكم يصلي من الليل فليستك، فإن أحدكم إذا قرأ في صلاته وضع مَلَك فاه على فيه، ولا يخرج من فيه شيء إلا دخل فم الملك**»[1] قال المناوي: [«إذا قام أحدكم» أي: إذا أراد القيام فيه كقوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** ﴾ عبّر عن إرادة الفعل بالفعل المسبب عنها للإيجاب.

(فليستك): أي يستعمل السواك، «وضع ملك»: يحتمل أن المراد به كاتب الحسنات ويحتمل غيره»][2] ا. هـ.

فانظر رحمك الله إلى حرص الملائكة واعتناء الملأ الأعلى باستماع القرآن من البشر، فاجتماع شرف القرآن وشرف الصلاة والسواك يزيد دنو الأرواح القدسية، وفي هذا من الفيوض الرحمانية ما فيه، والذي نفسي بيده لو لم يكن في فضيلة السواك ليلاً إلا هذا الحديث لكفى.

* وعن حسّان بن عطية قال: ركعتان يركعهما العبد قد استنّ فيهما أفضل من سبعين ركعة لم يستن فيها.

* وقال عبد العزيز بن أبي داود: خُلُقان كريمان من أحسن أخلاق المرء المسلم: التهجد بالليل والمداومة على السواك.

* وذكر محمد بن النضر الحارثي قيام الليل والسواك قبله فقال: «ذاك عادة المتهجدين»[3].

---

(١) **صحيح**: أخرجه تمام في «فوائده»، والبيهقي في «شعب الإيمان»، والضياء المقدسي في «المختارة»، ورواه عنه أبو نعيم، وقال المناوي: قال ابن دقيق العيد: رواته ثقات، وصححه السيوطي والألباني انظر: «صحيح الجامع» (٧٣٣).

(٢) «فيض القدير» (ج١ ص٤١٢).

(٣) «مختصر قيام الليل» ص(٥٠، ٥١).

(٤) غسل اليد قبل غمسها في إناء الوضوء، والوضوء وضوءًا حسنًا:

* عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إذا استيقظ أحدكم من نومه فليغسل يده قبل أن يدخلها في وضوئه، فإن أحدكم لا يدري أين باتت يده»(١).

وفي لفظ لمسلم: «إذا استيقظ أحدكم من نومه، فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثًا فإنه لا يدري أين باتت يده».

وعند أبي داود: «إذا قام أحدكم من الليل».

* عن ابن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يدخل يده في الإناء حتى يغسلها»(٢).

* عن جابر ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إذا قام أحدكم من النوم فأراد أن يتوضأ، فلا يدخل يده في وضوئه حتى يغسلها، فإنه لا يدري أين باتت يده، ولا على ما وضعها»(٣).

قال الحافظ في «الفتح» (١/ ٢٦٣): «أخذ بعموم الحديث الشافعي والجمهور فاستحبوه عقب كل نوم، وخصّه أحمد بنوم الليل، وإنما خصّ

---

(١) رواه البخاري واللفظ له كتاب الوضوء باب الاستجمار وترًا، ومسلم، وأصحاب السنن الأربعة، ومالك، وأحمد في «مسنده».

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه في كتاب الطهارة باب الرجل يستيقظ من منامه هل يدخل يده..

(٣) رواه ابن ماجه في «سننه» واللفظ له رقم (٣٩٥)، والدارقطني في «سننه»، والضياء، وصححه الألباني رقم (٧٣١).

نوم الليل بالذكر للغلبة، قال الرافعي في «شرح المسند»: يمكن أن يقال: الكراهة في الغمس لمن نام ليلاً أشد لمن نام نهارًا ؛ لأن الاحتمال في نوم الليل أقرب لطوله عادة، ثم الأمر عند الجمهور على الندب، وحمله أحمد على الوجوب في نوم الليل دون النهار» ا.هـ.

وينبغي على المرء أن يقتفي أثر رسول اللَّه ﷺ في الوضوء، وقد وصفه ابن عباس في حديث مبيته عند خالته ميمونة بقوله: «وضوءًا بين الوضوءين»، و«وضوءًا حسنًا»، و«وضوءًا هو الوضوء»، «وضوءًا حسنًا بين الوضوء» كما قال النووي: يعني لم يسرف ولم يقتر، وكان بين ذلك قوامًا.

* عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ أن النبي ﷺ قال: **«إذا استيقظ أحدكم من منامه فلينثر ثلاث مرات، فإن الشيطان يبيت على خياشيمه»** [١].

قال الحافظ: «شرح الحديث ٣٢٩٥»: «ظاهر الحديث أن هذا يقع لكل نائم، ويحتمل أن يكون مخصوصًا بمن لم يحترس من الشيطان بشيء من الذكر لحديث أبي هريرة: **«لا يقربك شيطان»**، ويحتمل أن يكون المراد بنفي القرب هنا، أنه لا يقرب من المكان الذي يوسوس فيه وهو القلب، فيكون مبيته على الأنف ليتوصل منه إلى القلب إذا استيقظ، فمن استنثر منعه من التوصل إلى ما يقصد من الوسوسة، فالحديث

(١) رواه مسلم واللفظ له كتاب الطهارة باب الإيتار في الاستنثار والاستجمار، والبخاري والنسائي وابن خزيمة، والاستنثار هو إخراج الماء بعد الاستنشاق، مع ما في الأنف من مخاط وشبهه ا. هـ.

حينئذ متناول لكل مستيقظ، والاستنشاق من سنن الوضوء اتفاقًا لكل من استيقظ أو كان مستيقظًا، ولا تتم السنة إلا بالاستنثار» ا. هـ.

قال المناوي (١/ ٢٧٩، ٢٨٠): «المراد بالشيطان: الجنس، يبيت حقيقة أو مجازًا، فإذا نام يتعرض له الشيطان لمحبته محلّ الأقذار بأضغاث أحلام، فإذا قام من نومه وترك الخيشوم بحاله، استمر الكسل والكلال واستعصى عليه النظر الصحيح، وعسر عليه القيام على حقوق الصلاة من نحو خشوع وخضوع، هذا هو المراد بالبيتوتة، أو إن المراد أن الشيطان يترصد للإنسان في اليقظة ويوسوس له في الأحوال مع سمع وبصر ونطق وغيرها، فإذا نام انسدت تلك المنافذ إلا منفذ النفس من الخيشوم، وهو باب مفتوح، فيبيت دون ذلك الباب، وينفث بنفخه ونفثه في عالم الخيال ليريه من الأضغاث ما يكرهه، فأرشد المصطفى ﷺ أمته أن تمحو باستعمال الطهارة على وجه التعبد آثار تلك النفخات والنفثات عن مجاري الأنفاس.

وقال في «البحر»: «خصّ الخيشوم ؛ لأن العين باب النظر إلى خلق السموات والأرض، فهذا باب العبرة، والفم باب الذكر، والأذن باب سماع العلم والذكر، وليس في الخيشوم شيء من هذه المعاني، فكان محل مدخل الشيطان لبدن الإنسان للوسوسة» ا. هـ.

(٥) الحرص على أذكار القيام والاستفتاح والتأسي بالرسول ﷺ في كيفية صلاته:

* قال النووي في «المجموع» (٣/ ٤٩٤): «يُسنّ لكل من استيقظ

لقيام الليل أن يمسح النوم عن وجهه وأن يتسوك وأن ينظر في السماء، وأن يقرأ الآيات التي في آخر آل عمران ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ...**﴾ الآيات ثبت كل ذلك في «الصحيحين» عن رسول اللَّه ﷺ.

* وليحرص على استفتاحه بركعتين خفيفتين ويجوز أن يستفتح بركعتين طويلتين، وليحرص على طول القيام كما ورد في حديثه ﷺ: «**أفضل الصلاة طول القنوت**»، وليحرص على الترتيل في القراءة، ومدّها، ويجوز له الترجيع، وليحرص على القرآن وترداد الآية، والوقوف عند آيات العذاب وسؤال المغفرة، وآيات الجنة وطلبها، وآيات الصفات للحمد والثناء على اللَّه عز وجل بما هو أهله، ويحزن صوته بالقرآن، ويجوز له الجهر والإسرار بحسب حاله، أو التوسط بين ذلك بحيث لا يشوش على المصلي، وليسأل اللَّه عز وجل أن يمنّ عليه بالبكاء عند تلاوة القرآن فهي صفة الصادقين.

(٦) ترديد الآية وتدبّر ما فيها:

أما ترديد الآية مرة بعد مرّة وتدبر ما فيها فلقد مرّ بك هديه ﷺ في ذلك.

* عن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت: «قام النبي ﷺ بآية من القرآن ليلة»(١).

(١) **إسناده صحيح**: رواه الترمذي في الصلاة، باب ما جاء في القراءة بالليل، وقال الترمذي: حديث حسن غريب من هذا الوجه، وقال الشيخ عبد القادر الأرناؤوط: إسناده صحيح وله شاهد صحيح من حديث أبي ذر رواه ابن ماجه والحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي.

* وقال علي بن أبي طالب: «لا خير في عبادة ليس فيها تفقه، ولا خير في فقه ليس فيه تفهُّم، ولا خير في قراءة ليس فيها تدبّر».

* وعن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «لأن أقرأ البقرة في ليلة أتدبرها وأفكر فيها، أحبّ إليّ مِنْ أَنْ أقرأ القرآن كله في ليلة».

* وعن ابن أبي ذئب عن صالح مولى التوأمة قال: كنت جاراً لابن عباس، وكان يتهجد من الليل، فيقرأ الآية، ثم يسكت قدر ما حدّثتك وذاك طويل، ثم يقرأ، قلت: لأي شيء ذاك؟ قال: من أجل التأويل يفكر فيه».

* وعنه: «ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه».

* وعن محمد بن كعب: «لأن أقرأ ﴿**إذا زلزلت الأرض**﴾ والقارعة أرددهما وأتفكر فيهما، أحبّ إليّ من أن أبيت أهذّ القرآن».

* وردّد سعيد بن جبير وهو يؤمهم في شهر رمضان ﴿**فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ**﴾ مراراً، وقام ليلة يصلي فقرأ ﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ**﴾ الآية فردّدها بضعًا وعشرين مرّة، وكان يبكي بالليل حتى عمش.

* وكان مسروق يقرأ «الرعد» ما بين صلاة العشاء إلى صلاة الفجر.

* وكان محمد بن واسع يجعل ﴿**هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ**﴾ ورده.

* وكان عُمر بن ذر إذا قرأ ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ لم يكد يَجُزْها ويقول: «يا لَكَ من يوم ما أملاك لقلوب الصادقين».

* وقال الحسن: يا ابن آدم، كيف يرقّ قلبك، وإنما همّتك في آخر سورتك؟!.

* وكان هارون بن رباب الأسيدي يقوم من الليل للتهجد فربّما ردّد هذه الآية حتى يصبح ﴿فَقَالُواْ يَلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِأَيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، ويبكي حتى يصبح.

* وردّد الحسن ليلة: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ حتى أصبح، فقيل له في ذلك، فقال: إن فيها معتبرًا، ما نرفع طرفًا ولا نردّه إلاّ وقع على نعمة، وما لا نعلمه من نعم اللَّه أكثر»[1] ا. هـ.

* قال يعمر بن بشر: أتيت باب عبد اللَّه بن المبارك بعد العشاء الآخرة فوجدته يصلي وهو يقرأ ﴿إِذَا السَّمَآءُ انفَطَرَتْ﴾ حتى إذا بلغ ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ وقف يرددها إلى أن ذهب هَوِيّ من الليل، فرجعت حين طلع الفجر وهو يرددها، فلما رأى الفجر قطع ثم قال: حلمكِ وجهلي حلمك وجهلي، فانصرفت وتركته»[2]

(٧) ترديد السورة:

ويجوز أن يقرأ السورة كلها يرددها مثل ما فعل قتادة بن النعمان، فعن أبي سعيد الخدري ـ رضي اللَّه عنه ـ: «أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ

(١) «مختصر قيام الليل» ص(٦٣).
(٢) «الغنية» ص(٥٥).

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ يرددها فلما أصبح جاء إلى رسول اللَّه ﷺ فذكر ذلك له، وكأنّ الرجل يتقالّها، فقال رسول اللَّه ﷺ: **«والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن»**[١].

* عن أبي سعيد الخدري - رضي اللَّه عنه -: أخبرني قتادة بن النعمان أن رجلاً قام في زمن النبي ﷺ يقرأ من السحر ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ لا يزيد عليها، فلمّا أصبحنا أتى الرجل النبي ﷺ فقال: يا رسول اللَّه إن فلانًا قام الليلة يقرأ في السحر ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فساق السورة يرددها لا يزيد عليها، وكأنّ الرجل يتقالّها، فقال النبي ﷺ: **«إنها لتعدل ثلث القرآن»**[٢] الرجل هو قتادة بن النعمان - رضي اللَّه عنه - كما ورد في «مسند الإمام أحمد» عن أبي سعيد: «بات قتادة بن النعمان يقرأ من الليل كله ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ لا يزيد عليها.

(٨) البكـــــاء:

* أمّا البكاء فقد كان ابن عمر إذا أتى على هذه الآية ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ بكى وقال: بلى يا رب، بلى يا رب».

* وعن نافع: كان ابن عمر يصلي بالليل فيمر بالآية فيها ذكر الجنة فيقف فيسأل اللَّه الجنة، ويدعو، وربّما بكى، ويمر بالآية فيها ذكر النار،

(١) أخرجه البخاري واللفظ له باب فضل ﴿ قل هو اللَّه أحد ﴾ من كتاب فضائل القرآن، ورواه النسائي، وأحمد في «مسنده»، ومالك، والدارقطني.

(٢) أخرجه البخاري مختصرًا واللفظ له.

فيقف، ويتعوّذ باللَّه من النار، ويدعو ربه، وربّما بكى.

وقرأ - رضي اللَّه عنه - ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ فلما أتى على هذه الآية ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ بكى حتى خَنّ[١]، وحتى انقطع عن قراءة ما بعدها، وكان - رضي اللَّه عنه - يقول: «لأن أدمع دمعة من خشية اللَّه أحبّ إليّ مِنْ أنْ أتصدق بألف دينار»[٢] ا. هـ.

وعن ابن أبي مليكة قال: «بينما عبد اللَّه بن عمر - رضي اللَّه عنهما - وراء المقام يصلي وقد شفا[٣] القمر أن يغيب، مرّ به عبد اللَّه بن طارق فوقف، فقال له: ما لك يا ابن أخي؟ أتعجب مني أن أبكي!! فواللَّه إن هذا القمر ليبكي من خشية اللَّه، أما واللَّه لو تعلمون حق العلم لبكى أحدكم حتى ينقطع صوته، ولسجد حتى ينكسر صلبه».

(٩) حُسْنُ الصـــلاة:

لا تطفف في صلاتك.. إذا كان اللَّه يقول: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ في الكيل والميزان فما بالك بِمَنْ يطفف في عمود الدين الصلاة.

قال الحسن: يا ابن آدم إذا هانت عليك صلاتك فما الذي يعزّ عليك[٤] ؟!.

رأت فأرة جملاً فأعجبها فجرت خطامه فتبعها، فلما وصل إلى باب بيتها، وقف ونادى بلسان الحال: إمّا أنْ تتخذي دارًا تليق بمحبوبك،

(١) من الخنين وأصله خروج الصوت من الأنف كالحنين من الفم.
(٢) «مختصر قيام الليل» ص(٦١، ٦٢، ٦٤).
(٣) شفا: قرُب.
(٤) «تبصرة» (ج٢ ص٢٣٦).

أو محبوبًا يليق بدارك» خذ من هذه إشارة: «إمّا أن تصلي صلاة تليق بمعبودك، أو تتخذ معبودًا يليق بصلاتك.

* طول الركوع والسجود: ولك في رسولك ﷺ أسوة فهديه خير الهدي وأحسنه.

(١٠) ترك القيام مع النعاس والفتور، والقصد في العمل والمداومة عليه وإن قلّ:

* عن أنس - رضي اللَّه عنه - قال: دخل رسول اللَّه ﷺ المسجد وحبل ممدود بين ساريتين فقال: «ما هذا؟»، قالوا: لزينب تصلي، فإذا كسلت أو فترت أمسكتْ به، فقال: «**حلّوه، ليصلي أحدكم نشاطه، فإذا كسل أو فتر قعد [فليقعد]**»(١).

قال النووي: «وفيه الحث على الاقتصاد في العبادة والنهي عن التعمق، والأمر بالأقبال عليها بنشاط، وإنه إذا فتر فليقعد حتى يذهب الفتور»(٢).

وفيه: «جواز تنفّل النساء في المسجد فإنها كانت تصلي النافلة فيه، فلم ينكر عليها، واستدل به على كراهة التعلق في الحبل في الصلاة، «ووقع في رواية البخاري: لا، حلّوه».

* عن عائشة - رضي اللَّه عنها - قالت: دخل عليّ رسول اللَّه

(١) رواه البخاري، ومسلم واللفظ له، «كتاب صلاة المسافرين - باب من نعس في صلاته»، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وأحمد.
(٢) «شرح النووي على صحيح مسلم» (ج٢ ص٤٤١).

ﷺ وعندي امرأة من بني أسد، فقال: «مَنْ هذه؟»، فقلت: امرأة لا تنام، تصلي، قال: «**عليكم من العمل ما تطيقون، فوالله لا يملّ الله حتى تملّوا، وكان أحب الدِّين إليه ما داوم عليه صاحبه**»(١).

وعند البخاري: فقال: «**مَهْ عليكم...**».

قال ابن حجر في «الفتح» (٣/ ٢٧): «مَهْ: إشارة إلى كراهة ذلك خشية الفتور، والملال على فاعله لئلا ينقطع عن عبادة التزمها فيكون رجوعًا عمّا بذل لربه من نفسه».

* عن عروة بن الزبير أن عائشة - رضي الله عنها - زوج النبي ﷺ أخبرته أن الحَوْلاء بنت تُوَيْت بن حبيب بن أسد بن عبد العزى مرّت بها وعندها رسول الله ﷺ، فقلتُ: هذه الحولاء بنت تويت، وزعموا أنها لا تنام الليل، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تنام الليل!! خذوا من العمل ما تطيقون، فوالله لا يسأم الله حتى تسأموا**»(٢).

وفي «موطأ الإمام مالك» في هذا الحديث: «وكره ذلك حتى عُرِفت الكراهة في وجهه».

وفي قوله ﷺ: «**لا تنام الليل!!**» الإنكار عليها وكراهة فعلها وتشديدها على نفسها، ويوضحه ما في «موطأ مالك» ا. هـ كلام النووي.

---

(١) رواه البخاري، ومسلم واللفظ له في كتاب صلاة المسافرين - باب فضيلة: العمل الدائم من قيام الليل وغيره.

(٢) رواه مسلم واللفظ له كتاب صلاة المسافرين - باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره، ومالك، والبيهقي، وابن نصر.

* عن أبي أمامة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ **«خذوا من العبادة ما تطيقون، فإن اللَّه لا يسأم حتى تسأموا»**(١) .

عن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ أن النبي ﷺ قال: **«إذا نعس أحدكم في الصلاة فليرقد حتى يذهب عنه النوم، فإن أحدكم إذا صلّى وهو ناعس، لعلّه يذهب يستغفر فيسبّ نفسه»**(٢) .

قال النووي: «وفيه الحث على الإقبال على الصلاة بخشوع وفراغ قلب ونشاط، وفيه أمر الناعس بالنوم، أو نحو ممّا يذهب عنه النعاس، وهذا عامّ في صلاة الفرض والنفل في الليل والنهار، هذا مذهبنا ومذهب الجمهور، لكن لا يخرج فريضة عن وقتها.

قال القاضي: وحمله مالك وجماعة على نفل الليل؛ لأنه محل النوم غالبًا (٣) ا. هـ.

قال القاضي: (يستغفر) هنا: «يدعو» ا. هـ كلام النووي.

* عن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت: قال رسول اللَّه ﷺ **«إذا نعس الرجل وهو يصلي فلينصرف لعلّه يدعو على نفسه وهو لا يدري»**(٤) .

* عن أنس ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبي ﷺ : **«إذا نعس أحدكم**

---

(١) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير»، وقال الهيثمي: فيه بشر بن نمير ضعيف، وضعّفه السيوطي وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٢١٢).

(٢) رواه مسلم واللفظ له، والبخاري، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، ومالك في «الموطأ».

(٣) «شرح النووي لمسلم» (ج١ ص٤٤٢).

(٤) صحيح: رواه النسائي، وابن حبان في «صحيحه»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٨٢٥).

في الصلاة فلَيَنم حتى يعلم ما يقرأ»(١) ، وفي رواية: **«ما يقول»**.

قال الحافظ في «الفتح»: «قال المهلب: إنما هذا في صلاة الليل؛ لأن الفريضة ليست في أوقات النوم، ولا فيها من التطويل ما يوجب ذلك. انتهى، ولكن العبرة بعموم اللفظ فيُعمل به أيضًا في الفرائض - إنْ وقعَ - ما أمن بقاء الوقت»(٢).

* عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«إذا قام أحدكم من الليل، فاستعجم القرآن على لسانه فلم يدر ما يقول فليضطجع»**(٣).

قال النووي: «(فاستعجم القرآن): أي استغلق ولم ينطق به لسانه لغلبة النوم»(٤) ا. هـ.

* عن القاسم بن محمد، عن عائشة - رضي اللَّه عنها - قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: **«أحب الأعمال إلى اللَّه تعالى أدومها وإنْ قلّ»** قال: وكانت عائشة إذا عملت العمل لزمته(٥).

* عن علقمة قال: سألت أم المؤمنين عائشة، قال: قلت: يا أم

---

(١) رواه البخاري في كتاب الوضوء باب الوضوء من النوم، واللفظ له، وأحمد في «مسنده»، والنسائي.

(٢) «فتح الباري» (ج١) شرح باب الوضوء من النوم ص(٣١٥).

(٣) رواه مسلم واللفظ له كتاب صلاة المسافرين - باب من نعس في صلاته، وأبو داود، وابن ماجه، وأحمد في «مسنده»، وابن نصر، وأبو عوانة.

(٤) «شرح النووي» (ج٢ ص٤٤٢).

(٥) رواه البخاري، ومسلم واللفظ له في صلاة المسافرين - باب فضيلة العمل الدائم، وأبو داود.

المؤمنين، كيف كان عَملُ رسول اللَّه ﷺ: هَلْ كان يخصّ شيئًا من الأيام؟ قالت: لا، كان عمله ديمة، وأيّكم يستطيع ما كان رسول اللَّه ﷺ يستطيع[1] ؟! قال البغوي: «قولها: كان عمله ديمة: الديمة: المطر الدائم في سكون، شبّهت عمله في دوامه مع الاقتصاد بديمة المطر»[2].

* عن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ أنها قالت: «كان لرسول اللَّه ﷺ حصير وكان: يُحَجِّرُه من الليل فيصلي فيه، فجعل الناس يصلّون بصلاته، ويبسطه بالنهار، فثابوا ذات ليلة، فقال: «**يا أيها الناس عليكم من الأعمال ما تطيقون، فإن اللَّه لا يمل، وإن أحب الأعمال إلى اللَّه ما دُوِّم عليه وإنْ قلّ**»، وكان آل محمد ﷺ إذا عملوا عملاً أثبتوه[3].

* قال النووي: (يحجره من الليل): يتخذه حجره كما في الرواية.

(ثابوا ذات ليلة): أي اجتمعوا، وقيل رجعوا للصلاة، (عليكم من الأعمال ما تطيقون): أي: تطيقون الدوام عليه بلا ضرر، وفيه دليل على الحث على الاقتصاد في العبادة واجتناب التعمق، وليس الحديث مختصًا بالصلاة بل هو عام في جميع أعمال البر، (ولا يمل حتى تملوا): قال العلماء: قال المحققون: معناه لا يعاملكم معاملة المالِّ فيقطع عنكم ثوابه وجزاءه وبسط فضله ورحمته حتى تقطعوا عملكم، وقيل معناه: لا

---

(١) رواه البخاري، ومسلم واللفظ له، صلاة المسافرين ـ باب فضيلة العمل الدائم.

(٢) «سرح السنة» للبغوي (ج٤ ص٥٥).

(٣) رواه مسلم واللفظ له كتاب صلاة المسافرين ـ باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره.

يمل إذا مللتم. قاله ابن قتيبة وغيره وحكاه الخطابي وغيره، وأنشدوا فيه شعرًا، قالوا: ومثاله قولهم في البليغ: «فلان لا ينقطع حتى يقطع خصومه» معناه: لا ينقطع إذا انقطع خصومه، ولو كان معناه ينقطع إذا انقطع خصومه لم يكن له فضل على غيره، وفي هذا الحديث: كمال شفقته ﷺ ورأفته بأمته؛ لأنه أرشدهم إلى ما يصلحهم، وهو ما يمكنهم الدوام عليه بلا مشقة ولا ضرر، فتكون النفس أنشط، والقلب منشرحًا فتتم العبادة، بخلاف مَنْ تعاطى من الأعمال ما يشق فإنه بصدد أن يتركه، أو بعضه، أو يفعله بكلفة وبغير انشراح القلب، فيفوته خير عظيم، وقد ذمّ اللَّه سبحانه وتعالى من اعتاد عبادة ثم أفرط، فقال تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾، قد ندم عبد اللَّه بن عمرو بن العاص على تركه قبول رخصة رسول اللَّه ﷺ في تخفيف العبادة ومجانبة التشديد، وفيه الحث على المداومة على العمل، وأنّ قليله الدائم خير من كثير ينقطع، وإنما كان القليل الدائم خيرًا من الكثير المنقطع؛ لأن بدوام القليل تدوم الطاعة والذكر والمراقبة والإخلاص والإقبال على الخالق سبحانه وتعالى، ويثمر القليل الدائم بحيث يزيد على الكثير المنقطع أفعالاً كثيرة، وقد كان آل محمد ﷺ أهل بيته وخواصّه من أزواجه وقرابته إذا عملوا عملاً لازموه وداوموا عليه»[1].

* عن جابر ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «مرّ رسول اللَّه ﷺ على

(١) «شرح النووي لمسلم» (ج٢ ص٤٣٩ ـ ٤٤٠).

رجل يصلي على صخرة فأتى ناحية مكة فمكث مليًّا، ثم انصرف، فوجد الرجل يصلي على حاله فقام فجمع يديه، ثم قال: **«يا أيها الناس عليكم بالقصد - ثلاثًا - فإن الله لا يمل حتى تملّوا»** (١).

قال المناوي: «أي: الزموا السداد والتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط، وكرره للتأكيد.

قال الحكماء: الفضائل هيئات متوسطة بين فضيلتين، كما أن الخير متوسط بين رزيلتين، فما جاوز التوسط خرج عن حد الفضيلة.

وقال حكيم للإسكندر: «أيها الملك، عليك بالاعتدال في كل الأمور؛ فإن الزيادة عيب، والنقصان عجز» (٢)ا. هـ.

(١١) النهي عن تخصيص ليلة الجمعة بقيام:

* عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: **«لا تختصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي ولا تخصّوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام إلاَّ أن يكون في صوم يصومه أحدكم»** (٣)

قال النووي: «في الحديث النهي الصريح عن تخصيص ليلة الجمعة

(١) صحيح: رواه ابن ماجه واللفظ له (٤١/ ٤٢)، وابن حبان في «صحيحه»، وأبو يعلى في «مسنده»، وقال في «الزوائد»: إسناده حسن، ويعقوب بن عبد الله مختلف فيه، وباقي رجال إسناده ثقات، وصححه السيوطي، والألباني انظر: «صحيح الجامع» ص(٢٧٤٤).

(٢) «فيض القدير» (ج٢ ص١٦٠).

(٣) رواه مسلم واللفظ له كتاب الصوم، باب كراهة إفراد يوم الجمعة بصوم، ورواه ابن خزيمة.

بصلاة من بين الليالي، ويومها بصوم كما تقدم، وهذا يتفق على كراهته، واحتج به العلماء على كراهة هذه الصلاة المبتدعة التي تسمى «بالرّغائب» ـ قاتل اللَّه واضعها ومخترعها ـ فإنها بدعة منكرة من البدع التي هي ضلالة وجهالة، وفيها منكرات ظاهرة، وقد صنف جماعة من الأئمة مصنفات نفيسة[1] في تقبيحها، وتضليل مصليها ومبتدعها، ودلائل قبحها وبطلانها وتضـلل فاعلها أكثر من أن تحصر، واللَّه أعلم»[2] ا. هـ.

وسبب الحديث ما رواه ابن سعد بسند مرسل صحيح عن محمد ابن سيرين قال: «دخل سلمان على أبي الدرداء في يوم جمعة، فقيل له: هو نائم، قال: فقال: ما له؟ قالوا: إنه إذا كان ليلة الجمعة أحياها، ويصوم يوم الجمعة، قال: فأمرهم فصنعوا طعامًا في يوم جمعة، ثم أتاهم، فقال: كل، قال: إني صائم، فلم يزل به حتى أكل، ثم أتيا النبي ﷺ فذكرا له ذلك، فقال النبي ﷺ: **«عويم! سلمان أعلم منك، وهو يضرب على فخذ أبي الدرداء، عويمر! سلمان أعلم منك»** ثلاث مرات[3] . . . فذكر الحديث.

(١) انظر: «مساجلة علمية بين العز بن عبد السلام، وابن الصلاح» حول صلاة الرغائب بتحقيق الألباني، وممّن قال إنها بدعة وحديثها موضوع أبو شامة، وابن شهاب المقدسي والطرطوشي، وابن الحاج، وابن تيمية وزكريا الأنصاري.

(٢) «شرح مسلم للنووي» (ج٣ ص١٩٨).

(٣) ابن سعد (٤/ ٨٥)، وقال الألباني: هذا إسناد مرسل صحيح انظر: «السلسلة الصحيحة» رقم (٩٨٠).

(١٢) إيقاظ الأهل والصبية ومَنْ يليه لقيام الليل:

ولقد مرّ بك هدي رسول اللَّه ﷺ في ذلك مع أزواجه «صواحب الحجرات» ومع ابنته فاطمة، وابن عمه علي، وهدي نبي اللَّه داود مع أهل بيته، وهديه مع ابن عباس، وابن عباس ابن عشر سنين.

* عن زيد بن أسلم، عن أبيه: «أن أبا عبيدة بن الجراح حصر حصرًا شديدًا وتألّب عليه العدو حتى اشتد ذلك على عمر فربما لم يَقل فنقول: لا يقوم الليل كما كان يقوم، فيكون أبكر ما يكون قيامًا، فكان إذا انصرف يقرأ هذه الآية: ﴿**وأمر أهلك بالصلاة**﴾. قال أسلم: «وكنت أبيت عند عمر أنا ويرفأ فيقول: قوما فصليا، فواللَّه ما أستطيع أن أصلي، ولا أستطيع أن أرقد، وإني لأفتتح بالسورة فما أدري أنا في أولها أو في آخرها من همّي بالناس»[١].

* عن محمد بن طلحة بن مصرف قال: «كان أبي يأمر نساءه وخدمه وبناته بقيام الليل، ويقول: صلّوا ولو ركعتين في جوف الليل؛ فإن الصلاة في جوف الليل تحطّ الأوزار، وهي من أشرف أعمال الصالحين».

(١٣) نوم السحر الأعلى:

وفي هذا اقتفاء لهدي رسول اللَّه ﷺ ونبي اللَّه داود عليه الصلاة والسلام.

قال الجيلاني في «الغنية» (٦٢): «ويستحب لمن قام الليل أن ينام

---

(١) «مختصر قيام الليل» ص(٤٣).

آخره لوجهين:

أحدهما: أنه يذهب النعاس بالغداة.

والوجه الثاني: أن نوم آخر الليل يذهب بصفرة الوجه، وإذا كابد نومه ولم ينم بقيت الصفرة بحالها وينبغي أن يتقي ذلك ؛ لأنه باب غامض، وهو من الشهوة الخفية والشرك الخفي؛ لأنه يشار إليه بالأصابع، ويتوهم فيه الصلاح والسهر والصوم والخوف من اللَّه عز وجل ؛ لأجل تلك الصفرة التي في وجهه، نعوذ باللَّه من الشرك والرياء، وكل أمارة تدل عليها، وينبغي أن يقلل شرب الماء بالليل لما قدمنا من أنه يجلب النوم؛ ولأنه تكون منه صفرة الوجه لاسيما في آخر الليل وعند الانتباه من النوم» ا. هـ.

الفصل بين صلاة الليل بالتسبيح:

قال الجيلاني في «الغنية» (٦٣): «يستحب أن يفصل في تضاعيف صلاة الليل بجلوس يسبح فيه، ليكون عونًا على الصلاة، ولتسكن الجوارح، وتزول سآمة النفس للقيام، ويحبب إليها التهجد والصلاة وهو داخل تحت قوله عز وجل: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ أي: أعقاب الصلاة» ا. هـ.

* ولينوع الرجل في قيامه، فقد كان رسول اللَّه ﷺ يصله أحيانًا، وأحيانًا يقطعه بالنوم بين كل ركعتين، لحديث الحجاج بن عمرو: «إنما التهجد بعد نومة»، فإن اختار أن يقوم أول الليل حتى يغلبه النوم، ثم ينام، ثم يقوم متى استيقظ، ثم ينام متى غلبه النوم، ثم يقوم آخر الليل

فيكابد الليل بين النوم والقيام:

يقول الجيلاني (٦٢): «وهو من أشد الأعمال، وهي حالة أهل الحضور واليقظة والفكر والتذكر، قيل إنها من أخلاق رسول اللَّه ﷺ، قد يكون للعابد قومات ونومات في تضاعيف ذلك، وإما أن يكون القيام والنوم موزونًا عدلاً فلا يكون ذلك إلا للنبي ﷺ فيكون قلبه دائم اليقظة، ووحي من اللَّه سبحانه وتعالى يؤمر به، وينهى ويوقظ وينوم ويقلب ويحرك خاص به ذلك دون بقية الخلق» ا. هـ.

* ملحوظة: إن قام الرجل من نومه ولم يصلّ، يغسل وجهه ويده، ثم ينام بعد ذلك.

* * *



باب آخر
مِنَ القِيَام

فصل

إذا اعتاد الرجل القيام نُبِّه لذلك

* عن ابن مسعود: «إذا نام الرجل وهو يريد القيام من الليل أيقظه إما سنور، وإما صبي، وإما شيء فيستيقظ، فيفتح عينيه وقد وُكل به قرينان: قرين سوء، وقرين صالح، فيقول قرين السوء: افتح بشرّ، نمْ إن عليك ليلاً طويلاً ما تسمع صوتًا ولا قيام أحد، فإن نام حتى يصبح أتاه الشيطان فبال في أذنه، فأصبح ثقيلاً كسلانًا خبيث النفس مغبونًا، ويقول الملك: افتح بخير، قم فاذكر ربك وصلِّ، فإن قام فتوضأ ثم دخل المسجد فذكر اللَّه وأثنى عليه، وصلى على النبي ﷺ، فإذا فرغ من صلاته استقبله الملك فقبّله ثم يصبح طيّب النفس قد أصاب خيرًا».

* وقال زياد النميري: «أتاني آت في منامي فقال: قم يا زياد إلى عبادتك من التهجد وحظك من قيام الليل، فهو واللَّه خير لك من نومة توهن بدنك، وينكسر لها قلبك، فاستيقظت فزعًا، ثم غلبني نوم، فأتاني فقال: قم يا زياد فلا خير في الدنيا إلا للعابدين فوثبت فزعًا».

* وعن يحيى بن سعيد بن أبي الحسن قال: «كان أبي إذا جنّ عليه الليل قام فتوضأ، ثم عمد إلى محرابه فلم يزل قائمًا فيه يصلي حتى يصبح، قال أبي: فنمت ليلة عن وقتي الذي كنت أقوم فيه، فإذا بشاب

جميل قد وقف عليّ فقال: قم يا سعيد إلى خير ما أنت قائم إليه، وقم إلى تهجدك فإن فيه رضاء ربك وحظ نفسك، وهو شرف المؤمنين عند مليكهم يوم القيامة، قال: فحدثت به أخي الحسن: فقال: قد أطاف بي هذا الشاب قديمًا».

* وقـال أزهـر بن ثابت التغلبي: «كان أبي من القوّامين للَّه في سواد هذا الليل، قال: رأيت في منامي امرأة لا تشبه نساء الدنيا، فقلت: مَنْ أنت؟ قالت: حوراء أمة اللَّه، قلت: زوّجيني نفسك. قالت: اخطبني إلى سيدي وامهرني، قلت: وما مهرك؟ قالت: طول التهجد.

* وحال الحوراء مع الداراني ليس ببعيد.

* قال عبد الواحد بن زيد: كنا في غزاة فنزلنا منزلاً فنام أصحابي، وقمت أقرأ فجعلت عيناي تغلباني وأغالبهما حتى أستتم جزئي، فلما فرغت وأخذت مضجعي، قلت: لو كنت نمت كما نام أصحابي كان أروح لبدني، فإذا أصبحت قرأت جُزئي، ثم نمت فرأيت في منامي شابًا جميلاً وبيده ورقة فدفعها إليّ فإذا فيها مكتوب:

ينــام مَنْ شاء على غفـــلة والنـــوم أخو الموت فلا تتّكلْ

* وعن سهيل بن حاتم: «كنت في بيت المقدس فكان قلّما يخلو من المتهجدين؟ فقمت ليلة فلم أر في المسجد متهجدًا فقلت: ما حال الناس الليلة؟ إذ سمعت قائلاً مِنْ نحو الصخرة يقول:

فيا عجبـًا للناس لَذّت عيونهم مطاعم غمض بعده الموت منتصبْ
فطول قيام الليل أيسر مؤنة وأهـون من نـار تفـــور وتلتهبْ

قال: فسقطت لوجهي وذهب عقلي، فلما أفقت نظرت فإذا لم يبق متهجدًا إلا قام.

* وعن رابعة العابدة: «اعتللت علة قطعتني عن التهجد وقيام الليل، ثم رزقني اللَّه العافية، فاعتادتني فترة عقب العلّة، فبينا أنا ذات ليلة راقدة أُريتُ جارية، فأدخلتني قصرًا، فتلقانا فيه وُصَفاء[1] بأيديهم قالت: أفلا تجمروا هذه المرأة، قالوا: قد كان لها في ذلك حظ فتركته، ثم أقبلت علي فقالت:

صلاتك نور العباد رقود ... ونومك ضد للصلاة عنيد
وعمرك غنم إن عقلت ومهلة ... يسير، ويفنى دائمًا ويبيد

قالت: فما ذكرتها إلا طاش عقلي وأنكرت نفسي.

* وقال آخر: «نمت ليلة عن جزوي فأريت في منامي قائلاً يقول لي:

عجبت من جسم ومن صحّة ... ومن فتى نام إلى الفجر
فالموت لا تؤمن خطفاته ... في ظلم الليل إذا يسري
من بين منقول إلى حفرة ... يفترش الأعمال في القبر
وبين مأخوذ على غرّة ... بات طويل الكبر والفخر
عاجله الموت على غفلة ... فمات مثبورًا إلى الحشر

قال فما نسيتها بعد»[2] ا. هـ.

---

(١) جمع وصيف وهو الخادم.
(٢) النقل من كتاب «مختصر قيام الليل» من ص(٤٤ ـ ٤٦).

ويرحم الله رابعة زوجة أحمد بن أبي الحواري حين تقول له: «إنما أقوم إذا نوديت».

فصل

نزول الملائكة والسكينة
وحضور عمّار الدار صلاة الليل لاستماع القرآن

عن البراء قال: «كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوط بشطنين فتغشته سحابة فجعلت تدور وتدنو، وجعل فرسه ينفر منها فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال: **«تلك السكينة تنزّلت للقرآن»**، وفي أخرى: **«تنزلت عند القرآن»** **«تنزلت بالقرآن»**.

وفي رواية أخرى: **«اقرأ فلان فإنها السكينة...»** معناه كما قال النووي: كان ينبغي أن تستمر على القرآن وتغتنم ما حصل لك من نزول السكينة والملائكة وتستكثر من القراءة التي هي سبب بقائها.

وفي هذا الحديث فضيلة القراءة ليلاً، وأنها سبب لنزول الرحمة وحضور الملائكة: «وقد حدث مثل هذا لأسيد بن حضير عند قراءة للبقرة كما مرّ بك ولثابت بن قيس».

[أخرج أبو داود من طريق مرسلة قال: «قيل للنبي ﷺ: ألم تر ثابت بن قيس لم تزل داره البارحة تزهر بمصابيح قال: فلعله قرأ سورة البقرة فسئل قال: قرأت سورة البقرة] (١)

(١) «فتح الباري» (٨/ ٦٧٥).

عن عبادة بن الصامت: «إذا قام أحدكم من الليل فليجهر بقراءته فإنه يطرد بجهر قراءته الشياطين وفساق الجن، وإن الملائكة الذين هم في الهواء وسكان الدار يستمعون لقراءته ويصلون بصلاته فإذا مضت هذه الليلة، أوصت الليلة المستأنفة فتقول نبهيه لساعته، وكوني عليه خفيفة».

*وقال محمد بن قيس: بلغني أن العبد إذا قام من الليل للصلاة هبطت عليه الملائكة تستمع لقراءته واستمع له عمار الدار وسكان الهواء.

*وعن يزيد الرقاشي أن صفوان بن محرز المازني كان إذا قام إلى تهجده من الليل قام معه سكان داره من الجن فصلوا بصلاته واستمعوا لقراءته.

*وعن عمر بن ذر عن أبيه بنحوه.

* * *

بـــاب
أيّ الليـــل أفضـــل؟

وأي وقت أفضل من وقت التنزل الإلهي، وساعة الاستجابة من الليل؟! ولقد فهم الأنبياء صلوات اللّٰه عليهم ـ وهم أعقل الناس عن ربهم ـ ذلك فقاموا في أشرف الأوقات.

وقد اختلفت الروايات في تعيين الوقت الطيب المبارك وهو وقت التنزل الإلهي، وانحصرت في ستة:

(١) حين يبقى ثلث الليل الآخر.

(٢) إذا مضى الثلث الأول.

(٣) الثلث الأول أو النصف.

(٤) النصف.

(٥) النصف أو الثلث الأخير.

(٦) الإطلاق.

والرواية السادسة المطلقة تُحمل على المقيدة، والتي بِأَوْ إن كانت للشك فالمجزوم به مقدم على المشكوك فيه، وإن كانت للتردد فيجمع بين الروايات بأن ذلك يقع بحسب اختلاف الأحوال لكون أوقات الليل تختلف في الزمان وفي الآفاق.

ويحتمل أن يكون النبي ﷺ علم بأحد الأمرين في وقت فأخبر به، ثم أعلم بالآخر في وقت آخر فأخبر به.

ولنختر ما اختار أصحاب الحديث وشيوخه، وهو ثلث الليل الآخر، وهو الذي تظاهرت عليه الأخبار بلفظه ومعناه.

لنختر ما أخبرنا به الصادق المصدوق ﷺ عن أفضل الصلوات عند اللَّه وهي صلاة نبي اللَّه داود عليه السلام وما اختاره لنفسه ﷺ.

فقيام داود عليه السلام: «يقوم ثلث الليل بعد شطره (نصفه) كما في رواية مسلم التي أتت «بثم»، وهي للترتيب، «ويرقد آخره»، وهو الذي اختاره الرسول ﷺ لنفسه، وروته عنه أعلم الناس به عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ: «كان ينام أوله، ويقوم آخره فيصلي، ثم يرجع إلى فراشه، فإذا أذّن المؤذن وثب، فإن كانت به حاجة اغتسل وإلا توضأ وخرج»[1] وثبت أنه كان يقوم إذا سمع الصارخ وينام السحر الأعلى وهو سدس الليل الآخر، وهو ما أقر عليه نبي اللَّه ﷺ وحبّذه وحكم به لأصحابه حين يقول لأبي الدرداء: «**صدق سلمان**» لمّا قال لأبي الدرداء من آخر الليل «قم»، وهو جوف الليل الآخر.

فاختر لنفسك ما اختار اللَّه عز وجل لنبيه محمد ﷺ ونبيه داود عليه السلام.

سئل الحسن أي القيام أفضل؟ قال: «جوف الليل الغابر إذا نام مَنْ قام من أوله، ولم يقم بعد مَنْ يتهجد في آخره فعند ذلك نزول الرحمة وحلول المغفرة، فلمّا سمع هذا مُسْمَع بن عاصم بكى، وقال: «إلهي في كل سبيل يبتغي المؤمن رضوانك»[2].

---

(١) اللفظ للبخاري من كتاب التهجد ـ باب مَنْ نام من أول الليل وأحيا آخره.
(٢) «مختصر قيام الليل» ص(٤٠).



فِقهُ القِيَام

الجزء الثاني

فقـــهُ القيَـــام

«صلاة الليل مثنى مثنى أوْلَى»:

* عن ابن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ أن رجلاً سأل رسول اللَّه ﷺ عن صلاة الليل، فقال رسول اللَّه ﷺ : «**صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خشي أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلّى**»(١). وفي لفظ آخر: «**فإذا خشيت الصبح أوتر بركعة**».

* عن ابن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال رجل: يا رسول اللَّه كيف تأمرنا أن نصلي من الليل؟ قال: «**يصلي أحدكم مثنى مثنى فإذا خشي الصبح صلّى واحدة فأوترت له ما قد صلّى من الليل**»(٢).

* عن عقبة بن جريث قال: سمعت ابن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ يحدّث أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**صلاة الليل مثنى مثنى، فإذا رأيت الصبح يدركك فأوتر بواحدة**»، فقيل لابن عمر: ما مثنى مثنى؟ قال: «**أن تسلم في كل ركعتين**»(٣).

* وقال رسول اللَّه ﷺ : «**صلاة الليل مثنى مثنى، والوتر ركعة من آخر الليل**»(٤).

---

(١) رواه البخاري، ومسلم واللفظ له، والأربعة، وأحمد، ومالك.

(٢) رواه أحمد بلفظه، وقال الشيخ شاكر: إسناده صحيح. وروى نحوه الجماعة.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه الطبراني عن ابن عباس، ومسلم عن ابن عمر [الجزء الأول من الحديث]، انظر: «صحيح الجامع» رقم (٣٧٢٤)، وروى مسلم عن ابن عباس الجزء الثاني.

* وعن أبي أيوب الأنصاري: «كان رسول اللَّه ﷺ إذا تهجّد يسلم بين كل ركعتين»[١].

* وعن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ: «كان رسول اللَّه ﷺ يصلي من الليل مثنى مثنى يسلم بين كل ركعتين، يوتر منها بواحدة»[٢].

* عن علي الأزدي عن ابن عمر قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**صلاة الليل والنهار مثنى مثنى**»[٣].

---

(١) صحيح: رواه ابن نصر عن أبي أيوب وصححه الألباني رقم (٤٥٧١) في «صحيح الجامع»، وكذا رواه مسلم عن عائشة، وابن أبي شيبة، عن أبي سلمة مرسلاً.

(٢) اللفظ لمحمد بن نصر.

(٣) الكلام على حديث عليّ الأزدي:

صحيح: رواه الترمذي، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وأحمد، والدارقطني، والطحاوي، وابن حبان في «صحيحه»، وابن خزيمة في «صحيحه»، والحاكم في «علوم الحديث»، والبيهقي.

قال الشيخ عبد القادر أرناؤوط: [قال الزيلعي في «نصب الراية» (٢/١٤٣): «قال النسائي في «سننه الكبرى»: إسناد جيد، إلا أنّ جماعة من أصحاب ابن عمر خالفوا الأزدي فلم يذكروا فيه النهار منهم سالم ونافع وطاووس، ثم ساق رواية الثلاثة. ورواه أبو نعيم في «تاريخ أصبهان» من حديث عائشة، وإبراهيم الحربي في «غريب الحديث» من حديث أبي هريرة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوى» (٢/٥٥): «وهو خلاف ما رواه الثقات المعروفون عن ابن عمر.. ولهذا ضعّف الإمام أحمد، وغيره من العلماء حديث البارقي قال: ولا يقال هذه زيادة من الثقة فتكون مقبولة لوجوه... فذكرها».

وقال الحافظ في «الفتح» (ج٢ باب ما جاء في الوتر عن هذا الحديث: [قد تعقب هذا الأخير بأن أكثر أئمة الحديث أعلوا هذه الزيادة وهي قوله: «والنهار» بأن الحفاظ من أصحاب ابن عمر لم يذكروها عنه، وحكم النسائي على راويها بأنه أخطأ فيها، وقال يحيى بن معين: من عليّ الأزدي حتى أقبل منه؟ وادعى يحيى بن سعيد الأنصاري عن نافع، عن ابن عمر كان يتطوع بالنهار أربعًا لا يفصل بينهن، ولو كان حديث الأزدي =

عن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ أن النبي ﷺ كان يصلي ما بين أن يفرغ

= صحيحًا لما خالفه ابن عمر مع شدة اتباعه.. رواه محمد بن نصر في سؤالاته. ولكن روى ابن وهب بإسناد قوي عن عمر: «صلاة الليل والنهار مثنى مثنى» موقوف أخرجه ابن عبد البر من طريقه، فلعلّ الأزدي اختلط عليه الموقوف بالمرفوع، فلا تكون هذه الزيادة صحيحة على طريقة من يشترط في الصحيح أن لا يكون شاذًا» ا. هـ.

وقد صحح بعضهم هذه الزيادة كما في «تهذيب سنن أبي داود» للمنذري، قال الشيخ أحمد شاكر: «المسند» (٤٧٩١): علي البارقي ثقة وثقه العجلي، وأخرج له مسلم في «صحيحه» حديثًا غير هذا الحديث» ا. هـ. وقال البيهقي: «رواه معاذ بن معاذ ابن شعبة كذلك ورواه عبد الملك بن حسين عن يعلى بن عطاء»، ثم روى بإسناده أن البخاري سئل عن حديث يعلى: أصحيح هو ؟ فقال: نعم. وأن البخاري قال: قال سعيد بن جبير: «كان ابن عمر لا يصلي أربعًا لا يفصل بينهن إلا المكتوبة». ثم روى البيهقي بإسناد صحيح، عن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان: «أنه سمع عبد اللَّه بن عمر يقول: «صلاة الليل مثنى مثنى يريد به التطوع»، وهذا الحديث صححه من الأئمة :

١ ـ الإمام أحمد بن حنبل نقله عنه ابن مفلح في «المبدع» (ج٢ ص٢٢)، وقال: «إسناده جيد».

٢ ـ الإمام البخاري: وكفى بتصحيح البخاري هذا الحديث حجة كما قال الشيخ شاكر، نقل ذلك عنه البيهقي بإسناده، وابن مفلح في «المبدع».

٣ ـ الإمام النووي: في «شرح مسلم» (ج٢ ص٤٠١)، قال: وروى أبو داود، والترمذي بالإسناد الصحيح «صلاة الليل والنهار مثنى مثنى».

٤ ـ الهيثمي: قال: حديث صحيح رواته كلهم ثقات.

٥ ـ الحاكم في «المستدرك»، وقال: رواتها ثقات.

٦ ـ البيهقي: قال: هذا حديث صحيح.

٧ ـ الخطابي: «إن سبيل الزيادة من الثقة أن تقبل».

٨ ـ المناوي في «فيض القدير» (ج٤ ص٢٢١).

٩ ـ الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٧٢٥)، (٣٧٢٦) حديث رقم (١٢١٠) من «صحيح ابن خزيمة»، وإنه قال في «تمام المنة»: حديث «صلاة النهار مثنى مثنى» صحيح ولكن ذكر النهار فيه شاذ. =

من العشاء إلى الفجر إحدى عشرة ركعة يسلم من كل ركعتين[1].

والتسليم بين كل ركعتين من صلاة الليل هو قول الجمهور:

* قال النووي في «شرح مسلم» (ج٢ ص١٠٤): [الأفضل هو أن يسلم من كل ركعتين وسواء نوافل الليل والنهار يستحب أن يسلم من كل ركعتين، ولو جمع ركعات بتسليمة أو تطوع بركعة واحدة جاز عندنا - أي عند الشافعية -] ا. هـ.

* وقال النووي في «المجموع» ص(٤٩٨): «الأفضل في صلاة الليل والنهار أن يسلم من كل ركعتين وبهذا قال الشافعي، ومالك، وأحمد، وداود، وابن المنذر، وحكي عن الحسن البصري، وسعيد ابن جبير» ا. هـ.

* قال ابن حجر في «الفتح»: [استُدل بالحديث على تعين الفصل بين كل ركعتين من صلاة الليل، قال ابن دقيق العيد: وهو ظاهر السياق لحصر المبتدأ في الخبر، وحمله الجمهور على أنه لبيان الأفضل لما صحّ من فعله ﷺ بخلافه، ولم يتعين أيضًا كونه لذلك، بل يحتمل أن يكون للإرشاد إلى الأخف، ولو كان الوصل لبيان الجواز فقط لم يواظب عليه ﷺ، ومَنْ ادّعى اختصاصه به فعليه البيان، وقد صحّ عنه ﷺ

= ١٠ - ابن حبان.

١١ - الشيخ أحمد شاكر في التعليق على الحديث رقم (٤٧٩١) من «مسند الإمام أحمد».

(١) **إسناده صحيح**: رواه أبو داود، ومحمد بن نصر وإسنادهما على شرط الشيخين كما قاله ابن حجر العسقلاني في «فتح الباري» (ج٢ شرح حديث ٩٩٠).

الفصل كما صحّ عنه الوصل(١).

وقد اختلف السلف في الفصل والوصل في صلاة الليل أيهما أفضل؟: وقال الأثرم عن أحمد: الذي أختاره في صلاة الليل مثنى مثنى، فإن صلى بالنهار أربعًا فلا بأس.

قال ابن مفلح في «المبدع في شرح المقنع» [حنبلي]: [صلاة الليل مثنى مثنى، فإن زاد على ذلك المشهور عن أحمد: أنه يصح مع الكراهة](٢).

* قال الشوكاني في «النيل»: «قد أخذ مالك بظاهر الحديث فقال: لا تجوز الزيادة على الركعتين، وحمله الجمهور على أنه لبيان الأفضل»(٣).

وقال: «والحديث يدل على أن المستحب في صلاة تطوع الليل والنهار أن يكون مثنى مثنى إلاّ ما خصّ من ذلك، إما في جانب الزيادة كحديث عائشة: «صلّى أربعًا فلا تسأل عن حسنهن...»، وإمّا في جانب النقصان كأحاديث الإيتار بركعة» ا. هـ.

* قال محمد بن نصر في «قيام الليل»: «فالذي نختار لمن صلّى بالليل أن يصلي مثنى مثنى يسلم بين كل ركعتين، ويجعل آخر صلاته ركعة لهذه الأحاديث، وهذا عندنا اختيار لا إيجاب؛ لأنه قد روي أنه صلى بالليل خمسًا لم يسلم إلاّ في آخرهن، فاستدللنا بذلك على أن

(١) «الفتح» شرح حديث (٩٩٠ ج٢) ـ كتاب الوتر.
(٢) «المبدع» (ج٢/ ٢٢).
(٣) «نيل الأوطار» (٣/ ٢٩٥، ٣٦٣).

قوله مثنى مثنى إنما هو اختيار، ومَنْ أحبّ أن يصلي ثلاثًا أو خمسًا أو سبعًا أو تسعًا لا يسلّم إلاّ في آخرهن فذلك له مباح، والاختيار أن يسلم بين كل ركعتين ويوتر بواحدة»(١).

وقال: «وكل ذلك جائز أن يعمل به اقتداءً به ﷺ غير أن الاختيار ما ذكرنا؛ لأن النبي ﷺ لما سُئل عن صلاة الليل أجاب أن صلاة الليل مثنى مثنى، فاخترنا ما اختار هو لأمته، وأجزنا فعل من اقتدى به ففعل مثل فعله، إذ لم يرد عنه نهي عن ذلك، بل قد روي أنه قال: **«من شاء أن يوتر بخمس، ومن شاء أن يوتر بثلاث، ومن شاء فليوتر بواحدة»** غير أن الأخبار التي رويت عنه أنه أوتر بواحدة هي أثبت وأصح وأكثر عند أهل العلم بالأخبار، واختياره حين سُئل كان كذلك، فلذلك اخترنا الوتر بركعة على ما فسّرنا، واخترنا العمل بالأخبار الأُخر؛ لأنها أخبار حسان غير مدفوعة عند أهل العلم بالأخبار»(٢) ا. هـ.

صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم، صلاة النائم على النصف من صلاة القاعد

* عن عمران بن حصين قال: «سألت النبي ﷺ عن صلاة الرجل وهو قاعد فقال: **«من صلى قائمًا فهو أفضل، ومن صلى قاعدًا فله نصف أجر القائم، ومَنْ صلى نائمًا فله نصف أجر القاعد»**(٣)» قال

(١) «مختصر قيام الليل».

(٢) «مختصر قيام الليل» ص(١٢٣).

(٣) رواه البخاري واللفظ له، والترمذي، والنسائي، وأبو داود، وابن ماجه.

أبو عبد اللَّه البخاري: «نائمًا عندي مضطجعًا ها هنا».

* قال رسول اللَّه ﷺ: «**صلاة الرجل قائمًا أفضل من صلاته قاعدًا، وصلاته قاعدًا على النصف من صلاته قائمًا، وصلاته نائمًا على النصف من صلاته قاعدًا**»[1].

* وقال رسول اللَّه ﷺ: «**صلاة القاعد نصف صلاة القائم**»[2].

* وقال ﷺ: «**صلاة الجالس على النصف من صلاة القائم**»[3].

قال الشوكاني: [«قال الخطابي في «معالم السنن»: «إني لا أحفظ عن أحد من أهل العلم أنه رخّص في صلاة التطوع نائمًا كما رخّصوا فيه قاعدًا، فإنْ صَحّتْ هذه اللفظة عن النبي ﷺ ولم تكن مدرجة من بعض الرواة في الحديث قياسًا على صلاة القاعد، أو اعتبارًا بصلاة المريض نائمًا إذ لم يقدر على القعود، دلّت على جواز تطوع القادر على القعود مضطجعًا، قال: ولا أعلم أني سمعت نائمًا إلا في هذا الحديث».

وقال ابن بطال: « قوله مَنْ صَلّى نائمًا فله نصف أجر القاعد، فلا يصح معناه عند العلماء؛ لأنهم يجمعون أن النافلة لا يصليها القادر على

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود، وأحمد في «مسنده» عن عمران بن حصين وصححه الألباني انظر: «صحيح الجامع» رقم (٣٧١٩).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود، وابن ماجه، وأحمد عن أنس، وابن ماجه عن ابن عمرو، والطبراني في «الكبير» عن ابن عمر، وعن عبد اللَّه بن السائب، وعن عبد المطلب ابن أبي وداعة وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٧٢٢).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد عن عائشة، ورواه ابن ماجه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٧١٠).

القيام إيماءً، قال: وإنما دخل الوهم على ناقل الحديث»، وتعقّب ذلك العراقي فقال: «أما نفي الخطابيّ، وابن بطال للخلاف في صحة التطوع مضطجعًا للقادر فمردود، فإن في مذهب الشافعية وجهين، الأصح منهما الصحة، وعند المالكية ثلاثة أوجه حكاها القاضي عياض في «الإكمال» أحدها الجواز مطلقًا في الاضطرار. والاختيار للصحيح والمريض، وقد اختاره الأبهري منهم. وقد روى الترمذي بإسناده عن الحسن البصري جوازه فكيف يدعي مع هذا الخلاف القديم والحديث الاتفاق» ا. هـ.

وحديث من صلّى قائمًا فهو أفضل: حمله سفيان الثوري، وأبو عبيد، وإسماعيل القاضي، وابن شعبان الإسماعيلي، والداودي، وابن الماجشون على التطوع، وحكاه النووي عن الجمهور وقال: إنه يتعين حمل الحديث عليه عن سفيان الثوري أنه قال: «إن تنصيف الأجر إنما هو للصحيح، فأما مَنْ كان له عذر من مرض أو غيره فصلى جالسًا فإنه مثل أجر القائم».

* عن أبي موسى مرفوعًا: **«إذا مرض العبد أو سافر كتب له صالح ما كان يعمل وهو صحيح مقيم»**(١).

* وقال محمد بن نصر في «قيام الليل»: [«قال اللَّه تعالى: ﴿**وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ**﴾ فأوجب القيام في الصلاة المكتوبة، وقال النبي ﷺ: **«صلّ قائمًا فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنب»**(٢) واتفق

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد.

(٢) أخرجه البخاري، والأربعة، وأحمد.

أهل العلم على أن الفرض على من أطاق القيام في المكتوبة أن يصلي قائمًا، لا يجزئه غير ذلك. إلاّ أن يعجز عن القيام فإذا عجز عن القيام صلّى قاعدًا.

وقال أيضًا: «صلاة القاعد على النصف: إنما هو في التطوع خاصة دون الفريضة وذلك أن يصلي الرجل تطوعًا، وهو قادر على القيام إلا أنه يكون قد طعن في السنّ أو عرض له ثقل في البدن وملالة وفترة، فيجد القعود أخف عليه فيصلي قاعدًا ليكون أنشط له وأقدر على كثرة القراءة والركوع والسجود، ولو تجشم القيام لأمكنه غير أنه يتخفف بالقعود فإذا فعل ذلك كان له مثل أجر القائم، وكذلك المتطوع إذا عجز عن القيام لمرض أو لزمانة حلّت به فصلى التطوع قاعدًا، ومن نيته لو استطاع القيام لقام فله مثل أجر القائم، وإنما يكون نصف أجر القائم لمن صلّى قاعدًا وهو يقدر على القيام»[1].

*وفي «المغني» لابن قدامة ص(١٠٥): «يباح أن يتطوع جالسًا ولا نعلم خلافًا في إباحة التطوع جالسًا، وأنه في القيام أفضل؛ ولأن كثيرًا من الناس يشق عليه طول القيام فلو وجب في التطوع لتُرك أكثره، فسامح الشرع في ترك القيام فيه ترغيبًا في تكثيره كما سامح في فعله على الراحلة في السفر، وسامح في نيّة صوم التطوع من النهار».

* وقال ابن مفلح في «المبدع» (٢/) «فرع: لم يتعرض المؤلف للتطوع مضطجعًا، وظاهره أنه لا يصح، وقدّمه في «الفروع»، ونقل ابن هانئ صحته، ورواه الترمذي عن الحسن».

---

(١) «مختصر قيام الليل» ص(٨٦، ٨٧).

* قال البغوي في «شرح السنة» (٤/ ١١٠): «وهل يجوز أن يصلي التطوع نائمًا مع القدرة على القيام أو القعود، فذهب بعضهم إلى أنه لا يجوز، وذهب قوم إلى جوازه، وهو قول الحسن، وهو الأصح والأولى لثبوت السنة فيه».

* قال ابن حجر في «الفتح»: «الأصح عند المتأخرين أنه لا يجوز للقادر الإيماء للركوع والسجود، وإن جاز التنفل مضطجعًا، بل لا بد من الإتيان بالركوع والسجود حقيقة. والمشهور عند المالكية أنه يجوز له الإيماء إذا صلى نفلاً قاعدًا مع الركوع والسجود، وهو الذي يتبين من اختيار البخاري»[1] ا. هـ.

قال ابن حجر ـ رحمه اللَّه ـ في الحديث: «**على جنبه الأيمن مستقبل القبلة بوجهه**»، وهو حجة للجمهور في الانتقال من القعود إلى الصلاة على الجنب، وعن الحنفية، وبعض الشافعية: يستلقي على ظهره ويجعل رجليه إلى القبلة، ووقع في حديث علي [وحديث عمران عند النسائي] أن حالة الاستلقاء تكون عند العجز عن حالة الاضطجاع»[2].

* قال البغوي في «شرح السنة» (٤/ ١١٢): «وإن صلى نائمًا، فذهب قوم إلى أنه يصلي مستلقيًا ورجلاه إلى القبلة، وبه قال أصحاب الرأي. وذهب قوم إلى أنه ينام على جنبه الأيمن مستقبل القبلة، وبه قال الشافعي، وهو ظاهر القرآن والسنة، قال اللَّه تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ**﴾، وقال النبي ﷺ: «**فإن لم تستطع فعلى**

(١) «فتح الباري» (ج٢) كتاب تقصير الصلاة باب: صلاة القاعد بالإيماء.
(٢) «فتح الباري» (ج٢) كتاب تقصير الصلاة باب: إذا لم يطق قاعدًا صلّى على جنب.

جنب»، وقال عطاء: إن لم يقدر أن يتحول إلى القبلة صلى حيث كان وجهه.

قال ابن عمر: إذا لم يستطع المريض السجود: أومأ برأسه إيماءً ولم يرفع إلى جبهته شيئًا، وقال الحسن عن أمه: رأيت أم سلمة زوج النبي ﷺ تسجد على وسادة من أدم من رمد بها».

قال الإمام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٢٣/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥): «حمل قوم تفضيل صلاة القائم على النفل دون الفرض؛ لأن القيام في الفرض واجب. ومَنْ قال هذا القول لزمه أن يجوز تطوع الصحيح مضطجعًا؛ لأنه قد ثبت أنه قال: **«ومن صلى قاعدًا فله نصف أجر القائم»** وقد طرد هذا الدليل طائفة من متأخري أصحاب الشافعي وأحمد، وجوّزوا أن يتطوع الرجل مضطجعًا لغير عذر لأجل هذا الحديث ولتعذر حمله على المريض كما تقدم. ولكن أكثر العلماء أنكروا ذلك، وعدوه بدعة، وحدثًا في الإسلام. وقالوا: لا يعرف أن أحدًا قط صلى في الإسلام على جنبه وهو صحيح، ولوكان هذا الأمر مشروعًا لفعله المسلمون على عهد نبيهم ﷺ أو بعده، ولفعله النبي ﷺ ولو مرة لتبيين الجواز. فقد كان يتطوع قاعدًا، ويصلي على راحلته قبل أي وجه توجهت ويوتر عليها غير أنه لا يصلي عليها المكتوبة، فلو كان هذا سائغًا لفعله، ولو مرة، أو لفعله أصحابه. وقال أيضًا (٢٣/ ٢٤٢): «معلوم أن التطوع بالصلاة مضطجعًا بدعة، لم يفعلها أحد من السلف» ا. هـ.

كيفية جلوس المصلي قاعدًا في حال قراءته:

ثبت في «الصحيح» أن رسول اللَّه ﷺ كان يجلس متربعًا:

قال الحافظ في «الفتح»: «لم يبين كيفية القعود، فيؤخذ من إطلاقه جوازه على أي صفة شاء المصلي، وهو قضية كلام الشافعي في البويطي، وقد اختلف في الأفضل، فعن الأئمة الثلاثة[1] يصلي متربعًا[2]، وقيل يجلس مفترشًا وهو موافق لقول الشافعي في «مختصر المزني» وصححه الرافعي ومن تبعه، وقيل متوركًا»[3]ا. هـ.

* قال الشوكاني في «نيل الأوطار»: «وقال القاضي حسين من الشافعية أنه يجلس على فخذه اليسرى وينصب ركبته اليمنى كجلسة القارئ بين يدي المقرئ، وهذا الخلاف إنما هو في الأفضل، وقد وقع الاتفاق على أنه يجوز أن يقعد على أي صفة شاء من القعود»[4]ا. هـ.

* وقال محمد بن نصر في «قيام الليل» (٨٧، ٨٨):

«لم يثبت في كيفية جلوس المصلي قاعدًا عن النبي ﷺ خبر»[5]، فإذا كان كذلك فللمصلي جالسًا أن يجلس كيف خفّ عليه وتيسر، إن شاء تربع، وإن شاء احتبى، وإن شاء جلس في حال القراءة كما يجلس للتشهد بين السجدتين، وإن شاء اتكأ، كل ذلك قد فعله السلف من

---

(١) أبو حنيفة، ومالك، وأحمد.

(٢) وهو أحد القولين للشافعي في «نيل الأوطار».

(٣) «فتح الباري» كتاب تقصير الصلاة ـ باب صلاة القاعد.

(٤) «نيل الأوطار» (ج٣ ص٣٧٠).

(٥) هذا الكلام مردود عليه بحديث صحيح: «أنه صلى متربعًا».

التابعين ومن بعدهم غير أن التربع خاصة قد روي عن غير واحد أنه كرهه ورخصت فيه جماعة، واختارته أخرى، فأما الاحتباء والجلوس كجلسة التشهد فلا نعلم عن أحد من السلف لذلك كرهه»[١].

التربع في الصلاة ومنْ اختاره أو فعله من عذر أو رخّص فيه:

نقل محمد بن نصر بإسناده ذلك عن:

(١) ابن عمر: عن عبد اللَّه بن عبد اللَّه بن عمر أنه كان يرى عبد اللَّه بن عمر يتربع في الصلاة إذا جلس، قال ففعلته وأنا حديث السن فنهاني عبد اللَّه بن عمر. قلت: فإنك تفعل ذلك، قال: «إن رجليّ لا تحملاني»[٢].

(٢) ابن عباس. (٣) أنس بن مالك. (٤) سعيد بن جبير. (٥) مجاهد. (٦) إبراهيم النخعي. (٧) ابن سيرين. (٨) عطاء. (٩) سالم بن عبد اللَّه. (١٠) سفيان. (١١) مالك بن أنس: يصلي متربعًا ويركع قريبًا ويثني في السجود وزاد البغوي في «شرح السنة». (١٢) حماد. (١٣) عمر بن عبد العزيز. . وقد أعلّ هذه الطرق جميعها ابن نصر.

ذكر مَنْ كره التربع في الصلاة:

ذكر محمد بن نصر جماعة من الأئمة وهم: (١) ابن مسعود. (٢) ابن عمر. (٣) ابن عباس. (٤) الحكم. (٥) ابن سيرين. (٦) عطاء. قال: إلاّ أن يكون شيخًا كبيرًا لا يطيق إلا ذلك.

(١، ٢) «مختصر قيام الليل» ص(٨٨، ٨٩).

ذكر من صلّى محتبيًا:

ذكر محمد بن نصر والبغوي منهم: (١) سعيد بن المسيب. (٢) عروة بن الزبير. (٣) أبو بكر بن عبد الرحمن. (٤) عيسى بن طلحة. (٥) سعيد بن جبير.. فإذا أراد أن يركع حلّ حبوته، ثم قام فركع. (٦) عمر بن عبد العزيز. (٧) الحسن. (٨) إبراهيم. (٩) عطاء الخراساني. (١٠) مالك. قال: لا أرى بأسًا أن يصلي الرجل محتبيًا.

الاحتباء: هو أن يجلس بحيث يكون ركبتاه منصوبتين وبطنا قدميه موضوعين على الأرض ويداه موضوعتين على ساقيه.

ذِكْرُ مَنْ رأى أن يجلس كجلوسه في التشهد:

ذكر محمد بن نصر منهم: (١) ابن سيرين. (٢) سعيد بن جبير. (٣) ابن أبي نجيح. واختاره ابن نصر.

مَنْ صلّى متكئًا:

ذكر ابن نصر منهم: بكر بن عبد اللَّه المزني صلى متربعًا ومتكئًا.

مَنْ صلّى جالسًا على دكان مدليًا رجليه:

قال محمد بن نصر: كان لأبي برزة دكان يجلس عليه، ويدلي رجليه ويصلي.

* قال محمد بن نصر: «والذي هو أحب إليّ أن يجلس المصلي قاعدًا في حال قراءته كجلوسه في التشهد أو كجلوسه بين السجدتين[١]،

(١) فقد سنه رسول اللَّه ﷺ واتفقت العلماء عليه.

تشبيهًا به إذ وجد ذلك من هيئة الصلاة المتفق عليها، وهذه جلسة تواضع وتذلل» إلا أن يطول ذلك عليه ويكون التربع والاحتباء أخف عليه فيتربع أو يحتبي والاحتباء أحبّ إليّ من التربع لأنا قد روينا عن جماعة من السلف أنهم كرهوا التربع ولم يأتنا عن أحد منهم أنه كره الاحتباء».

كيفية ركوع المحتبي والمتربع وسجودهما:

اختلف أهل العلم في ذلك:

* فمنهم من قال: يصلي متربعًا، وإذا أراد أن يركع أو يسجد ثنى رجليه [وحلّ حبوته إذا كان محتبيًا، ثم يعود فيحتبي].

وهو قول أنس وسعيد بن جبير ومجاهد وإسحاق وأحمد بن حنبل وإبراهيم.

* ومنهم من قال: يركع كما هو، ثم يثني رجليه للسجود ومنهم: مالك والثوري وسعيد بن المسيب وسعد بن إبراهيم.

قال إسحاق: «إذا أراد أن يصلي النوافل فله أن يصلي جالسًا. يكره أن يتعمد الصلاة جالسًا إلا من مرض أو كبر أو عذر»[1].

قال ابن قدامة في «المغني» (٢/ ١٠٥): «ويكون في حال القيام متربعًا ويثني رجليه في الركوع والسجود».

روي ذلك عن ابن عمر وأنس وابن سيرين ومجاهد وسعيد بن جبير ومالك والشافعي وإسحاق، وعن أبي حنيفة كقولنا وعنه

(١) «مختصر قيام الليل» من ص(٨٧) إلى ص(٩١).

يجلس كيف يشاء.

وروي عن ابن المسيب وعروة وابن عمر: يجلس كيف يشاء ؛ لأن القيام سقط فسقطت هيئته. ثم ذكر من صلى محتبيًا، ثم قال: واختلف فيه عن عطاء والنخعي. ثم قال ابن قدامة ـ رحمه اللَّه ـ: ولنا أن القيام يخالف القعود، فينبغي أن تخالف هيئته في بدل هيئة غيره كمخالفة القيام غيره، وهو مع هذا أبعد من السهو والاشتباه، وليس إذا سقط القيام لمشقته يلزم سقوط ما لا مشقة فيه، كمن سقط عنه الركوع والسجود لا يلزم سقوط الإيماء بهما.

وهذا الذي ذكرنا مستحب غير واجب إذ لم يرد بإيجابه دليل.

ثم قال: حكى ابن المنذر وأحمد وإسحاق أنه لا يثني رجليه إلا في السجود خاصة، ويكون في الركوع على هيئة القيام، وذكره أبو الخطاب، وهو قول أبي يوسف ومحمد، وهو أقيس ؛ لأن هيئة الركوع في رجليه هيئة القائم، فينبغي أن يكون على هيئته، وهذا أصح في النظر إلا أن أحمد ذهب إلى فعل أنس، وأخذ به» ا. هـ. النقل من «المغني».

الترتيل أفضل أم كثرة القراءة:

قال الإمام ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ: «اختلف الناس في الأفضل من الترتيل وقلة القراءة، أو السرعة مع كثرة القراءة أيهما أفضل؟ على قولين:

* فذهب ابن مسعود وابن عباس وغيرهما إلى أن الترتيل والتدبر

مع قلة القراءة أفضل من سرعة القراءة مع كثرتها، واحتج أرباب هذا القول بأن المقصود من القرآن فهمه وتدبره، والفقه فيه والعمل به، وقالوا: ولأن الإيمان أفضل الأعمال، وفهم القرآن وتدبره هو الذي يثمر الإيمان، أما مجرد التلاوة من غير فهم ولا تدبر فيفعلها البر والفاجر والمؤمن والمنافق، وقالوا: فكما أنّ مَنْ أوتي إيمانًا بلا قرآن أفضل ممّنْ أوتي قرآنًا بلا إيمان، فكذلك منْ أُوتي تدبرًا وفهمًا في التلاوة أفضل ممن أوتي كثرة قراءة. وقالوا هذا هدي النبي ﷺ فإنه كان يرتل الآية حتى تكون أطول من أطول منها، وقام بآية حتى الصباح.

* وقال أصحاب الشافعي ـ رحمه اللَّه ـ: كثرة القراءة أفضل، واحتجوا بحديث ابن مسعود ـ رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَنْ قرأ حرفًا من كتاب اللَّه فله به حسنة» الحديث. وقالوا: ولأن عثمان بن عفان قرأ القرآن في ركعة.

والصواب في المسألة أن يقال: إنّ ثواب قراءة الترتيل والتدبر أجلّ وأرفع قدرًا وثواب كثرة القراءة أكثر عددًا، فالأول كمنْ تصدّق بجوهرة عظيمة أو أعتق عبدًا قيمته نفيسة جدًا، والثاني كمنْ تصدّق بعدد كثير من الدراهم، أو أعتق عددًا من العبيد قيمتهم رخيصة»[1]. اهـ. من «زاد المعاد».

طول القيام أم كثرة الركوع والسجود:

قال ابن القيم: «اختلف الناس في القيام والسجود أيهما أفضل:

(١) «زاد المعاد» (جـ١ ص٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩).

* فرجّحت طائفة القيام لوجوه:

أحدها: أن ذكره أفضل الأذكار فصار ركنه أفضل الأركان.

والثاني: قوله تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾.

الثالث: قوله ﷺ: **«أفضل الصلاة طول القنوت»**.

* وقالت طائفة: السجود أفضل واحتجت:

(١) بقوله ﷺ: **«أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»**.

(٢) وحديث: **«عليك بالسجود... ما مِنْ عبد يسجد للَّه سجدة إلا رفع اللَّه له بها درجة»**.

(٣) وحديث: **«أعِنِّي على نفسك بكثرة السجود»**.

(٤) وإنّ أول سورة أنزلت على رسول اللَّه ﷺ سورة «اقرأ» على الأصح وختمها بقوله: ﴿واسجد واقترب﴾.

* وبأن السجود للَّه يقع من المخلوقات كلها علويّها وسفليّها.

* وبأن الساجد أذلّ ما يكون له وهو سر العبودية.

* وبأن السجود بنفسه عبادة لا يصح أن يُفعل إلا على وجه العبادة، أما القيام فلا يكون عبادة إلا بنية.

* وبأن القيام إنما صار عبادة بما فيه، أما السجود فإن مشروع عبادة بنفسه، حتى خارج الصلاة كسجود التلاوة والشكر.

* وبأن النار تأكل من ابن آدم كل شيء إلا مواضع السجود.

* وبأن الناس أمروا بالسجود في عرصات القيامة دون غيره.

* وبأن الرسول ﷺ يسجد قبل الشفاعة.

وأن مواضع الساجد تسمى مساجد، فعُلم أن أعظم أفعال الصلاة هو السجود[(1)ا. هـ.

*وقالت طائفة طول القيام بالليل أفضل، وكثرة الركوع والسجود بالنهار أفضل واحتجت هذه الطائفة بأن صلاة الليل قد خُصت باسم القيام لقوله تعالى: ﴿**قم الليل**﴾ وقوله ﷺ: «**من قام رمضان**»، ولهذا يقال: «قيام الليل» ولا يقال قيام النهار.

قالوا: وهكذا كان هدي النبي ﷺ. أمّا النهار فلم يحفظ عنه شيء من ذلك بل كان يخفف السنن.

*وقال شيخنا ابن تيمية: «والصواب: أنهما سواء، والقيام أفضل بذكره وهو القراءة، والسجود أفضل بهيئته، فجنس السجود وهيئته أفضل من هيئة القيام، وذكر القيام أفضل من ذكر السجود، وهكذا كان هدي رسول اللَّه ﷺ فإنه كان إذا أطال القيام، أطال الركوع والسجود، كما فعل في صلاة الكسوف وفي صلاة الليل. وكان إذا خفّف القيام خفف الركوع والسجود وكذلك كان يفعل في الفرض كما قال البراء بن عازب: كان قيامه وركوعه وسجوده واعتداله قريبًا من السواء واللَّه أعلم»(1)ا. هـ.

*قال محمد بن نصر في قيام الليل:

«وفي الأخبار المروية في صفة صلاة النبي ﷺ بالليل دليل على اختياره طول القيام وتطويل الركوع والسجود، وذلك أن أكثر ما صحّ عن

---

(1) «زاد المعاد» (ج1 ص235، 237).

النبي ﷺ أنه صلى من الليل ثلاث عشرة ركعة بالوتر، وقد صلى إحدى عشرة ركعة، وتسع وسبع ركعات يطول فيها القراءة والركوع والسجود»[١].

*قال الحافظ ابن حجر: «ذهب كثير من الصحابة وغيرهم إلى أن كثرة السجود أفضل، والذي يظهر أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال»[٢]ا. هـ.

*قال النووي في «شرح مسلم» (٢/ ١٢٠): «في هذه المسألة ثلاثة مذاهب: أحدها:

(١) تطويل السجود وتكثير الركوع والسجود أفضل حكاه البغوي والترمذي عن جماعة ومِمَّنْ قال بتفضيل تطويل السجود ابن عمر - رضي اللّه عنهما -.

(٢) المذهب الثاني: مذهب الشافعي - رضي اللّه عنه - وجماعة أن تطويل القيام أفضل.

(٣) المذهب الثالث: أنهما سواء.

وتوقف أحمد بن حنبل في المسألة، ولم يقض فيها بشيء. وقال إسحاق بن راهويه: «أمّا في النهار فتكثير الركوع والسجود أفضل، وأما في الليل فتطويل القيام إلا أن يكون للرجل جزء بالليل يأتي عليه، فتكثير الركوع والسجود أفضل؛ لأنه يقرأ جزأه ويربح كثرة الركوع

(١)«مختصر قيام الليل» ص(٥٦).
(٢)«فتح الباري» (ج٣) باب طول القيام.

والسجود، وقال الترمذي: إنما قال إسحاق هذا؛ لأنهم وصفوا صلاة النبي ﷺ بطول القيام ولم يوصف من تطويله بالنهار ما وصف بالليل والله أعلم»[١] ا. هـ.

قال الشوكاني في «نيل الأوطار»: «إن تطويل القيام أفضل، وإلى ذلك ذهب الشافعي وجماعة وهو الحق»، وقال: «وإلى هذا ذهب جماعة، منهم الشافعي وهو الظاهر، ولا يعارضه الأحاديث في فضل السجود؛ لأن صيغة «أفعل» الدالة على التفضيل إنما وردت في فضل طول القيام، ولا يلزم من فضل الركوع والسجود أفضليتهما على طول القيام، وكذلك لا يلزم مِنْ كون العبد أقرب إلى ربه حال سجوده أفضليته على القيام ؛ لأن ذلك إنما هو باعتبار إجابة الدعاء. قال العراقي: «الظاهر أن أحاديث أفضلية طول القيام محمولة على صلاة النفل التي لا تشرع فيها الجماعة، وعلى صلاة المنفرد، فأما الإمام في الفرض والنوافل فهو مأمور بالتخفيف المشروع إلا إذا علم من حال المأمومين المحصورين إيثار التطويل»[٢] ا. هـ.

* وقال النووي في «المجموع»: «تطويل القيام عندنا أفضل من تطويل السجود والركوع، وأفضل من تكثير الركعات»[٣].

* وقال ابن مفلح في «المبدع»: «بالجملة ما روي عن النبي ﷺ تخفيفه أو تطويله فالأفضل اتباعه فيه»[٤] ا. هـ. وهو قول

(١) «صحيح مسلم» (ج٢ ص١٢٠، ١٢١).
(٢) «نيل الأوطار» (ج٣ ص٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩).
(٣) «المجموع» (ج٢ ص٤٩٣، ٤٩٨).
(٤) «المبدع» (ج٢ ص٢١).

ابن قدامة في «المغني».

كيفية التهجد يوردها ابن حزم:

قال أبو محمد بن حزم في «المحلى»: [«الوتر وتهجد الليل ينقسم على ثلاثة عشر وجهًا أيها فعل أجزأه.

(١) أحبها إلينا وأفضلها أن نصلي ثنتي عشرة ركعة نسلّم من كل ركعتين، ثم نصلي ركعة واحدة ونسلم»، ثم ساق حديث عائشة عند أبي داود (١/ ٥١٢).

(٢) «أن يصلي ثمان ركعات، يسلم من كل ركعتين منها، ثم يصلي خمس ركعات متصلات لا يجلس إلا في آخرهن.

(٣) أن يصلي عشر ركعات، يسلم من آخر كل ركعتين، ثم يوتر بواحدة، ثم ساق حديث عائشة في مسلم.

(٤) أن يصلي ثمان ركعات، يسلم من كل ركعتين، ثم يوتر بواحدة.

(٥) أن يصلي ثمان ركعات لا يجلس في شيء منهن جلوس تشهد إلا في آخرها، فإذا جلس في آخرهن وتشهد قام دون أن يسلّم، فأتى بركعة واحدة، ثم يجلس ويتشهد ويسلم» ـ لحديث عائشة في مسلم من طريق سعد بن هشام بن عامر.

(٦) أن يصلي ست ركعات يسلم في آخر كل ركعتين منها ويوتر بسابعة.

(٧) أن يصلي سبع ركعات لا يجلس ولا يتشهد إلا في آخر

السادسة منهن، ثم يقوم دون تسليم فيأتي بالسابعة، ثم يجلس ويتشهد ويسلم[١].

(٨) أن يصلي سبع ركعات لا يجلس جلوس تشهد إلا في آخرهن، فإذا كان في آخرهن جلس وتشهد وسلّم.

(٩) أن يصلي أربع ركعات يتشهد ويسلم من كل ركعتين، ثم يوتر بواحدة.

(١٠) أن يصلي خمس ركعات متصلات لا يجلس ولا يتشهد إلا في آخرهن.

(١١) أن يصلي ثلاث ركعات يجلس في آخر الثانية منهن ويتشهد ويسلم، ثم يأتي بركعة واحدة يتشهد في آخرها ويسلّم... وعليه قول مالك.

(١٢) أن يصلي ثلاث ركعات يجلس في الثانية، ثم يقوم دون تسليم ويأتي بالثالثة، ثم يجلس ويتشهد كصلاة المغرب وهو اختيار أبي حنيفة[٢].

(١٣) أن يركع ركعة واحدة فقط وهو قول الشافعي، وأبي سليمان وغيرهما»}[٣]ا. هـ.

* * *

(١) الحديث عند النسائي.

(٢) الحديث في النسائي.

(٣) «المحلى» لابن حزم (ج٣ ص٤٢ ـ ٤٨) طبعة دار الآفاق الجديدة.

جواز القيام بأقل من إحدى عشرة ركعة

قال الألباني ـ حفظه الله ـ في «صلاة التراويح»:

«إن قال قائل: إذا منعتم الزيادة على عدد الركعات الواردة عن رسول الله ﷺ في قيام الليل ومنه صلاة التراويح فامنعوا إذن أداءها بأقل من ذلك ؛ لأنه لا فرق بين الزيادة والنقص في أن كلاً منهما يغير النصّ. والجواب: لا شك أنّ الأمر كذلك لو لا أنه قد جاء عنه ﷺ جواز أقل من هذا العدد من فعله ﷺ وقوله:

أما الفعل: فعن عبد الله بن أبي قيس: قلت لعائشة ـ رضي الله عنها ـ: بِكَمْ كان رسول الله ﷺ يوتر؟ قالت: «كان يوتر بأربع وثلاث، وست وثلاث، وعشر وثلاث، ولم يكن يوتر بأنقص من سبع ولا بأكثر من ثلاثة عشرة»[(١)].

أمّا قوله: فعن أبي أيوب الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «**الوتر حق. فمن شاء أوتر بسبع، ومن شاء أوتر بخمس، ومن شاء أوتر بثلاث، ومن شاء أوتر بواحدة**»[(٢)]. فهذا نص صريح في جواز الاقتصار على ركعة واحدة في صلاة الوتر وعليه جرى عمل السلف ـ رضي الله عنهم ـ فقال الحافظ في «فتح الباري»: «وصحّ عن جماعة من الصحابة أنهم

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود، والطحاوي في «شرح معاني الآثار»، وأحمد بسند جيد وصححه العراقي في «تخريج الإحياء»، والألباني.

(٢) **صحيح**: رواه الدارقطني، والطحاوي، والحاكم، والبيهقي، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، والنووي في «المجموع» وصححه ابن حبان كما في «الفتح»، وصححه الألباني انظر: «صلاة التراويح» ص(٨٣، ٨٤، ٨٥).

أوتروا بواحدة من غير تقدم نفل قبلها. ففي كتاب محمد بن نصر وغيره بسند صحيح عن السائب بن يزيد أن عثمان قرأ القرآن ليلة في ركعة لم يصلّ غيرها، وسيأتي في المغازي حديث عبد اللَّه بن ثعلبة أن سعدًا أوتر بركعة، وسيأتي في «المناقب» عن معاوية أنه أوتر بركعة، وأنّ ابن عباس استصوبه»][(١)] ا. هـ.

قال الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة: «عن عبد اللَّه بن شقيق عن عائشة قالت: «كان رسول اللَّه ﷺ يصلي من الليل تسع ركعات فيهن الوتر»[(٢)]، ثم قال - رحمه اللَّه - بعد ذكره لهذا الحديث، وابن عباس وأبو سلمة عن عائشة.

[هذه الأخبار الثلاثة التي ذكرتها ليست بمتضادة ولا متهاترة، فالنبي ﷺ كان يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة على ما أخبر ابن عباس، ثم نقص ركعتين فكان يصلي إحدى عشرة ركعة من الليل على ما أخبر أبو سلمة عن عائشة، ثم نقص من صلاة الليل ركعتين فكان يصلي من الليل تسع ركعات، على ما أخبر عبد اللَّه بن شقيق عن عائشة، ثم قال: «نأخذ بالأخبار كلها التي أخرجناها في عدد صلاة النبي ﷺ بالليل، واختلاف الرواة في عددها. وقد كان النبي ﷺ يصلي في بعض الليالي أكثر مما يصلي في بعض، فكل من أخبر من أصحاب النبي ﷺ، أو مِنْ أزواجه أو غيرهن من النساء أن النبي ﷺ

---

(١) «صلاة التراويح» (٨٣، ٨٤، ٨٥).

(٢) **إسناده صحيح**: أخرجه ابن خزيمة بلفظه في كتاب «جامع أبواب التطوع» - باب ذكر خبر ثالث (ج٣ ص١٩٣).

صلى من الليل عددًا من الصلاة، أوْ صلّى بصفة فقد صلى النبي ﷺ تلك الصلاة في بعض الليالي بذلك العدد وبتلك الصفة، وهذا الاختلاف من جنس المباح، فجائز للمرء أن يصلي أي عدد أحبّ من الصلاة مما روي عن النبي ﷺ أنه صلاّهن، وعلى الصفة التي رُويت عن النبي ﷺ أنه صلاّها لا حظر على أحد في شيء منها»[1] ا. هـ.

قال الألباني تعليقًا على كلام ابن خزيمة: «مفهومه أنه لا يجوز الزيادة على عدد ركعاته ﷺ وهو الذي ذهبت إليه في رسالتي صلاة التراويح فالحمد للّه على توفيقه»[2].

الصلاة ما بين المغرب والعشاء

* «عن يزيد بن حكيم قال: سألت سفيان عن الصلاة بين المغرب والعشاء أَمِنْ صلاة الليل؟ فقال لي: نعم»[3] ا. هـ.

* قال ابن مفلح في «المبدع» [حنبلي]: «وقيام الليل من المغرب إلى طلوع الفجر، والناشئة لا تكون إلا بعد رقدة»[4].

ولقد رد على قول الحنابلة هذا نافيًا له القاضي حسين من الشافعية وأيد قوله بما ورد من حديث الحجاج بن عمرو ـ رضي اللّه عنهما ـ وذهب إلى أن التهجد هو التطوع بعد النوم.

(١، ٢) «صحيح ابن خزيمة» (ج٢ ص١٩٣، ١٩٤).
(٣) «مختصر قيام الليل» ص(٣٦).
(٤) «المبدع في شرح المقنع» لابن مفلح (ج٢) المكتب الإسلامي.

* قال العلامة ابن عابدين (حنفي) في حاشيته:

«ما كان بعد العشاء فهو من الليل، وهذا يفيد أن السنة تحصل بالتنفل بعد صلاة العشاء بعد النوم»، ثم سرد القول عن التهجد والقيام فقال عن التهجد:

«وقته بعد صلاة العشاء حتى لو نام ثم تطوع قبلها لا تحصل السنة. والمفهوم من إطلاق الآيات والأحاديث أن التهجد إزالة النوم بتكلف. نعم صلاة الليل وقيام الليل أعم من التهجد، وبه يجاب عما أورد على قول الإمام أحمد وهذا ما ظهر لي والله أعلم»، ثم قال: «ظاهر ما مرّ أن التهجد لا يحصل إلا بالتطوع، فلو نام بعد صلاة العشاء، ثم قام فصلى فوائت لا يسمى تهجدًا وتردّد فيه بعض الشافعية والظاهر أن تقييده بالتطوع بناء على الغالب، وأنه يحصل بأي صلاة كانت لقوله في الحديث المار: «وما كان بعد صلاة العشاء فهو من الليل»[1] ا. هـ. كلام ابن عابدين.

* ولقد جاء تفسير الصحابة مرغبًا للصلاة بين المغرب والعشاء، ومؤيدًا لما ذهب إليه الإمام أحمد من أنّ قيام الليل من المغرب إلى طلوع الفجر:

* فقوله تعالى: ﴿ **تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ** ﴾ [السجدة: ١٦].

عن قتادة عن أنس قال: «يصلون ما بين المغرب والعشاء»[2]

---

(١) «حاشية ابن عابدين» «در المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار» لمحمد الأمين الشهير بابن عابدين ص(٤٦٠) دار إحياء التراث العربي.

(٢) **إسناده جيد**: نقله الشوكاني في «نيل الأوطار» (٣/ ٣٣٧) عن العراقي.

* وقوله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾.

قال أنس: «كانوا يتيقظون يصلون فيما بينهما بين المغرب والعشاء»[(١)].

* وقوله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾.

عن أنس قال: «ما بين المغرب والعشاء». «وممن قال بذلك من التابعين: أبو حازم ومحمد بن المنكدر وسعيد بن جبير وزين العابدين»[(٢)].

* «كان علي بن الحسين يصلي ما بين المغرب والعشاء، فقيل له: ما هذه الصلاة؟ قال: أما سمعتم قول الله: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ فهذه ناشئة الليل»[(٣)].

* «عن محمد بن المنكدر وأبي حازم قالا: ناشئة الليل هي ما بين المغرب وصلاة العشاء، هي أشد وطئًا وأقوم قيلا، قالا: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ الآية هي صلاة ما بين المغرب وصلاة العشاء صلاة الأوابين»[(٣)].

* قال الشوكاني في «نيل الأوطار» (٣/ ٣٢٩، ٣٣٠): [والآيات والأحاديث المذكورة في الباب تدل على مشروعية الاستكثار من الصلاة ما بين المغرب والعشاء، والأحاديث وإن كان أكثرها ضعيفًا، فهي

(١) «مختصر قيام الليل» ص(٣٦)، ونقل الشوكاني في «النيل» (٣/ ٣٣٨) عن العراقي قوله: إسناده صحيح.

(٢) ذكره الشوكاني في «النيل» (٣/ ٣٢٨) نقلاً عن العراقي في «شرح الترمذي».

(٣) «مختصر قيام الليل» ص(٣٦).

منتهضة بمجموعها لا سيما في فضائل الأعمال. قال العراقي: وممَّن كان يصلي ما بين المغرب والعشاء من الصحابة: (١) عبد اللَّه بن مسعود. (٢) عبد اللَّه بن عمرو. (٣) سلمان الفارسي. (٤) ابن عمر. (٥) أنس بن مالك في ناس من الأنصار. ومن التابعين: (١) الأسود ابن يزيد. (٢) أبو عثمان النهدي. (٣) ابن أبي مليكة. (٤) سعيد بن جبير. (٥) محمد بن المنكدر. (٦) أبو حازم. (٧) عبد اللَّه بن سخبرة. (٨) علي بن الحسين. (٩) أبو عبد الرحمن الحبلي. (١٠) شريح القاضي. (١١) عبد اللَّه بن معقل. وغيرهم، ومن الأئمة: سفيان الثوري} ا. هـ.

* وفي «مختصر قيام الليل» (٣٦، ٣٧، ٣٨): {عن الأسود: «ما أتيت عبد اللَّه بن مسعود في تلك الساعة إلا وجدته يصلي فقلت له في ذلك، قال: نعم ساعة الغفلة يعني ما بين المغرب والعشاء»}.

* عن ابن عمر قال: «من أدمن على أربع ركعات بعد المغرب كان كمن تعقب غزوة بعد غزوة»[1].

* «وكان لأنس ثوبان إذا صلى المغرب لبسهما فلا يقدر عليه ما بين المغرب والعشاء قائمًا يصلي». «وكان ـ رضي اللَّه عنه ـ يصلي ما بين المغرب والعشاء ويقول: هي ناشئة الليل».

* وعن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال:

(١) قال الشوكاني في «النيل» (٣/ ٣٢٩): «قال العراقي: والمعروف أنه من قول ابن عمر غير مرفوع» فلا يصح رفعه.

«صلاة الأوّابين الخلوة التي بين المغرب والعشاء حتى يثوب الناس إلى الصلاة».

* وعن أبي معمر عبد اللَّه بن سخبرة قال: «كانوا يستحبون أربع ركعات بعد المغرب».

* وعن سعيد بن جبير: «كانوا يستحبون أربع ركعات قبل العشاء الآخرة».

* وعن أبي عبد الرحمن[1]: «إذا صليت المغرب فقمْ فصلّ صلاة رجل لا يريد أن يصلي تلك الليلة فإن رزقت من الليل قيامًا كان خيرًا رزقته، وإن لم ترزق قيامًا كنت قد قمت أول الليل.

* وعن حماد بن سلمة: «رأيت ابن أبي مليكة يصلي ما بين المغرب والعشاء، فإذا نعس تنحّى عن مكانه إلى الناحية الأخرى».

* وعن عبد الرحمن بن الأسود: «ما بين المغرب والعشاء صلاة الغفلة».

* وعن يزيد بن أبي حكيم: «رأيت سفيان الثوري كثيرًا يصلي ما بين المغرب والعشاء» ا. هـ من «مختصر قيام الليل».

* وقال أحمد بن أبي الحواري قلت لأبي سليمان الداراني: «أصوم النهار وأتعشى ما بين المغرب والعشاء أحب إليك أو أفطر بالنهار وأحي ما بينهما؟ فقال: اجمع بينهما، فقلت: إنْ لم يتيسر؟ قال: أفطر وصل ما بينهما»[2].

(١) هو عبد اللَّه بن أبي ختعم نُسب إلى جده (انظر: هامش «مختصر قيام الليل» ص(٣٧).
(٢) «إحياء علوم الدين» ص(٢٤٣).

حكم قيام الليل كله

ثبت عن رسول اللَّه ﷺ قيام الليل كله أحيانًا. وإليك ما كتبه الأئمة في هذا الحكم:

* ورد في «المنتقى» للباجي (مالكي): «وقد اختلف قول مالك فيمنْ يحيي الليل كله، فكرهه مرة، وقال لعلّه يصبح مغلوبًا، وفي رسول اللَّه ﷺ أسوة حسنة، كان يصلي أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه، وإذا أصابه النوم فليرقد حتى يذهب عنه. ثم رجع مالك فقال: لا بأس به ما لم يضرّ ذلك بصلاة الصبح. قال مالك: إنْ كان يأتيه الصبح وهو ناعس فلا يفعل، وإنْ كان إنما يدركه كسل وفتور فلا بأس به»[(١)] اهـ.

*وفي «المبدع شرح المقنع» لابن مفلح (حنبلي): «لا يقومه كله إلا ليلة عيد، وقيامه كله عمل الأقوياء حتى ولا الليالي العشر، وتكره مداومة قيام الليل»[(٢)].

* وفي «الغنية» للجيلاني (حنبلي): قال: «وأما قيام جميع الليل ففعل الأقوياء، الذين سبقت لهم منه العناية، وأديمت لهم الرعاية، وأحيط على قلوبهم بالتوفيق ونور الجلال ثم الجمال، فجعل القيام بالليل لهم موهبة وخلعة فلم يسلبه منهم مولاهم حتى اللقاء. وقد ذكر عن أربعين رجلاً من التابعين أنهم كانوا يحيون الليل كله، ويصلون صلاة

(١) «المنتقى» للإمام أبي الوليد سليمان الباجي ـ رحمه اللَّه ـ على «موطأ مالك» (١/ ٢١٢) مطبعة السعادة ـ الطبعة الأولى.

(٢) «المبدع» (٢/ ٢٠) ـ المكتب الإسلامي.

الغداة بوضوء العشاء الآخرة أربعين سنة، صح النقل عنهم، واشتهر منهم: سعيد بن جبير، وصفوان بن سليم، وأبو حازم، ومحمد بن المنكدر من أهل المدينة، وفضيل بن عياض، ووهيب بن الورد من أهل مكة، وطاوس ووهب بن منبه من أهل اليمن، والربيع بن خيثم والحكم من أهل الكوفة، وأبو سليمان الداراني وعلي بن بكار من أهل الشام، وأبو عبد اللَّه الخوّاص، وأبو عاصم من أهل عباذان، وحبيب أبو محمد، وأبو جائز السليماني من أهل فارس، ومالك بن دينار، وسليمان التيمي، ويزيد الرقاشي وحبيب بن أبي ثابت، ويحيى البكّاء من أهل البصرة، وغيرهم ممن يطول ذكرهم رحمة اللَّه عليهم ورضوانه»[(1)].

* وفي «مجموع فتاوى ابن تيمية» (حنبلي): «من نقل عنه أنه كان يقوم جميع الليل دائمًا، أو أنه يصلي الصبح بوضوء العشاء الآخرة، كذا كذا سنة، مع أن كثيرًا من المنقول من ذلك ضعيف». ثم قال ـ رحمه اللَّه ـ: «قيام بعض الليالي جميعها، كالعشر الأخير من رمضان، أو قيام غيرها أحيانًا، فهذا مما جاءت به السنن وقد كان الصحابة يفعلونه، ولكن غالب قيامه ﷺ كان جوف الليل، وكان يصلي بمن حضر عنده، كما صلى ليلة بابن عباس، وليلة بابن مسعود، وليلة بحذيفة بن اليمان»[(2)].

* وفي «المجموع» للنووي (شافعي): قال الإمام النووي ـ رحمه

(1) «الغنية» للجيلاني ص(٦٠).
(2) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢٢/٣٠٨، ٣٠٩).

اللَّه ـ: «ويكره أن يقوم كل الليل دائمًا. فإن قيل: ما الفرق بينه وبين صوم الدهر غير أيام النهي فإنه لا يكره عندنا؟ فالجواب: أن صلاة الليل كله دائمًا يضر العين وسائر البدن كما جاء في الحديث الصحيح بخلاف الصوم، فإنه يستوفي في الليل ما فاته من أكل النهار، ولا يمكنه نوم النهار إذا صلى الليل لما فيه من تفويت مصالح دينه ودنياه. هذا حكم قيام الليل دائمًا، فأما في بعض الليالي فلا يكره إحياؤها، فقد ثبت في «الصحيحين» عن عائشة أن النبي ﷺ كان إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أحيا الليل، واتفق أصحابنا على إحياء ليلتي العيدين، واللَّه أعلم»[1].

* وقال النووي في «شرح مسلم» في شرحه لحديث الحولاء بنت تُويت: «أراد ﷺ بقوله (لا تنام الليل !!) الإنكارعليها وكراهة فعلها. وفي هذا دليل لمذهبنا ومذهب جماعة، أو الأكثرين أن صلاة جميع الليل مكروهة، وعن جماعة من السلف أنه لا بأس به، وهو رواية عن مالك إذا لم ينم عن صلاة الصبح»[2].

* وقال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري شرح صحيح البخاري»: في تعليقه على قيامه ﷺ حتى ترم قدماه قال: [قيل أخرج البخاري هذا الحديث لينبه على أن قيام جميع الليل غير مكروه ولا تعارضه الأحاديث الآتية بخلافه ؛ لأنه يجمع بينها بأنه ﷺ لم يكن يداوم على قيام جميع الليل، بل كان يقوم وينام كما أخبر عن نفسه وأخبرت

(١) «المجموع» للنووي (ص٤٩٣، ٤٩٤) ـ المكتبة العالمية بالفجالة.

(٢) «صحيح مسلم بشرح النووي» (ج٢ ص٤٤١).

عنه عائشة أيضًا»(١) ا. هـ.

* وقال أيضًا: «سئل الشافعي عن قيام جميع الليل فقال: لا أكرهه، إلا لِمَنْ خشي أن يضر بصلاة الصبح»(٢) ا. هـ.

* - أما ابن عابدين فقد رجّح أن المقصود «بإحياء الليل» إرادة الأكثر لا الاستيعاب.

* قال الألباني: [يكره إحياء الليل كله دائمًا أو غالبًا ؛ لأنه خلاف سنته ﷺ، ولوْ كان إحياء كل الليل أفضل لما فاته ﷺ، وخير الهـدي هدي محمد، ولا تغتر بما روي عن أبي حنيفة - رحمه اللَّه - أنه مكث أربعين سنة يصلي الصبح بوضوء العشاء فإنه مما لا أصل له عنه، بل قال العلامة الفيروزابادي في «الرد على المعترض»: «هذا من جملة الأكاذيب الواضحة، التي لا يليق نسبتها إلى الإمام، فما في هذا فضيلة تذكر، وكان الأولى بمثل هذا الإمام أن يأتي بالأفضل، ولا شك أن تجديد الطهارة لكل صلاة أفضل وأتم وأكمل. هذا إنْ صح أنه سهر طوال الليل أربعين سنة متوالية ! وهذا أمر بالمحال أشبه، وهو من خرافات بعض المتعصبين الجهال، قالوه في أبي حنيفة وغيره ! وكل ذلك مكذوب»(٣).

هذا قول محدث العصر الشيخ الألباني - حفظه اللَّه - وإنْ خالفه الجيلاني، وابن تيمية والشاطبي إلا أنّا قد أثبتناه ليعم النفع وخير الهدي هدي محمد ﷺ

(١، ٢)«فتح الباري» (ج٣/ ٢٠، ج٣/ ٤٥).

(٣)«صفة صلاة النبي ﷺ» ص(٦٩).

أيما أفضل: التهجد أم تلاوة القرآن ليلاً؟

* سئل شيخ الإسلام ابن تيمية: [«أيما أفضل إذا قام من الليل: الصلاة أم القراءة؟» فأجاب: «بل الصلاة أفضل من القراءة في غير الصلاة، نصَّ على ذلك أئمة العلماء. وقد قال ﷺ: **«استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن»**(١)، لكن من حصل له نشاط وتدبر وفهم للقراءة دون الصلاة، فالأفضل في حقه ما كان أنفع له»(٢).

* وسُئل: «عَمّنْ يحفظ القرآن: أيما أفضل له: تلاوة القرآن أو التسبيح والأذكار؟ فأجاب:

[إذا قام من الليل فالقراءة له أفضل إن أطاقها، وإلا فليعمل ما يطيق، والصلاة أفضل منهما، ولهذا نقلهم عند نسخ وجوب قيام الليل إلى القراءة فقال: ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ الَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْءَانِ** ﴾. والله أعلم](٣).

مُطالعة العلم أولى من القيام

* [«سأل رجل من أصحاب الحديث المعافى بن عمران فقال له: «يا

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه والحاكم وقال: صحيح على شرطهما، ورواه أيضًا ابن حبان في «صحيحه»، والدارمي، وأحمد، والطبراني، وصححه المنذري، والألباني انظر: «صحيح الترغيب والترهيب» (ج١ حديث رقم ١٩٢).

(٢، ٣) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (ج٢٣/ ٦٢)، ص(٦٠).

أبا عمران، أي شيء أحب إليك؟ أُصلي أو أكتب الحديث؟ فقال: كتابة حديث واحد أحبّ إليّ من صلاة ليلة.

وقال وكيع بن الجراح: «لو أعلم أن الصلاة أفضل من الحديث ما حدّثت. وقال القعنبي: لو أعلم أن الصلاة أفضل منه ما حدّثت.

* وعن عبد الرحمن بن محمد بن إدريس قال: «خرجت إلى أيلة إلى محمد بن عُزَيز الأيلي، فكتب لي أبي، وأبو زرعة إليه - يعني في الوصاة - فجعل محمد بن عزيز يقرأ لي، يوم الجمعة، ما صلّى ذلك اليوم إلا الجمعة ركعتين والعصر أربعًا، وكان يقرأ لي الحديث، على أن قراءة الحديث أفضل من صلاة التطوع»](1)ا. هـ.

* «اعلم أن الاشتغال بالنافلة من العلم أفضل من الاشتغال بالنافلة من العبادة، وعلى ذلك الأئمة الأربعة وغيرهم من أساطين الإسلام، روى الحافظ ابن عبد البر في «الانتقاء» ص(٨٤) بسنده إلى الربيع بن سليمان تلميذ الشافعي قال: سمعت الشافعي يقول: طلب العلم أفضل من الصلاة النافلة».

* وعن أحمد روايتان: أحدهما في فضل العلم، والأخرى في فضل الجهاد كما ذكره «ابن تيمية» - رحمه اللَّه - في «منهاج السنة». وجاء في طبقات الحنابلة للقاضي ابن أبي يعلى في ترجمة الإمام أبي زرعة الرازي أحد أئمة الحديث ومن شيوخ الإمام أحمد، وفي «المناقب» لابن الجوزي ص(٢٨٩): «قال عبد اللَّه بن أحمد بن حنبل، لما قدم

(١) «شرف أصحاب الحديث» للخطيب البغدادي ص(٨٤، ٨٥) الناشر دار إحياء السنة النبوية.

أبو زرعة بغداد نزل عند أبي فكان كثير المذاكرة له، فسمعت أبي يومًا يقول: ما صليت اليوم غير الفرض، استأثرت بمذاكرة أبي زرعة على نوافلي.

* وقال الإمام المحدث عبد اللَّه بن وهب: كنت بين يدي مالك أكتب فأقيمت الصلاة، وفي لفظ آخر فأذن المؤذن، وبين يديه كتب منثورة، فبادرت إلى جمعها، فقال لي مالك: على رسلك، فليس ما تقوم إليه بأفضل مما أنت فيه إذا صحت النية. وقال الإمام يحيى الليثي عالم الأندلس وتلميذ الإمام مالك: من جاءه الموت وهو يطلب العلم، لم يكن بينه وبين الأنبياء في الجنة إلا درجة][1].

قال النووي في «المجموع» ص(٤٥٩): [فرع].

[قال أبو عاصم العبادي في كتابه «الزيادات»: «الاشتغال بحفظ ما زاد على الفاتحة من القرآن أفضل من صلاة التطوع؛ لأن حفظه فرض كفاية» ا. هـ.

* وقال الإمام الغزالي في «الإحياء»: [العالم الذي ينفع الناس بعلمه في فتوى أو تدريس أو تصنيف، فترتيبه يخالف ترتيب العابد، فإنه يحتاج إلى المطالعة للكتب أو التصنيف والإفادة، ويحتاج إلى مدة لها لا محالة، فإن أمكنه استغراق الأوقات فيه فهو أفضل ما يشتغل به بعد المكتوبات ورواتبها، وكيف لا يكون كذلك، وفي العلم المواظبة على

(١) تحقيق كتاب «رسالة المسترشدين» للحارث المحاسبي لأبي غدة من ص(١٦٧) حتى(١٦٩)، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب ـ دار السلام.

ذكر اللَّه تعالى وتأمّل ما قال اللَّه تعالى، وقال رسوله ﷺ!!، وفيه منفعة الخلق وهدايتهم إلى طريق الآخرة، ورب مسألة واحدة يتعلمها المتعلم فيصلح بها عبادة عمره،ولو لم يتعلمها لكان سعيه ضائعًا»، ثم قال: «والمتعلم: والاشتغال بالتعلم أفضل من الاشتغال بالأذكار والنوافل فحكمه حكم العالم في ترتيب الأوراد، ولكن يشتغل بالاستفادة حيث يشتغل العالم بالإفادة.

بل إن لم يكن متعلمًا على معنى أنه يعلق ويحصل ليصير عالمًا بل كان من العوام فحضوره مجالس الذكر والوعظ والعلم أفضل»[1] ا.هـ.

صلاة ركعتين بعد الوتر[2]

سُئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن صلاة ركعتين بعد الوتر؟

فأجاب: «وأما صلاة الركعتين بعد الوتر، فهذه روى فيها مسلم في «صحيحه» إلى النبي ﷺ أنه كان يصلي بعد الوتر ركعتين وهو جالس»، وروي ذلك من حديث أم سلمة في بعض الطرق الصحيحة: «أنه كان يفعل ذلك إذا أوتر بتسع»، فإنه كان يوتر بإحدى عشرة، ثم كان يوتر بتسع، ويصلي بعد الوتر ركعتين وهو جالس، وأكثر الفقهاء ما سمعوا بهذا الحديث، ولهذا ينكرون هذه، وأحمد وغيره سمعوا هذا وعرفوا صحته. ورخّص أحمد أن يصلي هاتين الركعتين وهو جالس، كما فعل ﷺ، فمنْ فعل ذلك لم ينكر عليه، لكن ليست

(١) «إحياء علوم الدين» ص(٢٤٠، ٢٤١).

(٢) انظر: صلاته لركعتين وهو جالس في هديه ﷺ وكلام العلماء كابن حجر، والنووي، والألباني، وابن القيم.

واجبة بالاتفاق، ولا يذم تركها، ولا تسمى «زحافة» فليس لأحد إلزام الناس بها، ولا إنكار على مَنْ فعلها. ولكن الذي يُنْكر ما يفعله طائفة من سجدتين مجردتين بعد الوتر، فإن هذا يفعله طائفة من المنسوبين إلى العلم والعبادة من أصحاب الشافعي وأحمد وهذه بدعة لم يستحبها أحد من علماء المسلمين ولا فعلها أحد من السلف، ومستندهم: «أنه ﷺ كان يصلي بعد الوتر سجدتين» رواه أبو موسى المديني وغيره، فظنوا أن المراد سجدتان مجرّدتان، وغلطوا فإن معناه أنه كان يصلي ركعتين كما جاء مبينًا في الأحاديث الصحيحة، فإن السجدة يراد بها الركعة، كقول ابن عمر: «حفظت من رسول اللَّه ﷺ سجدتين قبل الظهر» الحديث، والمراد بذلك ركعتان، كما جاء مفسرًا في الطرق الصحيحة»[1].

الصلاة «الزحّافة»: ثم قال - رحمه اللَّه - في موضع آخر: «وأما الصلاة الزحافة، وقولهم مَنْ لم يواظب عليها فليس من أهل السنة، ومرادهم الركعتان بعد الوتر جالسًا فقد أجمع المسلمون على أنّ هذه ليست واجبة، وإنْ تركها طول عمره، وإنْ لم يفعلها ولا مرة واحدة في عمره، لا يكون بذلك من أهل البدع، ولا ممَّنْ يستحق الذم والعقاب، ولا يهجر ولا يُوسم بميسم مذموم أصلاً، بل لو ترك الرجل ما هو أثبت منها كتطويل قيام الليل كما كان النبي ﷺ يطوله، وقيام إحدى عشرة ركعة كما كان النبي ﷺ يفعل ذلك، ونحو ذلك، لم يكن بذلك خارجًا عن السنة، ولا مبتدعًا ولا مستحقًا للذم، مع اتفاق المسلمين على

(١) «مجموع الفتاوى» (ج٢٩/ ٩٤).

أن قيام الليل إحدى عشرة ركعة طويلة كما كان النبي ﷺ يفعل أفضل من أنْ يدع ذلك ويصلي بعد الوتر ركعتين وهو جالس، فإن الذي ثبت في «صحيح مسلم» عن عائشة أن النبي ﷺ صلى إحدى عشرة ركعة وهو جالس، ثم صار يصلي تسعًا يجلس عقيب الثامنة والتاسعة، ولا يسلم إلا عقيب التاسعة، ثم يصلي بعدها ركعتين وهو جالس، ثم صار يوتر بسبع وبخمس، فإذا أوتر بخمس لم يجلس إلا عقيب الخامسة، ثم يصلي بعدها ركعتين وهو جالس، وإذا أوتر بسبع فقد روي أنه لم يكن يجلس إلا عقيب السابعة، وروي أنه كان يجلس عقيب السادسة والسابعة، ثم يصلي ركعتين بعد الوتر وهو جالس. وهذا الحديث الصحيح دليل على أنه لم يكن يداوم عليها، فكيف يُقال أنّ منْ لم يداوم عليها فليس من أهل السنة، والعلماء متنازعون فيها، هل تشرعُ أم لا؟ فقال كثير من العلماء: إنها لا تشرع بحال لقوله ﷺ: «**اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترًا**»، ومِنْ هؤلاء من تأول الركعتين اللتين روي أنه كان يصليهما بعد الوتر على ركعتي الفجر، لكنّ الأحاديث الصحيحة صريحة بأنه كان يصلي بعد الوتر ركعتين وهو جالس غير ركعتي الفجر.

الحكمة منهما: ولعلّ بعض الناس يقول: هاتان الركعتان اللتان كان النبي ﷺ يصليهما بعد الوتر جالسًا نسبتها إلى وتر الليل نسبة ركعتي المغرب إلى وتر النهار، فإن النبي ﷺ قال: «**المغرب وتر النهار، فأوتروا صلاة الليل**» رواه أحمد في «المسند»، فإذا كانت المغرب وتر النهار، فقد كان النبي ﷺ يصلي بعد المغرب ركعتين ولم يخرج المغرب بذلك عن

أنْ يكون وترًا؛ لأن تلك الركعتين هما تكميل للفرض، وجبر لما يحصل منه من سهو ونقص، فالسنن شُرعت جبرًا لنقص الفرائض، فالركعتان بعد المغرب لما كانت جبرًا للفرض، لم يخرجها من كونها وترًا، كما لو سجد سجدتي السهو، فكذلك وتر الليل جبره النبي ﷺ بركعتين بعده، ولهذا كان يجبره إذا أوتر بتسع أو سبع أو خمس لنقص عدده عن إحدى عشرة، فهنا نقص العدد نقص ظاهر، وإنْ كان يصليهما إذا أوتر بإحدى عشرة كان هناك جبرًا لصفة الصلاة، وإن كان يصليهما جالسًا؛ لأن وتر الليل دون وتر النهار فينقص عنه في الصفة وهي مرتبة بين سجدتي السهو وبين الركعتين الكاملتين، فيكون الجبر على ثلاث درجات: جبر للسهو سجدتان، لكن ذاك نقص في قدر الصلاة ظاهر، فهو واجب متصل بالصلاة، وأما الركعتان المستقلتان فهما جبر لمعناها الباطن والله أعلم»[1] ا. هـ.

حكم قيام الليل جماعة

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «لا يكره أن يتطوع في جماعة كما فعل النبي ﷺ ولا يجعل ذلك سنة راتبة كمنْ يقيم للمسجد إمامًا راتبًا يصلي بالناس بين العشائين، أو في جوف الليل كما يصلي بهم الصلوات الخمس»[2] ا. هـ وقال ـ رحمه الله ـ: «صلاة التطوع في جماعة نوعان: أحدهما: ما تُسن له الجماعة الراتبة كالكسوف

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢٣/ ٩٥ ـ ٩٨).
(٢) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢٣/ ١١٢).

والاستسقاء وقيام رمضان فهذا يفعل في الجماعة دائمًا، كما نصت به السنة».

والثاني: ما لا تسن له الجماعة الراتبة كقيام الليل والسنن الرواتب وصلاة الضحى وتحية المسجد ونحو ذلك، فهذا إذا فُعل في جماعة أحيانًا جاز، وأما الجماعة الراتبة في ذلك فغير مشروعة، بل بدعة مكروهة، فإن النبي ﷺ والصحابة والتابعين لم يكونوا يعتادون الاجتماع للرواتب على ما دون هذا. والنبي ﷺ إنما تطوع في ذلك في جماعة قليلة أحيانًا، فإنه كان يقوم الليل وحده، لكن لما بات ابن عباس عنده صلّى معه، وليله أخرى صلى معه حذيفة، وليلة أخرى صلى معه ابن مسعود، وكذلك صلّى عند عتبان بن مالك الأنصاري في مكان يتخذه مصلى صلّى معه، وكذلك صلى بأنس وأمه واليتيم، وعامة تطوعاته إنما كان يصليها مفردًا، وهذا الذي ذكرنا في التطوعات المسنونة فأما إنشاء صلاة بعدد مقدر، وقراءة مقدرة في وقت معين تُصلى جماعة راتبة كهذه الصلوات «كصلاة الرغائب» في أول جمعة من رجب وليلة سبع وعشرين من شهر رجب، و«الألفية» في أول رجب ونصف شعبان وأمثال ذلك فهذا غير مشروع باتفاق أئمة الإسلام كما نصّ على ذلك العلماء المعتبرون، ولا ينشئ مثل هذا إلا جاهل مبتدع، وفتح مثل هذا الباب يوجب تغيير شرائع الإسلام، وأخذ نصيب مِنْ حال الذين شرعوا من الدين ما لم يأذن به اللَّه واللَّه أعلم»[1].

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (ج٣ ص٤١٣ ـ ٤١٤).

وقال ـ رحمه اللَّه ـ: «لو أنّ قومًا اجتمعوا بعض الليالي على صلاة التطوع، من غير أن يتخذوا ذلك عادة راتبة تشبه السنة الراتبة لم يُكره، لكن اتخاذه عادة دائرة بدوران الأوقات مكروه لما فيه من تغيير الشريعة، وتشبيه غير المشروع بالمشروع»[١]ا. هـ.

حُكم قيـــام ليــال معينة

قيام عشر ذي الحجة:

عشر ذي الحجة ليست كأي عشر، فلقد أقسم اللَّه بها قال تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾، وهي الأيام المعلومات، قال تعالى: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ [الحج: ٢٨]. ولقد شهد رسول اللَّه ﷺ بأنها أفضل أيام الدنيا، فعن جابر قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**أفضل أيام الدنيا أيام العشر**»[٢]، وقال رسول اللَّه ﷺ: «**ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى اللَّه عز وجل من هذه الأيام ـ يعني أيام العشر ـ قالوا: يا رسول اللَّه: ولا الجهاد في سبيل اللَّه؟ قال: ولا الجهاد في سبيل اللَّه إلا رجلاً خرج بنفسه وماله ثم لمْ يرجع من ذلك بشيء**»[٣].

وعند أحمد: «ما من أيام أعظم، ولا أحب إليه العمل عند اللَّه

---

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (ج٢٣ ص١٣٣).

(٢) **صحيح**: رواه البزار، وابن حبان، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١١٤٤).

(٣) رواه البخاري، والترمذي، وأبو داود، وابن ماجه، والطبراني في «الكبير» عن ابن عباس.

فيهن مِنْ هذه الأيام العشر فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد».

قال الشاعر:

ليـالي العشر أوقـات الإجابـة فبادر رغبـة تلحـق ثوابـه
ألا لا وقت للعمـال فيـه ثواب الخيـر أقـرب للإصابـه
من اوقـات الليـالي العشـر حقًا فشـمّر واطلبنْ فيهـا الإنـابة

* ويستحب إحياؤها. قال الحافظ ابن رجب في «لطائف المعارف»: «كان سعيد بن جبير إذا دخل العشر اجتهد اجتهادًا حتى ما يكاد يقدر عليه»[1].

وروي عنه أنه قال: «لا تطفئوا سُرُجكم ليالي العشر - تعجبه العبادة»[2].

إحياء ليلتَيْ العيدَيْن:

* قال النووي في «المجموع» (٢/ ٤٩٣ - ٤٩٤): «هذا حكم قيام الليل دائمًا، فأما بعض الليالي فلا يكره إحياؤها، واتفق أصحابنا على إحياء ليلتي العيدين والله أعلم» ا. هـ.

وقال أيضًا في «المجموع» (٥/ ٤٣): «واستحب الشافعي والأصحاب الإحياء المذكور مع أن الحديث الوارد في ذلك ضعيف؛ لأن أحاديث فضائل الأعمال يتسامح فيها».

* قال في «روضة الطالبين» (٢/ ٧٤) في فصل «السنن المستحبة ليلة العيد ويومه»:

(١، ٢) «لطائف المعارف» ص(٢٧٨).

«يستحب استحبابًا متأكدًا، إحياء ليلتي العيد بالعبادة. قال الشافعي ـ رحمه اللَّه ـ: «وبلغنا أن الدعاء يستجاب في خمس ليال: ليلة الجمعة والعيدين، وأول رجب، ونصف شعبان، قال الشافعي: وأستحب كل ما حكيته في هذه الليالي واللَّه أعلم».

* وقال ابن مفلح في «المبدع» (٢/ ٢٠، ٢١): [ولا يقوم الليل كله إلا ليلة عيد ـ وقيامه كله عمل الأقوياء، حتى ولا الليالي العشر].

* وقال ابن رجب الحنبلي في «لطائف المعارف» (١٤٥): «إحياؤها جماعة، عن الإمام روايتان:

* فإنه في رواية لم يستحب قيامها جماعة؛ لأنه لم ينقل عن النبي ﷺ وأصحابه.

* واستحبها في رواية لفعل عبد الرحمن بن يزيد بن الأسود لذلك وهو من التابعين» ا. هـ. وقال أيضًا في «اللطائف» (٢٧٨): [ورد في خصوص إحياء ليلتي العيدين أحاديث لا تصح، وورد إجابة الدعاء فيهما واستحبه الشافعي وغيره من العلماء» ا. هـ.

* وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله على البصرة:

«عليك بأربع ليال من السنة، فإن اللَّه يفرغ فيهن الرحمة إفراغًا: أول ليلة من رجب، وليلة النصف من شعبان، وليلة الفطر وليلة الأضحى»[1].

---

(١) «لطائف المعارف» ص(١٤٤).

وفي «الفتاوى السعدية» للشيخ عبد الرحمن الناصر السعدي: «ما حكم إحياء ليلة العيد؟ فأجاب: أما إحياؤها بأن يصلي الإنسان وحده، فهذا قد استحبه العلماء، وسواءً كان سرًا أو علنًا. وأما أحياؤها في المساجد جماعة بأن تصلى كما تصلى التراويح، أو قيام رمضان، فهذا ليس بمشروع بل هو بدعة مكروهة؛ لأن الاجتماع في غير ليلة من ليالي رمضان كليلة النصف من شعبان، وليلة السابع والعشرين من رجب، وكذلك ليلة العيد كل ذلك من البدع التي ينهى عنها»[1] ا. هـ.

* وقال عبد اللَّه الصديق الغماري في «أسرار الصيام»: «يستحب إحياء ليلة عيد الفطر وليلة عيد الأضحى بما يتيسر من الذكر والصلاة لما ورد في إحيائهما من الأحاديث والآثار، فإنها وإن كانت ضعيفة يعمل بها في مثل هذا الباب من فضائل الأعمال»[2] ا. هـ.

أقل ما يحصل به الإحياء: قال النووي في «الأذكار»: «اختلف العلماء في القدر الذي يحصل به الإحياء، فالأظهر أنه لا يحصل إلا بمعظم الليل، وقيل يحصل بساعة» ا. هـ.

وقال النووي في «الروضة» (٢/ ٧٥): «وتحصيل فضيلة الإحياء بمعظم الليل، وقيل تحصل بساعة، وقد نقل الشافعي في «الأم» عن جماعة من خيار أهل المدينة ما يؤيده. ونقل القاضي حسين عن ابن عباس: «أن إحياء ليلة العيد أن يصلي العشاء في جماعة ويعزم أن يصلي

(١) «الفتاوى السعدية» للشيخ عبد الرحمن ناصر السعدي ص(١٦٢).
(٢) «أسرار الصيام» للغماري ص(٨٥).

الصبح في جماعة، والمختار ما قدمته» ا. هـ.

* «عن مجاهد: ليلة الفطر كليلة من ليالي العشر الأواخر - يعني في فضلها.

* وكان عبد الرحمن بن الأسود يقوم ليلة الفطر بأربعين ركعة وأوتر بسبع»(١).

قيام ليلة النصف من شعبان:

* قال رسول اللَّه ﷺ: **«يطلع اللَّه تبارك وتعالى إلى خلقه ليلة النصف من شعبان، فيغفر لجميع خلقه، إلا لمشرك أو مشاحن»**(٢).

* وعن أبي ثعلبة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«إن اللَّه يطلع على عباده في ليلة النصف من شعبان، فيغفر للمؤمنين، ويملي للكافرين، ويدع أهل الحقد بحقدهم حتى يدعوه»**(٣).

---

(١) «مختصر قيام الليل» ص(١١٤).

(٢) **حديث صحيح**: رُوي عن جماعة من الصحابة من طرق مختلفة كما قال الألباني: «يشد بعضها بعضًا، وهم معاذ بن جبل، وأبو ثعلبة الخشني، وعبد اللَّه بن عمرو، وأبو موسى الأشعري، وأبو هريرة، وأبو بكر الصديق، وعوف بن مالك، وعائشة». ثم قال - حفظه اللَّه -: «في السلسلة الصحيحة» حديث رقم (١١٤٤) (ج٣/ ١٣٥ - ١٣٩): «وجملة القول أن الحديث بمجموع هذه الطرق صحيح لا ريب، والصحة تثبت بأقل منها عددًا، ما دامت سالمة من الضعف الشديد كما هو الشأن في هذا الحديث، فما نقله القاسمي - رحمه اللَّه - في «إصلاح المساجد» ص(١٠٧) عن أهل التعديل والتجريح أنه ليس في فضل ليلة النصف من شعبان حديث يصح، فليس مما ينبغي الاعتماد عليه، ولئن كان أحد منهم أطلق مثل هذا القول فإنما أوتي من قبل التسرع وعدم وسع الجهد لتتبع الطرق على هذا النحو الذي بين يديك. واللَّه تعالى هو الموفق». ا. هـ كلام الشيخ الألباني.

(٣) **حسن**: رواه الطبراني في «الكبير» عن أبي ثعلبة، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٨٩٤).

* وقال ابن رجب الحنبلي في «لطائف المعارف» (١٤٣): «في فضل ليلة نصف شعبان أحاديث اختُلف فيها، فضعفها الأكثرون وصحح ابن حبان بعضها وخرّجه في «صحيحه»، ومن أمثلها حديث عائشة» ا. هـ.

* سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن صلاة نصف شعبان فأجاب - رحمه اللَّه -:

[إذا صلى الإنسان ليلة النصف من شعبان وحده، أو في جماعة خاصة كما كان يفعل طوائف من السلف فهو أحسن، وأما الاجتماع في المساجد على صلاة مقدرة كالاجتماع على مائة ركعة بقراءة ألف ﴿**قل هو اللَّه أحد**﴾ دائمًا. فهذا بدعة لم يستحبها أحد من الأئمة. واللَّه أعلم».

وقال - رحمه اللَّه -: «أما ليلة النصف فقد روي في فضلها أحاديث وآثار، ونقل عن طائفة من السلف أنهم كانوا يصلون فيها، فصلاة الرجل فيها وحده قد تقدمه فيه سلف وله فيه حجة فلا ينكر مثل هذا.

وأما الصلاة فيها جماعة فهذا مبني على قاعدة عامة في الاجتماع على الطاعات والعبادات فإنه نوعان:

أحدهما سنة راتبة: إما واجب أو مستحب، كالصلوات الخمس والعيدين، وصلاة الكسوف والاستسقاء والتراويح فهذا سنة راتبة، ينبغي المحافظة عليها والمداومة.

والثاني: ما ليس بسنة راتبة مثل الاجتماع لصلاة تطوع مثل قيام

الليل أو على قراءة قرآن أو ذكر للَّه أو دعاء، فهذا لا بأس به إذا لم يتخذ عادة راتبة.

فلو أن قومًا اجتمعوا بعض الليالي على صلاة تطوع من غير أن يتخذوا ذلك عادة راتبة تشبه السنة الراتبة لم يكره، لكن اتخاذه عادة دائرة بدوران الأوقات مكروه لما فيه من تغيير الشريعة، وتشبيه غير المشروع بالمشروع»[1] ا. هـ.

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي في «لطائف المعارف»:

* [وليلة النصف من شعبان كان التابعون من أهل الشام كخالد بن معدان ومكحول ولقمان بن عامر وغيرهم يعظمونها ويجتهدون في العبادة، وعنهم أخذ الناس فضلها وتعظيمها، وقد قيل إنه بلغهم في ذلك آثارًا إسرائيلية، فلمّا اشتهر ذلك عنهم في البلدان، اختلف الناس في ذلك:

* فمنهم من قبله منهم ووافقهم على تعظيمها منهم طائفة من عبّاد البصرة وغيرهم.

* وأنكر ذلك أكثر علماء الحجاز، منهم عطاء، وابن أبي مليكة ونقله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن فقهاء أهل المدينة، وهو قول أصحاب مالك وغيرهم، وقالوا: ذلك كله بدعة.

* واختلف علماء أهل الشام على صفة إحيائها على قولين:

أ) أحدهما أنه يستحب إحياؤها جماعة في المساجد: كان خالد بن

---

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢٣/ ١٣١ ـ ١٣٣).

معدان ولقمان بن عامر وغيرهما يلبسون فيها أحسن ثيابهم ويتبخرون ويكتحلون ويقومون في المسجد ليلتهم تلك ووافقهم إسحاق بن راهويه على ذلك، وقال في قيامها في المساجد جماعة: ليس ذلك ببدعة نقله عنه حرب الكرماني في مسائله.

ب) والثاني: أنه يكره الاجتماع فيها في المساجد للصلاة والقصص والدعاء، ولا يكره أن يصلي الرجل فيها لخاصة نفسه. وهذا قول الأوزاعي إمام أهل الشام وفقيههم وعالمهم، وهذا هو الأقرب إن شاء اللَّه تعالى. ثم نقل ابن رجب كلام الشافعي الذي نقلناه سابقًا: «إن الدعاء يستجاب في خمس ليال... إلى قوله: وأستحب كل ما حكيت في هذه الليالي»، ثم قال ابن رجب ـ رحمه اللَّه ـ: «ولا يعرف للإمام أحمد كلام في ليلة نصف شعبان، ويتخرّج في استحباب قيامها عنه روايتان من الروايتين في قيام ليلتي العيد فإنه في رواية لم يستحب قيامها جماعة؛ لأنه لم ينقل عن النبي ﷺ وأصحابه واستحبها من رواية، لفعل عبد الرحمن بن يزيد بن الأسود لذلك، وهو من التابعين، فكذلك قيام ليلة النصف، لم يثبت فيها شيء عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه، وثبت فيها عن طائفة من التابعين من أعيان فقهاء أهل الشام»[1] ا. هـ.

* [عن عطاء بن يسار: «ما من ليلة بعد ليلة القدر أفضل من ليلة النصف من شعبان، ينزل اللَّه تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا فيغفر

(١) «لطائف المعارف» ص(١٤٤، ١٤٥).

لعباده كلهم إلا لمشرك أو مشاحن أو قاطع رحم»[١]. فينبغي للمؤمن أن يتفرغ في تلك الليلة لذكر اللَّه ودعائه:

فقم ليلة النصف الشريف مصليـاً فأشرف هذا الشهر ليلة نصفه[٢]

*قال صاحب «الإبداع في مضار الابتداع» الشيخ علي محفوظ ص(٣٨٦، ٣٨٧): «استند القائلون بإحياء هذه الليلة بالعبادة إلى أحاديث وردت في فضلها. وأما المنكرون لفضل هذه الليلة على غيرها فسندهم في ذلك أنه لم يثبت عندهم في فضلها حديث، فقد صرّح علماء الحديث بضعف الأحاديث. وقولهم: الحديث الضعيف يعمل به في فضائل الأعمال ليس على إطلاقه. وجملة القول أن كل الأحاديث الواردة في ليلة النصف من شعبان دائر أمرها بين الوضع والضعف وعدم الصحة، فقد نقل أبو شامة الشافعي عن القاضي أبي بكر بن العربي أنه قال في كتاب «العارضة»: «ليس في ليلة النصف من شعبان حديث يعوّل عليه لا في فضلها ولا في نسخ الآجال فيها فلا تلتفتوا إليه »[٣]ا.هـ.

*عن زيد بن أسلم قال: «ما أدركنا أحدًا من مشيختنا ولا فقهائنا يلتفتون إلى ليلة النصف من شعبان، ولا يلتفتون إلى حديث مكحول، ولا يرون لها فضلاً على سواها. قال: وقيل لابن أبي مليكة إنّ زياد النميري يقول: إن أجر ليلة النصف من شعبان كأجر ليلة القدر، فقال: لو سمعته وبيدي عصا لضربته قال: وكان زياد قاسيًا.

(١، ٢)«لطائف المعارف» ص(١٤٥).

(٣)«الإبداع» ص(٢٨٦، ٢٨٧).

* قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية في كتاب له: «ما جاء في شهر شعبان» من تأليفه: [قال أهل التعديل والتجريح ليس في حديث ليلة النصف من شعبان حديث يصح.

فتحفظوا يرحكم من مفتر يروي لكم حديثًا موضوعًا يسوقه في معرض الخير، فاستعمال الخير ينبغي أن يكون مشروعًا من النبي ﷺ، فإذا صح أنه كذب خرج عن المشروعية وكان مستعمله من خدم الشيطان لاستعماله حديثًا على رسول اللَّه ﷺ ولم ينزل اللَّه به من سلطان»].

بدعة: ومما أحدثه المبتدعون وخرجوا به عما رسمه المتشرعون، وجربوا فيه على سنن المجوس، واتخذوا دينهم لهوًا ولعبًا الوقيد ليلة النصف من شعبان، ولم يصح فيها شيء عن رسول اللَّه ﷺ، ولا نطق بالصلاة فيها، ولا ورد الإيقاد، وما أحدثه المتلاعبون بالشريعة المحمدية إلا راغب في دين المجوسية؛ لأن النار معبودهم، وأول ما حدث ذلك في زمن البرامكة حتى إذا صلى المسلمون وركعوا وسجدوا كان ذلك إلى النار التي أوقدوا»[1] ا. هـ..

قال ابن العربي: «أول من اتخذ البخور في المساجد بنو برمك، يحيى ومحمد بن خالد، وملكهما الوالي أمر الدين، فكان محمد بن خالد حاجبًا، ويحيى بن خالد وزيرًا، ثم جعفر بن يحيى، وكانوا باطنية، فأحيوا المجوسية، واتخذوا البخور في المساجد وإنما تطيب بالخلوق وهو بالفتح نوع من الطيب»[2] ا. هـ.

(١) «البدع» لأحمد بن حجر آل بوطامي.
(٢) «الإبداع» ص(٢٨٩).

قيام الليل وصلاة الضحى

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

«استحب الأئمة أن يكون للرجل عدد من الركعات يقوم بها من الليل، لا يتركها، فإن نشط أطالها، وإن كسل خفّفها، وإذا نام عنها صلى بدلها من النهار. ومن هذا الباب «صلاة الضحى» فإن النبي ﷺ لم يكن يداوم عليها باتفاق أهل العلم بسنته، ومن زعم من الفقهاء أن ركعتا الضحى كانتا واجبتين عليه فقد غلط، بل ثبت في حديث صحيح لا معارض له أن النبي ﷺ: «كان يصلي وقت الضحى لسبب عارض، لا لأجل الوقت، مثل أن ينام من الليل فيصلي من النهار اثنتى عشرة ركعة، ومثل أن يقدم من سفر وقت الضحى فيدخل المسجد فيصلي فيه».

وقال: «من كان مداومًا على قيام الليل أغناه عن المداومة على صلاة الضحى كما كان النبي ﷺ يفعل، ومَنْ كان ينام عن قيام الليل فصلاة الضحى بدل عن قيام الليل»[1]. اهـ.

من تلبيس إبليس:

قال ابن الجوزي في «تلبيس إبليس»:

*[وقد لبّس إبليس على جماعة من المتعبدين، فأكثروا من صلاة الليل، وفيهم من يسهره كله، ويفرح بقيام الليل وصلاة الضحى، أكثر

(١)«مجموع فتاوى ابن تيمية» (ج٢٢) من ص(٢٨٢ ـ ٢٨٤).

مما يفرح بأداء الفرائض، ثم يقع قبيل الفجر فتفوته الفريضة، أو يقوم فيتهيأ لها فتفوته الجماعة، أو يصبح كسلانًا فلا يقدر على الكسب لعائلته.

فإن قال قائل: فقد رويت لنا أن جماعة من السلف كانوا يحيون الليل؟

فالجواب: «أولئك تدرجوا حتى قدروا على ذلك، وكانوا على ثقة من حفظ صلاة الفجر في الجماعة. وكانوا يستعينون بالقائلة مع قلة المطعم، وصحّ لهم ذلك. ثم لم يبلغنا أن رسول اللَّه ﷺ سهر ليلة لم ينم فيها فسننه هي المتبوعة.

* وقد لبس إبليس على جماعة من قوّام الليل، فتحدثوا بذلك بالنهار، فربما قال أحدهم: فلان المؤذن، وأذن بوقت، وليُعْلِم الناس أنه كان منتبهًا، فأقل ما في هذا إن سلم من الرياء أن ينقل من ديوان السر إلى ديوان العلانية فيقل الثواب»(١).

* وقد لبَّس على جماعة من المتعبدين فتراهم يصلون الليل والنهار، ولا ينظرون في إصلاح عيب باطن ولا في مطعم، والنظر في ذلك أولى بهم من كثرة التنفل} ا. هـ.

من بدع القيام «الألفية»: صلاة ليلة النصف مائة ركعة المسماة بالألفية. قال في «الإبداع»: «ذكر حديثها في الإحياء، ولكن قد صرح جماعة من الحفاظ بأنه موضوع».

---

(١) «تلبيس إبليس» لابن الجوزي ص(١٤١، ١٤٢) مطبعة الجزيرة ـ دار السلام.

قال الحافظ ابن الجوزي في «الحصن»: «وأما صلاة الرغائب أول خميس من رجب، وصلاة ليلة النصف من شعبان وصلاة ليلة القدر من رمضان فلا تصح، وسندها موضوع باطل». وقال الحافظ العراقي: «حديث صلاة ليلة النصف موضوع على رسول اللَّه ﷺ وكذب عليه.

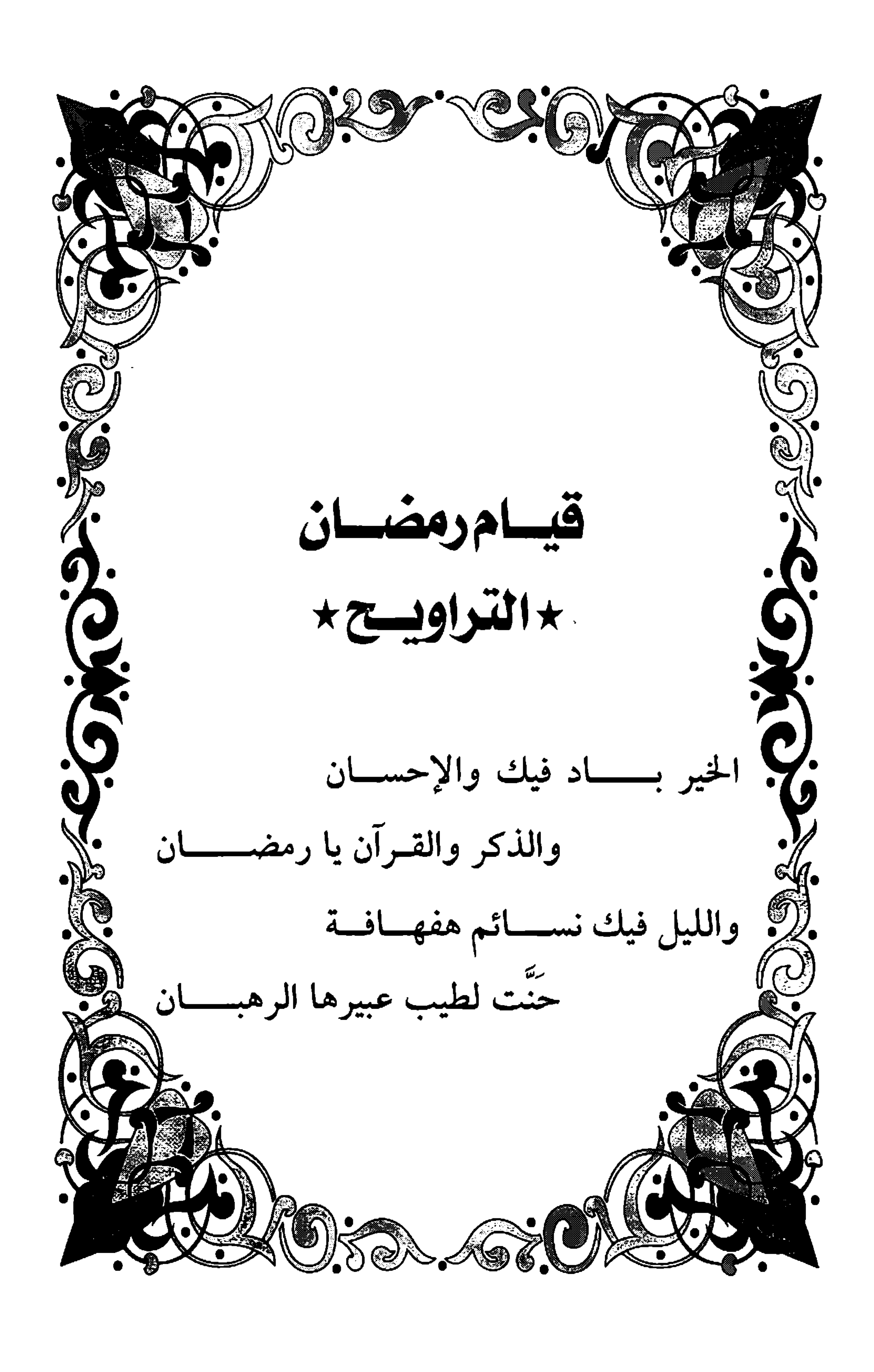
وقال النووي في «المجموع»: «الصلاة المعروفة بـ «صلاة الرغائب»، وهي اثنتا عشرة ركعة بين المغرب والعشاء ليلة أول جمعة من رجب، وصلاة ليلة النصف من شعبان مائة ركعة، هاتان الصلاتان بدعتان منكرتان، ولا يُغتر بذكرهما في «قوت القلوب»، و«إحياء علوم الدين»، ولا بالحديث المذكور فيهما، فإن كل ذلك باطل، ولا يغتر ببعض من اشتبه عليه حكمهما من الأئمة، فصنف ورقات في استحبابهما، فإنه غالط في ذلك، وقد صنّف الشيخ الإمام أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي كتابًا نفيسًا في إبطالهما فأحسن فيه وأجاد.

* حكى الإمام الطرطوشي في أصل القيام ليلة النصف من شعبان عن أبي محمد المقدسي قال: لم يكن عندنا ببيت المقدس صلاة الرغائب هذه التي تصلى في رجب ولا صلاة شعبان، وأول ما حدثت عندنا «صلاة شعبان» في سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ـ قدم علينا رجل في بيت المقدس من نابلس يعرف بابن الحمراء، وكان حسن التلاوة، فقام فصلى في المسجد الأقصى ليلة النصف من شعبان، فأحرم خلفه رجل، ثم انضاف إليهما ثالث ورابع، فما ختمها إلا وهو في جماعة كبيرة، ثم جاء العام القابل فصلى معه خلق كثير، وشاعت في المسجد، وانتشرت

في المسجد الأقصى وبيوت الناس ومنازلهم، ثم استمرت كأنها سنة إلى يومنا هذا»}[١] ا. هـ.

* * *

(١) «الإبداع» ص(٨٨).



قيام رمضان

⋆ التراويح ⋆

الخير بـــــاد فيك والإحســـان
والذكر والقـرآن يا رمضـــــان
والليل فيك نســائم هفهــافــة
حَنَّت لطيب عبيرها الرهبـــان

قيام رمضان ﴿ التراويح ﴾

اعلم يا أخي هدانا اللَّه وإياك إلى سبيله الأقوم، وحشرنا مع المتقين أن الناصح لنفسه لا تخرج عنه مواسم الطاعات عطلاً؛ لأن الأبرار ما نالوا البر إلا بالبر، يضع نصب عينيه قول رسول اللَّه ﷺ: «**افعلوا الخير دهركم، وتعرضوا لنفحات رحمة اللَّه، فإن للَّه نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده**»(1)، وقوله ﷺ: «**إن لربكم في أيام دهركم نفحات، فتعرضوا لها، لعل أحدكم أن يصيبه منها نفحة لا يشقى بعدها أبدًا**»، فيتعرض لإحسان مولاه، سبحانه من كريم أضحت رحالنا بباب كرمه مطروحة، ولما كان رمضان سيد الشهور، وتاج على مفرق الأيام ففيه أُنزلت الكتب السماوية كلها ففي حديث واثلة بن الأسقع عن رسول اللَّه ﷺ: «**أُنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان، وأُنزلت التوراة لست مضت من رمضان، وأُنزل الإنجيل لثلاث عشرة مضت من رمضان، وأُنزل الزبور لثمان عشر خلت من رمضان، وأُنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان**»(2) من فاتته المغفرة في هذا الشهر طرد عن الباب.

عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفِّرات ما بينهن**

---

(1) حسن: رواه الطبراني في «الكبير» عن أنس، وقال الهيثمي: إسناده رجاله رجال الصحيح وحسنّه الألباني انظر: «الصحيحة» رقم (١٨٩٠).

(2) حسن: رواه الطبراني في «الكبير» عن واثلة، وأحمد في «مسنده»، وابن عساكر وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٥٠٩).

إذا اجتنبت الكبائر»[١].

وعن الحسن بن مالك بن الحويرث، عن أبيه، عن جده قال: صعد رسول اللَّه ﷺ المنبر فلمّا رقى عتبة قال: «آمين»، ثم رقى أخرى فقال: «آمين»، ثم رقى عتبة ثالثة فقال: «آمين»، ثم قال: **«أتاني جبريل فقال: يا محمد مَنْ أدرك رمضان فلم يغفر له فأبعده اللَّه. فقلت: آمين، قال: ومن أدرك والديه أو أحدهما فدخل النار فأبعده اللَّه. فقلت: آمين، قال: ومَنْ ذُكرتَ عنده فلم يصل عليك فأبعده اللَّه. فقلت: آمين»**[٢].

ومرحى بشهر طيب كريم مبارك تفتح فيه أبواب الجنان وتغلق فيه أبواب النيران:

عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - أن رسول اللَّه ﷺ قال: **«إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغُلِّقَتْ أبواب النار، وصُفِّدت الشياطين»**[٣]، وفي لفظ آخر: **«إذا كان أول ليلة من شهر رمضان، صفدت الشياطين، ومردة الجن**[٤]**، وغلقت أبواب النار، فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وينادي مناد: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، وللَّه عتقاء من النار، وذلك كل ليلة»**[٥].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه»، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» رقم (٩٨٦).

(٣) رواه البخاري، ومسلم.

(٤) عند ابن خزيمة: الشياطين مردة الجن، بغير واو.

(٥) من رواية الترمذي، وابن ماجه، وابن خزيمة، والبيهقي، وقال الترمذي: حديث غريب، ورواه النسائي، والحاكم بنحو هذا اللفظ، وقال الحاكم: صحيح على شرطهما.

فهلمّ يا باغي الخير إلى شهر يضاعف فيه الأجر للأعمال، فنصب المجتهدين في خدمة مولاهم في هذا الشهر هو الراحة.

هبت على القلوب نفحة من نفحات نسيم القرب ـ في رمضان ـ وسعى سمسار الوعظ للمهجورين في الصلح، ووصلت البشارة فيه للمنقطعين بالوصل، وللمذنبين بالعفو والمستوجبين النار بالعتق فلم يبق للعاصي عذر.

يا غيوم الغفلة عن القلوب تقشعي، يا شموس التقوى والإيمان اطلعي، يا صحائف أعمال الصائمين ارتفعي، يا قلوب الصائمين اخشعي، يا أقدام المتهجدين اسجدي واركعي، يا عيون المجتهدين لا تهجعي، يا ذنوب التائبين لا ترجعي، يا أرض الهوى ابلعي ماءك ويا سماء النفوس أقلعي، يا خواطر العارفين ارتعي، يا همم المحبين بغير الله لا تقنعي. قد مدّت في هذه الأيام موائد الإنعام فما منكم إلا مَنْ دُعي: ﴿**يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ**﴾. يا همم المؤمنين أسرعي، فطوبى لمن أجاب فأصاب، وويل لِمَنْ طُرد عن الباب وما دُعي»[١].

ولله درّ من قال من المتهجدين في رمضان:

يتلذذون بذكره في ليلهم ... ويكابدون لدى النهار صياماً
فسيغنمون عرائساً بعرائس ... ويُبوّأون من الجنان خياما
وتقرّ أعينهم بما أخفى لهم ... وسيسمعون من الجليل سلاماً[٢]

(١) «لطائف المعارف» ص(١٧٢).

(٢) «عقود اللؤلؤ والمرجان في وظائف شهر رمضان» للشيخ إبراهيم بن عبيد آل عبد المحسن.

ومن قال:

مَنْ نَالَه داء دَوٍ بذنوبه فليأت من رمضان باب طبيبه

يا مَنْ طالتْ غيبته عن مَوْلاه، قد قربت أيام المصالحة، يا مَنْ دامت خسارته قد أقبلت أيام التجارة الرابحة، كمْ ينادي حيّ على الفلاح وأنت خاسر، وكمْ تدعى إلى الصلاح، وأنت على الفساد مثابر، مَنْ لم يربح في رمضان ففي أيّ وقت يربح، ومَنْ لم يقرب فيه من مولاه فهو على بُعده لا يبرح.

* قال المُعَلّى بن المفضل: كان السلف يدعون اللَّه ستة أشهر أنْ يبلّغهم رمضان، ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبله منهم.

* قال يحيى بن كثير: كان من دعائهم: «اللَّهم سلمني إلى رمضان، وسلّم لي رمضان، وتسلمه مني متقبلاً».

فهيّا إلى القيام في رمضان، اطو فراشك.

فعن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت: «كان رسول اللَّه ﷺ إذا دخل رمضان شد مئزره، ثم لم يأت فراشه حتى ينسلخ»[1].

* * *

(١) «صحيح ابن خزيمة»، وقال الألباني: «إسناده صحيح، لولا عنعنة المطلب بن عبد اللَّه، وهو المخزومي»، قال الحافظ: «كثير التدليس والإرسال».

فضل قيام الليل في رمضان

* قيام رمضان من الإيمان، ومغفرة لسالف الذنوب:

قال رسول اللَّه ﷺ: «**مَنْ قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**»[(١)].

وزاد مسلم في أوله: كان رسول اللَّه ﷺ يرغِّب في قيام رمضان من غير أن يأمرهم بعزيمة، ثم يقول: «**من قام رمضان إيمانًا...**»[(٢)].

قال الخطابي: (**إيمانًا واحتسابًا**) أي: نية وعزيمة، وهو أن يقومه على التصديق والرغبة في ثوابه، طيبة به نفسه، وقال البغوي: «**احتسابًا**» أي: طلبًا لوجه اللَّه تعالى.

* (**غفر له**) قال الحافظ في «الفتح» (٤/ ٢٩٦): «ظاهره يتناول الصغائر والكبائر، وبه جزم ابن المنذر، وقال النووي: المعروف أنه يختص بالصغائر، وبه جزم إمام الحرمين وعزاه عياض لأهل السنة، وقال بعضهم: ويجوز أن يخفف من الكبائر إذا لم يصادف صغيرة».

---

(١) أخرجه أصحاب الكتب الستة، ومالك، وأحمد، والدارمي، والفريابي في «كتاب الصيام» وعبد الغني المقدسي في «فضائل رمضان»، عن أبي هريرة. قال الألباني في «صحيح الترغيب» (١/ ٤١٥): «هذا الترغيب وأمثاله بيان لفضل هذه العبادات، بأنه لو كان على الإنسان ذنوب تغفر له بسبب هذه العبادات، فإن لم يكن للإنسان ذنب، يظهر هذا الفضل في رفع الدرجات كما في حق الأنبياء المعصومين من الذنوب».

(٢) الزيادة عند مسلم، وأبي داود، والترمذي.

* استحقاق قائمه اسم الصديقين والشهداء:

وانظر إلى كرم مولاك في هذا الحديث الذي يسوقه إليك رسول اللَّه ﷺ تجد فيه الخير كل الخير:

جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول اللَّه، أرأيتَ إن شهدتُ أن لا إله إلا اللَّه، وأنك رسول اللَّه، وصليت الصلوات الخمس، وأديت الزكاة، وصمت رمضان وقمته فمِمّنْ أنا؟ قال: «من **الصديقين والشهداء**»(١).

ولفظ ابن خزيمة: «جاء رسول اللَّه ﷺ رجل من قضاعة، فقال له: إنْ شهدت ألا إله إلا اللَّه وأنك رسول اللَّه، وصليت الصلوات وصمت الشهر وقمت رمضان، وآتيت الزكاة؟ فقال النبي ﷺ: «مَنْ **مات على هذا كان من الصديقين والشهداء**».

بربك هل زاد الصحابي الجليل على أركان الإسلام الخمسة إلاّ قيام رمضان؟ واستحق بهذه الزيادة اسم الصديقين والشهداء.

* كان عمر بن الخطاب إذا دخل أول ليلة من رمضان يصلي المغرب، ثم يقول: «أمّا بعد: فإنّ هذا الشهر كُتب عليكم صيامه، ولمْ يكتب عليكم قيامه، فمنْ استطاع منكم أن يقوم فليقم، فإنها نوافل الخير التي قال اللَّه، فمنْ لم يستطع فلينم على فراشه، وليتقين أحدكم أن يقول: أصوم إن صام فلان، وأقوم إنْ قام فلان، مَنْ صام منكم أو قام

(١) صحيح: رواه البزار، وابن خزيمة، وابن حبان في صحيحهما، واللفظ لابن حبان، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» رقم (٩٩٣)، والتعليق على ابن خزيمة (٢٢١٢).

فليجعل ذلك لله، وليعلم أحدكم أنه في صلاة ما انتظر الصلاة، أقلوا اللغو في بيوت الله»[١] .

* وقال أحدهم: ما على أحدكم أن يقول: الليلة ليلة القدر، فإذا جاءت أخرى، قال: الليلة ليلة القدر.

* «وكان ابن عون إذا جاء شهر رمضان، جاء برمل فألقاه في المسجد، ثم يقول لبنيه: ما تبتغون بعد شهر رمضان، وكان لا ينام»[٢] .

صلاةُ التَّراويح

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: «التراويح جمع ترويحة، وهي المرة الواحدة من الراحة كتسليمة من السلام، سميت الصلاة في الجماعة في ليالي رمضان التراويح؛ لأنهم أول ما اجتمعوا عليها كانوا يستريحون بين كل تسليمتين»[٣] .

وقال النووي: «المراد بقيام رمضان صلاة التراويح».

قال الصنعاني: «وأما تسميتها بالتراويح، فكأن وجهه ما أخرجه البيهقي من حديث عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ يصلي أربع ركعات في الليل، ثم يتروّح فأطال حتى رحمته» الحديث. قال البيهقي: تفرّد به المغيرة بن دياب وليس بالقوي، فإن ثبت فهو أصل في تروح

---

(١) «المصنف» لعبد الرزاق (٤/ ٢٦٥، ٢٦٦).
(٢) «مختصر قيام الليل» ص(٩٢).
(٣) «الفتح» (ج٣).

الإمام في صلاة التراويح»[١].

وقال الألباني: «لا يشك عالم اليوم بالسنة في مشروعية صلاة الليل جماعة في رمضان، هذه الصلاة التي تعرف بصلاة التراويح لأمور ثلاثة:

أ - إقراره ﷺ الجماعة فيها.

ب - إقامته إياها.

جـ - بيانه لفضلها.

إقراره ﷺ الجماعة فيها:

عن ثعلبة بن أبي مالك القرظي قال:

«خرج رسول اللَّه ﷺ ذات ليلة في رمضان، فرأى ناسًا في ناحية المسجد يصلون، فقال: **«ما يصنع هؤلاء؟»** قال قائل: يا رسول اللَّه هؤلاء ناس ليس معهم قرآن، أبيّ بن كعب يقرؤهم معه يصلون بصلاته، فقال: **«قد أحسنوا، أو قد أصابوا»**، ولم يكره ذلك لهم»[٢].

* عن جابر - رضي اللَّه عنه - جاء أبي بن كعب - رضي اللَّه عنه - في رمضان فقال: يا رسول اللَّه كان مني الليلة شيء، قال: «وما

---

(١) «سبل السلام» للصنعاني (٢/ ١٧).

(٢) قال الألباني: رواه البيهقي (٢/ ٤٩٥)، وقال: «هذا مرسل حسن»، قال الألباني: وقد روي موصولاً من طريق آخر عن أبي هريرة بسند لا بأس به في المتابعات والشواهد، أخرجه ابن نصر في «قيام الليل» ص(٩٤) «المختصر»، وأبو داود (١/ ٢١٧)، والبيهقي ا. هـ. انظر: صلاة التراويح.

ذاك يا أبيّ؟»، قال: نسوة داري قلن: إنا لا نقرأ القرآن فنصلي خلفك بصلاتك فصليت بهن ثمان ركعات والوتر فسكت عنه وكان شبه الرضاء»(١).

صلاته ﷺ التراويح:

وقد وردت في ذلك عدة أحاديث نوردها:

١ ـ عن النعمان بن بشير ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «قمنا مع رسول اللَّه ﷺ ليلة ثلاث وعشرين في شهر رمضان إلى ثلث الليل الأول، ثم قمنا معه ليلة خمس وعشرين إلى نصف الليل، ثم قام بنا ليلة سبع وعشرين حتى ظننا أن لا ندرك الفلاح، قال: وكنا ندعو السحور الفلاح»(٢).

قال الحاكم: «وفيه الدليل الواضح أن صلاة التراويح في مساجد المسلمين سنة مسنونة، وقد كان علي بن أبي طالب يحث عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ على إقامة هذه السنة إلى أن أقامها».

٢ ـ عن أنس بن مالك ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «كان رسول اللَّه ﷺ يصلي في رمضان، فجئت فقمت إلى جنبه، وجاء رجل آخر

---

(١) اللفظ لمحمد بن نصر من «مختصر قيام الليل» ص(٩٤)، قال الهيثمي: إسناده حسن، وقال الألباني: هذا الحديث عندي محتمل للتحسين انظر إلى تخريج الحديث وتحقيقه ص(٦٨) من كتاب «التراويح» للألباني.

(٢) **إسناده صحيح**: رواه أحمد واللفظ له، والنسائي، وابن أبي شيبة في «المصنف»، وابن نصر «قيام الليل»، والفريابي، وصححه الحاكم، وقال الألباني: إسناده صحيح، انظر: «صلاة التراويح» ص(٩ ، ١٠).

فقام أيضًا حتى كنا رهطًا[١]، فلما حسّ النبي ﷺ أنّا خلفه جعل يتجوّز في الصلاة، ثم دخل رَحْله فصلى صلاة لا يصلّيها عندنا، قال: قلنا له حين أصبحنا أفطنت لنا الليلة؟ قال: فقال: «نعم. ذاك الذي حملني على الذي صنعت»[٢].

٣ ـ عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: «كان الناس يصلون في مسجد رسول اللَّه ﷺ في رمضان بالليل أوزاعًا[٣]، يكون مع الرجل شيء من القرآن فيكون معه النفر الخمسة أو الستة أو أقل من ذلك أو أكثر فيصلون بصلاته، قالت: فأمرني رسول اللَّه ﷺ ليلة من ذلك أن أنصب له حصيراً[٤] على باب حجرتي ففعلت، فخرج إليه رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وصحبه وسلم بعد أن صلّى العشاء الآخرة، قالت: فاجتمع إليه من في المسجد، فصلى بهم رسول اللَّه ﷺ ليلاً

---

(١) الرهط: ما دون العشرة من الرجال لا يكون فيهم امرأة قال تعالى: ﴿وكان في المدينة تسعة رهط﴾ فجمع، وليس لهم واحد من لفظهم مثل ذود والجمع أرهط وأرهاط وأراهط «الفتح الرباني» للساعاتي.

(٢) رواه مسلم واللفظ له، كذا رواه ابن نصر، وأحمد بسندين صحيحين، والطبراني في «الأوسط» بنحوة كما قال الألباني.

(٣) أوزاعًا: الجماعات المتفرقة لا واحد له من لفظه كما قال ابن عبد البر، وهم العزون، قال تعالى: ﴿عن اليمين وعن الشمال عزين﴾ ا. هـ. انظر: «الفتح الرباني» للساعاتي (٥/ ٨٧٧).

(٤) أنصب: أي: أضع. في «اللسان»: «والنصب وضع الشيء ورفعه ولعل الأول هو المناسب هنا والمراد أنه ﷺ أمرها أن تضع حصيراً أمام باب الحجرة ليصلي عليها، ويحتمل أن المراد الثاني هو رفع الحصير أمام الباب ويؤيده حديث زيد بن ثابت: «اتخذ النبي ﷺ حجرة في المسجد من حصير فصلى رسول اللَّه ﷺ فيها ليالي. . . رواه مسلم (٢/ ١٨٨).

طويلاً، ثم انصرف رسول اللَّه ﷺ فدخل، وترك الحصير على حاله، فلمّا أصبح الناس تحدّثوا بصلاة رسول اللَّه ﷺ بِمَنْ كان معه في المسجد تلك الليلة، قالت: وأمسى المسجد رَاجًّا[1] بالناس، فصلى بهم رسول اللَّه ﷺ العشاء الآخرة، ثم دخل بيته، وثبت الناس، قالت: فقال لي رسول اللَّه ﷺ: «**ما شأن الناس يا عائشة؟**»، قالت: فقلت: يا رسول اللَّه سمع الناس بصلاتك البارحة بمن كان في المسجد فحشدوا لذلك لتصلي بهم، قالت: فقال: «**أَطْوِعنّا حصيرك يا عائشة**»، قالت: ففعلت وبات رسول اللَّه ﷺ غيرَ غافل، وثبت الناس مكانهم [فطفق رجال منهم يقول: الصلاة الصلاة، فلم يخرج إليهم رسول اللَّه ﷺ حتى خرج رسول اللَّه ﷺ إلى الصبح فلما قضى الفجر أقبل على الناس، ثم تشهد] فقالت: فقال: «**أيها الناس. أما واللَّه ما بت والحمد للَّه ليلتي غافلاً وما خفي عليّ مكانكم، ولكني تخوفت أن يفترض عليكم** [وفي رواية: **ولكن خشيت أن تفرض عليكم صلاة الليل فتعجزوا عنها**] **فأكفلوا من الأعمال ما تطيقون فإن اللَّه لا يمل حتى تملوا**»[2] وزاد في رواية أخرى:

قال الزهري: فتُوفي رسول اللَّه ﷺ والناس على ذلك، ثم كان الأمر على ذلك في خلافة أبي بكر وصدرًا من خلافة عمر.

قال الحافظ في قوله: «والأمر على ذلك» أي: على ترك الجماعة في التراويح.

---

(١) أي: غاصًا بالناس.

(٢) رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن نصر، وأحمد واللفظ له،وما بين القوسين [ ] زيادة عند مسلم.

وقال الألباني: والأولى أن يقال: «أي: على الصلاة أوزاعًا» كما يدل عليه أول الحديث، أيْ: أنهم استمروا يصلونها بأئمة متعددين، وسيأتي ما يؤيده في حديث إحياء عمر لهذه السنة».

وقال الألباني أيضًا: «وهذه الأحاديث ظاهرة الدلالة على مشروعية صلاة التراويح جماعة، لاستمراره ﷺ عليها في تلك الليالي، ولا ينافي تركه ﷺ لها في الليلة الرابعة في هذا الحديث؛ لأنه ﷺ علّله بقوله: «**خشيت أن تفرض عليكم**»، ولا شك أن هذه الخشية قد زالت بوفاته ﷺ بعد أن أكمل اللَّه الشريعة، وبذلك يزول المعلول وهو ترك الجماعة، ويعود الحكم السابق وهو مشروعية الجماعة، ولهذا أحياها عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ، وعليه جمهور العلماء.

* وقال الصنعاني في «سبل السلام» (٢/ ١٤، ١٥): «اعلم أنه قد أشكل التعليل لعدم الخروج بخشية الفريضة عليهم مع ثبوت حديث «**هي خمس وهن خمسون ـ لا يبدل القول لديّ ـ**» فإذا أمن التبديل، كيف يقع الخوف من الزيادة؟ وقد نقل المصنف عنه(١) أجوبة كثيرة وزيفها. وأجاب بثلاثة أجوبة قال: إنه فتح الباري عليه بها وذكرها واستجود منها: أن خوفه ﷺ كان من افتراض قيام الليل يعني: جعل التهجد في المسجد جماعة شرطًا في صحة التنفل بالليل؟ وقال: يومئ إليه قوله في حديث زيد بن ثابت: «**حتى خشيت أن يكتب عليكم. ولو كتب عليكم ما قمتم به**،

---

(١) يقصد الحافظ ابن حجر العسقلاني.

فصلوا أيها الناس في بيوتكم»، فمنعهم من التجمع في المسجد إشفاقًا عليهم من اشتراطه ا. هـ. قلت: ولا يخفى أنه لا يطابق قوله: «أن تفرض عليكم صلاة الليل» كما في البخاري فإنه ظاهر أنه خشية فرضها مطلقًا» ا. هـ. كلام الصنعاني.

٤ ـ عن حذيفة بن اليمان قال: «قام رسول اللَّه ﷺ ذات ليلة في رمضان في حجرة من جريد النخل، ثم صبَّ عليه دلوًا من ماء، ثم قال: [اللَّه أكبر، اللَّه أكبر (ثلاثًا)، ذا الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة]. [ثم قرأ البقرة، قال: ثم ركع، فكان ركوعه مثل قيامه، فجعل يقول في ركوعه]: «سبحان ربي العظيم، سبحان ربي العظيم» [مثلما كان قائمًا، ثم رفع رأسه من الركوع]، فقال مثل ركوعه فقال: «لربي الحمد»، ثم سجد، وكان في سجوده مثل قيامه، وكان يقول في سجوده: «سبحان ربي الأعلى»، ثم رفع رأسه من السجود [ثم جلس]، وكان يقول بين السجدتين: «رب اغفر لي، رب اغفر لي»، وجلس بقدر سجوده [ثم سجد] فقال: «سبحان ربي الأعلى» ـ مثلما كان قائمًا، فصلى أربع ركعات يقرأ فيهن البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام حتى جاء بلال فآذنه بالصلاة[1].

وعن زيد بن ثابت أن النبي ﷺ اتخذ حجرة في المسجد من حصير، فصلى فيها ليالي حتى اجتمع عليه ناس، ثم فقدوا صوته ليلة،

---

(١) **صحيح**: قال الألباني في «صلاة التروايح» ص(١٤): رواه ابن أبي شيبة، وابن نصر، والنسائي، وأحمد، وروى منه الترمذي، وابن ماجه، والحاكم القول بين السجدتين، وصححه ووافقه الذهبي، ورجاله ثقات.

وظنوا أنه قد نام، فجعل بعضهم يتنحنح ليخرج إليهم، فقال: «ما زال بكم الذي رأيت من صنيعكم[1] حتى خشيت أن يكتب عليكم، ولو كتب عليكم ما قمتم به، فصلوا يا أيها الناس في بيوتكم، فإن أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة» متفق عليه.

فضل أداء التراويح جماعة

عن أبي ذر ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «صمنا مع رسول اللَّه ﷺ رمضان، فلم يقم بنا شيئًا من الشهر حتى بقي سَبْعٌ[2] فقام بنا[3] حتى ذهب ثلث الليل، فلما كانت السادسة[4] لم يقم بنا، فلما كانت الخامسة[5] قام بنا حتى ذهب شطر الليل، فقلت: يا رسول اللَّه لو نفّلتنا قيام هذه الليلة، قال: فقال: «إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف

(١) في هامش «مختصر قيام الليل»: ليس فيه ذم فعلهم، بل في «تاج العروس» قال الراغب: الصنع إجادة الفعل، وكل صنع فعل، وليس كل فعل صنعًا، ولا ينسب إلى الحيوانات والجمادات كما ينسب إليها الفعل ا. هـ. ولهذا يقال لحرفة الصانع صناعة بالكسر، ولعمله صنعة بالفتح وللطعام يصنع. وللإحسان صنيع إلى آخر ما يطلق عليه هذه المادة» انظر: هامش «مختصر قيام الليل» ص(٩٩).

(٢) قال صاحب «عون المعبود» (٤/ ٢٤٩): أي من الشهر كما في رواية: ومضى ثنان وعشرون، قال الطيبي: أيْ سبع ليال، نظر إلى المتيقن وهو أن الشهر تسع وعشرون.

(٣) ليلة الثالثة والعشرين.

(٤) أي: مما بقي وهي الليلة الرابعة والعشرون.

(٥) وهي الليلة الخامسة والعشرون: قال صاحب «عون المعبود»: «قال صاحب المفاتيح: فحسب من آخر الشهر وهي ليلة الثلاثين إلى آخر سبع ليال وهو الليلة الرابعة والعشرون.

حُسِب له قيام الليلة». قال: فلما كانت الرابعة[١] لم يقم، فلما كانت الثالثة[٢] جمع أهله ونساءه والناس، فقام بنا حتى خشينا أن يفوتنا الفلاح، قال: قلت: وما الفلاح[٣]؟ قال: السحور، ثم لم يقم بنا بقية الشهر[٤].

قال الألباني: [والشاهد من هذا الحديث قوله: «مَنْ قام مع الإمام...»، فإنه ظاهر الدلالة على فضيلة قيام رمضان مع الإمام].

وقال صاحب «عون المعبود»: «حصل له ثواب قيام ليلة تامة».

وعن أبي إسحاق الهمداني: خرج علي بن أبي طالب في أول ليلة من رمضان، والقناديل تزهر في المساجد، وكتاب اللَّه يتلى فجعل ينادي: «نوّر اللَّه لك يا بن الخطاب في قبرك كما نوّرت مساجد اللَّه بالقرآن»[٥] ا. هـ.

---

(١) أي: من الباقية وهي الليلة السادسة والعشرون.

(٢) أي: من الباقية وهي ليلة السابع والعشرين.

(٣) قال صاحب «عون المعبود» (٤/ ٢٥٠): قال الخطابي: «أصل الفلاح البقاء، وسمي السحور فلاحًا إذ كان سببًا لبقاء الصوم ومعينًا عليه، ومن ذلك حي علي الفلاح، أي: العمل الذي يخلدكم في الجنة، وقيل؛ لأنه معين على إتمام الصوم المفضي إلى الفلاح وهو الفوز بالزلفى»، قال ابن الأثير في «النهاية»: «هو بالفتح ما يتسحر به من الطعام والشراب. وبالضم المصدر، والفعل نفسه، وأكثر ما يُروى بالفتح، وقيل: الصواب بالضم؛ لأنه بالفتح الطعام والبركة والأجر. والصواب: في الفعل لا في الطعام» ا. هـ.

(٤) **سنده صحيح**: رواه أبو داود واللفظ له، والترمذي وصححه، والنسائي، وابن ماجه، وابن أبي شيبة، والطحاوي في «شرح معاني الآثار»، وابن نصر، والبيهقي، والفريابي، وسكت عنه أبو داود، وصححه المنذري، والحاكم كما قال ابن حجر، والهيثمي، وقال الألباني: سنده صحيح انظر: «صلاة التراويح» ص(١٥).

(٥) «مختصر القيام» ص(٩٤).

إحيـاء عمر لسنة الجماعة في التراويح

بأبي أنت وأمي يا فاروق الإسلام... يا مَنْ أحييت سنة التراويح.

* عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال: «كان رسول اللَّه ﷺ يرغِّب في قيام رمضان من غير أن يأمرهم بعزيمة فيقول: «من قام رمضان..»، توفي رسول اللَّه ﷺ، والناس على ذلك، ثم كان الأمر على ذلك في خلافة أبي بكر، وصدرًا من خلافة عمر».

* قال النووي: استمر الأمر هذه المدة على أن كل واحد يقوم رمضان في بيته منفردًا، حتى انقضى صدرًا من خلافة عمر.

* وقال ابن حجر: والأمر على ذلك أي: على ترك الجماعة في التراويح.

وفسّرها الألباني: بأنهم استمروا على أداء صلاة التراويح في المسجد أوزاعًا وراء أئمة متعددين، ثم حدث الآتي:

* عن عبد الرحمن بن عبد القاري أنه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب - رضي اللَّه عنه - ليلة في رمضان إلى المسجد، فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط، فقال عمر: إني أرى لو جمعتُ هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أبيّ بن كعب، ثم خرجتُ معه ليلة أخرى والناس يصلوّن بصلاة قارئهم، قال عمر: «نعمت البدعة هذه، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون - يريد آخر الليل - وكان

الناس يقومون أوله»[1].

قال الحافظ في «الفتح» (٤/ ٢٩٧): «قال ابن التين وغيره: استنبط عمر ذلك من تقرير النبي ﷺ مَنْ صلى معه في تلك الليالي، وإن كان كره ذلك لهم، فإنما كرهه خشية أن يفرض عليهم، فلما مات النبي ﷺ حصل الأمن من ذلك، ورجح عند عمر ذلك لما في الاختلاف من افتراق الكلمة؛ ولأن الاجتماع على واحد أنشط لكثير من المصلين، وإلى قول عمر جنح الجمهور» ا. هـ.

تفسير قول عمر: «نعمت البدعة هذه»

* قال ابن خزيمة: «قيام شهر رمضان سنة النبي ﷺ خلاف زعم الروافض الذين يزعمون أن قيام شهر رمضان بدعة لا سنة».

* قال ابن حجر في «الفتح»: «البدعة أصلها ما أحدث على غير مثال سابق، وتطلق في الشرع في مقابل السنة فتكون مذمومة، والتحقيق أنها إن كانت مما تندرج تحت مستحسن في الشرع فهي حسنة، وإن كانت مما تندرج تحت مستقبح في الشرع فهي مستقبحة».

* وقال ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٢٢٤):

«ولا يحتج محتج بالتراويح ويقول: «نعمت البدعة هذه»، فإنها بدعة في اللغة، لكونهم فعلوا ما لم يكونوا يفعلونه في حياة رسول الله ﷺ مثل هذه، وهي سنة من الشريعة، وهكذا إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب، وجمع القرآن في مصحف واحد، فقيام

(١) «رواه مالك في «الموطأ»، والبخاري، والفريابي، وابن سعد.

رمضان سنة رسول اللّه ﷺ لأمته، وصلى بهم جماعة عدة ليال، وكانوا على عهد رسول اللّه ﷺ يصلون جماعة وفرادى. لكن لم يداوم على جماعة واحدة لئلا تفرض عليهم، فلما مات ﷺ استقرت الشريعة، فلما كان عمر ـ رضي اللّه عنه ـ جمعهم على إمام واحد، والذي جمعهم أبيّ بن كعب جمع الناس عليها بأمر عمر بن الخطاب، وعمر هو من الخلفاء الراشدين حيث يقول ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ**» فهو سنة، وإنْ كان في اللغة يسمى بدعة».

وقال أيضًا في «مجموع الفتاوى» (٢١/٣١٨ ـ ٣١٩): «لم يكن ﷺ يداوم بالصحابة على الجماعة خشية أن تفرض عليهم، وقد أمن ذلك بموته، فما سنّه الخلفاء الراشدون ليس بدعة شرعية ينهى عنها، وإنْ كان يسمى في اللغة بدعة لكونه ابتدأ».

* وقال الألباني في «صلاة التراويح» (٤٣ ـ ٤٥): [قول عمر: «نعمت البدعة هذه» لم يقصد به البدعة بمعناها الشرعي الذي هو إحداث شيء في الدين على غير مثال سابق، لما علمت أنه ـ رضي اللّه عنه ـ لم يحدث شيئًا، بل أحيا أكثر من سنة نبوية كريمة، وإنما قصد البدعة بمعنى من معانيها اللغوية، وهو الأمر الحديث الجديد، الذي لم يكن معروفًا قُبيل إيجاده، وممّا لا شك فيه، أن صلاة التراويح جماعة وراء إمام واحد لم يكن معهودًا ولا معلومًا زمن خلافة أبي بكر وشطرًا من خلافة عمر فهي بهذا الاعتبار حادثة، ولكن بالنظر إلى أنها موافقة لفعله ﷺ، فهي سنة وليست بدعة، وما وصفها بالحُسن إلا لذلك، وعلى هذا المعنى

جرى العلماء المحققون في تفسير قول عمر هذا. فقال السبكي - عبد الوهاب - في «إشراق المصابيح في صلاة التراويح» (ج١/١٦٨) من الفتاوى: «قال ابن عبد البر: لم يسنّ عمر من ذلك إلا ما سنّه رسول اللَّه ﷺ ويحبه ويرضاه، ولم يمنع من المواظبة إلا خشية أن تفرض على أمته، ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رحِيماً﴾ ﷺ، فلما علم عمر ذلك من رسول اللَّه ﷺ، وعلم أن الفرائض لا يزاد فيها، ولا ينقص منها بعد موته ﷺ أقامها للناس وأحياها وأمر بها وذلك سنة أربعة عشر من الهجرة، وذلك شيء ذخره اللَّه له وفضّله به، ولم يلهمه لأبي بكر، وإن كان أفضل وأشد سبقًا إلى كل خير بالجملة، ولكل واحد منهما فضائل خُصّ بها ليست لصاحبه».

قال السبكي: «ولو لمْ تكن مطلوبة لكانت بدعة مذمومة كما في «الرغائب» ليلة نصف شعبان وأول جمعة من رجب، فكان يجب إنكارها وبطلانه (يعني بطلان إنكار جماعة التراويح) معلوم من الدين بالضرورة».

* - وقال العلامة ابن حجر الهيثمي في فتواه: «قول عمر - رضي اللَّه عنه - في صلاة التراويح: «نعمت البدعة» أراد البدعة اللغوية، وهو ما فُعل على غير مثال، كما قال تعالى: ﴿**ما كنت بدعاً من الرسل**﴾، وليست بدعة شرعية، فإن البدعة الشرعية ضلالة كما قال ﷺ، ومَنْ قسّمها من العلماء إلى حسن وغير حسن فإنّما قسّم البدعة اللغوية، ومَنْ قال: «كل بدعة ضلالة» فمعناها (البدعة الشرعية) ألا ترى أن الصحابة - رضي اللَّه عنهم - والتابعين لهم بإحسان أنكروا الأذان لغير

الصلوات الخمس، كالعيدين، وإن لم يكن فيه نهي، وكرهوا استلام الركنين الشاميين، وكذا ما تركه ﷺ مع قيام المقتضى، فيكون تركه سنة وفعله بدعة مذمومة، وخرج بقولنا: «مع قيام المقتضى» في حياته إخراج اليهود، وجمع المصحف، وما تركه لوجود المانع، كالاجتماع للتراويح فإن المقتضى التام يدخل فيه عدم المانع»(١) ا. هـ. النقل من صلاة التراويح.

قال الشوكاني في «السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار» في رده على الهادوية من الشيعة الزيدية: [«قوله: فأما التراويح جماعة فبدعة» أقول: أما صلاة التراويح فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه صلى في ليال من رمضان، وائتم به جماعة من الصحابة، وعلم بهم، فترك ذلك مخافة أن تُفرض عليهم، وهذا ثابت من أحاديث صحيحة في «الصحيحين»، وغيرهما، بهذا يتقرر أن صلاة النوافل في ليالي رمضان جماعة سنة لا بدعة؛ لأن النبي ﷺ لم يتركها إلا لذلك العذر»]، ثم ذكر الشوكاني حديث أبي ذر «. . . لو نفّلتنا بقية ليلتنا. . .»، ثم قال: [ففي هذا الحديث أنه ﷺ صلّى بهم في النافلة في ليالي رمضان جماعة، فكيف تكون الجماعة بدعة كما قال المصنف؟!]، ثم قال: «فقد كانت الجماعة موجودة في المسجد بعد موته ﷺ وقبل أن يجمعهم عمر. وبهذا كله تعرف أن التجميع في النوافل في ليالي رمضان

(١) قال الألباني في شرحه لهذه: يعني أن مفهوم «المقتضى العام» يتضمن عدم وجود المانع، مثاله صلاة التراويح جماعة، فإن المقتضى لها كان قائمًا، ولكن المانع كان موجودًا وهو خشية الافتراض، فلم يكن المتقضى تامًا.

سنة لا بدعة»}[1] ا. هـ.

وبعد هذا الإسهاب تكره الرافضة صلاة التراويح وتزعم أنها بدعة، ولقد جعل اللَّه من فعل عمر شوكة في حلوقهم، ويعدّونه نقيصة ولله در القائل:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم   بهنّ فلول من قراع الكتائب

ولا نجد سوى قول القائل:

يا ناطح الجبل العالي لتكلمه   أشفقْ على الرأس لا تشفق على الجبل

وقول القائل:

وما ضرَ الشموس تلوح جهراً   بكون الرُمْد دوْمًا جاحدينا
فكم زكمت أنوف الفسق دوماً   بعطر القول من فم صادقينا

ولله درك يا أبا الحسن يا أبا التراب حين تتولى إلقام الرافضة حجرًا من آل بيت النبوة في حلوقهم، مادحًا أخاك الفاروق، حين خرجت في أول ليلة من رمضان، والقناديل تزهر في المساجد، وكتاب اللَّه يتلى فجعلت تنادي «نوّر اللَّه لك يا بن الخطاب في قبرك، كما نوّرت مساجد اللَّه بالقرآن»[2] ا. هـ.

التراويح مع الجماعة أفضل [قول الجمهور]

قول جمهور العلماء أن التراويح مع الجماعة أفضل من صلاة الرجل منفردًا، وإليك التفصيل:

(١) «السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار» للشوكاني تحقيق محمود إبراهيم زايد (١/ ٣٢٩ ـ ٣٣٠) الطبعة الأولى ـ دار الكتب العلمية.

(٢) «مختصر قيام الليل» ص(٩٤).

* فقد كان علي بن أبي طالب يأمر الناس بقيام رمضان، فيجعل للرجال إمامًا، وللنساء إمامًا.

* وعن الحسن: أمّنا علي بن أبي طالب في زمن عثمان عشرين ليلة، ثم احتبس، فقال بعضهم: قد تفرّغ لنفسه، ثم أمّهم أبو حليمة معاذ القارئ فكان يقنت»[1].

* وكان أبيّ بن كعب يصلي بالناس في قيام رمضان، فلما تُوفي أبيّ قام بهم زيد بن ثابت. قال أبو وائل: كان ابن مسعود يصلي بنا في رمضان تطوعًا، وكان خيار أصحاب علي زاذان، وميسرة، وأبو البختري «سعيد بن فيروز» يختارون الصلاة خلف الإمام في رمضان على الصلاة في بيوتهم.

* وكان سعيد بن عبد العزيز، وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر يصليان مع الإمام في قيام العامة، ويرون أن الفضل في ذلك، تمسكًا منهما بسنة عمر بن الخطاب ومَنْ بعده من أئمة المسلمين.

* وكان مكحول يقوم بالناس فيصلي بصلاتهم، ويوتر بوترهم.

* وكان سويد بن غفلة يقوم في رمضان، وهو ابن عشرين ومائة بالناس.

* وكان سعيد بن جبير يصلي بهم في شهر رمضان، فيقرأ ليلة قراءة عثمان، وليلة قراءة ابن مسعود.

---

(١) انظر: «مختصر قيام الليل» ص(٩٤)، «الفتح الرباني» (٥/ ١٢، ١٣)، «مصنف ابن أبي شيبة».

*وكان عبد اللَّه بن معقل يؤم الناس في رمضان، فكان في الصف المقدم له، رجل يلقنه إذا تعايا[1]ا. هـ.

*وفي «مسائل الإمام أحمد بن حنبل» لأبي داود (٦٢) قال:

{سمعت أحمد قيل له: يعجبك أن يصلي الرجل مع الناس في رمضان أو وحده؟ قال: يصلي مع الناس، وسمعته أيضًا يقول: يعجبني أن يصلي مع الإمام ويوتر معه، قال النبي ﷺ: «**إن الرجل إذا قام مع الإمام حتى ينصرف كتب اللَّه له بقية ليلته**»} ا. هـ.

* قال أبو داود: «شهدته - يعني أحمد بن حنبل - شهر رمضان يوتر مع إمامه إلا ليلة لم أحضرها».

وقال أبو داود: قيل لأحمد وأنا أسمع: يُؤَخَّر القيام - يعني التراويح - إلى آخر الليل؟

قال سنة المسلمين أحبّ إليّ.

* وقال إسحاق: قلت لأحمد: الصلاة في الجماعة أحب إليك أم يصلي وحده في قيام رمضان؟

قال: «يعجبني أن يصلي في الجماعة يحيي السنة، وقال إسحاق كما قال»[2].

* وقال الترمذي: «اختار ابن المبارك، وأحمد، وإسحاق الصلاة مع الإمام في شهر رمضان واختار الشافعي أن يصلي الرجل وحده إذا كان قارئًا»[3].

---

(١) «مختصر قيام الليل» ص(٩٤، ٩٥).

(٢) «مختصر قيام الليل» ص(٩٥).

(٣) «تحفة الأحوذي» (٣/ ٥٣٢).

قال صاحب «تحفة الأحوذي»: أي حافظًا للقرآن كله أو بعضه.

* قال ابن قدامة في «المغني» (ج٢):

{والمختار عند أبي عبد اللَّه فعلها في الجماعة}.

قال في رواية يوسف بن موسى: «الجماعة في التراويح أفضل. وإن كان رجلاً يُقتدى به، فصلاّها في بيته خِفتُ أن يقتدىَ الناس به. وقد جاء عن النبي ﷺ: «اقتدوا بالخلفاء»، وقد جاء عن عمر أنه كان يصلي في الجماعة، وبهذا قال المزني، وابن الحكم، وجماعة من أصحاب أبي حنيفة.

وقال أحمد: كان جابر وعليّ وعبد اللَّه يصلونها في جماعة.

قال الطحاوي: كل من اختار التفرد ينبغي أن يكون ذلك على أن لا يقطع معه القيام في المساجد، فأما التفرد الذي يقطع معه القيام في المساجد فلا.

* وقال مالك والشافعي: قيام رمضان لمن قويَ في البيت أحبَّ إلينا لحديث زيد بن ثابت «... **فإن خير صلاة المرء في بيته**».

ولنا: إجماع الصحابة على ذلك، وجمع النبي ﷺ أصحابه وأهله في حديث أبي ذر.

وقوله: «**إن القوم إذا صلَّوا مع الإمام حتى ينصرف كتب لهم قيام تلك الليلة**»، وهذا خاص في قيام رمضان، فيقدم على عموم ما احتجوا به. وقول النبي ﷺ ذلك لهم مُعلَّل بخشية فرضه عليهم، ولهذا ترك النبي ﷺ القيام بهم معللاً بذلك أيضًا، أو خشية أن يتخذه الناس فرضًا،

وقد أمن هذا أن يُفعل بعده.

فإن قيل: فعليّ لم يقم مع الصحابة؟ قلنا: قد روي عن أبي عبد الرحمن السلمي: أن عليًا ـ رضي اللَّه عنه ـ قام بهم في رمضان.

قال الأثرم: وأخبرني الذي كان يؤم أحمد في شهر رمضان، أنه كان يصلي معهم التراويح كلها، والوتر، قال: «وينتظرني بعد ذلك حتى أقوم، ثم يقوم» ا. هـ.

*قال النووي في «شرح مسلم» (٢/ ٤١٠):

«المراد بقيام رمضان صلاة التراويح، واتفق العلماء على استحبابها، واختلفوا في أن الأفضل صلاتها منفردًا في بيته، أم في جماعة في المسجد؟».

*فقال الشافعي وجمهور أصحابه، وأبو حنيفة، وأحمد، وبعض المالكية وغيرهم: الأفضل صلاتها في جماعة كما فعل عمر بن الخطاب والصحابة ـ رضي اللَّه عنهم ـ واستمر عمل المسلمين عليه؛ لأنه من الشعائر الظاهرة فأشبه بصلاة العيد.

*وقال مالك وأبو يوسف وبعض الشافعية وغيرهم:

الأفضل فرادى في البيت، لقوله ﷺ: **«أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة»** ا. هـ.

*وقال في «المجموع» (٤٨٥):

«صلاة التراويح سنة بإجماع العلماء، وتجوز منفردًا، وجماعة، وأيهما أفضل؟ فيه وجهان مشهوران وحكاهما جماعة قولين:

* الصحيح باتفاق الأصحاب أن الجماعة أفضل وهو المنصوص في «البويطي»، وبه قال أكثر أصحابنا المتقدمين.

والثاني: الانفراد أفضل.

* وقال أصحابنا العراقيون، والصيدلاني والبغوي، وغيرهما من الخراسانيين: الخلاف فيمن يحفظ القرآن، ولا يخاف الكسل لو انفرد، ولا تختل الجماعة في المسجد لتخلفه، فإن فقد أحد هذه الأمور، فالجماعة أفضل بلا خلاف.

* وأطلق جماعة في المسألة ثلاثة أوجه: ثالثها هذا الفرق، وممن حكى الأوجه الثلاثة القاضي أبو الطيب في تعليقه، وإمام الحرمين، والغزالي، قال صاحب «الشامل»: قال أبو العباس، وأبو إسحاق: صلاة التراويح أفضل من الانفراد، إجماع الصحابة، وإجماع أهل الأمصار على ذلك ا. هـ.

* وقال النووي أيضًا في «المجموع»: «قد ذكرنا أن الصحيح عندنا أن فعل التراويح في جماعة أفضل من الانفراد، وبه قال جماهير العلماء، حتى أن علي بن موسى القمّي ادعى فيه الإجماع» ا. هـ.

* قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٤/ ٢٩٧):

«إلى قول عمر - بالصلاة جماعة في التراويح - جنح الجمهور، وعن مالك في إحدى الروايتين، وأبي يوسف، وبعض الشافعية: الصلاة في البيوت أفضل عملاً بعموم قوله ﷺ: **«أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة»**، وهو حديث صحيح، أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة، وبالغ الطحاوي فقال: إن صلاة التراويح في الجماعة

واجبة على الكفاية»[1].

قال ابن بطال: قيام رمضان سنة؛ لأن عمر إنما أخذه من فعل النبي ﷺ.

* وعند الشافعية في أصل المسألة ثلاثة أوجه:

ثالثها: مَنْ كان يحفظ القرآن، ولا يخاف من الكسل، ولا تختل الجماعة في المسجد بتخلفه فصلاته في الجماعة والبيت سواء، فمَنْ فقد بعض ذلك فصلاته في الجماعة أفضل ا. هـ.

* قال ابن عبد البر المالكي في «الاستذكار» (٣٣٥ ـ ٣٣٦):

«أما الليث بن سعد فقال: لو أن الناس كلهم قاموا في رمضان لأنفسهم وأهليهم، حتى يُترك المسجد لا يقوم فيه أحد، لكان ينبغي أن يخرجوا إلى المسجد حتى يقوموا فيه في رمضان؛ لأن قيام رمضان من الأمر الذي لا ينبغي للناس تركه.

وهو مما سنّ عمر للمسلمين، وجمعهم عليه، وأمّا إذا كانت الجماعة قد قامت في المسجد فلا بأس أن يقوم الرجل في بيته وأهل بيته.

ويقول الليث في هذه المسألة جماعة من المتأخرين من أصحاب أبي حنيفة، والشافعي، فمن أصحاب أبي حنيفة: عيسى بن أبان، وبكار ابن قتيبة، وأحمد بن عمران، والطحاوي، ومن أصحاب الشافعي:

(١) قال النووي في «شرح مسلم»: اجتمعت الأمة على أن قيام رمضان ليس بواجب بل هو مندوب.

إسماعيل بن يحيى المزُنَي، وابن عبد الحكم، كلهم قال: الجماعة في المسجد في قيام رمضان أحب إلينا» ا. هـ.

مَنْ اختار الصلاة وحده على القيام مع الناس إذا كان حافظًا للقرآن:

احتج هذا الفريق بحديث أبي هريرة المتقدم، وحديث زيد بن ثابت: «... **فصلوا أيها الناس في بيوتكم فإن أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة**»، واحتجوا أيضًا بفعله ﷺ، وفعل عمر في حديث عبد الرحمن بن عبد القاري: «فخرج ليلة والناس يصلون بصلاة قارئهم...».

* قال الحافظ في «الفتح» (٤/ ٢٩٧): «وفيه إشعار بأن عمر كان لا يواظب على الصلاة معهم، وكأنه كان يرى أن الصلاة في بيته، ولا سيما في آخر الليل أفضل» ا. هـ.

* ولقد ساق محمد بن نصر المروزي قول جماعة من العلماء في ذلك ومنهم: «قال الليث: ما بلغنا أن عمر، وعثمان كانا يقومان مع الناس في المسجد».

* وقال ابن عمر: تنصت خلفه كأنك حمار، صلّ في بيتك. وعن نافع: كان ابن عمر يصلي العشاء في المسجد في رمضان، ثم ينصرف، ونصلي نحن القيام، فإذا انصرفنا أتيته فأيقظته، فقضى وضوءه وتسحيره، ثم يدخل المسجد، فكان فيه حتى يصبح.

* وقال مالك: «كان ابن هرمز من القرّاء ينصرف فيقوم بأهله في

بيته، وكان ربيعة ينصرف، وكان القاسم، وسالم ينصرفان لا يقومان مع الناس، وقد رأيت يحيى بن سعيد يقوم مع الناس، وأنا لا أقوم مع الناس، لا أشك أن قيام الرجل في بيته أفضل من القيام مع الناس إذا قوي على ذلك، وما قام رسول اللَّه ﷺ إلا في بيته.

* وعن أبي الأسود أن عروة بن الزبير كان يصلي العشاء الآخرة مع الناس في رمضان، ثم ينصرف إلى منزله ولا يقوم مع الناس.

* وقال الحسن: من استطاع أن يصلي مع الإمام، ثم يصلي إذا روّح الإمام بما معه من القرآن فذلك أفضل، وإلا فليصلّ وحده إذا كان معه قرآن حتى لا ينسى ما معه.

* وكان سعيد بن جبير يصلي لنفسه في المسجد، والإمام يصلي بالناس.

* وعن إسحاق بن سويد: كان صف القرّاء في بني عديّ رمضان، الإمام يصلي بالناس، وهم يصلون على حدة.

* وكان ابن أبي مليكة يصلي في رمضان خلف المقام، والناس بَعْدُ في سائر المسجد من مصلٍ وطائف بالبيت.

* وكان ابن محيريز يصلي في رمضان في مؤخر المسجد، والناس يصلون في مقدمه للقيام.

* وقال مجاهد: إذا كان مع الرجل عشر سور فليرددها، ولا يقوم في رمضان خلف الإمام.

* وقال يحيى بن أيوب: رأيت يحيى بن سعيد يصلي العشاء

بالمدينة في المسجد مع الإمام في رمضان، ثم ينصرف، فسألته عن ذلك، فقال: كنت أقوم، ثم تركت ذلك، فإن استطعت أن أقوم لنفسي أحبّ إليّ.

* وقال مالك(1): كان عمر بن حسين، من أهل الفضل والفقه، وكان عابدًا، ولقد أخبرني رجل أنه كان يسمعه في رمضان يبتدئ القرآن في كل يوم، قيل له: كأنه يختم، قال: نعم. كان في رمضان إذا صلى العشاء انصرف، فإذا كانت ليلة ثلاث وعشرين قامها مع الناس، ولم يكن يقوم معهم غيرها، فقيل له: يا أبا عبد اللَّه: فالرجل يختم القرآن في كل ليلة؟ قال: ما أجود ذلك، إن القرآن إمام كلِّ خير أَوْ أَمام كل خير.

* وقال قبيصة: صلى خلفي سفيان ترويحة في رمضان، ثم تنحى صلى ترويحة، فجعل يقرأ ويرفع صوته، حتى كاد يغلطني، ثم صلى خلفي ترويحة أخرى، ثم أخذ بنعليه وقُلَّةٌ معه، ثم خرج ولم ينتظر أن يوتر معي.

* وصلى أبو إسحاق الفزاري في مؤخر المسجد في رمضان إلى سارية، والإمام يصلي بالناس وهو يصلي وحده.

وعن عبيد اللَّه بن عمر: أنه كان يرى مشيختهم القاسم وسالمًا ونافعًا ينصرفون ولا يقومون مع الناس.

* وقال الشافعي: إن صلى رجل لنفسه في بيته في رمضان، فهو

---

(1) انظر: «التراويح» للشيخ عطية محمد سالم طبع دار التراث بالمدينة المنورة.

أحبّ إليّ، وإنْ صلّى في جماعة فهو حسن[١] ا. هـ.

* قال ابن عبد البر في «الاستذكار» (٣٣٧): «القيام في رمضان نافلة، فاذا كانت النافلة في البيت أفضل منها في مسجد النبي ﷺ، والصلاة فيه بألف صلاة، فأي فضل أبين من هذا؟ ولهذا كان مالك والشافعي، ومن سلك سبيلهما يرون الانفراد في البيت أفضل في كل نافلة. فإذا قامت الصلاة في المساجد في رمضان، ولو بأقل عدد، فالصلاة حينئذ في البيت أفضل» ا. هـ.

وقال أيضًا في «الاستذكار» (١/ ٣٣٦): «روينا عن ابن عمر وسالم والقاسم وإبراهيم ونافع أنهم كانوا ينصرفون ولا يقومون مع الناس، وجاء عن عمر وعليّ أنهما كانا يأمران مَنْ يقوم للناس في المسجد، ولم يجئ عنهما أنهما كانا يقومان معهم».

* قال ابن الحاج في «المدخل»: «فإن قال قائل: قد قررتم أن قيام رمضان في المسجد سنة فما وجه ترك أبي بكر لها؟ فالجواب: أن أبا بكر كان مشتغلاً بما هو أعظم من ذلك وأهم في الدين وهو قتال أهل الردّة ومانعي الزكاة، وبعث الجيوش إلى الشام، وغير ذلك وما جرى له من مسيلمة الكذّاب، وغيره، وتراكم الفتن عند انتقال النبي ﷺ مع شعله بجمع القرآن وتدوينه مع قصر مدّته فلم يتفرغ لما تفرغ له أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فبان ما ذكر واتضح واللّه الموفق»[٢] ا.هـ.

(١) «مختصر قيام الليل» ص(٩٩، ١٠٠، ١٥٠).
(٢) «المدخل» لابن الحاج ص(٢٩٠) طبعة دار الحديث بجوار إدارة الأزهر.

عدد ركعات التراويح

لَمْ يصلِّ ﷺ التراويح أكثر من (١١) ركعة

* عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه سأل عائشة - رضي اللَّه عنها -: كيف كانت صلاة رسول اللَّه ﷺ في رمضان؟ فقالت: «ما كان رسول اللَّه ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة، يصلي أربعًا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعًا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثًا»(١)

* وعن جابر - رضي اللَّه عنه - قال: صلى بنا رسول اللَّه ﷺ في شهر رمضان ثمان ركعات، وأوتر، فلما كانت القابلة اجتمعنا في المسجد ورجونا أن يخرج، فلم نزل فيه حتى أصبحنا، ثم دخلنا فقلنا: يا رسول اللَّه، اجتمعنا البارحة في المسجد، ورجونا أن تصلي بنا. فقال: **«إني خشيت أن يكتب عليكم»**(٢)

* قال الحافظ في «الفتح» (٣/ ٤٠): «وفي الحديث دلالة على أن صلاته كانت متساوية في جميع السنة».

وجمع الحافظ والألباني وصاحب «تحفة الأحوذي» بين الروايات

---

(١) رواه البخاري، ومسلم، وأبو عوانة، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، ومالك، وأحمد.

(٢) **سنده حسن**: رواه ابن نصر والطبراني في «المعجم الصغير»، وقال صاحب «تحفة الأحوذي» (٣/ ٥٢٥): «قال الذهبي في «ميزان الاعتدال». وقال الألباني: «سنده حسن» وأشار الحافظ في «الفتح» (ج٣)، وفي «التلخيص» إلى تقويته وعزاه لابن خزيمة، وابن حبان.

القائلة بالإحدى عشرة، والقائلة بالثلاث عشرة، أنها حين تُذكر الثلاث عشرة ركعة، تضيف إلى صلاة الليل سنة العشاء لكونها كان يصليها في بيته، أوْ ما كان يفتتح به صلاة الليل من ركعتين خفيفتين.

* * *



مبحث للشيخ /
عطية محمد سالم
حول صلاة التراويح
وتطـــورهـا

صلاة التراويح وتطورها

ما طرء عليها في عهد الصديق ـ رضي اللَّه عنه ـ:

قال الشيخ عطية سالم في كتابه «التراويح»:

لم يذكر أحد أن التراويح في عهد الصديق ـ رضي اللَّه عنه ـ طرأ عليها جديد. مستدلين بحديث أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ: كان رسول اللَّه ﷺ يرغِّب في قيام رمضان من غير أن يأمرهم فيه بعزيمة، فيقول: **«من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه»**. فتوفي رسول اللَّه ﷺ والأمر على ذلك. قال البيهقي: زاد أحمد بن منصور الرمادي في روايته: في خلافة أبي بكر وصدر من خلافة عمر رواه مسلم في «الصحيح». ورواه مالك بسنده إلى ابن شهاب: وتوفي رسول اللَّه ﷺ والأمر على ذلك. وكان الأمر على ذلك في صدر خلافة أبي بكر، وصدر من خلافة عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ ولكن حديث عائشة عند البيهقي قالت: «كنا نأخذ الصبيان من الكتاب ليقوموا بنا في شهر رمضان فنعمل لهم (القلية) و(الخشكنانج)»، وعند المروزي: فنعمل لهم (القلية) والخشكار وهو: خبز السمراء.

فهو نص على إقامة التراويح بإمامة الصبيان. وقطعًا لم يكن ذلك في عهد النبي ﷺ فهل كان في عهد الصديق فيكون تطورًا جديدًا أم في عهد عمر؟ والذي يظهر أنه كان في عهد الصديق ـ رضي اللَّه عنه ـ؛ لأنه كان في عهد عمر ترتيب أئمة للرجال وإمام للنساء، وعلى كل ففيه تطور جديد.

فإن كان في عهد الصديق فهو جديد عما كان من قبل وهو الراجح وإن كان في عهد عمر فيغلب على الظن أن ذلك كان في البيوت؛ لأنهن لن يأخذن الصبيان من الكتاب وعمر جاعل إمامًا لهن ولا سيما عائشة - رضي اللَّه عنها - فأحرى بها - رضي اللَّه عنها - أن تصلي في بيتها وقد يجتمع لها من النساء».

عهد عمر - رضي اللَّه عنه -:

قال الشيخ عطية سالم:

«جاء عهد عمر - رضي اللَّه عنه - والحال كما كان عليه من قبل، يصلون أوزاعًا فرادى وجماعات في البيوت وفي المسجد، يصور ذلك أكمل تصوير أثران هما: أثر إياس الهذلي، وأثر عبد الرحمن بن عبدٍ.

أ - الأثر الأول:

عن نوفل قال: قال إياس الهذلي: كان الناس يقومون في رمضان في المسجد، وكانوا إذا سمعوا قارئًا حسن القراءة مالوا إليه فقال عمر - رضي اللَّه عنه -: قد اتخذوا القرآن أغاني، واللَّه لئن استطعت لأغيرنّ هذا، فلم تمر ثلاث حتى جمع الناس على أبيّ بن كعب، وقال عمر: إن كانت هذه بدعة لنعمت البدعة. رواه المروزي.

ب - الأثر الثاني:

وهو أثر عبد الرحمن بن عبدٍ القاريّ خرجت مع عمر بن الخطاب - رضي اللَّه عنه - في رمضان إلى المسجد، فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط فقال عمر:

إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أبيّ بن كعب. . .} رواه البخاري.

نجد في الأثرين السابقين تطوراً جديداً على يد عمر - رضي الله عنه - وهو جمع الأوزاع والأشتات على قارئ واحد.

تعدد الأئمة:

وقد جاء عنه - رضي الله عنه - أن جعل إمامين للرجال وهما أبيّ ابن كعب وتميم الداري، وكانا يقومان في الليلة الواحدة يتناوبان، يبتدأ الثاني حيث ينتهي الأول كما جاء في روايتَي السائب بن يزيد فالذي تجدد في هذين الأثرين هو:

تعدد الأئمة بعد إمام واحد، وهو أبيّ، وسواء كان ذلك رفقًا بالإمام الأول فجعل معه آخر يساعده، أو كان ترويحًا للمأمومين وتنشيطًا للمصلين، ولا سيما وقد كانوا حدثاء عهد بتعدد الأئمة حينما كانوا يصلون أوزاعًا.

وقد مضى عهد عمر - رضي الله عنه - إلى أبعد من هذا فجعل إمامًا للنساء وانتخب أكثر من إمام للتراويح، أما إمام النساء فهو سليمان ابن أبي حثمة كما جاء عند المروزي.

عن هشام بن عروة عن أبيه: جعل عمر بن الخطاب للناس قارئين، فكان أبي بن كعب يصلي بالرجال، وكان ابن أبي حثمة يصلى بالنساء. فهذا الأثر يفيد أن إمامة سليمان بن أبي حثمة بالنساء كانت أثناء إمامة أبيّ للرجال، أي: أنهما كان يصليان في وقت واحد: هذا لهؤلاء، وهذا لهؤلاء.

أما تعدد الأئمة أكثر من ذلك، فهو كما في رواية عاصم، عن أبي عثمان ـ رحمه اللَّه ـ: أن عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ جمع القراء في رمضان فأمر أخفهم قراءة أن يقرأ ثلاثين آية وأوسطهم خمسًا وعشرين، وأثقلهم قراءة عشرين، فنرى هنا تعدد الأئمة وهو أكثر ترويحًا وتخفيفًا على نفس الإمام وعلى نفس المأمومين، ثم نرى أيضًا تخفيف القراءة فأقصاها ثلاثون بعد أن كانت تصل إلى الستين والمئين، بل نجد أثرًا آخر وهو أن عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ أمر أبيًّا فأمّهم في رمضان فكانوا ينامون ربع الليل، ويقومون ربعه، وينصرفون بربع لسحورهم وحوائجهم.

أما عدد الركعات فكالآتي:

١ ـ أول ما أمر عمر أُبيًّا أن يقوم بالناس أمره بثمان ركعات وكان يقرأ بالمئين، وكانوا لا ينصرفون إلا في وجه الفجر.

٢ ـ وتقدم أن عمر أمر أُبيًّا وتميمًا أن يقوما للناس بثلاث عشرة ركعة. وهذا بالنسة إلى ما جاء من ثمان ركعات يكون منها ثلاث وترًا.

وقد جاءت رواية محمد بن سيرين أن معاذًا أبا حليمة القاريّ كان يصلي بالناس إحدى وأربعين ركعة. ومعاذ أبو حليمة هذا، قال في «التقريب»: هو معاذ بن الحارث الأنصاري النجاري القاريّ أحد من أقامه عمر بمصلى التراويح، وقيل: هو آخر يكنى أبا الحارث صحابي صغير استشهد بالحرة. والحرة كانت سنة ٦٣ يؤيد هذا العدد ويفضله رواية أبي زيد عن صالح مولى التوأمة، قال: أدركت الناس قبل الحرة يقومون بإحدى وأربعين ركعة، يوترون منها بخمسة. فكانت التراويح إحدى وأربعين ينقصها خمس أي: ست وثلاثون ركعة.

* وصالح هذا قال عنه في «التقريب»: هو صالح بن نبهان المدني مولى التوأمة صدوق اختلط في آخر عمره.

قال ابن عدي: لا بأس برواية القدماء كابن أبي زيد وابن جرير من الرابعة مات سنة ١٢٥. والرواية هنا عنه من رواية الأقدمين. وهو ابن أبي ذئب، كما مثل ابن عدي لما لا بأس به عنه. فهو هنا يقول: أدركت الناس قبل الحرة يقومون بإحدى وأربعين يوترون منها بخمسة. وهذا موافق لما قاله محمد بن سيرين أن معاذ بن حليمة القاريّ كان يصلي بالناس إحدى وأربعين ركعة أي: ستًا وثلاثين قيامًا وخمسة وترًا.

أ ـ فتكون التراويح زمن عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ بدأت بثلاث عشرة ركعة أي: بما فيها الوتر.

ب ـ ثم إلى ثلاث وعشرين بما فيها الوتر ثلاث.

جـ ـ ثم بست وثلاثين ومعها خمس ركعات وترًا والمجموع إحدى وأربعون ركعة إلا أننا نلاحظ أن كثرة الركعات معها تخفيف القراءة؛ لأنه:

أولاً: ثمان ركعات، أو ثلاث عشرة ركعة، يقرءون بالمئين، وكانوا لا ينصرفون إلا على وجه الفجر. وعليه قلنا: تكون القراءة لست وثلاثين ركعة، كالقراءة لثمان أو لثلاث عشرة ركعة.

بل وجدنا عمليًا أن عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ جمع القراء فأمر من كان أخف قراءة أن يقرأ بثلاثين، بينما كانت القراءة بخمسين، بستين كما تقدم.

وعليه لا يكون تعارض بين الروايات الواردة في عدد الركعات

للتراويح زمن عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ. كما قال الباجي ـ رحمه اللَّه ـ في شرحه «للموطأ» (ج١ ص٢٠٨) ما ملخصه: قد اختلفت الروايات فيما كان يصلى به في رمضان في زمان عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ فروى السائب بن يزيد: إحدى عشرة ركعة، وروى يزيد بن رومان: ثلاثًا وعشرين ركعة، وروى نافع مولى ابن عمر: أنه أدرك الناس يصلون بتسع وثلاثين ركعــة يوترون فيها بثلاث فيحتمل أن يكون عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ بدأ بثمان على ما كان عليه رسول اللَّه ﷺ كما أفاده حديث عائشة المتقدم: ما زاد رسول اللَّه ﷺ في رمضان ولا في غيره... الحديث. وأمرهم مع ذلك بطول القراءة يقرأ القارئ بالمئين في الركعة، فلما ضعف الناس عن ذلك أمرهم بثلاث وعشرين ركعة على وجه التخفيف عنهم من طول القيام، واستدراك بعض الفضيلة بزيادة الركعات، وكان يقرأ البقرة في ثمان ركعات أو اثنتي عشرة، وقد قيل: إنه كان يقرأ من ثلاثين إلى عشرين آية. وكان الأمر على ذلك إلى يوم الحرة، فثقل عليهم القيام فنقصوا من القراءة وزادوا في عدد الركعات فجاءت ستًا وثلاثين ركعة والوتر بثلاث، فمضى الأمر على ذلك. ولعل التخفيف إلى ست وثلاثين وقع قبل الحرة كما جاء في رواية محمد بن سيرين» والذي يهمنا ما ظهر من التدرج في التراويح زمن عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ بالتخفيف من القراءة وزيادة عدد الركعات، فكانت قلة الركعات معها كثرة قراءة، وكثرة القراءة معها قلة الركعات.

* * *

عهد عثمان ـ رضي اللَّه عنه ـ:

أما في عهد عثمان ـ رضي اللَّه عنه ـ فإن عليّا بنفسه كان يؤم الناس في التراويح أكثر ليالي الشهر كما في «سنن البيهقي» ـ رحمه اللَّه ـ عن قتادة، عن الحسن قال: أمّنا علي بن أبي طالب في زمن عثمان بن عفان ـ رضي اللَّه عنه ـ عشرين ليلة، ثم احتبس. فقال بعضهم: قد تفرغ لنفسه. ثم أمّهم أبو حليمة معاذ القاريّ، فكان يقنت.

الدعاء في ختم القرآن:

غير أننا وجدنا هنا في عهد عثمان ـ رضي اللَّه عنه ـ عملاً يكاد يكون جديدًا في التراويح، وهو الدعاء بختم القرآن في نهاية الختمة، وذلك لما ذكره ابن قدامة ـ رحمه اللَّه ـ في «المغني» (٢/ ١٧١) قال: فصل في ختم القرآن، قال الفضل بن زياد: سألت أبا عبد اللَّه فقلت: أختم القرآن أجعله في الوتر أو في التراويح؟ قال: اجعله في التراويح؛ حتى يكون لنا دعاءين اثنين. قلت: كيف أصنع؟ قال: إذا فرغت من آخر القرآن فارفع يديك قبل أن تركع وادع بنا ونحن في الصلاة، وأطل القيام، قلت: بما أدعو؟ قال: بما شئت. قال: ففعلت بما أمرني، وهو خلفي يدعو قائمًا ويرفع يديه. قال حنبل: سمعت أحمد يقول في ختم القرآن: إذا فرغت من قراءة ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ فارفع يديك في الدعاء قبل الركوع. قلت: إلى أي شيء تذهب في هذا؟ قال: رأيت أهل مكة يفعلون، وكان سفيان بن عيينة يفعله معهم بمكة. قال العباس ابن عبد العظيم: وكذلك أدركنا الناس بالبصرة وبمكة. ويروي أهل المدينة في هذا شيئًا وذكر عن عثمان بن عفان. فقوله: رأيت أهل مكة

يفعلونه، وفعل سفيان بن عيينة معهم، ثم قول العباس بن عبد العظيم: أدركنا الناس بالبصرة وبمكة، ويروي أهل المدينة في هذا شيئًا، وذكر عن عثمان، يدل أنه كان عملاً عامًا في تلك الأمصار مكة والبصرة والمدينة. ويشير إلى أنه لم يكن قبل زمن عثمان كما يدل على أنّه من عمل عثمان ـ رضي اللَّه عنه ـ إن صحت عبارته ويروي أهل المدينة في هذا شيئًا. . . إلخ.

وعلى كل فقد فعله أحمد ـ رحمه اللَّه ـ مستدلاً له بفعل أهل الأمصار الثلاثة المذكورة، ومستأنسًا بما يروي أهل المدينة في هذا عن عثمان ـ رضي اللَّه عنه ـ والذي نقله عن أهل المدينة هو العباس بن عبد العظيم[1] وهو ثقة حافظ.

عهد علي ـ رضي اللَّه عنه ـ:

أما عهد علي فقد كان عليّ يؤمهم في الوتر. وقد جعل للرجال إمامًا وللنساء إمامًا. وكان إمام النساء في زمن علي هو عرفجة الثقفي كما قال المروزي.

عن عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي

---

(١) العباس بن عبد العظيم: ترجم له في «تهذيب التهذيب» (٥/١٢٢) مستهلاً بقوله: «عباس بن عبد العظيم بن إسماعيل بن ثوبة العنبري أبو الفضل البصري الحافظ، وعدّ من روى عنهم نحو العشرين، ثم قال: وجماعة: وعند الجماعة لكن البخاري تعليقًا، ثم عدّ عشرة أشخاص ممّن أخذوا عنه، ثم قال: وغيرهم، قال أبو حاتم: صدوق، وقال النسائي: «مأمون» وذكر ثناء الناس عليه، وقال ابن حجر: قال مسلمة: بصري ثقة.
وقال عنه في «التقريب»: ثقة حافظ من كبار الحادية عشرة مات سنة ٤٠ هـ.

ـ رضي اللّه عنه ـ قال: دعا القراء في رمضان فأمر منهم رجلاً يصلي بالناس عشرين ركعة، قال: وكان علي ـ رضي اللّه عنه ـ يوتر بهم. قال البيهقي: وروي هذا من وجه آخر عن علي.

الزيادة التي طرأت بعد عهد علي إلى عهد عمر بن عبد العزيز:

وجدت الزيادة التي وردت في روايات كل من معاذ القاريّ وصالح مولى التوأمة بعد عمر وعثمان وعلي ـ رضي اللّه عنهم ـ؛ لأنها محددة بما قبل الحرة، ولم تعين أي وقت كان قبلها.

تحديد الزيادة:

جاءت رواية نافع مولى ابن عمر ـ رضي اللّه عنه ـ كما تقدم عند الباجي أنه قال: أدركت الناس يصلون بتسع وثلاثين ركعة يوترون منها بثلاث. أي: أن التراويح زادت من عشرين إلى ست وثلاثين ما عدا الوتر ثلاثة ونافع مات سنة ١١٧ أي: بعد وفاة عمر بن عبد العزيز ـ رحمه اللّه ـ بست سنوات فقط؛ لأن عمر مات سنة ١١١. وقوله: أدركت الناس: يشير إلى أن ذلك من قبل خلافة عمر بن عبد العزيز، وقد صرح بهذا العدد في عهد عمر بن عبد العزيز أبان بن عثمان أيضًا، وداود بن قيس عند المروزي، قال: أدركت المدينة في زمان أبان بن عثمان وعمر بن عبد العزيز يصلون ستًا وثلاثين ركعة ويوترون بثلاث. وفي بعض الروايات: ويوترون بخمس.

وبالنظر في رواية داود بن قيس وإحدى روايتي نافع يتبين أن التراويح كانت في عهد عمر بن عبد العزيز ستًا وثلاثين ركعة.

وبالنظر في رواية معاذ القاريّ وإحدى روايتي نافع الأخرى يتبين لنا أن تلك الزيادة وجدت قبل عمر بن عبد العزيز؛ لأن فيها أنه كان يصلي بإحدى وأربعين ركعة.

وإحدى روايتي نافع أنه أدرك الناس يصلون ستًا وثلاثين، ويوترون بخمس ومجموعها إحدى وأربعون. فتتفق روايات كل من نافع، وداود بن قيس وصالح مولى التوأمة على وجود إحدى وأربعين ركعة. منها الوتر بخمس، وأن ذلك من قبل عهد عمر بن عبد العزيز وأنه أقرها على ذلك. وقد استمرت إلى من بعده كما سيأتي من رواية وهب بن كيسان.

وقد قال الشافعي في كتاب «الأم» (١/ ١٤٢) ما نصه: ورأيتهم بالمدينة يقومون بتسع وثلاثين، وأحبُّ إليَّ عشرون؛ لأنه روي عن عمر، وكذلك يقومون بمكة ويوترون بثلاث.

عهد مالك بن أنس إمام دار الهجرة:

لقد أدرك مالك ـ رحمه اللَّه ـ عمر بن عبد العزيز، وأدرك من حياته ثمان عشرة سنة؛ لأن مالكًا ولد سنة ٩٣ فكانت وفاة عمر بعد ولادة مالك بثمان عشرة سنة، أي: حين كان مالك في طلب العلم وقد جاءت النصوص أن عدد ركعات التراويح كانت ستًا وثلاثين أثناء وجود مالك، بل كانت موجودة وعمره أربع وثلاثون سنة كما في رواية وهب ابن كيسان قال: ما زال الناس يقومون بست وثلاثين ركعة ويوترون بثلاث إلى اليوم في رمضان، وقد مات وهب سنة ١٢٧، وقد نص

مالك بما هو أصرح من ذلك حيث جاء عن ابن أيمن عند المروزي، قال مالك: «أستحب أن يقوم الناس في رمضان بثمان وثلاثين ركعة، ثم يسلم الإمام والناس، ثم يوتر بهم بواحدة وهذا العمل بالمدينة قبل الحرة منذ بضع ومائة سنة»، ففهم من قول مالك هنا أن التسع والثلاثين بما فيها الوتر كانت قبل عمر بن عبد العزيز، وأنه العدد الذي أقره، قد استحبه مالك وأخذ به.

قول للشيخ عطية محمد سالم:

قال الشيخ عطية محمد سالم في كتابه «التراويح أكثر من ألف عام في مسجد النبي عليه الصلاة والسلام» ص(٢٠ ـ ٢٢) عن تطور التراويح في العصر النبوي:

أولاً: بدأت بالترغيب فيها دون أن يعزم عليهم.

ثانيًا: انتقلت إلى السنة والندب مقرونة ـ بفريضة الصيام.

ثالثًا: أديت بالفعل أداها أوزاع من الناس.

رابعًا: تسلل الناس إلى مصلاه ﷺ فائتموا به ﷺ وهو لا يشعر بهم، وهو لا يقر على باطل.

خامسًا: تقريره صلوات الله وسلامه عليه لمن يصلي بالناس سواء في المسجد أو في البيت.

سادسًا: صلاته هو ﷺ بالفعل بأهل بيته.

سابعًا: صلاته هو ﷺ بالفعل بأهل بيته وبالناس عدة ليال متفرقة.

أما العدد أي: عدد الركعات:

(أ) فقد صلى أربع ركعات استغرقت الليل كله.

(ب) وصلى ثمان ركعات.

(جـ) وصلى إحدى عشرة ركعة لا تسل عن حسنهن وطولهن.

(د) وصلى عشر ركعات.

وهذا ما يقتصر عليه بعض المتأخرين ولكن:

١ ـ جاء الإطلاق بدون حد: من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا.

٢ ـ جاء تقريره على طلب الزيادة لو نفلتنا بقية ليلتنا؟

٣ ـ وهناك مبحث لم يتطرق إليه أحد فيما أعلم وهو: أن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت: ما صلى رسول اللَّه ﷺ العشاء قط، ودخل بيتي إلا وصلى أربعًا أو ستًا وجاء عنها: أنه كان يفتتح صلاة الليل بركعتين خفيفتين..

فلو جمعنا حديث ابن عباس ١٣ ركعة مع حديث عائشة ٦ بعد العشاء مع ركعتين يفتتح بهما صلاة الليل لكان مجموع ذلك كله ١٣+٦+٢=٢١ إحدى وعشرين ركعة وهو العدد الذي جمع عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ الناس عليه مع أبي بن كعب. ويكون هذا العدد مستندًا إلى سنة، لا مجرد اختيار عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ واللَّه تعالى أعلم. وبعد هذا فلا يحق لأحد أن يمنع الزيادة على ثمان ركعات وقوفًا عند حديث مسروق عن عائشة أو يعيب فعل عمر متهمًا إياه بمخالفة السنة حاشاه ـ رضي اللَّه عنه ـ[1].

---

(١) جمع المؤلف هنا يناقض رواية عائشة «ما زاد رسول اللَّه...».

حديث العشرين ضعيف:

«الرسول ﷺ لم يصلّ في رمضان عشرين ركعة والوتر»:

* أما حديث ابن عباس: «كان رسول اللَّه ﷺ يصلي في رمضان عشرين ركعة والوتر»، فقد ضعّفه علماء الحديث وحفّاظه:

* قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٤/ ٢٩٩): «إسناده ضعيف، وقد عارض حديث عائشة الذي في «الصحيحين» مع كونها أعلم بحال النبي ﷺ ليلاً من غيرها، وعلته أبو شيبة إبراهيم بن عثمان». قال الحافظ في «التقريب»: متروك الحديث، وأبو شيبة: سكت عنه البخاري ومَنْ سكت عنه البخاري يكون في أدنى المنازل وأرداها كما قال ابن كثير، وكذّبه شعبة.

* وممِنّ ضعف هذا الحديث من حفّاظ الحديث الحافظ الزيلعي في «نصب الراية»، والسيوطي في «الحاوي للفتاوى»، والبيهقي، والهيثمي في «المجمع»، وأورده الحافظ الذهبي في مناكيره، وابن حجر الهيتمي في «الفتاوى الكبرى» وقال: شديد الضعف، والصنعاني، وصاحب «تحفة الأحوذي»، وذهب الشيخ ناصر الدين الألباني في «صلاة التراويح» إلى أن هذا الحديث ضعيف جدًّا بل في حكم الموضوع.

قال السيوطي: «فالحاصل أن العشرين ركعة لم تثبت من فعله ﷺ، ما في «صحيح ابن حبان» ـ حديث جابر ـ غاية فيما ذهبنا إليه من تمسكنا بما في البخاري عن عائشة أنه كان لا يزيد في رمضان، ولا غيره على إحدى عشرة ركعة فإنه موافق له، مما يدل لذلك أنه ﷺ كان إذا عمل عملاً واظب عليه، كما واظب على الركعتين اللتين

قضاهما بعد العصر مع كون الصلاة في ذلك الوقت منهيًّا عنها، ولو فعل العشرين ولو مرة لم يتركها أبدًا، ولو وقع ذلك لم يخف على عائشة حيث قالت ما تقدم»[١] ا. هـ.

* قال الصنعاني في «سبل السلام» (٢/١٦): تحت عنوان «رد حديث العشرين ركعة»:

[قال في «سبل الرشاد»: أبو شيبة ضعفه أحمد، وابن معين، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وغيرهم، وكذّبه شعبة. وقال ابن معين: ليس بثقة، وعدّ هذا الحديث من منكراته.

وقال الأذرعي في «المتوسط»: وأما ما نُقل أنه ﷺ صلى في الليلتين اللتين خرج فيهما عشرين ركعة فهو منكر. وقال الزركشي في «الخادم»: دعوى أنه ﷺ صلى بهم في تلك الليلة عشرين ركعة لم تصح، بل الثابت في «الصحيح» الصلاة من غير ذكر بالعدد، لما في رواية جابر: «أنه ﷺ صلى بهم ثمان ركعات والوتر، ثم انتظروه في القابلة فلم يخرج إليهم» رواه ابن خزيمة، وابن حبان في صحيحيهما ا. هـ. وأخرج البيهقي رواية ابن عباس من طريق أبي شيبة، ثم قال: إنه ضعيف، ثم قال: «إذا عرفت هذا علمت أنه ليس في العشرين رواية مرفوعة» ا. هـ.

* * *

(١) انظر: «صلاة التراويح» للشيخ الألباني ص(١٩ - ٢١).

أقوال الأئمة في عدد ركعات التراويح:

أمر عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ بالـ(١١) ركعة:

عن السائب بن يزيد أنه قال: «أمر عمر بن الخطاب أبيّ بن كعب وتميمًا الداريّ أن يقوما بالناس بإحدى عشرة ركعة. قال: وقد كان القارئ يقرأ بالمئين، حتى كنا نعتمد على العصيّ عن طول القيام، وما كنا ننصرف إلا في فروع الفجر»[١].

فروع الفجر: قال عياض: أي: أوائله، وأول ما يبدو ويرتفع منه.

وفي رواية أخرى عن السائب: «كنا نقوم في زمان عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ بإحدى عشرة ركعة»[٢].

قال الألباني: قول ابن عبد البر: «لا أعلم أحدًا قال فيه إحدى عشرة (إلا مالكًا) خطأ بيّن».

وقال المباركفوري في «تحفة الأحوذي»: «وهم باطل». فلقد تابع مالكًا على الإحدى عشرة ركعة ـ كما قال الألباني ـ: يحيى بن سعيد القطان في «مصنف ابن أبي شبية»، وسعيد بن منصور في «سننه»، وإسماعيل بن أمية، وأسامة بن زيد، ومحمد بن إسحاق عند

---

(١) سنده صحيح: أخرجه مالك في باب «ما جاء في قيام رمضان»، وعنه البيهقي في «سننه الكبرى» وغيره، وقال السيوطي في «المصابيح»: سنده في غاية الصحة، والألباني.

(٢) رواه سعيد بن منصور في «سننه»، وقال السيوطي: «سنده في غاية الصحة» في رسالته «المصابيح في صلاة التراويح» بعد هذا الأثر.

النيسابوري، وإسماعيل بن جعفر المدني عند ابن خزيمة في حديث علي ابن حجر كلهم قالوا عن محمد بن يوسف إلا أن ابن إسحاق فإنه قال: «ثلاثة عشرة ركعة» وهكذا رواه ابن نصر في «قيام الليل» وزاد: قال ابن إسحاق: «وما سمعت في ذلك يعني في عدد القيام في رمضان هو أثبت عندي، ولا أحرى من حديث السائب، وذلك أن رسول اللَّه ﷺ كانت له من الليل ثلاث عشرة ركعة»، وهذا العدد (١٣) تفرّد به ابن إسحاق، وهو موافق للرواية الأخرى في حديث عائشة.

وسنسرد بالتفصيل أقوال السادة الأئمة من أصحاب المذاهب الفقهية والمجتهدين في عدد ركعات التراويح.

* قال ابن قدامة في «المغني» (جـ٢/ ٦٠٤):

«والمختار عند أبي عبد اللَّه - رحمه اللَّه - فيها: عشرون ركعة. وبهذا قال الثوري وأبو حنيفة والشافعي، وقال مالك ستة وثلاثون[1]، وزعم أنه الأمر القديم، وتعلّق بفعل أهل المدينة، فإن صالحًا مولى التوأمة قال: أدركتُ الناس يقومون بإحدى وأربعين ركعة، يوترون منها بخمس، ولنا أن عمر - رضي اللَّه عنه - لما جمع الناس على أبيّ بن كعب كان يصلي لهم عشرين ركعة، وقد روى الحسن أن عمر جمع الناس على أبيّ بن كعب فكان يصلي لهم عشرين ليلة، ولا يقنت بهم إلا في النصف الثاني، فإذا كانت العشر الأواخر تخلف أبيّ فصلى في بيته، فكانوا يقولون: أبق أبيّ» رواه أبو داود ورواه السائب بن يزيد،

(١) ستة وثلاثون وثلاث، وهو المشهور عن مالك كما قال ابن حجر.

وروي عنه من طرق.

وروى مالك عن يزيد بن رومان قال: كان الناس يقومون في زمن عمر في رمضان بثلاث وعشرين.

وعن علي أنه أمر رجلاً يصلي بهم في رمضان عشرين ركعة.

وهذا كالإجماع.

فأمّا ما رواه صالح مولى التوأمة، فإن صالحًا ضعيف، ثم لا ندري مَنْ الناس الذين أخبر عنهم، فلعلّه أدرك جماعة من الناس يفعلون ذلك، وليس ذلك بحجة، ثم لو ثبت أن أهل المدينة كلهم فعلوه لكان ما فعله عمر وأجمع عليه الصحابة في عصره أولى بالاتباع.

قال بعض أهل العلم: إنما فعل هذا أهل المدينة؛ لأنهم أرادوا مساواة أهل مكة، فإن أهل مكة يطوفون سبعًا بين كل ترويحتين، فجعل أهل المدينة مكان كل سبع أربع ركعات، وما كان عليه أصحاب رسول اللَّه ﷺ أولى وأحق أن يتبع» ا. هـ.

دعوى الإجماع على العشرين باطلة:

قال المباركفوري في «التحفة»: «قد ادعى بعض الناس أنه قد وقع الإجماع على عشرين ركعة في عهد عمر - رضي اللَّه عنه - واستقر الأمر على ذلك في الأمصار.

قلت: دعوى الإجماع على عشرين ركعة واستقرار الأمر على ذلك في الأمصار باطلة جدًا، كيف وقد عرفت أن في هذا أقوالاً كثيرة، وأن الإمام مالكًا - رحمه اللَّه - قال: «وهذا العمل - يعني القيام في

رمضان. . . إلى قوله وأين الاستقرار على ذلك في الأمصار»[١].

قال ابن مفلح في «المبدع» (٢/١٧): وهي عشرون ركعة في قول أكثر العلماء، والسر فيه أن الراتبة عشر، فضوعفت في رمضان؛ لأنه وقت جد وتشمير. وقال أحمد: روي في هذا ألوان، ولم يقض فيه بشيء. وقال عبد اللَّه: رأيت أبي يصلي في رمضان ما لا أحصي. وقال أيضًا: لا بأس بالزيادة على عشرين ركعة.

* وقال ابن عبد البر في «الاستذكار» (٥/١٥٦ ـ ١٥٨) (مالكي): عن رواية مالك عن محمد بن يوسف عن السائب بن يزيد {«لا أعلم أحدًا قال في الحديث إحدى عشرة ركعة غير مالك. واللَّه أعلم. وهذا يشهد بأن الرواية بإحدى عشرة ركعة وَهْمٌ وغلط، وأن الصحيح ثلاث وعشرون، وإحدى وعشرون ركعة.

وروي عشـــرون ركعـــة عن عليّ، وشُـتَيْر بن شَكَل، وابن أبي مُلَيْكة، والحارث الهمـــداني، وأبي البختري، وهو قول جمـــهور العلماء، وبه قال الكوفيون، والشافعي، وأكثر الفقهاء، وهو الصحيح عن أبيّ بن كعب من غير خلاف من الصحابة. قال الثوري، وأبو حنيفة، والشافعي، وأحمد بن داود: قيام رمضـان عشرون ركعة سوى الوتر، لا يقام بأكثر منها استحبابًا، وهذا هو الاختيار عندنا»} ا.هـ.

* وقال ابن عبد البر في «التمهيد»:

«فلا خلاف بين المسلمين أن صلاة الليل ليس فيها حد محدود وأنها نافلة وفعل خير وعمل بر، فيمن شاء استقل، ومن شاء استكثر»[٢].

---

(١) انظر: «تحفة الأحوذي» (٣/٥٣١، ٥٣٢)، و«العمدة» (ج٥/٣٥٧)، و«مرقاة المفاتيح».
(٢) «فتح البر في الترتيب الفقهي لتمهيد ابن عبد البر» (٦/١٤٣).

مذهب الإمام مالك:

قال الشيخ عطية محمد سالم في كتابه «التراويح» ص(٤٥، ٤٦):

«جاء عن ابن أيمن عند المروزي: قال مالك: «أستحب أن يقوم الناس في رمضان بثمان وثلاثين ركعة، ثم يسلم الإمام والناس، ثم يوتر بهم بواحدة وهذا العمل بالمدينة قبل الحرة منذ بضع ومائة سنة» ففهم من قول مالك أن التسع والثلاثين بما فيها الوتر كانت قبل عمر بن عبد العزيز، وأنه العدد الذي أقره واستحبه مالك، وأخذ به.

ولذا كان يكره أن ينقص عن هذا العدد، كما روى ابن القاسم عنه قال: سمعت مالكًا يذكر أن جعفر بن سليمان أرسل إليه يسأله: أتنقص من قيام رمضان؟ فنهاه عن ذلك. فقيل له: قد كره ذلك؟ أي: قيل لابن القاسم قد كره مالك ذلك؟ قال: نعم وقد قام الناس هذا القيام قديمًا. قيل له: فكم القيام؟ فقال: تسع وثلاثون ركعة بالوتر».

وقال الحافظ تقي الدين السبكي في «إشراق المصابيح في صلاة التراويح» ص(٧٠):

«وأما المالكية: فإن مالكًا ـ رضي اللَّه عنه ـ أراد أمير المدينة أن ينقصها عن العدد الذي كان أهل المدينة يقومون به، وهو تسع وثلاثون فشاور مالكًا، فنهاه مالك عن ذلك».

قال الشيخ عطية محمد سالم في «التراويح» ص(١٥٩ ـ ١٦٥):

«وأما نصوص مذهبه: فعمدة المالكية المتأخرين على ما جاء في «مختصر خليل» بيِّن، ونصه يقول: وتراويح وانفراد بها إن لن تعطل

المساجد. والختم فيها. وسورة تجزئ ثلاث وعشرون وعشرون، ثم جعلت ستًا وثلاثين... إلخ.

فهو ينص على أن أصل التراويح ثلاث وعشرون، ثم زيدت إلى ست وثلاثين، أما نصوص مالك بنفسه فقد تقدم ذكرها من «الموطأ». يعني: حديث السائب بن يزيد، وحديث يزيد بن رومان.

ثم قال الشيخ عطية محمد سالم: «وقد بيّن الباجي وهو من أئمة المالكية المتقدمين في «شرح الموطأ» (١/٢٠٨) موضوع التراويح مفصلاً فقال: (فصل) وقوله إحدى عشرة ركعة أي: قول مالك في حديث السائب بن يزيد، قال: لعل عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ إنما امتثل في ذلك صلاة النبي ﷺ على ما روته عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ: إنه كان ﷺ يصلي من الليل إحدى عشرة ركعة، ثم قال: وقد اختلفت الرواية فيما كان يصلى به في رمضان زمن عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ فروى السائب إحدى عشرة ركعة.

وروى يزيد بن رومان: ثلاثًا وعشرين ركعة.

وروى نافع مولى ابن عمر: أنه أدرك الناس يصلون بتسع وثلاثين ركعة، يوترون فيها بثلاث، وهو الذي اختاره مالك، واختار الشافعي عشرين ركعة غير الوتر على حديث يزيد بن رومان. ويحتمل أن يكون عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ أمرهم بإحدى عشرة ركعة وأمرهم مع ذلك بطول القراءة. يقرأ القارئ بالمئين في الركعة؛ لأن التطويل في القراءة أفضل في الصلاة.

فلما ضعف الناس عن ذلك أمرهم بثلاث وعشرين ركعة على وجه

التخفيف عنهم من طول القيام، وإدراك بعض الفضيلة بزيادة عدد الركعات، وكان يقرأ سورة البقرة في ثمان ركعات أو اثنتي عشرة ركعة على حديث الأعرج.

وقد قيل: إنه كان يقرأ من ثلاثين آية إلى عشرين، وكان الأمر على ذلك إلى يوم الحرة. فثقل عليهم القيام فنقصوا من القراءة، وزادوا في عدد الركعات، فجاءت ستًا وثلاثين ركعة، والوتر بثلاثة فمضى الأمر على ذلك.

وأمر عمر بن عبد العزيز في أيامه أن يُقرأ في كل ركعة بعشر آيات، وكره مالك أن ينتقصوا من ذلك وتر القراءة.

وهو الذي مضى عليه عمل الأئمة واتفق عليه رأي الجماعة. وكان هو الأفضل بمعنى التخفيف، قال الشيخ أبو القاسم: وهذا في الآيات الطوال فزيدوا على ذلك في الآيات الخفاف، قال الإمام أبو الوليد: وهذا عندي في الجماعات والمساجد. ولو استطاع أحد في خاصة نفسه إحدى عشرة ركعة وفي كل ركعة بالمئين لكان أفضل».

في رواية عبد الرحمن بن القاسم عند المروزي: سئل مالك عن قيام رمضان: بكم يقرأ القارئ؟ قال: بعشر عشر، فإذا جاء السور الخفيفة فليزد مثل الصافات، وطسم فقيل له: خمس. قال: بل عشر آيات. انظر أيضًا: ابن وهب في «المدونة الكبرى» (١/ ٢٢٣): «أن عمر ابن عبد العزيز أمر القراء يقومون بست وثلاثين ويوترون بثلاث ويقرءون بعشر آيات في كل ركعة».

كيفية قضاء الفوائت من التراويح عند المالكية: جرت عادة الأئمة

ـ أي من المالكية ـ أن يفصلوا بين كل ترويحتين من هذه الصلاة بركعتين خفيفتين يصلونهما أفذاذًا، وقد كره أحمد ذلك. وعليه فإن المسبوق إن أدرك ركعة مع الأمام لا يخلو إما أن تكون من الركعتين الأوليين من الترويحة، أو من الركعتين الأخيرتين.

(أ) فإن كان ذلك من الركعتين الأخيرتين فإنه يقضي الركعة التي فاتته في استراحة المصلين أو صلاة الإمام للركعتين الخفيفتين.

(ب) وإن كان أدرك الركعة من الركعتين الأولين فقال في «المنتقى»: روى ابن القاسم عن مالك أنه لا يسلم بسلام الإمام، ولكن يقوم مع الإمام فيتابعه فإذا صلى الإمام الركعة الأولى من الأخريين، وأراد أن يقوم إلى الثانية لا يقوم هو فيجلس يتشهد لنفسه ويسلم فيكون أتم الركعتين الأولين في حقه.

ثم يقوم فيدرك مع الإمام الركعة الأخيرة من الركعتين الأخيرتين، فإذا جلس الإمام يتشهد جلس معه، وإذا سلم الإمام لا يسلم هو وقام فأتى بالركعة الباقية عليه» ا. هـ.

مذهب الأحناف:

قال في «فتح القدير على الهداية» (١/ ٣٣٣):

«ثبت العشرون في زمن عمر في «الموطأ» عن يزيد بن رومان، وفيه ثلاث وعشرون، وعن السائب بن يزيد وفيه عشرون ركعة والوتر. وفي «الموطأ» رواية بإحدى عشرة ركعة، ثم قال: وجمع بينهما بأنه وقع أولاً، ثم استقر الأمر على العشرين فإنه المتوارث. فتحصل من هذا كله أن قيام رمضان سنة إحدى عشرة ركعة بالوتر في جماعة، فعله ﷺ،

ثم تركه لعذر أفاد أنه لولا خشية ذلك لواظبت بكم، ولا شك في تحقق الأمن من ذلك بوفاته ﷺ فيكون سنة، وسنة الخلفاء الراشدين، ندب إلى سنتهم، ولا يستلزم كون ذلك سنته، إذ سنته بمواظبته بنفسه أو إلا لعذر وبتقدير عدم ذلك العذر، إنما استفدنا أنه كان يواظب على ما وقع منه وهو ما ذكرنا فيكون العشرون مستحبة وذلك القدر منها هو السنة كالأربع بعد العشاء مستحبة، وركعتان منها هي السنة. وظاهر كلام المشايخ أن السنة عشرون، ومقتضى الدليل ما قلنا فالأولى حينئذ ما هو عبارة القدوري من قوله: يستحب، لا ما ذكره المصنف فيه» ا. هـ.

قال الشيخ عطية سالم في «التراويح»: «يتلخص من هذا كله أن المذهب عند الأحناف كالآتي: أن التراويح سنة، وأن إحدى عشرة ركعة سنة والباقي مستحب إلى عشرين ركعة دون الوتر».

* قال النووي في «المجموع» (شافعي):

«مذهبنا أنها عشرون ركعة، بعشر تسليمات غير الوتر، وذلك خمس ترويحات والترويحة أربع ركعات بتسليمتين، وهذا مذهبنا، وبه قال أبو حنيفة وأصحابه، وأحمد، وداود، ونقله القاضي عياض عن جمهور العلماء. وحُكي أن الأسود بن يزيد كان يقوم بأربعين ركعة، ويوتر بسبع. وقال مالك: «التراويح تسع ترويحات وهي ست وثلاثون ركعة غير الوتر، واحتج بأن أهل المدينة يفعلونها هكذا.

وعن نافع قال: أدركت الناس وهم يقومون رمضان بتسع وثلاثين ركعة، يوترون منها بثلاث. واحتج أصحابنا الشافعية بما رواه البيهقي وغيره بالإسناد الصحيح عن السائب بن يزيد الصحابي - رضي الله

عنه ـ قال: «وكانوا يقومون على عهد عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ في شهر رمضان بعشرين ركعة، وكانوا يقومون بالمائتين، وكانوا يتوكأون على عصيِّهم في عهد عثمان من شدة القيام». وعن يزيد بن رومان قال: «كان الناس يقومون في زمن عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ بثلاث وعشرين ركعة». رواه مالك في «الموطأ» عن يزيد بن رومان، ورواه البيهقي، لكنه مرسل، فإن يزيد بن رومان لم يدرك عمر. قال البيهقي: يجمع بين الروايتين بأنهم كانوا يقومون بعشرين ركعة ويوترون بثلاث.

وأما ما ذكروه من فعل أهل المدينة، فقال أصحابنا: «سببه أن أهل مكة كانوا يطوفون بين كل ترويحتين طوافًا، ويصلون ركعتين، ولا يطوفون بعد الترويحة الخامسة، فأراد أهل المدينة مساواتهم، فجعلوا مكان كل طواف أربع ركعات فزادوا ست عشر ركعة، وأوتروا بثلاث، فصار المجموع تسعًا وثلاثين. واللَّه أعلم.

فرع: قال صاحب «الشامل» و«البيان» وغيرهما: قال أصحابنا: ليس لغير أهل المدينة أن يفعلوا في التراويح فعل أهل المدينة فيصلوها ستًا وثلاثين ركعة؛ لأن لأهل المدينة شرفًا بمهاجرة رسول اللَّه ﷺ ومدفنه، بخلاف غيرهم.

وقال القاضي أبو الطيب في تعليقه: قال الشافعي: فأما غير أهل المدينة فلا يجوز أن يماروا أهل مكة، ولا ينافسوهم» ا. هـ.

* قال البغوي في «شرح السنة» (٤/ ١٢٠):

اختلف أهل العلم في قيام شهر رمضان، روى ذلك عن محمد بن

يوسف، عن السائب بن يزيد أنه قال: أمر عمر بن الخطاب أبيّ بن كعب، وتميمًا الداريّ أن يقوما للناس بإحدى عشرة ركعة، فكان القارئ يقرأ بالمئين، حتى كنا نعتمد على العصيّ من طول القيام، وما كنا ننصرف إلا في فروع الفجر.

وقال مالك، عن يزيد بن رومان: كان الناس يقومون في زمان عمر بثلاث وعشرين ركعة في رمضان.

ورأى بعضهم أن يُصلِّي إحدى وأربعين ركعة مع الوتر، وهو قول أهل المدينة، والعمل على هذا عندهم، وهو اختيار إسحاق.

* وأما أكثر أهل العلم، فعلى عشرين ركعة يُروى ذلك عن عمر وعلي وغيرهما من أصحاب النبي ﷺ، وهو قول الثوري، وابن المبارك، والشافعي، وأصحاب الرأي، قال الشافعي: وهكذا أدركت ببلدنا مكة يصلون عشرين ركعة» ولم يفض أحمد فيه بشيء.

* قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٣/ ٣٧): وسئل الإمام الشافعي عن قيام جميع الليل فقال لا أكرهه إلا لمن خشى أن يضرّ بصلاة الصبح».

«الكلام حول اختصاص أهل المدينة بهذا العدد «تسع وثلاثين ركعة»:

قال الشيخ عطية محمد سالم في «التراويح» ص(٥١ ـ ٥٧):

«إن الظاهر والله تعالى أعلم: أن الأصل ما كان عليه العمل زمن الخلفاء الثلاثة عمر وعثمان وعلي ـ رضي الله عنهم ـ وعليه إجماع الصحابة أنهم قاموا بذلك العدد في المسجد وقام به عليّ بنفسه في زمنه، أي: أمر القارئ أن يصلي بعشرين. وكان هو بنفسه يوتر لهم. وقال

أبو زرعة في «طرح التثريب» (١/ ٩٨): والسر في العشرين أن الراتبة في غير رمضان عشر ركعات فضوعفت فيه؛ لأنه وقت جد وتشمير.

وعلى كل فهو عمل يدخل في سنة الخلفاء الراشدين المهديين ـ رضوان اللَّه تعالى عليهم ـ. فكان أهل مكة عاملين بالأصل، وليس هناك موجب للزيادة على العشرين وإن كانت كما قال الشافعي: إنه تطوع وليس في ذلك حد ينتهى إليه.

أما قيام أهل المدينة بست وثلاثين فهو زائد عن ذاك الأصل، وهو وإن كان تطوعًا فلم استحبه مالك؟ ثم ولم زاد أهل المدينة على ما كان الأصل مع أن المتوقع أن يكونوا هم أولى بالوقوف عند ما هو الأصل (عشرون ركعة)؟.

والجواب عن ذلك: ما حكاه النووي في «المجموع»، وحكاه غيره من أن المسألة من باب الاجتهاد في الطاعة والمنافسة في الخير»، ثم ساق قول النووي الذي ذكرناه سابقًا. وهل هذا العمل خاص بأهل المدينة أم هو عام لغيرهم لمن أراد المنافسة في الخير؟.

* قال الشيخ عطية سالم: «قد ناقض العلماء هذه المسألة، فأكثر الشافعية يقولون: هو خاص بهم. قال الزركشي الشافعي في كتابه «إعلام المساجد في خصائص المدينة» في المسألة العشرين قال ما نصه: قال أصحابنا: وليس لغير أهل المدينة أن يجاروا أهل مكة ولا ينافسوهم انتهى.

* وقال ولي الدين العراقي الشافعي في «طرح التثريب» (١/ ٩٨) ما نصه: وقال الحليمي من أصحابنا في «منهاجه»: فمن اقتدى بأهل

مكة فقام بعشرين فحسن، ومن اقتدى بأهل المدينة فقام بست وثلاثين فحسن أيضًا؛ ولأنهم إنما أرادوا بما صنعوا الاقتداء بأهل مكة في الاستكثار من الفضل لا المنافسة كما ظن بعض الناس. والظاهر من مذهب المالكية أنفسهم أنها ثلاث وعشرون ركعة أي: في غير المدينة المنورة.

* وجاء عن شيخ الإسلام ابن تيمية في «المجموع» (٢٢/ ٧٢) في كلامه على قيام رمضان ما نصه «قال: ثم كان طائفة من السلف يقومون أربعين ركعة ويوترون بثلاث وآخرون قاموا بست وثلاثين وأوتروا بثلاث»، وهذا كله سائغ فكيفما قام في رمضان من هذه الوجوه فقد أحسن.

وعلى هذا فلا يقوم دليل على خصوصية هذا العدد بأهل المدينة إلا بالعمل وبالنقل على مدى الزمن إلى القرن السابع ومن ثم إلى أواخر عهد الأشراف وقبل العهد السعودي.

وقد تقدم أن سبب زيادة أهل المدينة على أهل مكة: أن أهل مكة كانوا يطوفون بين كل ترويحتين سبعًا ويصلون ركعتين سنة الطواف، فجعل أهل المدينة مكان كل طواف ترويحة زائدة حتى بلغ عدد تراويحهم ستًا وثلاثين.

وهذا على إطلاقه يفيد أن هذا العمل أي: الطواف كان لجميع أهل مكة، ولكن الواقع خلاف ذلك، وهو أن أهل مكة كانوا يصلون بأربعة أئمة للمذاهب الأربعة، ولم يكن يفعل ذلك أي: الطواف بين التراويح إلا إمام الشافعية فقط، وهذا بناءً على ما ذكره ابن جبير في رحلته وقد

كان بمكة سنة ٥٧٩ قال:

والشافعي في التراويح أكثر الأئمة اجتهادًا، وذلك أن يكمل التراويح المعتادة التي هي عشر تسليمات، ويدخل الطواف مع جماعة، فإذا فرغ من الأسبوع وركع عاد لإقامة تراويح أخر، وضرب بالفرقعة الخطيبية ضربة يسمعها المسجد لعلو صوتها، كأنها إيذان العودة إلى الصلاة، فإذا فرغوا من تسليمتين، ثم عادوا للطواف هكذا إلى أن يفرغوا من عشر تسليمات فيكمل لهم عشرون ركعة، ثم يصلون الشفع والوتر وينصرفون. وسائر الأئمة لا يزيدون على العادة شيئًا.

ومعلوم أن الشافعية في غير مكة لا يزيدون على ثلاث وعشرين ركعة والعلم عند اللَّه تعالى].

* وقال محمد بن نصر في «قيام الليل»:

[«قال إسحاق بن منصور: قلت لأحمد بن حنبل: كم ركعة تصلي في قيام شهر رمضان؟ فقال: قد قيل فيه ألوان نحوًا من أربعين، إنما هو تطوع. وعن الشافعي: «رأيت الناس يقومون بالمدينة تسعًا وثلاثين ركعة، قال: وأحبّ إليّ عشرون، قال: وكذلك يقومون بمكة. قال: وليس في شيء من هنا ضيق، ولا حد ينتهي إليه؛ لأنه نافلة، فإن أطالوا القيام، وأقلوا السجود فحسن، وهو أحبّ إليّ. وإن أكثروا الركوع والسجود فحسن»].

وقال إسحاق: نختار أربعين ركعة، وتكون القراءة أخف.

وعن مالك: أستحب أن يقوم الناس في رمضان بثمان وثلاثين ركعة، ثم يسلم الإمام والناس، ثم يوتر بهم بواحدة، وهذا العمل

بالمدينة قبل الحرة[١] منذ بضع ومائة سنة إلي اليوم. وقال ابن القاسم: سمعت مالكًا يذكر أن جعفر بن سليمان أرسل إليه يسأله: أننقص من قيام رمضان؟ فنهاه عن ذلك. فقيل له: قدْ كره ذلك؟ قال: نعم، وقد قام الناس هذا القيام قديمًا، قيل له: فكم القيام؟ قال: تسع وثلاثون ركعة بالوتر.

وقال عطاء: أدركتهم يصلون في رمضان عشرين ركعة، والوتر ثلاث ركعات. وعن عبد اللَّه بن قيس عن شُتير، وكان من أصحاب عبد اللَّه المعدودين: أنه كان يصلي بهم في رمضان عشرين ركعة ويوتر بثلاث»][٢] ا. هـ.

* وعند ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢/ ٣٩٣):

عن عبد الملك عن عطاء قال: «أدركت الناس وهم يصلون ثلاثة وعشرين ركعة بالوتر» وهو صحيح عن عطاء.

* وفي «المصنف» (٢/ ٣٩٣) لابن أبي شيبة:

عن نافع بن عمر قال: «كان ابن أبي مليكة يصلي بنا في رمضان عشرين ركعة». وهو صحيح عن ابن أبي مليكة.

* وفي «المصنف» لابن أبي شيبة (٢/ ٣٩٣):

عن سعيد بن عبيد: «أن علي بن ربيعة كان يصلي بهم في رمضان

(١) هي: أيام يزيد بن معاوية لَمّا نهب المدينة عسكره من أهل الشام الذين أعدهم لقتال أهل المدينة من الصحابة والتابعين وأمّر عليهم مسلم بن عقبة في ذي الحجة سنة ٥٣ هـ. والحرة أرض بظاهر المدينة بها حجارة سود.

(٢) «مختصر قيام الليل» ص(٩٥، ٩٦).

خمس ترويحات ويوتر بثلاث» وهو صحيح عن علي بن ربيعة.

* وعند ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢/ ٣٩٣):

عن خلف عن ربيع، وأثنى عليه خيرًا عن أبي البختري: «أنه كان يصلي خمس ترويحات في رمضان ويُوتر بثلاث» وهو صحيح عن أبي البختري.

* وروى ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢/ ٣٩٣): عن الحسن بن عبيد قال: «كان عبد الرحمن بن الأسود يُصلي بنا في رمضان أربعين ركعة ويوتر بسبع». وهو صحيح عن عبد الرحمن.

* وروى ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢/ ٣٩٣):

«عن داود بن قيس أدركت الناس بالمدينة في زمن عمر بن عبد العزيز وأبان بن عثمان يصلون ستة وثلاثين ركعة ويوترون بثلاث» وهو صحيح.

* ومن طريق ابن نصر أيضًا عن داود بن قيس قال: «أدركت المدينة في زمان أبان بن عثمان، وعمر بن عبد العزيز يصلّون ستة وثلاثين ركعة، ويوترون بثلاث. ومن طريق ابن نصر عن سعيد بن جبير أربعًا وعشرين. وقيل ست عشرة غير الوتر وروي عن أبي مجلز عند محمد بن نصر».

* قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٤/ ٢٩٨):

(تكميل) لم يقع في هذه الرواية عدد الركعات التي كان يصلي بها أبي بن كعب، وقد اختلف في ذلك: ففي «الموطأ» عن محمد بن

يوسف، عن السائب بن يزيد أنها إحدى عشرة، ورواه سعيد بن منصور من وجه آخر وزاد فيه «وكانوا يقرءون بالمائتين ويقومون على العصى من طول القيام»، ورواه محمد بن نصر المروزي من طريق محمد بن إسحاق، عن محمد بن يوسف، فقال: ثلاث عشرة، ورواه عبد الرزاق من وجه آخر عن محمد بن يوسف، فقال: إحدى وعشرين، وروى مالك من طريق يزيد بن خصيفة عن السائب بن يزيد عشرين ركعة وهذا محمول على غير الوتر، وعن يزيد بن رومان قال: «كان الناس يقومون في زمان عمر بثلاث وعشرين»، وروى محمد بن نصر من طريق عطاء قال: «أدركتهم في رمضان يصلون عشرين ركعة وثلاث ركعات الوتر»، والجمع بين هذه الروايات ممكن باختلاف الأحوال، ويحتمل أن ذلك الاختلاف بحسب تطويل القراءة وتخفيفها فحيث يطيل القراءة تقل الركعات وبالعكس وبذلك جزم الداودي وغيره، والعدد الأول موافق لحديث عائشة المذكور بعد هذا الحديث في الباب، والثاني قريب منه، والاختلاف فيما زاد عن العشرين راجع إلى الاختلاف في الوتر، وكأنه كان تارة يوتر بواحدة وتارة بثلاث، وروى محمد بن نصر من طريق داود بن قيس قال: «أدركت الناس في إمارة أبان بن عثمان وعمر بن عبد العزيز - يعني المدينة - يقومون بست وثلاثين ركعة ويوترون بثلاث» وقال مالك هو الأمر القديم عندنا، وعن الزعفراني عن الشافعي: «رأيت الناس يقومون بالمدينة بتسع وثلاثين ومكة بثلاث وعشرين، وليس في شيء من ذلك ضيق» وعنه قال: «إن أطالوا القيام وأقلوا السجود فحسن، وإن أكثروا السجود وأخفوا القراءة فحسن، والأول أحب إليّ».

وقال الترمذي: أكثر ما قيل فيها أنها تصلى إحدى وأربعين ركعة يعني الوتر، كذا قال. وقد نقل ابن عبد البر عن الأسود بن يزيد: تصلى أربعين ويوتر بسبع وقيل ثمان وثلاثين ذكره محمد بن نصر عن ابن أيمن عن مالك، وهذا يمكن رده إلى الأول بانضمام ثلاث الوتر، لكن صرح في روايته بأنه يوتر بواحدة فتكون أربعين إلا واحدة، قال مالك: وعلى هذا العمل منذ بضع ومائه سنة، وعن مالك: ست وأربعين وثلاث الوتر وهذا هو المشهور عنه، وقد رواه ابن وهب عن العمري عن نافع قال: لم أدرك الناس إلا وهم يصلون تسعًا وثلاثين يوتر منها بثلاث، وعن زرارة بن أوفى أنه كان يصلى بهم بالعصرة أربعًا وثلاثين ويوتر، وعن سعيد بن جبير أربعًا وعشرين وقيل: ستة عشرة غير الوتر، روى أبي مجلز عند محمد بن نصر، وأخرج من طريق محمد بن إسحاق حدثني محمد بن يوسف عن جده السائب ابن يزيد قال: كنا نصلي في زمن عمر في رمضان ثلاث عشرة، قال ابن إسحاق: وهذا أثبت ما سمعت في ذلك. وهو موافق لحديث عائشة في صلاة النبي ﷺ من الليل، واللَّه أعلم.

*وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢٢/ ٢٧٢): «قيام رمضان لم يوَقّت النبي ﷺ فيه عددًا معينًا، بل كان هو ﷺ لا يزيد في رمضان، ولا غيره عن ثلاث عشرة ركعة، لكن كان يطيل الركعات، فلمّا جمعهم عمر على أبيّ بن كعب كان يصلي بهم عشرين ركعة، ثم يوتر بثلاث، وكان يخفف القراءة بقدر ما زاد من الركعات؛ لأن ذلك أخف على المأمومين من تطويل الركعة

الواحدة، ثم كان طائفة من السلف يقومون بأربعين ركعة ويوترون بثلاث، وآخرون قاموا بست وثلاثين، وأوتروا بثلاث، وهذا كله سائغ، فكيفما قام في رمضان من هذه الوجوه فقد أحسن. والأفضل يختلف باختلاف أحوال المصلين، فإنْ كان فيهم احتمال لطول القيام، فالقيام بعشر ركعات وثلاث بعدها، كما كان النبي ﷺ يصلي لنفسه في رمضان وغيره هو الأفضل، وإن كانوا لايحتملونه فالقيام بعشرين هو الأفضل، وهو الذي يعمل به أكثر المسلمين، فإنه وسط بين العشر، وبَيْن الأربعين. وإن قام بأربعين وغيرها جاز ذلك، ولا يكره شيء من ذلك، وقد نص على ذلك غير واحد من الأئمة كأحمد وغيره، ومَنْ ظنّ أن قيام رمضان فيه عدد موقّت عن النبي ﷺ لا يُزاد فيه ولا ينقص فيه فقد أخطأ».

وقال أيضًا ـ رحمه اللَّه ـ فى «مجموع الفتاوى» (٢٣/ ١١٢، ١١٣، ١٢٠):

«تنازع العلماء في مقدار القيام في رمضان، فإنه قد ثبت أن أبيّ ابن كعب كان يقوم بالناس عشرين ركعة في قيام رمضان، ويوتر بثلاث، فرأي كثير من العلماء أن ذلك هو السنة؛ لأنه أقامه بين المهاجرين والأنصار ولم ينكره منكر. واستحب آخرون تسعة وثلاثين ركعة بناء على أنه عمل أهل المدينة القديم.

وقالت طائفة: قد ثبت في «الصحيح» عن عائشة أن النبي ﷺ لم يكن يزيد في رمضان ولا غيره على ثلاث عشرة ركعة. واضطرب قوم في هذا الأصل لَمَا ظنوه من معارضة الحديث الصحيح لما ثبت من

سنة الخلفاء الراشدين وعمل المسلمين. والصواب: أن ذلك جميعه حسن، كما قد نصّ على ذلك الإمام أحمد - رضي اللَّه عنه - وأنه لا يتوقف في قيام رمضان عدد، فإن النبي ﷺ لم يوقت فيها عددًا، وحينئذ فيكون تكثير الركعات وتقليلها بحسب طول القيام وقصره، وأبيّ ابن كعب كثّر الركعات ليكون ذلك عوضًا عن طول القيام.

وقال - رحمه اللَّه -: «كان تضعيف العدد - أبيّ بن كعب - عوضًا عن طول القيام» ا. هـ.

* وقال الشوكاني في «نيل الأوطار» (٣/ ٣٢٦):

«قصر الصلاة المسماة بالتراويح على عدد معين، وتخصيصها بقراءة مخصوصة لم يرد به سنّة» ا. هـ.

* قال في «السلسبيل في معرفة الدليل» (١/ ١٤٢) (حنبلي):

«والتراويح عشرون ركعة وهو قول أبي حنيفة والشافعي.

قلت: وقد شاهدنا أكثر أئمة المساجد في وقتنا يلازم عشرين ركعة سنين عديدة. وعندي أن ذلك خلاف الأولى، بل الذي ينبغي هو التمشي مع الأدلة، والدليل المتقدم(١) ليس فيه دليل على ملازمة عشرين ركعة. بل جاء في «الموطأ» ما هو أصرح منه، ولفظه حدثني محمد ابن يوسف عن السائب بن يزيد أنه قال: «أمر عمر بن الخطاب أبيّ بن كعب، وتميمًا الداري أن يقوما للناس بإحدى عشرة ركعة.

وقال الشيخ: التراويح إنْ صلاها كمذهب أبي حنيفة، والشافعي،

(١) حديث يزيد بن رومان.

وأحمد عشرين ركعة، أو كمذهب مالك ستًا وثلاثين، أو ثلاث عشرة، أو إحدى عشرة فقد أحسن» ا. هـ.

قال الغماري في «أسرار الصيام» ص(٦٤):

«لم يصح عن النبي ﷺ أنه صلى في رمضان أكثر من ثمان ركعات غير الوتر، فمن اقتصر عليها في قيامه فهو أفضل، ومَنْ زاد عليها فلا حرج؛ لأن الشرع لم يمنع من الزيادة على ثمان ركعات» ا.هـ.

ذكر من أنكر الزيادة من العلماء على الإحدى عشرة ركعة:

ذهب فريق من صفوة العلماء إلى إنكار الزيادة على الإحدى عشرة ركعة اتباعًا لهديه ﷺ، وأفضل الهدي هدي محمد ﷺ، ومن هؤلاء العلماء:

* الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة: - في إحدى الروايات عنه. قال الحافظ جلال الدين السيوطي في رسالته «المصابيح في صلاة التراويح»: [قال الجوري[1] من أصحابنا: عن مالك أنه قال: الذي جمع عليه الناس عمر بن الخطاب أحبّ إليّ، وهو إحدى عشرة ركعة، وهي صلاة الرسول ﷺ. قيل له: إحدى عشرة ركعة بالوتر؟ قال: «نعم، وثلاث عشرة قريب»، قال: «ولا أدري من أين أحدث هذا الركوع الكثير»][2] ا. هـ.

---

(١) من نسب هذه النسبة من فقهاء الشافعية كثير منهم عمر بن أحمد الجوري، وعمر بن أحمد بن محمد الجوري. قال الألباني: فلا أدري أي هؤلاء أراد السيوطي - رحمه الله - انظر: «صلاة التراويح» ص(٧٢).

(٢) وليس هذا هو المشهور عن مالك كما في «المدونه والتمهيد والاستذكار».

** الإمام أبو بكر بن العربي شيخ المالكية: ـ قال في «عارضة الأحوذي شرح سنن الترمذي» (٤/ ١٩): بعد أن أشار إلى الروايات المتعارضة عن عمر، وإلى القول أنه ليس في قدر التراويح حد محدود قال: «والصحيح أن يصلي إحدى عشرة ركعة: صلاة النبي ﷺ وقيامه، فأما غير ذلك من الأعداد فلا أصل له، ولا حد فيه. فإذا لم يكن بد من الحد، فما كان النبي عليه السلام يصلي، ما زاد النبي عليه السلام في رمضان ولا في غيره عن إحدى عشرة ركعة، وهذه هي قيام الليل. فوجب أن يقتدى فيها بالنبي عليه السلام.

** الإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني في «سبل السلام» (٢/ ١١ ـ ٢٢):

«صرّح ـ رحمه اللَّه ـ بأن عدد العشرين في التراويح بدعة، وقال: «وليس في البدعة ما يمدح، بل كل بدعة ضلالة».

** المحدث المباركفوري صاحب «تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي» فقال ـ رحمه اللَّه ـ:

«القول الراجح المختار الأقوى من حيث الدليل هو هذا القول الأخير الذي اختاره مالك لنفسه، أعني إحدى عشرة ركعة، وهو الثابت عن رسول اللَّه ﷺ بالسـند الصحيح بها أمر عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه تعالى عنه ـ، وأما الأقوال الباقية فلم يثبت واحد منها عن رسول اللَّه ﷺ بسند صحيح، ولا ثبت الأمر به عن أحد من الخلفاء الراشدين بسند صحيح خال من الكلام». وسيأتي رده على أقوال العلماء، هو ومحدث ديار الشام الشيخ الألباني.

** الشيخ محمد ناصر الدين الألباني محدث ديار الشام ـ حفظه الله ـ: الذي استفدنا من كتبه كل الاستفادة، وعوّلنا عليه في التخريج والتصحيح للأحاديث، نقلنا، بل وزيّنا جمعنا هذا بالكثير والكثير من كتبه، ويكاد جمعنا هذا أن يحوي رسالته «التراويح» بأسرها ـ فحفظه الله ـ رائدًا وشيخًا للدعوة السلفية وذابًا عن هدي رسول الله ﷺ، ورحم الله القائل:

أخا الحديث، ويا بقية سلفنا ارو الغليل بشيخنا الألباني
وانشر علوم السابقين وداونا لله درك من فتى رباني

لقد ألّف الشيخ الألباني رسالته القيمة «صلاة التراويح» ضمّنها رأيه أنه لا تجوز الزيادة على الإحدى عشرة ركعة، وانبرى للرد المفصل على الأقوال السابقة، وإن خالف الأئمة الأفاضل وإن لم ننقل الكثيرمن رسالته نكون قد قصّرنا في جمعنا هذا. ومما قال ـ حفظه الله ـ:

* «اقتصاره على الإحدى عشرة ركعة دليل على عدم جواز الزيادة عليها»: وتحت هذا العنوان قال:

إذا تأملنا فيه يظهر لنا بوضوح أنه ﷺ استمر على هذا العدد طيلة حياته لا يزيد عليه، سواء ذلك في رمضان، أو في غيره، فإذا استحضرنا في أذهاننا أن السنن الرواتب وغيرها، كصلاة الاستسقاء والكسوف التزم النبي ﷺ فيها جميعًا عددًا من الركعات، وكان هذا الالتزام دليلاً مسلمًا عند العلماء على أنه لا يجوز الزيادة عليها(١)،

(١) استشهد الألباني بصنيع الحافظ ابن حجر في «الفتح» لما عقد البخاري في «صحيحه» باب الركعتين قبل الظهر...» ثم ساق فيه حديث عائشة: «كان لا يدع أربعًا قبل الظهر»=

فكذلك صلاة التـراويح لا يجوز الزيادة فيها على العدد المسنون لاشتراكها مع الصلوات المذكورات في التزامه ﷺ عددًا معينًا فيها لا يزيد عليه، فمن ادّعى الفرق فعليه الدليل، ودون ذلك خرط القتاد»[١].

وقال حفظه اللَّه:

* «ليست صلاة التراويح من النوافل المطلقة»: «حتى يكون للمصلي الخيار في أن يصليها بأي عدد شاء، بل هي سنة مؤكدة تشبه الفرائض من حيث أنها تشرع مع الجماعة، كما قالت الشافعية، فهي من هذه الحيثية أولى بأنْ لا يزاد عليها من السنن الرواتب»، ثم ذكر قول القسطلاني: «التراويح أشبهت الفرض بطلب الجماعة فلا تغير عما ورد فيها» ا. هـ. ثم قال ردًا على من ألزموا الناس فيها عدد العشرين: «لو اعتبرنا صلاة التراويح نفلاً مطلقًا لم يحدده الشارع بعدد معين، لم يجز لنا أن نلتزم فيها نحن عدد لا نجاوزه لما ثبت في الأصول أنه لا يسوغ التزام صفة لم ترد عنه ﷺ في عبادة من العبادات»، ثم نقل ـ حفظه اللَّه ـ قول الشيخ ملا أحمد رومي الحنفي صاحب «مجالس الأبرار» قوله: «كل بدعة في العبادات البدنية المحضة لا تكون إلا سيئة»[٢].

رد الألباني على أقوال وشبهات:

* الشـبهة الأولى: «اختـلاف العـلماء دليـل عـلى عـدم ثـبوت

= لبيان أن الركعتين قبل الظهر ليستا حتمًا بحيث يمنع الزيادة عنهما، وفي صنع الحافظ إشارة إلى أنه لا تجوز الزيادة على ما حدده ﷺ بفعله من الركعات.

(١) «التراويح» ص(٢٣).

(٢) «التراويح» (٢٤، ٢٥).

النـص المعيّن للعدد»:

رد على هذا القول بقوله: «الاختلاف في عدد ركعات التراويح لا يدل على عدم ورود نص ثابت فيه؛ لأن الواقع أن النص وارد ثابت فيه، فلا يجوز أن يرد النص بسبب الخلاف، بل الواجب أن يزال الخلاف بالرجوع إلى النص عملاً بقول اللَّه تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء: ٥٩].

* **الشبهة الثانية**: «لا مانع من الزيادة على النص ما لم ينه عنها»:

قال ـ رحمه اللَّه ـ في رده: «الأصل في العبادات أنها لا تثبت إلاّ بتوقيف من رسول اللَّه ﷺ، وهذا الأصل متفق عليه بين العلماء»، ثم ساق قول ابن حجر الهيتمي في «الفتاوى» (١/ ١٨٥): لمّا سئل: هل يجوز التغيير والنقص في الوتر وسنة الظهر مثلاً كالنافلة المطلقة؟ فأجاب بقوله: «لا يجوز التغيير والنقص فيما ذكر، والفرق بين النافلة المطلقة وغيرها واضح جليّ فلا يعدل عنه».

* **الشبهة الثالثة**: «التمسك بالنصوص المطلقة والعامة»:

مثل النصوص المطلقة والعامة في الحض على الإكثار من الصلاة بدون تحديد عدد معين مثل «**أعني على نفسك بكثرة السجود**»، وحديث: «**الصلاة خير موضوع**»، وحديث أبي هريرة: «كان يرغب في قيام رمضان. . .» قال الشيخ الألباني: «إن العمل بالمطلقات على إطلاقها إنما يسوغ فيما لم يقيده الشارع من المطلقات، أما إذا قيّد الشارع حكمًا مطلقًا بقيد فإنه يجب التقيد به، وعدم الاكتفاء بالمطلق، ولمّا كانت

مسألتنا «صلاة التراويح» ليست من النوافل المطلقة؛ لأنها صلاة مقيدة بنص عن رسول اللَّه ﷺ فلا يجوز تعطيل هذا القيد تمسكًا بالمطلقات». ثم ساق كلام الشيخ علي محفوظ في «الإبداع»: «التمسك بالعمومات مع الغفلة عن بيان الرسول ﷺ بفعله وتركه، هو من اتباع المتشابه الذي نهى اللَّه عنه، ولو عوّلنا على العمومات، وصرفنا النظر عن البيان لانفتح باب كبير من أبواب البدعة لا يمكن سده، ولا يقف الاختراع في الدين عند حد».

الرد على تأويل الشافعية:

ثم رد ـ رحمه اللَّه ـ على تأويل الشافعية لحديث: «ما كان رسول اللَّه ﷺ يزيد في رمضان. . .» الذي حكاه القسطلاني عنهم (٥/ ٤): «وأما قول عائشة: «ما كان يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة فمحمول على الوتر». قال الألباني: «إنه ظاهر الضعف إذا تذكرت أن قول عائشة هذا إنما كان جوابًا لمن سألها: «كيف كانت صلاة رسول اللَّه ﷺ في رمضان؟» فالصلاة المسؤول عنها شاملة لكل صلاة الليل، فكيف يصح أن يحمل على الوتر فقط دون صلاة الليل كلها، مع أن الحمل يفيد أنه ﷺ كان له صلاتان: إحداهما: صلاة الليل ـ وما أدرى كم تكون ركعاتها؟!

والأخرى: صلاة الوتر بأكثر ركعاته إحدى عشرة ركعة، وهذا مما لا يقوله عالم بالسنة فالأحاديث متضافرة على أن صلاته ﷺ في الليل لم تزد على الإحدى عشرة ركعة فهذا من نتائج تأويل النصوص لتأييد المذهب» ا. هـ.

* قال الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين في «مجلس شهر رمضان» ص(١٩): «اختلف السلف الصالح في عدد الركعات في صلاة التراويح والوتر معها فقيل: إحدى وأربعون ركعة، وقيل: تسع وثلاثون، وقيل: تسع وعشرون، وقيل: ثلاث وعشرون، وقيل: تسع عشرة، وقيل: ثلاث عشرة، وقيل: إحدى عشرة ، وقيل: غير ذلك... وأرجح هذه الأقوال أنها إحدى عشرة، أو ثلاث عشرة لما في «الصحيحين» عن عائشة أنها سُئلت كيف كانت صلاة النبي ﷺ في رمضان؟ فقالت: ما كان يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة، وعن ابن عباس قال: كانت صلاة النبي ﷺ ثلاث عشرة ركعة يعني: من الليل رواه البخاري، وفي «الموطأ» عن السائب بن يزيد ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: أمر عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ أبيّ بن كعب وتميمًا الداري أن يقوما للناس بإحدى عشرة ركعة. [رواه مالك في «الموطأ» بإسناد من أصح الأسانيد] ا. هـ.

* * *



فصل خاص
بطلاب الحديث

رأي الشيخ الألباني والمباركفوري
لم يثبت أن أحداً من الصحابة صلاها عشرين

تحقيق الآثار الواردة عنهم في ذلك، وبيان ضعفها:

انبرى المباركفوري ـ رحمه اللَّه ـ، والألباني في بيان ضعف الآثار الواردة عن الصحابة في صلاة التراويح بأكثر من إحدى عشرة، أو ثلاث عشرة ركعة، بما جمعوا من أقوال المحدثين، وما ضعّفوه أيضًا ـ رحمهما اللَّه ـ.

لم يثبت أن عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ صلاّها عشرين: «ضعف الأخبار الواردة في ذلك»:

* عن محمد بن يوسف، عن السائب بن يزيد أنّ عمر جمع الناس في رمضان على أبيّ بن كعب، وعلى تميم الداري على إحدى وعشرين ركعة يقرءون بالمئين، وينصرفون عند فروع الفجر. هذه رواية ضعيفة من وجهين:

الأول: عارضت هذه الرواية الرواية الأولى التي أوردها مالك في موطّئه عن محمد بن يوسف بإحدى عشرة ركعة، والإمام مالك جبل في الحفظ، «وإذا جاء الأثر فمالك النجم»، ولم يتفرد ـ كما قال المباركفوري ـ بإخراج هذا الأثر، بل أخرجه سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وتابعه حفّاظ على ذلك.

الثاني: تفرّد عبد الرزاق بروايته على هذا اللفظ، وهو إن كان ثقة

حافظًا، ومصنفًا مشهورًا إلا أنه خلط في آخر عمره كما قال ابن الصلاح وابن حنبل، وهذا الأثر لا يدرى أحَدّث به قبل الاختلاط أو بعده، فلا يقبل، وهذا لو سلم من الشذوذ والمخالفة، فكيف يقبل معهما. قال المباركفوري: ولفظ إحدى وعشرون في هذا الأثر غير محفوظ، والأغلب أنه وهم، والله تعالى أعلم[1].

وجاء في «صفة صوم النبي ﷺ في رمضان»:

«هذه الرواية تخالف ما أخرجه مالك عن محمد بن يوسف، عن السائب بن يزيد، وظاهر إسناد رواية عبد الرزاق صحيح، فجميع رجاله ثقات، وقد احتج بعضهم بهذه الرواية زاعمًا أن حديث محمد بن يوسف مضطرب، وذلك لإسقاطه ليَسْلم لهم القول بالعشرين ركعة الواردة في حديث يزيد بن خصيفة وهذا زعم مردود؛ لأن الحديث المضطرب هو الذي يُروى من راوٍ واحد مرتين، أو أكثر، أو راويين، أو رواه على أوجه مختلفة متقاربة متساوية ولا مرجح. وهذا الشرط منتف في حديث محمد بن يوسف؛ لأن رواية مالك أرجح من رواية عبد الرزاق بالحفظ قدمنا بهذا على افتراض سلامة إسناد عبد الرزاق من العلل، ولكن الأمر على خلاف ذلك، ونوضحه كما يلي:

أ ـ الذين رووا المصنف عن عبد الرزاق أكثر من واحد منهم إسحاق ابن إبراهيم بن عبّاد الدبري.

ب ـ هذا الحديث من رواية الدبري عن عبد الرزاق، فهو الذي

---

(١) انظر: «صلاة التراويح» ص(٤٨، ٤٩)، و«تحفة الأحوذي» (٣/٥٢٦ ـ ٥٢٧).

روى كتاب الصوم[١].

جـ ـ الدبري سمع من عبد الرزاق تصانيفه، وهو ابن سبع سنين[٢].

د ـ ما كان الدبري صاحب حديث، ولم يكن من رجال هذا الشأن[٣].

هـ ـ لذلك كثر الغلط في روايته عن عبد الرزاق، فقد روى عن عبد الرزاق أحاديث منكرة، وقد جمع بعض أهل العلم أخطاء الدبري وتصحيفاته في مصنف عبد الرزاق في مصنف[٣].

مما سبق يتبين أن هذه الرواية منكرة فقد خالف الدبري من هو أوثق منه والذي يطمئن إليه القلب أنها من تصحيفاته، صحفها عن إحدى عشرة ركعة، وقد علمت أنه كثير التصحيف[٤]، لذلك فهذه الرواية منكرة مصحفة فسقط الاحتجاج بها»[٥] ا. هـ.

الأثر الثاني:

روايه يزيد بن رومان قال: «كان الناس يقومون في زمان عمر بن الخطاب في رمضان بثلاث وعشرين ركعة». رواه مالك (١/ ١٣٨)، وعنه البيهقي في «السنن»، و«المعرفة»، وهذه الرواية ضعيفة لانقطاعها ما

---

(١)«المصنف» (٤/ ١٥٣).

(٢)«ميزان الاعتدال» (١/ ١٨١).

(٣)«ميزان الاعتدال» (١/ ١٨١، ١٨٢).

(٤)«ميزان الاعتدال» (١/ ١٨١)، «تهذيب التهذيب» (٦/ ٣١٠) وما بعدها.

(٥)طبع مكتبة التوعية الإسلامية بالجيزة ص(٧٦ ـ ٧٧).

بين ابن رومان وعمر، فلا حجة فيها، وممّن ضعفها من العلماء:

(١) البيهقي، بقوله في «المعرفة» يزيد بن رومان لم يدرك عمر.

(٢) الحافظ النووي في «المجموع» كما سبق.

(٣) الحافظ الزيلعي في «نصب الراية» (٢/ ١٥٤).

(٤) العيني في «عمدة القاري في شرح صحيح البخاري» بقوله: سنده منقطع.

(٥) المباركفوري في «تحفة الأحوذي».

(٦) الألباني في «صلاة التراويح».

(٧) شعيب الأرناؤوط.

الأثر الثالث:

عن يحيى بن سعيد أن عمر بن الخطاب أمر رجلاً أن يصلي بهم عشرين ركعة أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة. قال شعيب الأرناؤوط: إسناده مرسل قوي[1].

قال المباركفوري في «تحفة الأحوذي» (٣/ ٥٢٨): «قال النيموي في «آثار السنن» رجاله ثقات، لكن يحيى بن سعيد الأنصاري لم يدرك عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ ا. هـ. قلت: الأمر كما قال «النيموي» فهذا الأثر منقطع لا يصلح للاحتجاج، ومع هذا مخالف لما ثبت بسند صحيح عن عمر» ا. هـ. وقال الألباني: ضعيف منقطع.

(١) التعليق على الجزء الرابع من «شرح السنة» ص(١٢٢).

الأثر الرابع:

عند أبي بكر بن أبي شيبة في «مصنفه» من حديث عبد العزيز ابن رفيع قال: ان أبيّ بن كعب ـ رضي اللَّه عنه ـ يصلي في رمضان بالمدينة عشرين ركعة ويوتر.

قال المباركفوري في «التحفة»: { قال النيموي: عبد العزيز بن رفيع لم يدرك أبيّ بن كعب ا. هـ. قلت: الأمر كما قال النيموي فأثر ابن كعب هذا منقطع، ومع هذا فهو مخالف لما ثبت عن عمر، وأيضًا هو مخالف لما ثبت عن أبيّ بن كعب أنه صلى في رمضان بنسوة في داره ثمان ركعات وأوتر }(1).

الأثر الخامس:

ما ذكره ابن عبد البر قال: روى الحارث بن عبد الرحمن بن أبي ذباب، عن السائب. قال: كان القيام على عهد عمر بثلاث وعشرين ركعة.

قال الألباني: { «هذا سند ضعيف؛ لأن ابن أبي ذباب هذا فيه ضعف من قبل حفظه. قال ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١، ٢/ ٨٠): قال أبي: يروي عنه الدراوردي أحاديث منكرة، وليس بذلك القوي، يكتب حديثه».

وقال أبو زرعة: لا بأس به. قلت: ولذلك كان مالك لا يعتمد عليه كما في «التهذيب» لابن حجر، وقال في «التقريب» صدوق، يهم.

---

(١) «تحفة الأحوذي» (٣/ ٥٢٩).

قال الألباني: فمثله لا يحتج بروايته لما يخشى من وهمه، ولا سيما عند مخالفته للثقة الثبت ألا وهو محمد بن يوسف ابن أخت السائب }[1].

الأثر السادس:

ما رواه البيهقي في «السنن» (٢/ ٤٩٦) من طريق يزيد بن خصيفة عن السائب بن يزيد قال: كانوا يقومون على عهد عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ في شهر رمضان بعشرين ركعة. قال: وكانوا يقرءون بالمئين، وكانوا يتكئون على عصيهم في عهد عثمان ـ رضي اللَّه عنه ـ من شدة القيام.

أخبرنا عبد اللَّه أبو الحسين بن محمد بن الحسين بن فيخويه، ثنا ابن السني، أنبأنا عبد اللَّه بن محمد بن عبد العزيز البغوي، ثنا علي ابن الجعد، أنبأنا ابن أبي ذئب، عن يزيد بن خصيفة، عن السائب بن يزيد:

* قال شعيب الأرناؤوط[2] : «هذا إسناد صحيح، رجالة كلهم عدول ثقات، أما أبو عبد اللَّه بن فيخويه الدينوري فهو من كبار المحدثين ذكره الذهبي في «تذكرة الحفاظ» في ترجمة تمام بن أبي الحسين الرازي، ويزيد بن خصيفة وثقه أحمد، وأبو حاتم، والنسائي، وابن سعد، وابن حبان، وابن عبد البر، وقال ابن معين: ثقة حجة، وقد اتفق البخاري، ومسلم على إخراج حديثه وقول أحمد فيه، في إحدى روايتيه فيما رواه

---

(١) «صلاة التراويح» ص(٥١، ٥٢).

(٢) «التعليق على شرح السنة» (ج٤ ص١٢١، ١٢٢).

أبو داود: منكر الحديث، لا يُراد منه التضعيف والقدح، إنما يقصد به إنه ينفرد عن أقرانه بأحاديث.

وقد صحح إسناد هذا الأثر غير واحد من الحفاظ منهم الإمام النووي في «الخلاصة»، و«المجموع»، وابن العراقي في «طرح التثريب»، والسيوطي في «المصابيح»، وغيرهم ولا نعلم أحدًا من أئمة أهل العلم من المتقدمين قد ضعفه. وما ادعاه بعض المعاصرين[1] من أن الشافعي قد ضعفه مستدلاً بتصديره إياه بُروي فوهم؛ لأن الشافعي - رحمه اللَّه - قد أخذ به، واستحبه، وهو لا يأخذ بالحديث الضعيف. والمتقدمين كالشافعي، وأضرابه لا يتقيدون بهذا المصطلح الذي تعارف عليه بعض المتأخرين كالمنذري والنووي فهم يوردون الحديث الصحيح بصيغة التمريض في كتبهم، ويفعلون ذلك دومًا للاختصار، وكم من حديث مرَّ في هذا الكتاب[2] ذكره المصنف - رحمه اللَّه - بصيغة التمريض، وهو حديث صحيح مخرّج في «الصحيحين»، أو أحدهما» ا. هـ.

قال المباركفوري في «التحفة»[3]: صحح إسناده النووي وغيره، وفي إسناده عبد اللَّه بن فيخويه الدينوري، ولم أقف على ترجمته فمن يدعي صحة هذا الأثر فعليه أن يثبت كونه ثقة قابلاً للاحتجاج، وأما قول النيموي: هو من كبار المحدثين في زمانه لا يسأل عن مثله فمما لا يلتفت إليه؛ لأنه مجرد كونه من كبار المحدثين لا يستلزم كونه ثقة».

---

(١) يقصد الشيخ الألباني في رسالة «التراويح» ص(٥٥، ٥٦).

(٢) «شرح السنة».

(٣) «تحفة الأحوذي» (ج٣ ص٥٣١).

قال الألباني ـ حفظه اللَّه ـ عن رواية يزيد بن خُصيفة:

هذه الطريق بلفظ العشرين هي عمدة من ذهب إلى مشروعية العشرين في صلاة التراويح، وظاهر إسناده الصحة، ولهذا صححه بعضهم، ولكن له علة بل علل تمنع القول بصحته، وتجعله ضعيفًا منكرًا، وبيان ذلك من وجوه:

الأول: أن ابن خصيفة هذا، وإن كان ثقة فقد قال فيه الإمام أحمد في رواية عنه: «منكر الحديث». ولهذا أورده الذهبي في «الميزان». ففي قول أحمد هذا إشارة إلى أن ابن خصيفة قد ينفرد بما لم يروه الثقات[1]، فمثله يرد حديثه إذا خالف من هو أحفظ منه، يكون شاذًا كما تقرر في «مصطلح الحديث»، وهذا الأثر من هذا القبيل، فإن مداره على السائب ابن يزيد، وقد رواه عنه محمد بن يوسف، وابن خصيفة، واختلفا عليه في العدد، والراجح قول الأول؛ لأنه أوثق، فقد وصفه الحافظ ابن حجر: «بأنه ثقة ثبت»، واقتصر في الثاني على قوله: «ثقة»، فهذا التفاوت من المرجحات عند التعارض كما لا يخفى على الخبير بهذا العلم الشريف.

الثاني: أن ابن خصيفة اضطرب في روايته العدد، فقال إسماعيل بن أمية أن محمد بن يوسف ابن أخت السائب بن يزيد أخبره (قلت ـ فذكر مثل رواية مالك عن ابن يوسف، ثم قال ابن أمية): قلت: أو واحد وعشرون؟ قال (يعني محمد بن يوسف): لقد سمع ذلك من السائب بن

(١) «الرفع والتكميل» للكنوي ص(١٤، ١٥).

يزيد، ـ ابن خصيفة ـ فسألت (السائل هو إسماعيل بن أمية) يزيد بن خصيفة؟ فقال: حسبت أن السائب قال: «أحد وعشرون» قلت: وسنده صحيح.

فقوله في هذه الرواية: «أحد وعشرين» على خلاف الرواية السابقة: «عشرين»، وقوله في هذه «حسبت» أي: ظننت دليل على اضطراب ابن خصيفة في رواية هذا العدد، وأنه كان يرويه على الظن لا على القطع؛ لأنه لم يكن قد حفظه جيدًا، فهذا وحده كاف لإسقاط الاحتجاج بهذا العدد، فكيف إذا اقترن به مخالفته لمن هو أحفظ منه كما في الوجه الأول؟ ويؤيده الوجه الآتي:

الثالث: أن محمد بن يوسف، وهو ابن أخت السائب بن يزيد، فهو لقرابته للسائب أعرف بروايته من غيره وأحفظ، وما رواه موافق لما روته عائشة[1] ا. هـ.

جاء في كتاب «صفة صوم النبي ﷺ في رمضان»:

«خالف يزيد بن خصيفة محمد بن يوسف، وقال بعشرين ركعة، وهي شاذة؛ لأن محمد بن يوسف أوثق من يزيد بن خصيفة، ولا يقال لمثلها زيادة ثقة وهي مقبولة؛ لأن زيادة الثقة لا يكون فيها مخالفة، وإنما فيها زيادة علم على ما رواه الثقة الأول كما في «فتح المغيث» (١/١٩٩) و«محاسن الاصطلاح» (١٨٥) و«الكفاية» (٤٢٤ ـ ٤٢٥)، ولو صحت رواية يزيد فإنها فعل، وورواية محمد بن يوسف قول، والقول مقدم

(١) «صلاة التراويح» من (٤٩ ـ ٥١).

على الفعل كما هو مقرر في علم أصول الفقه»[1] ا. هـ.

وقال الألباني ـ حفظه اللَّه ـ في الآثار الضعيفة الواردة عن عمر:

هذه الروايات لا يقوي بعضها بعضًا لوجهين:

الأول: أن هذه الكثرة يحتمل أن تكون شكلية غير حقيقية، فإنه ليس لدينا إلا رواية السائب بن يزيد المتصلة، ورواية يزيد بن رومان، ويحيى بن سعيد الأنصاري المنقطعة، ومن الجائز أن يكون مدار هذه الرواية على بعض من روى الرواية الأولى، وجائز غير ذلك، مع الاحتمال يسقط الاستدلال.

الثاني: من خالف مالكًا فقد أخطأ، وكذلك من خالف محمد بن يوسف، وهما ابن خصيفة، وابن أبي ذباب فروايتهما شاذة، ومن المقرر في علم المصطلح أن الشاذ منكر مردود؛ لأنه خطأ، والخطأ لا يتقوى به، والشاذ والمنكر مما لا يعتد به ولا يستشهد به، بل إن وجوده وعدمه سواء، وما ثبت خطأ فلا يعقل أن يقوى به رواية أخرى في معناها.

أن يقال: إن إحداهما تقوي الأخرى؛ لأن الشرط في ذلك أن يكون شيوخ كل من الذيْن أرسلاها غير شيوخ الآخر، وهذا لم يثبت هنا؛ لأن كلاً من الراويين يزيد وابن سعيد مدني، فالذي يغلب على الظن في هذه الحالة أنهما اشتركا في الرواية عن بعض الشيوخ وعليه، فمن الجائز أن يكون شيخهما الذي تلقيا عنه هذه الرواية، إنما هو شيخ واحد، وهذا قد يكون ضعيفًا، أو مجهولاً، ومن الجائز أنهما تلقياها

---

(١) «صفة صلاة النبي ﷺ في رمضان» ص(٧٦) طبع مكتبة التوعية الإسلامية ـ الجيزة.

عن شيخين متغايرين ولكنهما ضعيفان، وجائز أيضًا أن يكون هذان الشيخان هما ابن خصيفة وابن أبي ذباب فإنهما مدنيان أيضًا، وقد أخطأ في هذه الرواية كما تقدم، وعليه تكون رواية يزيد، وابن سعيد خطأ أيضًا، كل هذا جائز محتمل، ومع الاحتمال يسقط الاستدلال.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ: «والمراسيل قد تنازع الناس في قبولها وردها، وأصح الأقوال أن منها المقبول، ومنها الموقوف، وما كان من المراسيل مخالفًا لما رواه الثقات كان مردودًا، وإن جاء المرسل من وجهين، كل من الراويين أخذ العلم عن غير شيوخ الآخر، فهذا مما يدل على صدقه، فإن مثل ذلك لا يتصور في العادة تماثل الخطأ فيه»[1].

الأثر السابع:

قال المباركفوري: استدل لهم أيضًا بما رواه البيهقي في «سننه» عن السائب بن يزيد قال: «كنا نقوم في زمان عمر بن الخطاب بعشرين ركعة والوتر»، وصحح إسناده السبكي في «شرح المنهاج»، وعلي القاري في «شرح الموطأ».

قال المباركفوري في «التحفة»: في سنده: أبوعثمان البصري واسمه عمرو بن عبد اللَّه، قال النيموي في تعليق «آثار السنن»: «لم أقف على من ترجم له» ا. هـ.

قلت: لم أقف أنا أيضًا على ترجمته مع التفحص الكثير. وأيضًا في سنده: أبو طاهر الفقيه شيخ البيهقي، ولم أقف على من وثقه، فمن

(١) «رسالة التراويح» ص(٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩).

ادعى صحة هذا الأثر فعليه أن يثبت كون كل منهما ثقة قابلاً للاحتجاج. فإن قلت: قال التاج السبكي في «الطبقات الكبرى» في ترجمة أبي طاهر الفقيه: كان إمام المحدثين والفقهاء في زمانه، وكان شيخًا أديبًا.. له يد طولى في معرفة الشروط» ا. هـ. فهذا يدل على كونه ثقة. قلت: لا دلالة في هذا على كونه ثقة قابلاً للاحتجاج، نعم فيه دلالة على كونه جليل القدر في الحديث والفقه والعربية ومعرفة الشروط، ولكن لا يلزم من هذا كونه ثقة، فالحاصل أن في صحة هذا الأثر نظرًا وكلامًا. ومع هذا فهو معارض بما روى سعيد بن منصور في «سننه» - ثم ساق رواية محمد بن يوسف عن السائب بن يزيد المتقدمة، ومعارض بما رواه مالك في «الموطأ». فأثر السائب بن يزيد الذي رواه البيهقي لا يصلح للاحتجاج }[1] ا. هـ.

هل يمكن الجمع بين الروايتين عن عمر؟:

قال البيهقي في «سننه» (٢/ ٤٩٦) بعد سوقه لروايتي السائب المختلفتين المذكورتين: «يمكن الجمع بين الروايتين بأنهم كانوا يقومون بإحدى عشرة ركعة، ثم كانوا يقومون بعشرين، ويوترون بثلاث والله أعلم».

قال المباركفوري (٣/ ٥٣١): «إنه لقائل أن يقول بأنهم كانوا يقومون أولاً بعشرين ركعة، ثم كانوا يقومون بإحدى عشرة ركعة، وهذا هو الظاهر؛ لأن هذا كان موافقًا لما هو الثابت عن رسول الله ﷺ وذاك كان مخالفًا له فتفكر».

(١) «تحفة الأحوذي» (٣/ ٥٣٠، ٥٣١).

قال الألباني: «إذا تبين ضعف هذه الروايات فلا ضرورة حينئذ إلى الجمع بينها وبين الرواية الصحيحة؛ لأن الجمع فرع التصحيح، وهذه الروايات غير صحيحة فلا داعي للجمع»[1].

* قال الألباني عن الرواية لابن خصيفة: «ليس فيها أن عمر أمر بالعشرين، وإنما الناس فعلوا ذلك، بخلاف الرواية الصحيحة، ففيها أمر بإحدى عشرة ركعة»[2].

العشرون لوْ صَحَّتْ إنما كان لعلَّة، وقَدْ زالت:

قال الألباني: «لو فرضنا أن أحدًا جاءنا برواية صحيحة عن عمر بالعدد المذكور، فإنا نقول له: إنه لا يلزم من ذلك التزام العمل بهذا العدد بحيث يهجر العمل بما ثبت في السنة عنه ﷺ من الإحدى عشرة ركعة فضلاً عن أن يعتبر العامل بهذه السنة خارجًا عن الجماعة»؛ ذلك لأن الالتزام بشيء زائد على الفعل، إذْ أن فعل عمر للعشرين إنما يدل على مشروعيته فقط، ولا يفيد أكثر من ذلك؛ لأنه مقابل بفعل النبي ﷺ المخالف له من حيث العدد، فلا يجوز والحالة هذه إهدار فعله ﷺ والإعراض عنه بالتزام ما فعله عمر - رضي اللَّه عنه - فقط، بل غاية ما استفاد منه جواز الاقتداء به في ذلك مع الجزم والقطع بأن الاقتداء بفعله ﷺ أفضل، وهذا كله يقال لو فرضنا أن عمر زاد على العدد المسنون لحجة أن الزيادة لا مانع منها مطلقًا، وهذا قد سبق الرد

(١) رسالة «التراويح» ص(٢٥٩).

(٢) «قيام رمضان» للألباني.

عليه، أما وعمر لم يأت بها من هذا الباب، بل بعلة التخفيف على الناس من طول القيام، فقد ذكر غير واحد من العلماء أن مضاعفة العدد كانت عوضًا عن طول القيام[١].

أقول: فهذه المضاعفة مع تخفيف القراءة في القيام ـ لو فعلها عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ لكان له ما قد يبرره في ذلك العصر؛ لأنه مع ذلك كانوا لا يفرغون من صلاة التراويح في عهد عمر إلا مع الفجر، وكانوا مع هذا التخفيف المزعوم يقرأ إمامهم في الركعة الواحدة ما بين العشرين والثلاثين آية[٢]، يضاف إلى ذلك أنهم كانوا يسوون بين الأركان من القيام والركوع والسجود، ما بين ذلك فيطيلونها حتى يكون بعضها قريبًا من بعض، ويكثرون فيها من التسبيح والتحميد والدعاء والذكر كما هو السنة، وأمّا اليوم فليس هناك شيء من هذه القراءة الطويلة حتى تخفف ويعوّض عنها بزيادة الركعات، فهذا يجعل العلّة التي من أجلها زيدت ركعات التراويح زائلة، وبزوالها يزول المعلول وهو عدد العشرين، فوجب إذن من هذه الجهة أيضًا الرجوع إلى العدد الوارد في السنة الصحيحة والتزامه وعدم الزيادة عليه مع حضّ الناس على إطالة القراءة وأذكار الأركان فيها قدر الطاقة اقتداءً بالنبي ﷺ والسلف الصالح ـ رضي اللَّه عنهم ـ»[٣].

---

(١) منهم ابن تيمية (١/ ١٤٨) «الفتاوى» و«فتح الباري» و«الحاوي» للسيوطي.

(٢) روى ابن أبي شيبة (٢/ ٨٩/ ٢) والفريابي بسند صحيح عن عمر أنه دعا القراء في رمضان فأمر أسرعهم قراءة أن يقرأ ثلاثين آية والوسط خمسة وعشرين والبطيء عشرين آية. انظر: «صلاة التراويح» ص(٦١).

(٣) «صلاة التراويح» من(٦٠ ـ ٦٣).



عذراً شيخنا، وإمامنا
ومحـــدث عصـــرنـــا
وســـيدنا الألبـــاني

عذراً شيخنا، وإمامنا
ومحدث عصرنا وسيدنا الألباني

باديء ذي بدء:

إن للَّه رجالاً يحفظ اللَّه بهم الأرض، بواطنهم كظواهرهم بل أجلى، وسرائرهم كعلانيتهم بل أحلى، وهممهم عند الثريا بل أعلى، تحبهم بقاع الأرض، وتفرح بهم أملاك.

قال الشيخ ابن باز ـ رحمه اللَّه ـ في سيدنا الشيخ الألباني: «ما رأيت تحت أديم السماء عالمًا بالحديث في العصر الحديث مثل العلاّمة محمد ناصر الدين الألباني».

* وقال الشيخ ابن عثيمين: «والشيخ محمد ناصر الدين الألباني من خيرة علماء الحديث وقلّ رجل يكون مثله في هذا الشأن».

* وقال الشيخ محمد نسيب الرفاعي: «الشيخ ناصر: أنفاس أنفاس رسول اللَّه ﷺ».

* شيخ المحدثين، مجدد العصر، محدث ديار الشام سيدنا أبو عبد الرحمن ناصر الدين الألباني.. يضع على منكبيه رداء علوم السنة، فيكون الإمام المقدَّم في عصر أجدبت فيه الأرض من مثله وأبت ـ حتى على نفسها ـ بإذن ربها أن يكون له ندٌّ إلا نفسه؟! فما رأت عيون المنصفين في عصره مثله.

للَّه دره من إمـام.. وما أرسـخ قدمـه، وأطـول بـاعه، وأوسع

اطلاعه، وأدق استقصائه وأحسن ترتيبه، وأعلى برهانه وأنفذ بصيرته.

راحلة علم عاليه السنام، تغدو إليها رواحل العلم خفافًا خماصًا، وتروح عنها ثقالاً بطانًا.

قالوا: ألا كلمة في الشيخ تنصفه ... فقد طغى الجور حتى في الموازين
شنت عليه حروب لا يسوّغها ... عقل يرى الحق في ظل البراهين
فقلت: فوق ثنائي ما يبلّغه ... محدّث الشام عن خير النبيين
وردّه الجيل للوحي الجليل يد ... ما إن يكابر فيها غير مفتون
وحسبه أنه هزّ العقول وقد ... باتت من الحِجز والتقليد في هُون
فأصبحت ذات وعي ليس يعجزه ... التمييز ما بين مفروض ومسنون
والجامدون حيارى ليس في يدهم ... إلا رواية مجروح لموهون
فما عسى أن يقول الشعر في رجل ... يدعوه حتى عداه ناصر الدين!
وأي ضيرٍ إذا فرد تجاهله ... وقد فشا فضله بين الملايين![1]

اجتهد شيخنا الألباني في عدد ركعات التراويح وله أجر وجمهور علماء الأمة لهم أجران:

صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر».

والإفتاء بعدم جواز الزيادة على إحدى عشرة ركعة مخالف لجمهور علماء الأمة وهذا اجتهاد من سيدنا وشيخنا أبي عبد الرحمن الألباني

(١) «علماء ومفكرون عرفتهم» لمحمد المجذوب (١/ ٢٩٩ - ٣٠٠).

وهو مأجور على اجتهاده.

* ومن كان يصلي لنفسه ويطيق أن يقوم كقيام رسول اللَّه ﷺ، أو مَن كان يصلي بغيره ويطيقون قيام رسول اللَّه ﷺ فهذا أفضل وأتم وخير الهدي هدي محمد ﷺ، مع ما يصاحب ذلك أحيانًا من ركعتين خفيفتين تتقدم بها صلاة الليل.

وقد أجاب أهل العلم على ما تقدم من قول فضيلة الشيخ الألباني بأجوبة منها.

* إن التوفيق بين النصوص الصحيحة والجمع بينها وإعمالها جميعًا أولى من طرح بعضها وإهماله بل يتعين الجمع بينها في حالة ثبوتها.. هذا أولى من ادعاء النسخ.

* أن تمام الاقتداء بصلاة رسول اللَّه ﷺ يكون في الكم والكيف، في العدد والصفة معًا.. والعبرة بزمن القيام وتكثير الركعات جاءت عوضا عن طول القيام.. فلقد كانت الاحدى عشر ركعة تستوعب معظم الليلَ.

قال تعالى: ﴿**كَانُواْ قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ**﴾ [الذاريات: ١٧] وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلا قَلِيلاً * نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْءانَ تَرْتِيلاً**﴾ [المزمل: ١ - ٤]. وقال تعالى: ﴿**وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً**﴾ [الإنسان: ٢٦].

* «**وأحب الصلاة إلى اللَّه صلاة داود عليه السلام... كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه**» وفي حديث ابن مسعود - رضي اللَّه عنه - «**صليت مع** رسول اللَّه ﷺ فأطال حتى هممت بأمر سوء، قيل: **وما هممت؟**

قال: هممت أن أجلس وأدعه»[١] .

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٢/ ١٩):

« فيه دليل على اختيار النبي ﷺ تطويل صلاة الليل، وقد كان ابن مسعود قويًا محافظًا على الاقتداء بالنبي ﷺ ، وما همّ بالقعود إلا بعد طول كثير ما اعتاده، وأخرجه مسلم من حديث جابر: «أفضل الصلاة طول القنوت» فاستدل به على ذلك، ولمسلم من حديث ثوبان: «أفضل الأعمال كثرة السجود».

* وكان الصحابة يعتمدون على العصى من طول القيام وما كانوا ينصرفون من القيام إلا عند فروع الفجر خشية أن يفوتهم الفلاح: السحور.

* صح عن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ أنها قالت: «ما زاد رسول اللَّه ﷺ في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة».

وصحّ من حديثها أيضًا أنها قالت: «كان رسول اللَّه ﷺ يصلي بالليل ثلاث عشرة ركعة، ثم يصلي إذا سمع النداء بالصبح ركعتين خفيفتين»[٢] .

ورجح الحافظ في «الفتح» (٣/ ٢١) أنهما الركعتان الخفيفتان اللتان كان يفتتح بهما النبي ﷺ صلاة الليل».

«قال القرطبي: أشكلت روايات عائشة على كثير من أهل العلم

(١) رواه البخاري، ومسلم.

(٢) رواه البخاري، ومسلم.

حتى نسب بعضهم حديثها إلا الاضطراب، وهذا إنما يتم لو كان الراوي عنها واحدًا أو أخبرت عن وقت واحد، والصواب أن كل شيء ذكرته من ذلك محمول على أوقات متعددة وأحوال مختلفة بحسب النشاط وبيان الجواز والله أعلم».

قال الحافظ في «الفتح»: «يحتمل أن تكون أضافت إلى صلاة الليل سنة العشاء لكونه كان يصليها في بيته، أو ما كان يفتتح به صلاة الليل فقد ثبت عند مسلم من طريق سعد بن هشام عنها أنه كان يفتتحها بركعتين خفيفتين وهذا أرجح في نظري؛ لأن رواية أبي سلمة التي دلت على الحصر في إحدى عشرة جاء في صفتها عند المصنف وغيره «يصلي أربعًا ثم ثلاثًا» فدل على أنها لم تتعرض للركعتين الخفيفتين، وتعرضت لهما في رواية الزهري، والزيادة من الحافظ مقبولة، وبهذا يجمع بين الروايات».

* وثبت أيضًا من حديث زيد بن خالد الجهني - رضي الله عنه - عند مسلم أنه قال: «لأرمقن صلاة رسول الله ﷺ الليلة، فصلى ركعتين خفيفتين، ثم صلى ركعتين طويلتين، طويلتين، ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما، ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما، ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما، ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما، ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما، ثم أوتر فذلك ثلاث عشرة ركعة».

* وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «كانت صلاة النبي ﷺ ثلاث عشرة ركعة يعني بالليل»[1].

(١) رواه البخاري (١١٣٨)، ومسلم (٧٦٤).

فهذه الروايات تثبت أنه ﷺ زاد على الإحدى عشرة ركعة.

* قال أهل العلم إن قيام الليل من النفل المطلق لاحدّ له والعبرة بزمن القيام وهناك نصوص عامة يستفاد منها جواز الزيادة على إحدى عشرة ركعة منها.

* قول النبي ﷺ: **«صلاة الليل مثنى مثنى، فإذا خشى أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى»** رواه البخاري.

* ومنها حديث: **«أحب الصلاة إلى اللَّه صلاة داود عليه السلام... كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه»**.

* ومنها قول النبي ﷺ لثوبان: **«عليك بكثرة السجود للَّه فإنك لن تسجد للَّه سجدة إلا رفعك اللَّه بها درجة وحطّ عنك بها خطيئة»**(١).

* ومنها قول النبي ﷺ لربيعة بن كعب الأسلمي لما قال له: أسألك مرافقتك في الجنة، قال: **«أو غير ذلك؟»** قال: هو ذاك قال: **«فأعني على نفسك بكثرة السجود»**(٢)، وقول النبي ﷺ: **«ليصل أحدكم نشاطه»**.

* إن رسول اللَّه ﷺ ما نهى عن الزيادة على إحدى عشرة ركعة، بل ودلنا على أحب القيام، وهو قيام داود عليه السلام وهو ثلث الليل.

* إن النبي ﷺ كان يصلي هذه الركعات في بيته منفردًا ويطيل

---

(١) أخرجه مسلم.

(٢) أخرجه مسلم.

فيهن كما يشاء أمّا إمام القوم فيصل بصلاة أضعفهم.

قال ﷺ: **«إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف، فإن وراءه الضعيف والسقيم وذا الحاجة»**(١).

وقال ﷺ: **«إذا أم أحدكم الناس فليخفف، فإن فيهم الصغير والكبير والضعيف والمريض، فإذا صلى وحده فليصل كيف شاء»**(٢).

* وقال رسول اللَّه ﷺ: **«يا أيها الناس إن منكم منفّرين، فأيكم أمّ الناس فليوجز، فإن من ورائه الكبير والضعيف وذا الحاجة»**(٣).

* إن كان هذا في الفريضة فما ظنك بالنافلة لحث الناس على الصلاة مع إمامهم؛ حتى ينصرف لما في ذلك من الخيرية.

قال ﷺ: **«من قام مع الإمام؛ حتى ينصرف كُتب له قيام ليلة»**(٤). فالإمام الذي يراعي حال المأمومين ويحافظ على كثرتهم؛ حتى يغنموا الثواب ليس بخارج عن هدي النبي ﷺ

عن عثمان بن أبي العاص قال: يا رسول اللَّه اجعلني إمام قومي، قال أنت إمامهم اقتد بأضعفهم»(٥).

* فهم علماء السلف لا يهدر فهم أعمق الناس علمًا!! كيف يُهدر قول عمر وعلى، وأبي بن كعب وتميم الداري وعطاء وابن أبي مليكة

(١) أخرجه البخاري، ومسلم.
(٢) أخرجه البخاري (٧٠٣)، ومسلم(٤٦٧).
(٣) أخرجه البخاري (٧٠٢)، ومسلم (٤٦٦).
(٤) أخرجه أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وأحمد، وابن خزيمة عن أبي ذر.
(٥) **إسناده صحيح**: أخرجه أحمد، وأبو داود، والنسائي، والحاكم في «المستدرك».

وأبي البختري وعبد الرحمن بن الأسود وعمر بن عبد العزيز وأبان بن عثمان والثوري وابن المبارك والشافعي ومالك وأبي حنيفة وابن قدامة وأهل الرأي وابن مفلح وابن عبد البر وابن حجر والبغوي وابن تيمية والبيهقي وابن باز وابن عثيمين؟!

* ما نقلته كتب السير والتراجم بالأسانيد الصحيحة عن قيام السلف الركعات الكثيرة التي لا حدّ لها كقيام علي بن عبد اللّه بن عباس وعلي زين العابدين وقيام وكيع بن الجراح ومنصور بن المعتمر ومنصور ابن ذاذان، ومسعر بن كدام، وغيرهم وغيرهم من سار على دربهم كالعماد المقدسي والحافظ عبد الغني المقدسي وغيرهم وغيرهم مئات ومئات ثبت عنهم أنهم قاموا الليل كله، أو معظمه بركعات كثيرة فهل يهدر فهمهم وهم أساطين العلم أم أنهم كانوا من المبتدعه!! حاشا وكلاّ.

* ولنا وقفة أخيرة نكرر ما سبق، وقلناه عن جمع عمر الناس على إحدى عشرة ركعة وعلى عشرين ركعة ولا إشكال في التوفيق بينهما بأن يحمل الأمر على تعدّد الحالات فأحيانا كانوا يقومون بإحدى عشرة ركعة وأحيانا كانوا يقومون بثلاث وعشرين ركعة.

قال البيهقي: «ويمكن الجمع بين الروايتين، فإنهم كانوا يقومون بإحدى عشرة، ثم كانوا يقومون بعشرين، ويوترون بثلاث»[1].

وقال ابن حجر في «الفتح» (٤/٢٩٨): «ويحتمل أن ذلك الإختلاف بحسب تطويل القراءة وتخفيفها، فحيث يطيل القراءة تقل

(١) «السنن الكبرى» للبيهقي ص(٤٩٦).

الركعات، وبالعكس».

أي: أن كثرة الركعات كانت عوضًا عن طول القيام كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية.

* أما ما صح من جمع عمر الناس على عشرين ركعة:

روى علي بن الجعد في «مسنده» (٢٩٢٦): «أنا ابن أبي ذئب، عن يزيد بن خصيفة، عن السائب بن يزيد قال: كانوا يقومون على عهد عمر في شهر رمضان بعشرين ركعة، وإن كانوا ليقرءون بالمئين من القرآن.

وهذا إسناد صحيح.

وقد أعلّ الشيخ الألباني هذا الأثر بيزيد بن خصيفة، وبما ورد عن أحمد في شأنه في رواية عن أحمد إنه منكر الحديث. وللرد على سيدنا الألباني.

أولاً: أن غير أحمد من جهابذة العلماء قد وثقوه، فقد قال يحيى ابن معين: ثقة حجة، وقال أبو حاتم والنسائي ثقة. وقال ابن سعد: كان عابدًا ناسكًا كثير الحديث ثبتًا.

وقال الحافظ ابن حجر: زعم ابن عبد البر أنه ابن أخي السائب بن يزيد، وكان ثقة مأمونًا، وقال الحافظ في «التقريب»: ثقة.

ثانيًا: أن أحمد بن حنبل ـ رحمه اللَّه ـ قد وثقه في الرواية الأخرى.

قال الحافظ في ترجمة يزيد بن عبد اللَّه بن خصيفة:

«قال ابن معين: ثقه ووثقة أحمد في رواية الأثرم، وكذا أبو حاتم

والنسائي وابن سعد، وروى أبو عبيد الآجرى عن أبي داود عن أحمد أنه قال: منكر الحديث.

قلت: هذه اللفظة يطلقها أحمد على من يغرب على أقرانه بالحديث، عُرِف ذلك بالاستقراء من حاله، وقد احتج بابن خصيفة مالك والأئمة كلهم»[1].

ثالثًا: أن الإمام أحمد وبعض أهل العلم يطلقون في كثير من الأحيان النكارة على التفرد لا على المعنى الاصطلاحي للمنكر الذي يفهم منه التضعيف وقد ذكر ذلك الحافظ ابن حجر ـ رحمه اللَّه ـ في «هدي الساري» في ترجمة محمد بن إبراهيم التيمي. وهو أحد رواة حديث: «**إنما الأعمال بالنيات**»، ومدار الحديث عليه ـ فقال الحافظ بعد أن ذكر توثيق العلماء له: وروى عن عبد اللَّه بن أحمد بن حنبل قال: سمعت أبي يقول، وذكر في حديثه شيء: يروي أحاديث مناكير. قلت: المنكر أطلقه أحمد بن حنبل وجماعة على الحديث الفرد الذي لا متابع، فيحمل هذا على ذلك وقد احتج به الجماعة».

ومحمد بن إبراهيم صاحب حديث: «**إنما الأعمال بالنيات**»، ولم يروه غيره حديثه صحيح.

رابعًا:ابن خصيفة لم يتفرد بالحديث فقدرواه غيره ولحديثه شواهد متعددة:

فقد روى عبد الرزاق في «المصنف» (٤/ ٢٦٠) (أثر ٧٧٣٠) عن

---

(١)«هدي الساري» ص(٤٥٣).

داود بن قيس، وغيره، عن محمد بن يوسف، عن السائب بن يزيد «أن عمر جمع الناس علىٰ أُبيّ بن كعب وعلى تميم الداري على إحدى وعشرين ركعة ويقرءون بالمئين وينصرفون عند فروع الفجر»[١] .

* وقال ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢/ ٣٩٣): حدثنا حميد بن عبد الرحمن عن حسن عبد العزيز بن رفيع قال: «كان أبي بن كعب يصلي بالناس في رمضان بالمدينة عشرين ركعة ويوتر بثلاث»[٢] . فهذه شواهد تزيد رواية العشرين ركعة قوة.

خامسًا: قد صحح رواية العشرين عدد من أهل العلم، منهم النووي كما في «المجموع شرح المهذب» (٤/ ٣٢)، ونقل ذلك عنه صاحب «نصب الراية» (٢/ ١٥٤) فقال: قال النووي في «الخلاصة»: إسناده صحيح. وابن العراقي في «طرح التثريب»، والسيوطي وابن تيمية وعبد القادر الأرناؤوط.

* * *

---

(١) إسناده صحيح.
(٢) صحيح مرسل.



الاجتهاد في القيام وتحرّي ليلة القدر

الاجتهاد في القيام في النصف الأخير من رمضان

قال ابن رجب الحنبلي ـ رحمه اللَّه ـ:

«كل زمان فاضل من ليل أو نهار، فإن آخره أفضل من أوله، كيوم عرفة ويوم الجمعة، وكذلك الليل والنهار عمومًا آخره أفضل من أوله، ولذلك كانت الصلاة الوسطى صلاة العصر كما دلت الأحاديث الصحيحة عليه وآثار السلف الكثيرة تدل عليه، وكذلك عشر ذي الحجة والمحرم آخرهما أفضل من أولهما»(١).

ولقد ثبت في «الصحيحين» عن أبي سعيد الخدري اعتكاف رسول اللَّه ﷺ في العشر الأوسط من رمضان، قبل أن يعتكف في العشر الأواخر، إلتماسًا لليلة القدر، والسياق يقتضي تكرر ذلك منه ﷺ قبل أن يتبين له أنها في العشر الأواخر، ثم لما تبيّن له ذلك، اعتكف العشر الأواخر حتى قبضه اللَّه عز وجل. وقد روي عن جمع من الصحابة طلب ليلة القدر ليلة سبع عشرة منهم علي وابن مسعود وزيد بن أرقم وزيد بن ثابت، وعمرو بن حريث. وقد صح عن ابن مسعود أنه قال: تحروا ليلة القدر ليلة سبع عشرة صباحية بدرًا، وإحدى وعشرين.

* وعن خارجه بن زيد أنّ زيد بن ثابت، كان لا يحيي ليلة

---

(١) «لطائف المعارف» ص(١٨٦).

من رمضان كإحيائه ليلة سبع عشرة، وكان يصبح صبيحتها، وعلى وجهه السجدة يعني الورم والصفرة من أثر السهر، ويقول: «إن اللَّه فرّق في صبيحتها، بين الحق والباطل، وأذلّ في صبيحتها أئمة الكفر».

* وحكى الإمام أحمد هذا القول عن أهل المدينة، أن ليلة القدر تطلب ليلة سبع عشرة.

* وقد كان أهل مكة لا ينامون فيها ، ويعتمرون صبيحتها، يوم الفرقان، يوم التقى الجمعان.

* قال ابن رجب: «روى أبو الشيخ الأصبهاني بإسناد جيد عن الحسن قال: إن غلامًا لعثمان بن أبي العاص قال له: يا سيدي إن البحر يعذب في هذا الشهر في ليلة، قال: فإذا كانت تلك الليلة فأعلمني، قال: فلما كانت تلك الليلة أذنه فنظروا فوجدوه عذبًا، فإذا هي ليلة سبع عشرة»[1].

* عن علي ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد، ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم، إلا رسول اللَّه ﷺ، تحت شجرة، يصلي ويبكي حتى أصبح».

قال ابن رجب في «اللطائف»: «عباد اللَّه: شهر رمضان قد انتصف، فمنْ منكم حاسب نفسه فيه للَّه وانتصف، مَنْ منكم قام في هذا الشهر بحقه الذي عرف، من منكم عزم قبل غلق أبواب الجنة أن

(١) «لطائف المعارف» ص(١٨٧، ١٨٨).

يُبنى له فيها غرفًا من فوقها غرف.

ألا إن شهركم قد أخذ في النقص، فزيدوا أنتم في العمل، فكأنكم به وقد انصرف، فكل شهر فعسى أن يكون منه خلف، وأما شهر رمضان فَمِنْ أين لكم من خلف؟!!.

تنصَّف الشهر والهفاه وانهدما ... واختص بالفوز بالجنات من خدما
وأصبح الغافل المسكين منكسراً ... مثلي فيا ويحه، يا عظم ما حُرِما
مَنْ فاته الزرع في وقت البدار فما ... تراه يحصد إلا الهم والندما
طوبى لمن كانت التقوى بضاعته ... في شهره، وبحبل اللَّه معتصماً[1]

الاجتهاد في العشر الأواخر من رمضان:

* عن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت: «كان رسول اللَّه ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره»[2].

* وعنها قالت: «كان رسول اللَّه ﷺ إذ دخل العشر شد مئزره، وأحيا ليله وأيقظ أهله»[3].

شد مئزره: اعتزل النساء، وبذلك جزم عبد الرزاق عن الثوري. وقال الخطابي: يحتمل أن يريد به الجد في العبادة، كما يقال: شددت لهذا الأمر مئزري أي: تشمرت له، ويحتمل أن يراد التشمير والاعتزال معًا، ويحتمل أن يراد الحقيقة والمجاز معًا، ومال إلى الأول ابن حجر

(١) «لطائف المعارف» ص(١٩٥، ١٩٦).
(٢) رواه مسلم.
(٣) متفق عليه.

- رحمه اللَّه - في «الفتح» قال الحافظ ابن حجر: أحيا ليله: أي: سهره فأحياه بالطاعة، وأحيا نفسه بسهره فيه؛ لأن النوم أخو الموت، ويحتمل إحياء الليل كله، أو إحياء غالبه.

ولم يكن النبي ﷺ إذا بقي من رمضان عشرة أيام يدع أحدًا من أهله يطيق القيام إلا أقامه، وتأكد إيقاظهم في آكد الأوتار التي ترجى فيها ليلة القدر.

قال سفيان الثوري: «أحب إليّ إذا دخل العشر الأواخر أن يتهجد بالليل، ويجتهد فيه، وينهض أهله وولده إلى الصلاة إن أطاقوا ذلك»[1].

* قال ابن رجب: «كان النبي ﷺ يخص العشر الأواخر من رمضان بأعمال لا يعملها في بقية الشهر»[2] ا. هـ. منها: إحياء الليل كله، أو معظمه، والاعتكاف التماسًا وطلبًا لليلة القدر.

* عن عائشة - رضي اللَّه عنها -: «كان رسول اللَّه ﷺ إذا كان رمضان قام ونام، فإذا دخل العشر شد المئزر، واجتنب النساء، واغتسل بين الأذانين، وجعل العشاء سحورًا»[3].

* وعن أبي عثمان: «كانوا يعظمون ثلاث عشرات: العشر الأول من المحرم، والعشر الأول من ذي الحجة، والعشر الأواخر من رمضان».

* كان قتادة يختم القرآن في كل سبع ليال مرة، فإذا دخل رمضان

---

(١) «لطائف المعارف» ص(١٩٨).

(٢) «لطائف المعارف» ص(١٩٦).

(٣) إسناده مقارب: قال ابن رجب في «لطائف المعارف» ص(١٩٩): أخرجه ابن أبي عاصم. وإسناده مقارب.

ختم في كل ثلاث ليال مرة، فإذا دخل العشر ختم كل ليلة مرة»[١].

الترغيب في ليلة القدر، وفضل العمل فيها على العمل في سائر السنة:

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۝٥﴾.

وقال تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ كما قال مجاهد وعكرمة وقتادة.

* وعن أنس ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: دخل رمضان، فقال رسول اللَّه ﷺ: **«إن هذا الشهر قد حضركم، وفيه ليلة خير من ألف شهر، من حرمها فقد حرم الخير كله، ولا يحرم خيرها إلا محروم»**[٢].

* عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«أتاكم شهر رمضان، شهر مبارك، فرض اللَّه عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب السماء، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتُغَلّ فيه مردة الشياطين، للَّه فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم»**[٣].

قال أبو بكر الوراق: «سميت ليلة القدر؛ لأنه نزل فيها كتاب ذو

(١) «مختصر قيام الليل» ص(١٠٧، ١١٣).

(٢) حسن: رواه ابن ماجه، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (١/ ٤١٨) حديث رقم (٩٩٠).

(٣) حسن: رواه النسائي، والبيهقي، وحسّنه الألباني في «صحيح الترغيب» (١/ ٤١٨) حديث رقم (٩٨٩).

قدر على لسان ملك ذي قدر، على رسول ذي قدر وعلى أمة ذات قدر».

أخي: يهون العمر كله إلا هذه الليلة، الليلة التي نزل فيها القرآن جملة إلى السماء الدنيا، الليلة التي يقدر فيها أحكام تلك السنة، وتكتب فيها الملائكة الأقدار، الليلة التي تنزل فيها الملائكة.

لقد كان رسولكم ﷺ يجتهد في العشر الأواخر، ويعتكف، التماسًا لتلك الليلة، كان يواصل ابتغاءً لتلك الليلة... فيا مَنْ ضاع عمره في لا شيء، استدركْ ما فاتك في ليلة القدر فإنها تحسب بالعمر.

شفيت بها قلبًا أطيل غليله زمانًا فكانت ليلة بليالي

وإليك الهدايا تزف في تلك الليلة:

عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - عن النبي ﷺ: «**من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**»(١). وزاد أحمد: «**وما تأخر**»(٢).

ليلة يقبل اللَّه فيها التوبة من كل تائب، يكتب فيها من أم الكتاب ما يكون في سنتها من موت وحياة، ورزق، ومطر، وشيء.

عن مجاهد: «صيامها وقيامها أفضل من صيام ألف شهر وقيامه

(١) رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي.

(٢) انظر: هامش «المبدع» (٣/ ٥٩): جاء في «الفتح» أن هذه الزيادة قد وقعت في حديث عبادة بن الصامت عند الإمام أحمد من وجهين، وإسناده حسن، ونبه على أنه استوعب الكلام على طرقه في كتابه «الخصال المكفرة للذنوب المقدمة والمؤخرة». وقال الغماري في «أسرار الصيام» ص(٢٥): وإسناد هذه الزيادة صحيح.

ليس فيها ليلة القدر».

وعن سعيد بن جبير: «هي لأمة محمد ﷺ ما بقي منهم اثنان».

* وعن كعب الأحبار: «نجد هذه الليلة في الكتب حطوطًا تحط الذنوب»[1].

* وهي ليلة مباركة تشرف فيها الأرض بالملائكة: عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«ليلة القدر ليلة السابعة، أو التاسعة وعشرين، وإن الملائكة تلك الليلة أكثر في الأرض من عدد الحصى»**[2].

* * *

---

(١) «مختصر قيام الليل» ص(١٠٩).

(٢) **إسناده حسن**: رواه أحمد والبزار، والطبراني في «الأوسط»، وابن خزيمة في «صحيحه»، والطيالسي والبزار، وقال الهيثمي في «المجمع»: رجاله ثقات، وحسن إسناده الألباني. انظر: ابن خزيمة (٣/ ٣٣٢)، و«صحيح الجامع» رقم (٥٣٤٩).

قال الزهري: سميت ليلة القدر لعظمها وقدرها وشرفها من قولهم لفلان قدر أي: شرف ومنزلة.

الندب الأكيد إلى تحري ليلة القدر

طلب ليلة القدر في العشر الأواخر بلفظ مجمل

* عن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «**التمسوا [تحروا] ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان**»(١).

* عن ابن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول لليلة القدر: «**إن ناسًا منكم قد أُرُوا أنها في السبع الأُوَل، وأُرِيَ ناس منكم أنها في السبع الغوابر، فالتمسوها في العشر الغوابر**».

وفي رواية عنه: «**من كان ملتمسها فليلتمسها في العشر الأواخر**»(٢).

* عن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبي ﷺ: «**اطلبوا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان**»(٣).

* عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**أُريت ليلة القدر، ثم أيقظني بعض أهلي فنسيتها، فالتمسوها في العشر الغوابر**»(٤).

* عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: تذاكرنا ليلة القدر عند رسول اللَّه ﷺ فقال: «**أيّكم يذكر حين طلع القمر وهو مثل شِقِ جَفْنَة**»(٥).

(١، ٢) رواه مسلم كتاب الصوم، فضل ليلة القدر والحث على طلبها.

(٣) صحيح: رواه الطبراني «طب» عن ابن عباس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٠٤٠).

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه مسلم في كتاب الصيام.

قال القاضي: وفيه إشارة إلى أنها تكون في أواخر الشهر؛ لأن القمر لا يكون كذلك عند طلوعه إلا في أواخر الشهر والله أعلم» ا. هـ. قول النووي.

«طلبها في السبع الأواخر من رمضان»

*عن ابن عمر أن رجالاً من أصحاب النبي ﷺ أُروا ليلة القدر في المنام، في السبع الأواخر. فقال رسول الله ﷺ: **«أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر، فمنْ كان متحرّيها فليتحرها في السبع الأواخر»**(١).

*عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«التمسوها في العشر الأواخر، فإن ضعف أحدكم أو عجز فلا يغلبن على السّبْع البواقي»**(٢).

* وعن علي ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: **«اطلبوا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان، فإنْ غُلبتم فلا تغلبوا على السبع البواقي»**(٣).

* * *

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم، والطيالسي، وأحمد في «مسنده»، والبيهقي في «سننه».

(٣) **صحيح**: رواه عبد الله بن أحمد في «زوائد المسند»، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (١٤٧١).

التماس ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر

* عن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: **«تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان»**[١].

* عن جابر بن سمرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«التمسوا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان في وتر، فإني قد رأيتها فنسيتها»**[٢].

* عن أبي بكرة ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبي ﷺ: **«التمسوها في العشر الأواخر، في تسع يبقين، أو سبع يبقين، أو خمس يبقين، أو ثلاث يبقين، أو آخر ليلة»**[٣].

* وعن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ أن النبي ﷺ قال: **«التمسوها في العشر الأواخر من رمضان ليلة القدر في تاسعة تبقى، في سابعة تبقى، في خامسة تبقى»**[٤].

* وعن أبي سعيد الخدري مرفوعًا: **«اطلبوا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان: في تسع يبقين، وسبع يبقين، وخمس يبقين، وثلاث يبقين»**[٥].

---

(١) رواه البخاري، والترمذي، وأحمد في «مسنده».

(٢) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، والطبراني في «الكبير»، والضياء في «المختارة» عن جابر بن سمرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٢٥٠).

(٣) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، والترمذي، والحاكم في «المستدرك»، والبيهقي في «السنن»، وابن حبان في «صحيحه»، وابن خزيمة في «صحيحه»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٢٥٤).

(٤) رواه البخاري، وأحمد.

(٥) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٠٣٩).

* عن عبادة بن الصامت قال: خرج النبي ﷺ ليخبرنا بليلة القدر، فتلاحى رجلان من المسلمين فقال: «**خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرُفعت، وعسى أن يكون خيرًا لكم، فالتمسوها في التاسعة، والسابعة، والخامسة**»(١).

عن أبي نضرة، وعن أبي سعيد الخدري قال: اعتكف رسول اللَّه ﷺ العشر الأوسط من رمضان يلتمس ليلة القدر قَبْلَ أن تبان له، فلما انقضين أمر بالبناء فقوض، ثم أبينت له أنها في العشر الأواخر، فأمر بالبناء فأعيد، ثم خرج على الناس فقال: «**يا أيها الناس إنها كانت أبينت لي ليلة القدر، وإني خرجت لأخبركم بها، فجاء رجلان يحتقان معهما الشيطان فنُسِّيتها، فالتمسوها في العشر الأواخر من رمضان، التمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة**»، قال: قلت: يا أبا سعيد إنكم أعلم بالعدد منا. قال: نعم، أجل، نحن أحق منكم بذلك، قال: قلت: ما التاسعة والسابعة والخامسة، قال: إذا مضت واحدة وعشرون فالتي تليها ثنتين وعشرين وهي التاسعة، فإذا مضت ثلاث وعشرون فالتي تليها السابعة، فإذا مضى خمس وعشرون فالتي تليها الخامسة(٢).

* وعن معاذ بن جبل أن رسول اللَّه ﷺ سُئل عن ليلة القدر فقال: «**هي في العشر الأواخر، أو في الخامسة، أو في الثالثة**»(٣).

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم واللفظ له، وأحمد في «مسنده»، والبيهقي في «سننه».

(٣) أخرجه أحمد وإسناده جيد كما قال الألباني في «شرح السلسلة الصحيحة» رقم (١٤٧١)، (ج٣ ص٤٥٧).

* عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «**ليلة القدر ليلة سابعة، أو تاسعة وعشرين، إن الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من عدد الحصى**».

«طلبها ليلة إحدى وعشرين»

عن أبي سعيد الخدري قال: إن رسول اللَّه ﷺ اعتكف العشر الأول من رمضان، ثم اعتكف العشر الأوسط في قبة تركية على سُدَّتها حصير، قال: فأخذ الحصير بيده فنحّاها في ناحية القبة، ثم أطلع رأسه، فكلّم الناس فدنواْ منه، فقال: «**إني اعتكفت العشر الأول ألتمس هذه الليلة، ثم اعتكفت العشر الأوسط، ثم أُتيت فقيل لي: إنها في العشر الأواخر، فمنْ أحب منكم أن يعتكف فليعتكف**»، فاعتكف الناس معه، قال: «**وإني أُريتُها ليلة وتْرٍ وأني أسجد صبيحتها في طين وماء**، فأصبح من ليلة إحدى وعشرين، وقد قام إلى الصبح، فمطرت السماء، فوكف المسجد فأبصرت الطين والماء، فخرج حين فرغ من صلاة الصبح، وجبينه ورَوْثَةُ أَنْفِه فيهما الطينُ والماء، وإذا هي ليلة إحدى وعشرين من العشر الأواخر»[1] .

وفي رواية البخاري: فبصرت عيناي رسول اللَّه ﷺ ، وعلى جبهته أثر الماء والطين من صبيحة إحدى وعشرين.

طلبها ليلة ثلاث وعشرين

* عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: ذكرنا ليلة القدر عند رسول اللَّه ﷺ فقال رسول اللَّه ﷺ : «**كم مضى من الشهر؟**»، قلنا:

(١) رواه مسلم واللفظ له، والبخاري، وابن خزيمة.

مضى اثنان وعشرون، وبقي ثمان. قال: «**لا، بل بقي سبع**»، قالوا: لا، بل بقي ثمان، قال: «**لا، بل بقي سبع، الشهر تسع وعشرون**»، ثم قال: بيده حتى عد تسعة وعشرين، ثم قال: «**التمسوها الليلة**»(١).

* عن عبد اللَّه بن أُنيس أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**أُريتُ ليلة القدر، ثم أُنسيتُها، وأراني صبُحها أسجُدُ في ماء وطين**»، قال: فمُطرنا ليلة ثلاث وعشرين، فصلى بنا رسول اللَّه ﷺ فانصرف وإن أثر الماء والطين على جبهته وأنفه، قال: وكان عبد اللَّه بن أنيس يقول: ثلاث وعشرين(٢).

عن معاذ بن عبد اللَّه بن خبيب، عن أخيه قال: جلسنا مع عبد اللَّه بن أُنيس في مجلس جهينة في هذا الشهر، فقلنا: يا أبا يحيى: هل سمعت رسول اللَّه ﷺ في هذه الليلة المباركة؟ قال: نعم، جلسنا مع رسول اللَّه ﷺ في آخر هذا الشهر، فقال له رجل: متى نلتمس هذه الليلة المباركة؟ قال: «**التمسوها هذه الليلة ثلاث وعشرين**»، فقال رجل من القوم: تلك إذًا أولى ثمان. قال: «**إنها ليست بأولى ثمان، ولكنها أولى سبع، إن الشهر لا يتم**»(٣).

---

(١) رواه ابن خزيمة في «صحيحه» واللفظ له، والبيهقي في «السنن الكبرى»، وقال الألباني: إسناده صحيح على شرط البخاري، انظر: «صحيح ابن خزيمة» (ج٣ حديث رقم ٢١٧٩).

(٢) رواه مسلم في كتاب الصيام باب فضل ليلة القدر.

(٣) **حديث صحيح**: رواه ابن خزيمة وأحمد، وابن نصر وصححه الألباني في «صحيح ابن خزيمة» رقم (٢١٨٥).

وعند الطبراني: «**تحروا ليلة القدر ليلة ثلاث وعشرين**»[1].

استحباب شهود البدوي الصلاة في مسجد المدينة ليلة ثلاث وعشرين من رمضان، إذا كان سكنه قرب المدينة تحريًا لإدراك ليلة القدر في مسجدها:

عن عبد اللَّه بن أُنيس قال: قلت: يا رسول اللَّه إن لي بادية أكون فيها، وأنا أصلي فيها بحمد اللَّه، فمرني بليلة أنزلها إلى هذا المسجد، فقال: «**انزل ليلة ثلاث وعشرين**». قيل لابنه: كيف كان أبوك يصنع؟ قال: كان يدخل المسجد إذا صلى العصر، فلا يخرج منه لحاجة حتى يصلي الصبح، فإذا صلى الصبح وجد دابته على باب المسجد فجلس عليها ولحق بباديته[2].

وعن سعيد بن المسيب: «استقام قول القوم على أنها ليلة ثلاث وعشرين»[3].

وعن ابن عباس أنه كان ينضح الماء على أهله ليلة ثلاث وعشرين من رمضان يوقظهم.

وكان أبو ذر إذا كان ليلة ثلاث وعشرين من رمضان أمر بثيابه فغسلت وأجمرت[4]، ثم قام تلك الليلة[5].

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير»، عن ابن أُنيس، وهو عند أبي داود، وأحمد.
(٢) رواه ابن خزيمة، وأبو داود واللفظ له، وقال الألباني: إسناده حسن.
(٣) «فتح الباري» (ج٤ ص٣١١).
(٤) أجمرت: بخرت بالطيب.
(٥) «مختصر قيام الليل» ص(١١١).

وعن الأسود قال: كانت عائشة توقظنا ليلة ثلاث وعشرين من رمضان(١).

طلبها ليلة أربع وعشرين

عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس: «**التمسوا في أربع وعشرين**»(٢). يعني: ليلة القدر.

قال ابن حجر في «الفتح» (٤/ ٣٠٩): «وقد روى أحمد من طريق سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس قال: «أتيت وأنا نائم فقيل لي الليلة ليلة القدر، فقمت وأنا ناعس فتعلقت ببعض أطناب رسول اللَّه ﷺ فإذا هو يصلي، قال: فنظرت في تلك الليلة فإذا هي ليلة أربعة وعشرين»، وقد استشكل هذا مع قوله في الطريق الأخرى إنها في وتر، وأجيب بأن الجمع ممكن بين الروايتين: أن يحمل ما ورد مما ظاهره الشفع أن يكون باعتبار الابتداء بالعدد من آخر الشهر، فتكون ليلة الرابع والعشرين هي السابعة، ويحتمل أن يكون مراد ابن عباس بقوله: في أربعة وعشرين أي: أول ما يرجى من السبع البواقي فيوافق ما تقدم من التماسها في السبع البواقي.

قال ابن حجر: «جزم المزي بأن طريق خالد هذه معلقة، والذي أظن أنها موصولة بالإسناد الأول، وإنما حذفها أصحاب

---

(١) «المصنف» (٤/ ٢٥١).

(٢) رواه البخاري كتاب فضل ليلة القدر باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر فيه عبارة: جزم المزي بأنها معلقة، وقال ابن حجر: والذي أظنه أنها موصولة.

المسندات لكونها موقوفة» ا. هـ.

طلبها ليلة سبع وعشرين

عن زر بن حبيش قال: سألت أبي بن كعب، فقلت: إن أخاك ابن مسعود يقول: من يقم الحول يُصِب ليلة القدر. فقال: رحمه اللَّه، أراد أن لا يتكل الناس، أما إنه قد علم أنها في رمضان.

[واللَّه الذي لا إله إلا هو، إنها في رمضان «يحلف ما يستثني»] وأنها في العشر الأواخر وأنها ليلة سبع وعشرين، ثم حلف لا يستثني أنها ليلة سبع وعشرين. فقلت: بأي شيء تقول ذلك يا أبا المنذر؟ قال: بالعلامة، أو بالآية التي أخبرنا رسول اللَّه ﷺ: **«أنها تطلع يومئذ لا شعاع لها»**[١].

وعند ابن خزيمة عن زر قال: لولا سفهاؤكم لوضعت يدي في أذني، فناديت أن ليلة القدر سبع وعشرون. نبأ من لم يكذبني، عن نبأ من لم يكذبه، يعني: أبي بن كعب عن النبي[٢] ﷺ.

* وعن ابن عمر قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«تحروا ليلة القدر، فمن كان متحريها فليتحرها في ليلة سبع وعشرين»**[٣].

* وعن معاوية عن النبي ﷺ قال: **«التمسوا ليلة القدر ليلة سبع**

---

(١) رواه مسلم، وابن خزيمة واللفظ لمسلم.

(٢) ابن خزيمة، وإسناده حسن.

(٣) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، وأبو داود، والطيالسي، عن ابن عمر، وصححه الألباني في «صحيح الجامع».

وعشرين»[١]. وعنه: «**ليلة القدر ليلة سبع وعشرين**»[٢].

*عن ابن عباس قال: كان عمر يدعوني مع أصحاب محمد ﷺ فيقول لي: لا تكلم حتى يتكلموا قال: فدعاهم فسألهم عن ليلة القدر. فقال: أرأيتم قول رسول اللَّه ﷺ: «**التمسوها في العشر الأواخر**» أي: ليلة ترونها؟ قال: فقال بعضهم: ليلة إحدى، وقال بعضهم: ليلة ثلاث، وقال آخر: خمس، وأنا ساكت. قال: فقال: ما لك لا تتكلم، قال: قلت: إن أذنت لي يا أمير المؤمنين تكلمت. قال: فقال: ما أرسلت إليك إلا لتتكلم. قال: فقلت: أحدثكم برأيي؟ قال: عن ذلك نسألك، قال: فقلت: السبع.

رأيت اللَّه عز وجل ذكر سبع سماوات، ومن الأرض سبعًا، وخلق الإنسان من سبع، ونبت الأرض سبع، قال: فقال: هذا أخبرتني ما أعلم، أرأيت ما لا أعلم؟ ما هو قولك نبت الأرض سبع؟ قال: فقلت: إن اللَّه يقول: ﴿**ثم شققنا الأرض شقًا * فأنبتنا... إلى قوله: وفاكهة وأبًا**﴾ والأبّ نبت الأرض مما يأكله الدواب، ولا يأكله الناس. قال فقال عمر: أعجزتم أن تقولوا كما قال هذا الغلام الذي لم تجتمع شئون رأسه بعد؟ إني واللَّه ما أرى القول إلا كما قلت. وقال: قد كنت أمرتك أن لا تكلم حتى يتكلموا، وإني آمرك أن تتكلم معهم[٣].

---

(١) **صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير» عن معاوية، انظر: «صحيح الجامع» رقم (١٢٥١).

(٢) **صحيح**: عن معاوية رواه ابن حبان في «صحيحه»، وأبو داود انظر: «صحيح الجامع» رقم (٥٣٥٠).

(٣) رواه ابن خزيمة واللفظ له، والحاكم في «المستدرك»، والبيهقي في «السنن»، وإسناده صحيح، انظر: «صحيح ابن خزيمة» حديث رقم (٢١٧٢ ج٣).

طلبها آخر ليلة من رمضان

عن معاوية بن أبي سفيان قال: قال رسول الله ﷺ : «**التمسوا ليلة القدر [في] آخر ليلة من رمضان**»[١] .

أمارات ليلة القدر

* عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال: «**ليلة القدر ليلة سمحة، طلقة، لا حارة ولا باردة، تصبح الشمس صبيحتها ضعيفة حمراء**»[٢]

* وعن رسول الله ﷺ : «**ليلة القدر ليلة بلجة، لا حارة ولا باردة... ولا يرمى فيها بنجم، ومن علامة يومها تطلع الشمس لا شعاع لها**»[٣] .

* عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ : «**ليلة القدر ليلة سابعة، أو تاسعة وعشرين إن الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من عدد الحصى**».

وقد مر بك في حديث أبيّ: «**أنها تطلع يومئذ لا شعاع لها**»، وعند ابن خزيمة من حديث أبي: «**تطلع الشمس صبيحة تلك الليلة، ليس لها شعاع، مثل الطست حتى ترتفع**».

---

(١) رواه ابن خزيمة في «صحيحه»، وابن نصر في «قيام الليل»، وصححه الألباني، انظر: «صحيح الجامع»، و«السلسلة الصحيحة» رقم (١٢٤٩، ١٤٧١).

(٢) **صحيح**: رواه الطيالسي، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن ابن عباس، وابن نصر، وابن خزيمة، والبزار، وأبو نعيم، وأبو القاسم الأصبهاني، والضياء وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٣٥١).

(٣) **حديث حسن**: رواه أحمد في «مسنده»، وابن نصر، وأبو موسى المديني، عن عبادة، والطبراني في «الكبير» عن واثلة، انظر: «صحيح الجامع» رقم (٥٣٤٨).

*قال الحافظ في «الفتح» (٤/ ٣٠٦، ٣٠٧):

«وقد ورد لليلة القدر علامات أكثرها لا تظهر إلا بعد أن تمضي.

وعن عبدة بن أبي لبابة: قال: إن المياه المالحة تعذب تلك الليلة» ا. هـ.

ما يُدعى به في ليلة القدر

عن عائشة قالت: قلت: يا رسول اللَّه: أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر، ما أقول فيها؟ قال: «قولي: **اللَّهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني**»[١].

أقوال العلماء في ليلة القدر

قال العلامة ابن مفلح في «المبدع في شرح المقنع»:

[وفي «المغني» و«الكافي» تطلب في جميع رمضان، وليالي الوتر آكدها، واختار المجد كل العشر سواء.

وأرجاها ليلة سبع وعشرين نص عليه، وهو قول أبي بن كعب، وكان يحلف على ذلك ولا يستثني، وابن عباس، وزر بن حبيش، وحكي عن مالك والشافعي وأحمد أنها تنتقل في العشر الأخير، وللعلماء فيها أقوال كثيرة، والمذهب أنها لا تختص، بل ليالي الوتر أبلغ من ليالي الشفع، وأرجاها ليلة سبع وعشرين»].

قال العلامة المرداوي صاحب كتاب «الإنصاف» (حنبلي):

[«وتطلب ليلة القدر في العشر الأخير من رمضان، وآكد لياليه

---

(١) رواه أحمد، وابن ماجه، والترمذي، وصححه الترمذي، وقال الألباني: إسناده صحيح، انظر: «المشكاه» رقم (٢٠٩١).

وأرجاها ليلة سبع وعشرين هذا المذهب، وعليه جماهير الأصحاب.
وقال في «الكافي»: «والأحاديث تدل على أنها تنتقل في ليالي الوتر، وقال غيره: تنتقل في العشر الأخير، وحكاه ابن عبد البر عن الإمام أحمد، وهو الصواب الذي لا شك فيه»(١) ا. هـ.

* قال النووي في «شرح مسلم» (٢/ ٤١٣): «وأكثر العلماء على أنها ليلة مبهمة من العشر الأواخر من رمضان، وأرجاها أوتارها، وأرجاها ليلة سبع وعشرين، وثلاث وعشرين، وإحدى وعشرين، وأكثرهم أنها ليلة معينة لا تنتقل. وقال المحققون: إنها تنتقل فتكون سنة في ليلة سبع وعشرين، وفي سنة ليلة ثلاث، وسنة ليلة إحدى، وليلة أخرى وهذا أظهر، وفيه جمع بين الأحاديث المختلفة فيها». وقال ـ رحمه اللَّه ـ نقلاً عن القاضي عياض: «ونحو هذا قول مالك والثوري وأحمد وإسحاق وأبي ثور وغيرهم»(٢).

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (ج٤):

«وقد اختلف العلماء في ليلة القدر اختلافًا كثيرًا، وتحصل لنا من مذاهبهم في ذلك أكثر من أربعين قولاً، نختار منها الآتي:

* أنها مختصة برمضان ممكنة في جميع لياليه، وهو قول ابن عمر رواه ابن أبي شيبة بإسناد صحيح عنه، وقول أبي حنيفة: أنها تنتقل في جميع رمضان، وقال صاحباه: إنها في ليلة معينة منه مبهمة.

* أنها أول ليلة من العشر الأخير، وإليه مال الشافعي، وجزم به

(١) «الإنصاف» (٣/ ٣٥٤، ٣٥٥).
(٢) (ج٢ص٤١٣)، (ج٣ ص٢٣٢) من «صحيح مسلم بشرح النووي».

جماعة من الشافعية.

* أنها ليلة ثلاث وعشرين، وهو قول مكحول وسعيد بن المسيب.

* أنها ليلة أربع وعشرين عن ابن عباس، وابن مسعود، والشعبي، والحسن، وقتادة.

* أنها ليلة سبع وعشرين، وهو الجادة من مذهب أحمد، ورواية عن أبي حنيفة، وبه جزم أبي بن كعب وحلف عليه، ورواه ابن أبي شيبة عن عمر، وحذيفة وناس من الصحابة وحكاه صاحب «الحلية» من الشافعية عن أكثر العلماء. وتقدم استنباط ابن عباس عند عمر، وموافقته له.

* أنها في أوتار العشر الأخير: وهو أرجح الأقوال، وصار إليه أبو ثور، والمزني، وابن خزيمة، وجماعة من علماء المذاهب.

* أنها تنتقل في العشر الأخير كله: نص عليه مالك والثوري وأحمد وإسحاق.

ثم قال ـ رحمه اللَّه ـ: «وأرجحها كلها أنها في وتر من العشر الأخير، وأنها تنتقل كما يفهم من أحاديث هذا الباب، وأرجاها أوتار العشر، وأرجى أوتار العشر عند الشافعية ليلة إحدى وعشرين، أو ثلاث وعشرين، وأرجاها عند الجمهور ليلة سبع وعشرين.

ثم قال ـ رحمه اللَّه ـ: «قال العلماء: الحكمة في إخفاء ليلة القدر ليحصل الاجتهاد في التماسها، بخلاف ما لو عينت لها ليلة لاقتصر عليها كما في ساعة الجمعة»[1].

---

(١) «فتح الباري» (ج٤).

* نقل النووي عن القاضي عياض: «قيل: إنها معينة، فلا تنتقل أبدًا، بل هي ليلة معينة في جميع السنين، لا تفارقها، وعلى هذا قيل: في السنة كلها، وهو قول ابن مسعود، وأبي حنيفة وصاحبيه، وقيل: ليلة أربع عشرين، وهو محكي عن بلال وابن عباس والحسن وقتادة»[1] ا. هـ.

* وسُئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن ليلة القدر، وهو معتقل بالقلعة ـ قلعة الجبل ـ سنة ست وسبعمائة فأجاب ـ رحمه اللَّه ـ:

«الحمد للَّه، ليلة القدر في العشر الأواخر من شهر رمضان، وتكون في الوتر منها، لكن الوتر يكون باعتبار الماضي، فتطلب ليلة إحدى وعشرين، وليلة ثلاث وعشرين، وليلة خمس وعشرين، وليلة سبع وعشرين، وليلة تسع وعشرين.

* ويكون باعتبار ما بقي كما قال النبي ﷺ: «**لتاسعة تبقى، لخامسة تبقى، لثالثة تبقى**» فعلى هذا إذا كان الشهر ثلاثين يكون ذلك ليالي الأشفاع، وتكون الاثنين وعشرين تاسعة تبقى، وليلة أربع وعشرين سابعة تبقى وهكذا، فسره أبو سعيد الخدري في الحديث الصحيح، وهكذا أقام النبي ﷺ في الشهر. وإن كان الشهر تسعًا وعشرين، كان التاريخ بالباقي كالتاريخ الماضي، وإذا كان الأمر هكذا فينبغي أن يتحراها المؤمن في العشر الأواخر جميعه كما قال النبي ﷺ: «**تحروها في العشر الأواخر**»، وتكون في السبع الأواخر أكثر، وأكثر ما تكون ليلة سبع وعشرين كما كان أبي بن كعب يحلف أنها ليلة سبع

(١) «صحيح مسلم» (٣/ ٢٣٢).

وعشرين»[١] ا.هـ.

قال المباركفوري في «تحفة الأحوذي» (٣/ ٥٠٥):

«فالأرجح والأقوى أن تكون ليلة القدر منحصرة في رمضان، ثم في العشر الأخير منه، ثم في أوتاره، لا في ليلة منه بعينها»[٢].

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين في «مجالس شهر رمضان» ص(١٠٦، ١٠٧):

«وليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان، وهي في الأوتار أقرب من الأشفاع، وهي في السبع الأواخر أقرب وأقرب أوتار السبع الأواخر ليلة سبع وعشرين لحديث أبي بن كعب، ولا تختص ليلة القدر بليلة معينة في جميع الأعوام، بل تنتقل، فتكون في عام ليلة سبع وعشرين مثلاً، وفي عام آخر ليلة خمس وعشرين تبعًا لمشيئة اللَّه وحكمته».

* * *

ليلة القدر باقية إلى يوم القيامة

قال النووي ـ رحمه اللَّه ـ في «شرح مسلم» (٣/ ٢٣١):

«وأجمع من يعتد به على وجودها ودوامها إلى آخر الدهر للأحاديث الصحيحة المشهورة»، وقال ـ رحمه اللَّه ـ: «قال القاضي: وشذّ قوم فقالوا: رُفعت، لقوله ﷺ: **«حين تلاحا الرجلان فرفعت»**، وهذا غلط من هؤلاء الشاذين؛ لأن آخر الحديث يرد عليهم، فإنه ﷺ

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٥/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥).

(٢) «تحفة الأحوذي».

قال: «فرُفعت، وعسى أن تكون خيرًا لكم، فالتمسوها في السبع، والتسع»، هكـذا في أول «الصحيـح» للبخـاري، وفيه تصريـح بأن المـراد برفعهـا رفـع بيـان علـم عينهـا، ولو كـان المراد رفـع وجـودها لم يـأمر بالتماسها» ا. هـ.

* قال الشيخ عبد اللَّه الصديق في «أسرار الصيام» ص(٦٦): «وذهب الروافض إلى أن ليلة القدر رفعت ولم يعد لها وجود، ولكن الذي أجمع عليه أهل السنة أنها باقية مستمرة إلي يوم القيامة» ا. هـ.

* عن عبـد اللَّه بن أنيـس قـال: «قلت لأبي هريرة: زعموا أن ليـلة القدر رُفعـت، قال: كذب من قال ذلك». وذكر الحجاج ليـلة القــدر فكـأنه أنكرها، فأراد زر بن حُبيـش، أن يحصبـه، فمنعـه قومه»[1].

* وعن سعيد بن جبير في ليلة القدر: «هي لأمة محمد ما بقي منهم اثنان»[2].

* * *

هل كانت ليلة القدر في الأمم قبلنا؟

اختلف العلماء في ذلك. فذكر ابن حجر في «الفتح» (٤/٣٠٦): قول من ذهب إلى: «إنها خاصة بهذه الأمة، ولم تكن في الأمم قبلهم جزم به ابن حبيب وغيره من المالكية. ونقلها عن الجمهور، وحكاه

(١) «فتح الباري» (٤/٣٠٩).
(٢) «مختصر قيام الليل» ص(١٠٩).

صاحب «العدة» من الشافعية ورجحه، وهو معترض بحديث أبي ذر عند النسائي حيث قال ففيه: «قلت: يا رسول اللَّه: أتكون مع الأنبياء، فإذا ماتوا رُفعت؟ قال: «لا: بل هي باقية». وعمدتهم قول مالك في «الموطأ»: «بلغني أن رسول اللَّه ﷺ تقاصر أعمار أمته عن أعمار الأمم الماضية، فأعطاه اللَّه ليلة القدر، وهذا يحتمل التأويل، فلا يدفع التصريح في حديث أبي ذر» ا.هـ.

* قال الشيخ عبد اللَّه الصديق الغماري في «أسرار الصيام» ص(٧٧): «هذا صريح في أن ليلة القدر كانت موجودة في الأمم السابقة، وإليه مال الحافظان ابن كثير، وابن حجر العسقلاني» ا.هـ.

* * *

هل علمها النبي ﷺ بعد نسيانها

روى محمد بن نصر، عن واهب المغافري أنه سأل زينب بنت أم سلمة: هل كان رسول اللَّه ﷺ يعلم ليلة القدر؟ فقالت: لا، لو علمها لما أقام الناس غيرها» ا. هـ.

قال الحافظ: وهذا قالته احتمالاً، وليس بلازم، لاحتمال أن يكون التعبد وقع بذلك أيضًا فيحصل الاجتهاد في جميع العشر» ا.هـ.

* قال عبد اللَّه الصديق الغماري في «أسرار الصيام»: «الصحيح أنه ﷺ كان يعلمها وذلك لأمرين:

أحدهما: ما نقله البخاري في «الصحيح» في قوله تعالى: ﴿وما أدراك ما ليلة القدر﴾ عن سفيان بن عيينة قال: كل شيء من القرآن

﴿وما أدراك﴾ فقد أخبره به، وكل شيء فيه ﴿وما يدريك﴾ «فلم يخبره به» ا. هـ.

ثانيهما: ما رواه الطبراني في «الكبير» بإسناد حسن عن عبد الله ابن أنيس قال: يا رسول الله أخبرني أي ليلة تبتغى فيها ليلة القدر، فقال: **«لولا أن تترك الناس الصلاة إلا تلك الليلة لأخبرتك»**. وفي «مسند البزار» بإسناد رجاله ثقات، عن مرثد قال: لقيت أبا ذر عند الجمرة الوسطى، فسألته عن ليلة القدر، فقال: ما كان أحد بأسأل عنها مني، قال: قلت: يا رسول الله أنزلت على الأنبياء بوحي إليهم ثم ترفع؟ قال: **«بل هي إلى يوم القيامة»** قلت: يا رسول الله أيتهن هي؟ قال: **«لو أذن لي لأنبأتك بها، ولكن التمسها في التسعين والسبعين** ـ بفتح العين فيهما ـ **ولا تسألني بعدها»**. قال: ثم أقبل رسول الله ﷺ فجعل يحدث قلت: يا رسول الله في أي السبعين هي؟ فغضب عليّ غضبة لم يغضب عليّ قبلها ولا بعدها مثلها. ثم قال: **«ألم أنهك عنها. لو أذن لي لأنبأتك بها. ولكن...** وذكر كلمة. . . **أن تكون في السبع الأواخر»**، ففي هذا دليل على أنه ﷺ أُعلِمها بعد أن نسيها، ولم يؤذن له في تعيينها لئلا يتكل الناس، ويتركوا العبادة طول السنة اعتماداً على أن ليلة القدر تكفر كل الذنوب»[1] ا. هـ.

* * *

(١) «أسرار الصيام» ص(٧٤، ٧٥).

هل يُعطى ثوابها وإن لم يعلمها؟

قال الحافظ في «الفتح» (٤/٣١٣، ٣١٤):

«اختلفوا هل يحصل الثواب المرتب عليها لمن اتفق له أنه قامها وإن لم يظهر له شيء، أو يتوقف ذلك على كشفها له، وإلى الأول ذهب الطبري والمهلب، وابن العربي، وجماعة. وإلى الثاني ذهب الأكثر، ويدل له ما وقع عند مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ: **«من يقم ليلة القدر فيوافقها»**، وفي حديث عبادة عند أحمد: **«من قامها إيمانًا واحتسابًا، ثم وُفِّقت له»**.

قال النووي معنى: **«يوافقها»** أي: يعلم أنها ليلة القدر، فيوافقها. ويحتمل أن يكون المراد: يوافقها في نفس الأمر وإن لم يعلم هو ذلك.

وفي حديث زر بن حبيش عن ابن مسعود قال: «من يقم الحول يُصيب ليلة القدر، وهو محتمل للقولين أيضًا». وقال النووي أيضًا في حديث: **«من قام رمضان»** وفي حديث **«من قام ليلة القدر»** معناه: من قامه ولم يوافق ليلة القدر حصل له ذلك: **«ومن قام ليلة القدر فوافقها حصل له»**، وهو جار على ما اختاره من تفسير الموافقة بالعلم بها، وهو الذي يترجح في نظري، ولا أنكر حصول الثواب الجزيل لمن قام لابتغاء ليلة القدر وإن لم يعلم بها، ولو لم توفق له، وإنما الكلام على حصول الثواب المعين الموعود به. وفرّعوا على القول باشتراط العلم بها: أنه يختص بها شخص دون شخص، فيكشف لواحد ولا يكشف لآخر، ولو كانا معًا في بيت واحد» ا. هـ.

هل تمكن رؤيتها؟

تقدم أن لها علامات تعرف بها، ويراها من وفقت له. قال النووي في «شرح مسلم» (٣/ ٢٤٠):

«اعلم أن ليلة القدر موجودة، فإنها تُرى ويتحققها من شاء اللَّه تعالى من بني آدم كل سنة في رمضان كما تظاهرت عليه الأحاديث، وإخبار الصالحين بها، ورؤيتهم لها أكثر من أن تحصر، وأما قول القاضي عياض عن المهلب بن أبي صفرة: «لا يمكن رؤيتها حقيقة» فغلط فاحش نبهت عليه لئلا يغتر به واللَّه أعلم» ا. هـ.

* قال الحافظ في «الفتح» (٤/ ٣١٤): «قال الطبري: في إخفاء ليلة القدر دليل على كذب من زعم أنه يظهر في تلك الليلة للعيون ما لا يظهر في سائر السنة إذ لو كان حقًا لم يَخْفَ على كل من قام ليالي السنة، فضلاً عن ليالي رمضان»، وتعقبه ابن المنير في «الحاشية» بأنه لا ينبغي إطلاق القول بالتكذيب لذلك، بل يجوز أن يكون ذلك على سبيل الكرامة، لمن شاء اللَّه من عباده، فيختص بها قوم دون قوم، والنبي ﷺ لم يحصر العلامة، ولم ينف الكرامة. وقد كانت العلامة في السنة التي حكاها أبو سعيد نزول المطر، ونحن نرى كثيرًا من السنين ينقضي رمضان دون مطر، مع اعتقادنا أنه لا يخلو رمضان من ليلة القدر. قال: ومع ذلك فلا نعتقد أن ليلة القدر لا ينالها إلا من رأى الخوارق، بل فضل اللَّه واسع، ورب قائم تلك الليلة لم يحصل منها إلا على العبادة من غير رؤية خارق، وآخر رأى الخارق من غير عبادة، والذي حصل على العبادة أفضل، والعبرة إنما هي في الاستقامة، فإنها

تستحيل أن تكون إلا كرامة بخلاف الخارق، فقد يقع كرامة، وقد يقع فتنة والله أعلم» ا. هـ.

هل للنفساء والحائض نصيب من ليلة القدر؟

قال الغماري في «أسرار الصيام» ص(٨٣، ٨٤): «قال جويبر قلت للضحاك: أرأيت النفساء والحائض والمسافر والنائم لهم في ليلة القدر نصيب؟ قال: نعم. كل من تقبل الله عمله سيعطيه نصيبه من ليلة القدر». ومعنى هذا أن هؤلاء أحسنوا العمل في شهر رمضان فتقبل الله منهم، ومن تقبل الله منه، لم يحرمه نصيبه من ليلة القدر والله أعلم» ا. هـ.

أقل ما يحصل به قيام ليلة القدر

قال الغماري في «أسرار الصيام».

قال مالك في «الموطأ»: بلغني أن سعيد بن المسيب قال: من شهد العشاء ليلة القدر ـ يعني في جماعة ـ فقد أخذ بحظه منها.

وقال الشافعي في «القديم»: من شهد العشاء والصبح ليلة القدر فقد أخذ بحظه منها.

قال الغماري: وعلى كل ففضل الله واسع، ومن شهد العشاء والصبح في جماعة طول شهر رمضان فالرجاء ألا يحرم من ليلة القدر»[١] ا. هـ.

قال محمد بن نصر: عن الضحاك: «من صلى المغرب والعشاء في

---

(١) «أسرار الصيام» ص(٨١).

مسجد جماعة في رمضان، فقد أصاب من ليلة القدر حظًا وافيًا والله أعلم»[١] ا. هـ.

ليلة القدر وليلة الإسراء

سُئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن «ليلة القدر وليلة الإسراء بالنبي» أيهما أفضل؟

فأجاب بأن: «ليلة الإسراء أفضل في حق النبي ﷺ. وليلة القدر أفضل بالنسبة إلى الأمـة، فحظ النبي ﷺ الذي اختـص به ليلة المعـراج منها أكمل من حظه ليـلة القدر. وحظ الأمة من ليلة القـدر أكمل من حظهم من ليلة المعراج. وإن كان لهم فيها أعـظم حظ. لكن الفضل والشرف والرتبة العليا إنما حصلت فيها لمن أسري به ﷺ»[٢] ا. هـ.

عشر ذي الحجة والعشر الأواخر من رمضان

سُئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن عشر ذي الحجة، والعشر الأواخر من رمضان أيهما أفضل؟

فأجاب: أيام عشر ذي الحجة أفضل من أيام العشر من رمضان، والليالي العشر الأواخر من رمضان أفضل من ليالي عشر ذي الحجة»[٣].

قال ابن القيم: «وإذا تأمل الفاضل اللبيب هذا الجواب، وجده

(١) «مختصر قيام الليل» ص(١١٥).
(٢) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢٥/ ٢٨٦).
(٣) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢٥/ ٢٨٧).

شافيًا كافيًا، فإنه ليس من أيام العمل فيها أحب إلى اللَّه من أيام عشر ذي الحجة. وفيها يوم عرفة، ويوم النحر، ويوم التروية.

وأما ليالي عشر رمضان فهي ليالي الإحياء التي كان رسول اللَّه ﷺ يحييها كلها، وفيها ليلة خير من ألف شهر.

فمن أجاب بغير هذا التفصيل، لم يمكنه أن يدلي بحجة صحيحة» ا. هـ.

آداب ليلة القدر

الاعتكاف: «وقطع العلائق عن الخلائق للاتصال بخدمة الخالق، وهذه الخلوة المشروعة لهذه الأمة، خصوصًا في العشر الأواخر التماسًا لليلة القدر فالمعتكف قد حبس نفسه على طاعة اللَّه وذكره، وقطع عن نفسه كل شاغل يشغله عنه، وعكف بقلبه وقالبه على ربه وما يقربه منه»[1].

قال ابن رجب:

«ويتأكد تأخير الفطر في الليالي التي ترجى فيها ليلة القدر. فقد كان ﷺ يواصل الليل كله، وقد يكون ﷺ إنما فعل ذلك؛ لأنه رآه أنشط له على الاجتهاد في ليالي العشر، ولم يكن ذلك مضعفًا له عن العمل، فإن اللَّه كان يطعمه ويسقيه».

أما بالنسبة للأمة فكما صح في «صحيح البخاري» عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «**لا تواصلوا فأيكم أراد أن يواصل فيواصل**

(١) انظر: «لطائف المعارف» من ص(١٩٩ : ٢٠٢).

إلى السحر». قالوا: فإنك تواصل يا رسول اللَّه؟ قال: «إني لست كهيئتكم، إني أبيت لي مطعم يطعمني، وساق يسقيني».

ولذلك قال أحمد وإسحاق: لا يكره الوصال في السحر.

عن عائشة: «كان رسول اللَّه ﷺ إذا كان رمضان قام ونام، فإذا دخل العشر شد المئزر، واجتنب النساء، واغتسل بين الأذانين، وجعل العشاء سحورًا»[١] قال زر بن حبيش: في ليلة سبع وعشرين من استطاع منكم أن يؤخر فطره فليفعل، وليفطر على ضياح لبن[٢].

ومنها اغتساله بين العشاءين: قال ابن رجب في «اللطائف» ص(٢٠١): «قال ابن جرير: كانوا يستحبون أن يغتسلوا كل ليلة من ليالي العشر الأواخر».

وكان النخعي يغتسل في العشر كل ليلة، وأمر زر بن حبيش بالاغتسال ليلة سبع وعشرين.

يستحب في الليالي التي ترجى فيها ليلة القدر التنظف والتزين، والتطيب بالغسل، والطيب واللبس الحسن كما يشرع ذلك في الأعياد، ولا يكمل التزين الظاهر إلا بتزين الباطن بالتوبة والإنابة إلى اللَّه تعالى، وتطهيره من أدناس الذنوب وأوضارها، فإن زينة الظاهر مع خراب الباطن لا تغني شيئًا، قال اللَّه تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ [الأعراف: ٢٦]،

---

(١) قال ابن رجب في «لطائف المعارف» ص(١٩٩): أخرجه ابن أبي عاصم، وإسناده مقارب.

(٢) هو اللبن الخاثر الممزوج بالماء.

وقال الشاعر:

إذا المرء لم يلبس ثيابًا من التقى تقلب عريانًا وإن كان كاسيا

لا يصلح لمناجاة الملوك في الخلوت إلا من زيّن ظاهره وباطنه، وطهرهما خصوصًا لملك الملوك الذي يعلم السر وأخفى، فمن وقف بين يديه فليزين له ظاهره باللباس وباطنه بلباس التقوى، روي عن مالك ابن أنس أنه إذا كانت ليلة أربع وعشرين اغتسل وتطيب، ولبس حلة إزارًا أو رداءً، فإذا أصبح طواهما فلم يلبسهما إلا مثلها من قابل.

وكان أيوب السختياني: يغتسل ليلة ثلاث وعشرين وأربع وعشرين، ويلبس ثوبين جديدين، ويستجمر ويقول: ليلة ثلاث وعشرين هل ليلة أهل المدينة، والتي تليها ليلتنا ـ يعني البصريين.

وقال حماد بن سلمة: كان ثابت البناني وحميد الطويل يلبسان أحسن ثيابهما ويتطيبان ويطيبون المسجد بالنضوح والدخنة في الليلة التي ترجى فيها ليلة القدر.

وقال ثابت: كان لتميم الداري ـ رضي اللَّه عنه ـ حلة اشتراها بألف درهم، وكان يلبسها في الليلة التي فيها ليلة القدر»[1] ا. هـ.

* وكان أبو ذر إذا كان ليلة ثلاث وعشرين من رمضان، أمر بثيابه فغسلت وأجمرت[2]، ثم قام تلك الليلة وهي ليلة ثلاث وعشرين[3].

---

(١) «لطائف المعارف» ص(٢٠١، ٢٠٢).

(٢) التبخير بالطيب يعني: الإجمار.

(٣) «مختصر قيام الليل» ص(١١١).

رقـــائق

إخواني: هذه أيام رمضان هي كالتاج على رأس الزمان، فراعوا حق هذه الأيام. والله ليلة القدر ما يغلو في طلبها عشر، لا والله ولا شهر، لا والله ولا الدهر...

أخي: هل العمر إلا ثلاثة أيام: يوم انقضى بما فيه ذهبت لذته وبقيت تبعته، ويوم منتظر ليس منه إلا الأمل، ويوم أنت فيه قد صاح بك مؤذنًا بالرحيل.

فأمت نفسك حتى تحييها، فأنت طلبت الدنيا طلب من لا بد له منها، وطلبنا الآخرة طلب من لا حاجة له فيها، الدنيا قد كفيناها وإن لم نطلبها، والآخرة بالطلب منا ننالها»[1].

قدم ابن عم لمحمد بن واسع فقال له: من أين أتيت؟ قال: من طلب الدنيا. قال له: وهل أدركتها؟ قال: لا. قال له: أنت تطلب شيئًا لم تدركه، فكيف تدرك شيئًا لم تطلبه».

إخواني: ليلة القدر ليلة «يفتح فيها الباب، ويقرّب فيها الأحباب، ويسمع الخطاب ويرد الجواب ويُسنى للعاملين عظيم الأجر.

ليلة ذاهبة عنكم بأفعالكم، وقادمة عليكم غدًا بأعمالكم، فيا ليت شعري ماذا أودعتموها، وبأي الأعمال ودعتموها، أتراها ترحل حامدة لصنيعكم أو ذامة تضييعكم؟

هي ليلة عتق ومباهاة، وخدمة ومناجاة، وقربة ومصافاة.

---

(١) «التبصرة» (٢/١٠٦ - ١١١).

{ يا ليلة القدر للعابدين اشهدي، ويا ألسنة السائلين جدي في المسألة واجتهدي }.

يا رجال الليل جدوا ... رب داع لا يرد
ما يقوم الليل إلا ... من له عزم وجد

ليلة القدر عند المحبين ليلة الحظوة بأنس مولاهم وقربه، وإنما يفرون من ليالي البعد، يا من ضاع عمره في لا شيء، استدرك ما فاتك في ليلة القدر فإنها تحسب بالعمر.

ففيها تنزل الأملاك بالأنوار والبر.

أخي: الصلاة مكيال فمن وفّى وُفِّي له، ومن طفف طُفِّف، فقد علمتم ما قيل في المطففين أما يستحي من يستوفي مكيال شهواته، ويطفف في مكيال قيامه وصلاته؟! ألا بُعدًا لمدين. إذا كان الويل لمن طفف في مكيال الدنيا، فكيف حال من طفف في مكيال الدين؟. كيف حال المسيئين في عباداتهم؟.. ارحموا من حسناته كلها سيئات، وطاعاته كلها غفلات.

مستيقظ في الدجى ولكن ... أحسن من يقظتي سباتي

قلوب المتقين إلى هذه الأيام تحنّ، ومن ألم فراقها تئن.

دهاك الفراق فما تصنع ... أتصبر للبين أم تجزع
إذا كنت تبكي وهم جيرة ... فكيف تكون إذا ودعوا

إخواني:

ما ضاع من أيامنا هل يغرم ... هيهات والأزمان كيف تقوّم
يوم بأرواح تباع وتشترى ... وأخوه ليس يسام فيه بدرهم

كيف لا تجري للمؤمن على هذه الأيام دموع، وهو لا يدري هل بقي له من عمره رجوع؟ متى يصلح من لا يصلح في رمضان؟... من رُد في ليلة القدر متى يصلح؟، كل ما لا يثمر من الأشجار في أوان الثمار فإنه يقطع.

من فاتــه الزرع في وقت البـدار فما ... تراه يحصد إلا الهم والندما

وللَّه در القائل:

تذكرت أيامًا مضت ولياليًا ... خلت، فجرت من ذكرهن دموع
ألا هل لها يومًا من الدهر عودة ... وهل لي إلى يوم الوصال رجوع
وهل بعد إعراض الحبيب تواصل ... وهل لبدور قد أفِلْن طلوع

أين حُرَق المجتهدين في نهاره؟... أين قلق المتهجدين في أسحاره؟.

أتترك من تحب وأنت جار ... وتطلبهم وقد بَعُدَ المزار
وتبكي بعد نأيهمُ اشتياقًا ... وتسأل في المنازل أين ساروا
تركت سؤالهم وهم حضور ... وترجو أن تخبرك الديار
فنفسك لُمْ، ولا تَلْمِ المطايا ... ومُتْ كمدًا فليس لك اعتذار

رحم اللَّه رجالاً رمضانهم دائم، وشوّالهم صائم قائم.

* * *



فقه التراويح

فقه التراويح

مقدار القراءة كل ركعة في التراويح

مرّ بك:

* عن السائب بن يزيد أمر عمر بن الخطاب أبي بن كعب وتميمًا الداري أن يقوما للناس في رمضان فكان القارئ يقرأ بالمئين، حتى كنا نعتمد على العصي من طول القيام، وما كنا ننصرف إلا في فروع[1] الفجر[2].

* عن عبد اللَّه بن أبي بكرة سمعت أبي يقول: كنا ننصرف في رمضان من القيام فنستعجل الخدم بالطعام مخافة الفجر.

* عن السائب: كان القارئ يقرأ في رمضان في زمن عمر بن الخطاب في كل ركعتين بخمسين آية. . . بستين آية ونحو ذلك.

* عن أبي عثمان أن عمر جمع القراء في رمضان فأمر أخفهم أن يقرأ ثلاثين آية، وأوسطهم خمسًا وعشرين، وأثقلهم قراءة عشرين.

* عن سعيد بن عامر عن أسماء بن عبيد قال: دخلنا على أبي رجاء العطاردي، قال سعيد: زعموا أنه كان بلغ ثلاثين ومائة، فقال: يأتوني فيحملوني كأنه قفة حتى يضعوني في مقام الإمام فأقرأ بهم الثلاثين آية، وأحسبه قد قال: أربعين آية في كل ركعة.

---

(١) جمع فرع وهو أعلى الشيء أي: في أعالي الفجر.

(٢) «مختصر قيام الليل» ص(٩٦، ٩٧).

يعني: في رمضان.

* وعن عمر بن المنذر قال: كنت أقوم للناس في زمان عبد اللَّه بن الزبير فكنا نقرأ بخمسين آية في كل ركعة. وأمر عمر بن عبد العزيز القراء في رمضان أن يقوموا بست وثلاثين ركعة، ويوتروا بثلاث، ويقرأوا في كل ركعة عشر آيات.

* وعن علي بن الأقمر: أمّنا مسروق في رمضان، فقرأ في ركعة بسورة العنكبوت.

* وعن أبي مجلز أنه كان يقرأ بهم سُبع القرآن في كل ليلة.

* وكان بشير بن نهيك يفعل ذلك. وعن ميمون بن مهران: أدركت القارئ إذا قرأ خمسين آية قالوا: إنه ليخفف، وأدركت القراء في رمضان يقرءون القصة كلها قصرت أو طالت، فأما اليوم فإني أقشعر من قراءة أحدهم يقرأ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾، ثم يقرأ في الركعة الأخرى ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾.. ﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾. وعن عبد الرحمن بن القاسم قال: سئل مالك عن قيام رمضان بكم يقرأ القارئ؟ قال: بعشر عشر، فإذا جاءت السور الخفيفة فيلزدد مثل الصافات وطسم، فقيل له: خمس، قال: بل عشر آيات.

* وقال أبو داود: سئل أحمد عن الرجل يقرأ القرآن مرتين في رمضان يؤم الناس؟ قال: هذا عندي على قدر نشاط القوم، وإن فيهم العمال.

قال ابن رجب في «لطائف المعارف» ص(١٨): «وكلام الإمام

أحمد، يدل على أنه يراعي في القراءة حال المأمومين، فلا يشق عليهم، وهذا قاله أيضًا غيره من الفقهاء من أصحاب أبي حنيفة وغيرهم».

وقال ابن رجب: كان في زمن التابعين يقرءون بالبقرة في قيام رمضان في ثمان ركعات، فإن قرأ بها في اثنتي عشرة ركعة رأوا أنه قد خفف.

قال ابن منصور: سئل إسحاق راهويه: كم يقرأ في قيام شهر رمضان؟ فلم يرخص في دون عشر آيات، فقيل له: إنهم لا يرضون، فقال: لا رضوا، لا تؤمنهم إذا لم يرضوا بعشر آيات من البقرة، ثم إذا صرت إلى الآيات الخفاف فبقدر عشر آيات من البقرة في كل ركعة. وكره مالك أن يقرأ دون عشر آيات».

اختيار قيام آخر الليل على أوله

تقدم قول عمر بن الخطاب: «والتي تنامون عنها أفضل من التي تقومون» يريد آخر الليل، وكان الناس يقومون أوله وينامون آخره.

* وكان علي بن أبي طالب إذا تعشى في رمضان هجع هجعة، ثم يقوم إلى الصلاة فيصلي.

وعن عكرمة قال: كنا نصلي، ثم أرجع إلى ابن عباس فأوقظه، فيصلي، فيقول لي: يا عكرمة هذه أحب إلي مما تصلون ما تنامون من الليل أفضله يعني: آخره.

* وعن أبي داود: قيل لأحمد وأنا أسمع: يؤخر القيام - يعني: التراويح - إلى آخر الليل؟ قال: لا، سنة المسلمين أحب إلي.

حضور النساء الجماعة في قيام رمضان:

عن جابر قال: جاء أبيّ بن كعب في رمضان، فقال: يا رسول اللَّه كان مني الليلة شيء، قال: «ما ذاك يا أبيّ؟»، قال: نسوة داري قلن: إنا لا نقرأ القرآن، فنصلي خلفك بصلاتك، فصليت بهن ثمان ركعات، والوتر، فسكت عنه وكان شبه الرضا(١).

* وعن هشام بن عروة عن أبيه: جعل عمر بن الخطاب للناس قارئين: فكان أبيّ بن كعب يصلي بالرجال، وكان ابن أبي حثمة يصلي بالنساء(٢).

وعند سعيد بن منصور عن عروة: «أن عمر جمع الناس على أبيّ بن كعب يصلي بالرجال، وكان تميم الداري يصلي بالنساء».

قال ابن حجر في «الفتح» (٤/ ٢٩٧): «ورواه محمد بن نصر في «قيام الليل» له من هذا الوجه فقال: سليمان بن أبي حثمة: بدل تميم الداري ولعل ذلك كان في وقتين».

* وقال عرفجة الثقفي: أمرني عليّ فكنت إمام النساء في قيام رمضان. وعن ابن أبي مليكة أن ذكوان أبا عمرو كانت عائشة أعتقته عن دبر، فكان يؤمها ومن معها في رمضان في المصحف قال: وكان يؤمها من يدخل عليها، إلا أن يدخل عبد اللَّه بن عبد الرحمن بن أبي بكر فيصلي بها.

(١) أخرجه محمد بن نصر، وقال الهيثمي: إسناده حسن. قال الألباني: هذا الحديث عندي محتمل للتحسين.

(٢) «مختصر قيام الليل» ص(٩٨).

*وقال إبراهيم: كنت أصلي زمن الحجاج وما خلفي إلا امرأة.

* وعن عامر وعطاء قالا: لا بأس أن يؤم الرجال النساء ليس معهن رجل. وعن الحسن: لا بأس أن يؤم الرجل النساء في رمضان، وكره ذلك حماد بن أبي سليمان.

عن العلاء بن المسيب قال: قلت لحماد بن أبي سليمان: أقوم بأهلي في رمضان؟ قال: لا، إلا أن يكون معك رجل، أرأيت إن أحدثت وليس معك رجل، من تُقدِّم؟

قال محمد بن نصر: «والأمر عندنا أنه لا بأس أن يؤم الرجل النساء، وإن لم يكن خلفه رجل اتباعًا لما روينا عن النبي ﷺ، ثم عن عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب أنهما أمرا بذلك ففُعل بحضرة المهاجرين والأنصار وسائر الصحابة، ولم يأتنا عن أحد منهم أنه كره ذلك ولا عابه، وقد رخص فيه جماعة من التابعين، ولم يجئنا عن أحد قبل حماد بن أبي سليمان أنه كره ذلك،ووافقه على ذلك سفيان الثوري، ولا نعرف لكراهة ذلك وجهًا.

أما قول حماد: أرأيت إن أحدثت مَنْ تقدم؟ فإن هذا ليس بحجة، إنما سئل عن مسألة، لعله لا يحدث أبدًا، فإن أحدث فالجواب: إذا أحدث فإنه ينصرف ويتوضأ، فإن كان ممن يرى البناء على صلاته، بنى على صلاته، وأما مَنْ خلفه من النساء فإنهن يتممن صلاتهن وُحدانًا، وإن أمتهن إحداهن فيما بقي من الصلاة أجزأتهن أيضًا صلاتهن. والذي نختار للإمام إذا أحدث أن يتوضأ ويعيد صلاته، وصلاة من خلفه جائزة.

أما كراهية سفيان لذلك؛ لأن مذهبه الإمام إذا فسدت صلاته فسدت صلاة من خلفه»[١].

* قال صاحب «الروضة الندية» عن صلاة الرجل بالنساء: «ومن زعم أن ذلك لا يصح فعليه الدليل» ا. هـ.

المرأة تؤم النساء في قيام رمضان وغيره:

عن أم ورقة الأنصارية: أن رسول اللَّه ﷺ أمرها أن تؤم أهل دارها، وكان رسول اللَّه ﷺ يزورها ويسميها «الشهيدة»، وكان لها مؤذن[٢].

وعن قتادة عن أم الحسن: رأيت أم سلمة تؤم النساء في رمضان وهي في الصف معهن لا تقدمهن.

* وعن الشعبي وإبراهيم قالا: تؤم المرأة النساء في رمضان تقوم وسطهن.

وعن تمام بن نجيح قال: قلت للحسن: أتؤم المرأة النساء؟ قال: نعم. تقوم معهن في الصف، فإذا ركعت تقدمت خطوة أو خطوتين، ثم لتسجد، فإذا قامت رجعت إلى مقامها.

قلت: أتؤذن؟ قال: نعم، وتقيم. وعن رائطة الحنفية: أن عائشة

(١) «مختصر قيام الليل» ص(٩٩).

(٢) قال الصنعاني في «سبل السلام» (٢/ ٢٩) عن إمامة المرأة للرجال: «أجاز المزني وأبو ثور إمامة المرأة، وأجاز الطبري إمامتها في التراويح إذا لم يحضر من يحفظ القرآن وحجتهم حديث أم ورقة وحملوا أحاديث النهي على التنزيه».

كانت تؤم النساء تقوم بينهن في المكتوبة.

من كره ذلك:

عن ابن عون قال: كتبت إلى نافع أسأله عن المرأة تؤم النساء، فكتب: إن المرأة لا تؤم النساء.

وعن مالك قال: لا ينبغي للمرأة أن تـؤم أحـدًا، وقـد كان أزواج النبي ﷺ، والمهاجرات فما أمّت امرأة منهن قط أحدًا، ولا غيرهن.

وعنه: إذا أمت امرأة النساء يُعدْن ما كنّ في وقت.

وعن سفيان: نحن نكره أن تؤمهن مخافة أن تحدث، وعنه: والمرأة تؤم النساء، وتقوم وسط منهن في الصف.

* وقال إسحاق: قلت لأحمد: المرأة تؤم النساء؟ قال: نعم. تقوم وسطهن.

قال إسحاق: فأما سفيان الثوري، ومن سلك طريقه، فرأوا أن المرأة إذا أمت النساء، وقامت وسطهن إن صلاتهن جائزة، وقال: هذا على ما جاء عن النبي ﷺ في أم ورقة الأنصارية حين أمرها أن تؤم أهل دارها، وأخذ بذلك بعد النبي ﷺ عائشة وأم سلمة. قال: وهذا الذي نعتمد عليه.

وقال إسحاق أيضًا: فأما من قال: صلاتهن فاسدة إذا أمتهن امرأة فهو خطأ؛ لأن أدنى معاني أمر النبي ﷺ لأم ورقة أن تكون ذلك رخصة لهن»[1] ا. هـ. وإلى قول إسحاق ذهب ابن حنبل، ومحمد بن نصر.

---

(١) «مختصر قيام الليل» ص(٩٨ ـ ٩٩).

وعن الحسن: «سئل عن رجل ليس معه ما يقرأ به في رمضان، وفي الدار امرأة تقرأ أيصلي بصلاتها؟ قال: نعم.

قال ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٢٣/ ٢٤٨): «ولهذا جوّز أحمد على المشهور عنه أن تؤم المرأة الرجال لحاجة، مثل أن تكون قارئة، وهم غير قارئين، فتصلي بهم التراويح، كما أذن النبي ﷺ لأم ورقة أن تؤم أهل دارها، وجعل لها مؤذنًا، وتتأخر خلفهم وإن كانوا مأمومين بها للحاجة، وهو حجة لمن يجوز تقدم المأموم لحاجة» ا. هـ.

الإمام يؤم في القيام يقرأ في المصحف:

* مرّ بك أن عائشة كان يؤمها غلام لها في المصحف وكان يقال له ذكوان ـ في رمضان بالليل ـ.

* وسئل ابن شهاب عن الرجل يؤم الناس في رمضان في المصحف؟ قال: ما زالوا يفعلون ذلك منذ كان الإسلام، كان خيارنا يقرءون في المصاحف.

وعن إبراهيم بن سعد، عن أبيه: أنه كان يأمره أن يقوم بأهله في رمضان، ويأمره أن يقرأ لهم في المصحف يقول: أسمعني صوتك.

وعن قتادة عن سعيد بن المسيب في الذي يقوم في رمضان إذا كان معه ما يقرأ به في ليلة، وإلا فليقرأ من المصحف، فقال الحسن: ليقرأ بما معه ويردده، ولا يقرأ من المصحف، كما تفعل اليهود. قال قتادة: وقول سعيد أعجب إليّ.

* وعن محمد بن سيرين أنه كان لا يرى بأسًا أن يؤم الرجل القوم

في التطوع يقرأ في المصحف.

* وقال عطاء في الرجل يؤم في رمضان من المصحف لا بأس به. وقال يحيى بن سعيد الأنصاري: لا أرى بالقراءة من المصحف في رمضان بأسًا ـ يريد القيام به ـ.

وعن ابن وهب قال: سُئل مالك عن أهل قرية ـ ليس أحد منهم جامعًا للقرآن أترى أن يجعلوا مصحفًا يقرأ لهم رجل منهم فيه؟ قال: لا بأس به، فقيل له: فالرجل الذي قد جمع القرآن أترى أن يصلي في المسجد خلف هذا الذي يقوم بهم في المصحف أو يصلي في بيته؟ فقال: لا، ولكن ليصل في بيته.

* وعن أحمد في رجل يؤم في رمضان في المصحف فرخّص فيه، فقيل له: ما يؤم في الفريضة قال: ويكون هذا؟. وعنه أيضًا: وقد سئل هل يؤم في المصحف في رمضان؟ قال: ما يعجبني إلا أن يضطر إلى ذلك. وبه قال إسحاق»[1] ا. هـ.

* وفي «مسائل الأمام أحمد من رواية إسحاق» ص(٩٧): «سألته عن: الرجل يؤم في شهر رمضان في المصحف؟ فقال: لا بأس به، قد كانت عائشة تأمر مولى لها يؤمها في شهر رمضان في المصحف، وعدة من أصحاب النبي ﷺ، والحسن ومحمد بن سيرين، وعطاء لم يكونوا يرون به بأسًا»، وقال أيضًا إسحاق: «أمرني أبو عبد اللَّه أن أؤم الناس في المصحف ففعلته» ا. هـ.

(١) «مختصر قيام الليل» ص(١٠١).

من كره أن يؤم في المصحف:

نقل الإمام محمد بن نصر المروزي في كتابه «قيام الليل» من كره القيام والقراءة في المصحف فقال: «عن الأعمش، عن إبراهيم كانوا يكرهون أن يؤم الرجل في المصحف كراهية أن يتشبهوا بأهل الكتاب.

* عن مجاهد أنه كره أن يؤم الرجل في المصحف. وعن الشعبي: أنه كره أن يقرأ الإمام في المصحف وهو يصلي. وقال سفيان: «يكره أن يؤم الرجل القوم في رمضان في المصحف، أو في غير رمضان يكره أن يتشبه بأهل الكتاب.

وعن أبي حنيفة في الرجل يؤم القوم يقرأ في المصحف: إن صلاته فاسدة، وخالفه صاحباه فقالا: صلاته تامة، ويكره هذا الصنيع؛ لأنه من فعل أهل الكتاب. قال محمد بن نصر: «ولا نعلم أحدًا قبل أبي حنيفة أفسد صلاته، وإنما كره ذلك قوم؛ لأنه من فعل أهل الكتاب، فكرهوا لأهل الإسلام أن يتشبهوا بهم. فأما فساد صلاته فليس لذلك وجه نعلمه؛ لأن قراءة القرآن هي من عمل الصلاة، ونظره في المصحف كنظره إلى سائر الأشياء التي ينظر إليها في صلاته، ثم لا يفسد صلاته بذلك في قول أبي حنيفة وغيره، فشبه ذلك بعض من يحتج لأبي حنيفة بالرجل يعترض كتب حسابه، أو كتبًا وردت عليه فيقرأها في صلاته، وإن لم يلفظ بها فإن ذلك يفسد صلاته كما يزعم». قال محمد بن نصر: قراءة القرآن بعيدة الشبه عن قراءة كتب الحساب والكتب الواردة؛ لأن قراءة القرآن من عمل الصلاة، وليست قراءة كتب الحساب من عمل الصلاة في شيء. فمن فعل ذلك فهو كرجل عمل في صلاته عملاً ليس

من أعمال الصلاة، فما كان من ذلك خفيفًا يشبه ما روي عن النبي ﷺ أنه فعله في صلاته مما ليس هو من أعمال الصلاة، و كان يقارب ذلك جازت الصلاة، وما جاوز ذلك فسدت صلاته»(١) ا. هـ.

التعوذ عند القراءة في قيـــام رمضان

قال ابن شهاب: ما زال القراء في رمضان حين يصلون إذا ختموا أم القرآن يستعيذون من الشيطان فيرفعوا أصواتهم في كل ركعة: «نعوذ بك من الشيطان الرجيم، إنك أنت السميع العليم، سبحانك رب العالمين بسم الله الرحمن الرحيم».

* قال أبو الزناد: أدركت القراء إذا قرءوا في رمضان يتعوذون بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، ثم يقرءون، وكان إذا قام في رمضان يتعوذ حتى لقي الله، لا يدع ذلك.

* وكان قراء عمر بن عبد العزيز لا يدعون التعوذ في رمضان.

* وقال ابن وهب: سألت مالكًا قلت: أيتعوذ القارئ في النافلة؟ قال: نعم. في شهر رمضان يتعوذ في كل سورة، يقرأ بما يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. قيل له: يجهر بذلك؟ قال: نعم. قلت: ويجهر في قيام رمضان بسم الله الرحمن الرحيم؟ فقال لي: نعم.

* وعن ابن القاسم: سئل مالك عن القراءة إذا كبر الإمام افتتح أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؟ قال: لا أعلمه يكون إلا في رمضان،

---

(١) «مختصر قيام الليل» ص(١٠١، ١٠٢).

فإن قراءنا يفعلون ذلك، وهو من الأمر القديم.

* وكان إسحاق يرى أن يجهر الإمام بـ بسم الله الرحمن الرحيم في قيام رمضان في كل سورة» ا. هـ.

قال الشيخ عطية محمد سالم في كتابه «التراويح» ص(٤٩، ٥٠، ١٦٣، ١٦٤):

«عن سعيد بن إياس قال: رأيت أهل المدينة إذا فرغوا من أم القرآن ﴿ولا الضالين﴾، وذلك في شهر رمضان يقولون: ربنا إنا نعوذ بك من الشيطان الرجيم.

ـ أما حكم المسألة عند مالك، فكما قال الباجي في «شرح الموطأ» (مسألة) ولا بأس بالاستعاذة للقارئ في رواية ابن القاسم عن مالك في المدونة.

روي عنه ابن أشهب في «العتبية» ترك ذلك أحبّ إليّ. وقد وجه الباجي كلا الروايتين. والواقع أن البسملة كما قيل إنها حرف. أي: جاءت رواية في القراءات السبع بإثباتها، ورواية بإسقاطها، وهما عن نافع ـ رحمه اللّه ـ.

فرواية ورش ترك البسملة. ورواية قالون عنه إثباتها وعليه البيت الآتي في القراءات:

قالون بين السورتين بسملا   وورش عنه الوجهان نقلا

ونافع هو قارئ المدينة، وعنه أخذ مالك، ومالك في ذلك رجح قراءة قالون، والرواية عن ورش التي فيها الإثبات.

قال الباجي في «شرح الموطأ» في هذا المبحث (ج١ ص٢٠٨) ما نصه:

{ (مسألة): ولا بأس بالاستعاذة يعني: في رمضان في رواية ابن القاسم عن مالك في المدونة. وروي عن أشهب في «العتبية»: ترك ذلك أحب إليّ.

وجه رواية ابن القاسم قوله تعالى: ﴿**فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾ أن الآية عنده محمولة على القراءة في غير الصلاة؛ لأن هذا اللفظ ليس من المألوف فلم يسن الإتيان به مع القراءة كسائر الكلام.

(فرع) فإذا قلنا بجواز ذلك فقد روى ابن حبيب عن مالك: بالجهر بذلك. وروى أشهب عن مالك: كراهة الجهر بذلك.

وجه رواية ابن حبيب أنه ذكر مشهور حال القيام، فكأن حكمه في السر والجهر حكم القراءة. ووجه رواية أشهب له أنه ليس من المعجز فكان شأن الإسرار ليفرق بينه وبين المعجز.

وروى ابن حبيب عن مالك ذلك في افتتاح القارئ. قال ابن حبيب: أن يفتتح بها في كل ركعة» ا. هـ.

* * *

باب
ما يبدأ به في أول ليلة من القرآن من قيام رمضان

قال أبوحازم: «كان أهل المدينة إذا دخل رمضان يبدءون في أول ليلة بـ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ا. هـ.

قال في «الإنصاف» (٢/ ١٨٤): «يستحب أن يبتدئها بسورة القلم؛ لأنها أول ما نزل نص عليه، فإذا سجد قرأ من البقرة، هذا المذهب».

الصلاة بين التراويح:

* قال بحير بن رَيسان: رأيت عبادة بن الصامت يزجر أناسًا يصلّون بعد تراويح الإمام في رمضان فلما أبوا أن يطيعوه، قام إليهم فضربهم.

* وكان عقبة بن عامر يوكل بالناس في رمضان رجالاً يمنعونهم من السبحة بين الأشفاع، لئلا يدرك رجلاً الصلاة وهو في سبحته»[(١)].

* وفي «مسائل الإمام أحمد» لابنه عبد اللّه ص(٩٦): «قال عقبة ابن عامر: لا تشبهوها بالفريضة».

* وقال أبو الدرداء: «مَنْ خالفنا في صلاتنا فليس منا ـ يعني الصلاة بين التراويح ـ».

* ورأى عمران بن سليم رجلاً يصلي بين الترويحتين في رمضان فجذبه، وقال: لا تخالف القوم في صلاتهم.

(١) «مختصر قيام الليل» ص(١٠٣).

* وقيل لأحمد: لا يصلي الإمام بين التراويح، ولا الناس؟

قال: لا يصلي، ولا الناس.

* وسئل أحمد عن قوم صلوا في رمضان خمس ترويحات، لم يتروحوا بينها؟ وقال: لا بأس.

* وكره إسحاق الصلاة بين التراويح» ا. هـ.

* وفي «مسائل الإمام أحمد» لابنه عبد اللَّه ص(٩٩): «كان يكرهه، وقال: أذهب إلى حديث عبادة، وعقبة بن عامر أنهم كرهوه».

من رخص في الصلاة بين التراويح:

الزهري، وعامر بن عبد اللَّه بن الزبير، وأبو عمرو، وسعيد بن عبد العزيز، والليث بن سعد، وابن جابر، وبكر بن نصر، وأبو بكر بن حزم، ويحيى بن سعيد، وابن عبيدة، وقيس بن رافع، والأوزاعي، وابن المبارك، وأبو معاوية، وسُعَيْر بن الخِمْس، وقتادة، وإبراهيم، وصفوان، وعبد الرحمن بن الأسود، وعبدة بن أبي لبابة، ومالك، والحسن.

قال محمد نصر: «سئل الزهري عن الصلاة في قيام رمضان بين الأشفاع؟ فقال: إن قويت على ذلك فافعله. وكان عامر بن عبد اللَّه بن الزبير، وأبو عمرو، وسعيد بن عبد العزيز، والليث بن سعد، وابن جابر، وبكر بن مضر، وأبو بكر بن حزم، ويحيى بن سعيد، وابن عبيدة، وقيس بن رافع، والأوزاعي، وابن المبارك، وأبو معاوية، وسعير ابن الخمس يصلون بين الأشفاع. وقال مالك: لا بأس به.

وعن قتادة: أنه كان لا يرى بأسًا أن يقوم الرجل بين الترويحتين فيصلي ولا يركع حتى يقوم الإمام فيدخل معه في صلاته.

* ولم ير الحسن بأسًا أن يقوم بين الترويحتين يصلي، ويدخل مع الإمام في صلاته، ولا يركع. وعن إبراهيم مثل ذلك.

وقال صفوان: رأيت أشياخنا منهم من يصلي بين الترويحتين، ومنهم من لا يصلي، وكل ذلك حسن.

* وكان عبد الرحمن بن الأسود يصلي بين كل ترويحتين لنفسه كذا وكذا ركعة.

* وعن عبدة بن أبي لبابة في التطوع بين الترويحتين في قيام رمضان: لا بأس بذلك. قال: «ونحن نتطوع فيما بين المكتوبة إلى المكتوبة، فهذا أحرى أن يركع فيما بينهما، وإنما هو تطوع».

* وفي «الإنصاف» للمرداوي (حنبلي) ص(١٨٣): «الصحيح من المذهب: أنه يكره الطواف بين التراويح مطلقًا.

* وفي «مسائل الإمام أحمد» من رواية إسحاق بن إبراهيم ص(٩٧): «سألت أبا عبد اللَّه عن: الصلاة بين التراويح؟

فقال: «مكروه، لا يصلَّى بين التراويح شيء، لا تشبه بالمكتوبة، كانوا يضربون عليها، يعني: من تطوع بين التراويح».

* قال ابن عبد البر في «الاستذكار» (١/ ٣٣٧): «قال الأثرم: سمعت أحمد بن حنبل يُسأل عن الصلاة بين التراويح، فكرهها، فذكر له رخصة عن بعض الصحابة، فقال: هذا باطل، ما فيه رخصة عن

سعيد بن جبير، والحسن، وإبراهيم. قال أحمد: وفيه عن ثلاثة من الصحابة كراهية: عبادة بن الصامت، وأبي الدرداء، وعقبة بن عامر» ا. هـ.

* وفي «المغني» (٢/ ١٢٥) نحوه: «قال أحمد: يتطوع بعد المكتوبة، ولا يتطوع بين التراويح. وروى الأثرم: عن أبي الدرداء أنه أبصر قومًا يصلون بين التراويح، فقال: ما هذه الصلاة؟ أتصلي وإمامك بين يديك، ليس منا من رغب عنّا، وقال: «من قلة فقه الرجل أن يُرى بالمسجد وليس في صلاة» ا. هـ. من «المغني».

إمامة الغلام الذي لم يحتلم في قيام رمضان وغيره:

* «عن عمرو بن سلمة قال: جاء نفر من الحي إلى رسول اللَّه ﷺ فسمعوه يقول: «يؤمكم أكثركم قرآنًا»، قال: فقدموني بين أيديهم، وأنا غلام فكنت أؤمهم.

* عن عائشة: كنا نأخذ الصبيان من الكتّاب ونقدّمهم يصلون لنا شهر رمضان فنعمل لهم القَلِيّة[1] والخشكار[2].

* وعن الحسن: لا بأس بإمامة الغلام الذي لم يحتلم في رمضان إذا أحسن الصلاة.

* وعن ابن شهاب: لم يزل يبلغنا أن الغلمان يصلون بالناس إذا عقلوا الصلاة، وقرءوا القرآن في رمضان وغيره وإن لم يحتلموا.

---

(١) القلية: جمع قلايا تتخذ من لحوم الجزور وأكبادها.

(٢) خبز السمراء.

مَنْ لم يجيزوا ذلك:

عن ابن عباس: لا يؤم الغلام حتى يحتلم. وعن عطاء مثله. وقال الليث: لا نرى ذلك.

* وقال يحيى بن سعيد: لا يؤم الغلام إذا لم يحتلم في المكتوبة، ولا بأس أن يؤم في رمضان إذا اضطروا إليه يؤم من لا يقرأ شيئًا.

وعن مجاهد: لا يؤم الصبي حتى يحتلم. وقال سفيان: يكره أن يؤم الغلام القوم حتى يحتلم. وعن إبراهيم: لا يؤم الصبي في المكتوبة حتى يحتلم. وقال مالك: لا يؤم الصبي في رمضان ولا غيره.

وقال الشافعي: إذا أمّ الغلام الذي يعقل الصلاة ويقرأ الرجال البالغين، فأقام الصلاة أجزأتهم إمامته، والاختيار أن لا يؤم إلا بالغ، وأن يكون الإمام البالغ عالمًا بما يعرض له في الصلاة.

* وعن أبي داود عن أحمد: لا يؤم الغلام حتى يحتلم، قلت: حديث عمرو بن سلمة قال: لعله كان في بدء الإسلام.

* وعن إسحاق: أمّا إمامة الغلام بعد أن يعقل الإمامة ويفقه الصلاة فجائزة وإن لم يحتلم، وفيما قال النبي ﷺ: «يؤم القوم أقرؤهم، وإن كان أصغرهم» دلالة على ذلك.

* وقال سعيد بن المسيب في الصبي إذا أحصى الصلاة وصام رمضان فلا بأس بالصلاة خلفه، وأكل ذبيحته.

* وقال الأوزاعي: إمامة الغلام الذي لم يحتلم جفاء، وحَدَثٌ في الإسلام، فإن قدمه فصلى بهم مضت صلاتهم.

قال محمد بن نصر: «والذي أذهب به في هذا الباب أن الأغلب في أمر الصبيان أنهم لا يتعاهدون طهارة أبدانهم وثيابهم، والطهارة للصلاة على ما تجب، ولا يعرفون سنن الصلاة، ولا النية، ولا الإخلاص لها، ولا الخشوع فيها، والإمام يدعو لمن خلفه ويستغفر لهم يُقال: هو شفيع القوم، وعليه تنزل الرحمة أولاً، فينبغي أن يختار للإمامة أفضل القوم، وأقرؤهم وأعلمهم بسنة الصلاة، والحوادث التي تحدث فيها.

وعن الحسن: كانوا يختارون الأئمة والمؤذنين.

قال: فأكره أن يتخذ الصبي إمامًا للمعاني التي ذكرت أنها يتخوف منهم.

وبعث عمر بن عبد العزيز بنين له إلى الطائف ليقرءوا القرآن، فتعلّم عبد العزيز وكان أكبرهم، فلما حضر رمضان قدّموه فيمن يؤمهم، ثم كتب إلى عمر يبشر بذلك، فكتب إلى صاحبه يلومه ويقول: قدّمت من لم يحتنكه السن، ولم تدخله النية إمام المسلمين في صلاتهم؟!. قال محمد بن نصر: فإن كان صبي قد قارب الإدراك، وعرف بتعاهد الصلاة والتطهر لها، ولم يكن في القوم مثله في القراءة فأمهم في شهر رمضان فذلك جائز، وصلاة مَنْ خلفه جائزة؛ لأنه متطوع وهم متطوعون لا اختلاف في ذلك نعلمه، وإن أمّهم في صلاة مكتوبة فقد اختلف في صلاة من خلفه: ففي مذهب أصحاب الرأي صلاتهم فاسدة؛ لأنه يتطوع وهم يؤدون الفرض، وغير جائز في قولهم أن يصلي الفرض خلف متطوع. وصلاتهم في قول الشافعي وأصحابه، وعامة أصحاب الحديث جائزة؛ لأنهم يجيزون إداء الفرض خلف الإمام المتطوع اتباعًا

لحديث معاذ بن جبل»[١] ا. هـ.

* * *

التعقيب

معناه: رجوع الناس إلى المسجد بعد انصرافهم عنه[٢]. وقال في «المغني» (٢/ ١٢٥): «وهو أن يصلي بعد التراويح نافلة أخرى جماعة، أو يصلي التراويح في جماعة أخرى».

نقل ابن نصر: {عن الحسن وقتادة أنهما كانا يكرهان التعقيب في رمضان. وعن سعيد بن جبير: أنه كره التعقيب في رمضان.

وعن الحسن أنه كره أن يعود إلى المسجد في رمضان إلى السحر.

وعن أنس: أنه كان لا يرى بأسًا بالتعقيب في رمضان، وقال: إنما يرجعون إلى خير يرجونه، ويفرون من شر يخافونه.

* وسئل أحمد عن التعقيب في رمضان؟ فقال: عن أنس فيه اختلاف، وسُئل عن قوم يتعقبون في رمضان فيقول المؤذن في الوقت الذي يتعقبون فيه: «حي على الصلاة، حي على الفلاح»، فقال: أخشى أن يكون هذا بدعة، وكرهه. قيل له: فيجيء رجل إلى أبواب الناس فيناديهم؟ قال: هذا أيسر} ا. هـ.

* وفي «المغني» (ج٢): «عن أحمد أنه لا بأس به، ونقل محمد ابن الحكم عنه الكراهة، إلا أنه قول قديم. والعمل على ما رواه

(١) «مختصر قيام الليل» من ص(١٠٤) إلى ص(١٠٦).

(٢) «مختصر قيام الليل» ص(١٠٦).

الجماعة. وقال أبو بكر: الصلاة إلى نصف الليل، أو آخره لم يُكره رواية واحدة. وإنما الخلاف فيما إذا رجعوا قبل النوم، والصحيح أنه لا يكره؛ لأنه خير وطاعة فلم يكره كما لو أخَّرَه إلى آخر الليل» ا. هـ.

* * *

باب
أخذ الأجر على الإمامة في رمضان

* «سئل الحسن عن القوم يستأجرون الأجير فيصلي بهم؟ قال: ليس له صلاة، ولا لهم.

وعن ابن المبارك: أكره أن يصلي بأجر. وقال: أخشى أن تجب عليهم الإعادة.

وسئل أحمد عن إمام قال لقوم: أصلي بكم رمضان بكذا وكذا درهمًا؟ قال: أسأل اللَّه العافية. مَنْ يصلي خلف هذا؟!»(١).

* وفي «مسائل الإمام أحمد» من رواية إسحاق ص(٩٧) قال: لا يُصلَّى خلفه ولا كرامة» ا. هـ.

* * *

(١) «مختصر قيام الليل» ص(١٠٧).

باب
قيام رمضان في أرض الحرب

قال محمد بن نصر المروزي: «حدثنا يزيد بن أبي مريم، حدثني أبو عبيد اللَّه قال: كنا بأرض الروم وعلينا ابن مسلمة، وفينا أناس كثير من أصحاب رسول اللَّه ﷺ فأقمنا في منزل فصمنا فيه رمضان وقمنا».

مسائل في ختم القرآن في التراويح

إذا نسي بعض آيات السورة أعادها ليلة الختمة:

سُئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن الإمام في شهر رمضان يدع الآيات من السورة ترى لمن خلفه أن يقرأها؟

قال: نعم. ينبغي له أن يفعل. قد كانوا بمكة يوكلون رجلاً يكتب ما ترك الإمام من الحروف وغيرها. فإذا كان ليلة الختمة أعاده.

قال الأصحاب: ـ كأبي محمد ـ وإنما استحب ذلك لتتم الختمة ويكمل الثواب. فقد جعل أهل مكة وأحمد وأصحابه إعادة المنسي من الآيات وحده يكمل الختمة والثواب، وإن كان قد أخلّ بالترتيب هنا، فإنه لم يقرأ تمام السورة»[(١)] اهـ.

الدعاء عند ختم القرآن من الجنس المشروع:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإذا دعا الرجل عقيب الختم لنفسه

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢١/ ٤١١).

ولوالديه ولمشايخه وغيرهم من المؤمنين والمؤمنات، كان هذا من جنس المشروع، وكذا دعاؤه لهم في قيام الليل وغير ذلك من مواطن الإجابة»[١] ا. هـ.

* «كان أنس إذا ختم القرآن جمع ولده وأهل بيته فدعا لهم. وقال مجاهد: تنزل الرحمة عند ختم القرآن، وكانوا يجتمعون عند ختم القرآن، ويقولون الرحمة تنزل.

وكان يوسف بن أسباط إذا ختم القرآن يقول: «اللَّهم لا تمقتنا، سبعين مرة»[٢].

رفع الأيدي عند ختم القرآن في التراويح:

قال أبو داود في «مسائل الإمام أحمد»: «رأيت أحمد سجد في ﴿ص﴾ خلف إمامه في التراويح، وفي ﴿إذا السماء انشقت﴾ عند ﴿لا يسجدون﴾، وفي ﴿اقرأ﴾ وختم به ليلة سبع وعشرين، فلما فرغ من قراءة ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ رفع الإمام يديه في الصلاة، ورفع الناس وأحمد معنا، فقام ساعة يدعو، ثم ركع، وكان ذلك عن رأي أبي عبد اللَّه، فلما أخبرت أنه أمر بذلك وشهدته يأمره بذلك ويخاوضه فيه.

قال أبو داود: سمعت أحمد قيل له: زعم الزبيري أنه إذا ختموا القرآن رفعوا أيديهم ودعوا في الصلاة؟ فقال: هكذا رأيتهم بمكة يفعلون

---

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢٤/ ٣٢٢).

(٢) «مختصر قيام الليل» ص(١١١، ١١٣).

وسفيان يومئذ حيّ يعني في قيام رمضان»[1] ا. هـ.

وفي «المغني» (٢/ ١٢٥): [قال الفضل بن زياد: سألت أبا عبد الله فقلت: أختم القرآن، أجعله في الوتر، أو في التراويح؟ قال: اجعله في التراويح حتى يكون لنا دعاء بين اثنين. قلت: كيف أصنع؟ قال: إذا فرغت من آخر القرآن فارفع يديك قبل أن تركع، وادع بنا ونحن في الصلاة، وأطل القيام. قلت: بما أدعو؟. قال: بما شئت. قال: ففعلت ما أمرني وهو خلفي يدعو قائمًا، ويرفع يديه. قال حنبل: سمعت أحمد يقول في ختم القرآن: إذا فرغت من قراءة: ﴿**قل أعوذ برب الناس**﴾ فارفع يديك في الدعاء قبل الركوع. قلت: على أي شيء تذهب في هذا؟ قال: رأيت أهل مكة يفعلونه، وكان سفيان بن عيينة يفعله معهم بمكة.

قال العباس بن عبد العظيم: «وكذلك أدركت الناس بالبصرة وبمكة، ويروي أهل المدينة في هذا شيئًا، وذُكر عن عثمان بن عفان».

* وفي «المغني» أيضًا: «قال أحمد: يقرأ بالقوم في شهر رمضان ما يخفف على الناس، ولا يشق عليهم، ولا سيما في الليالي القصار، والأمر على ما يحتمله الناس. وقال القاضي: لا يستحب النقصان عن ختمة في الشهر، ليسمع الناس جميع القرآن، ولا يزيد عن ختمة كراهية المشقة على من خلفه، والتقدير بحال الناس أولى، فإنه لو اتفق جماعة يرضون بالتطويل ويختارونه كان أفضل» ا. هـ.

قال أبو طالب: «سألت أحمد إذا قرأ: ﴿**قل أعوذ برب الناس**﴾

---

(١) «مسائل الإمام أحمد» لأبي داود ص(٦٣، ٦٤).

يقرأ من البقرة شيئًا؟ قال: لا، فلم يستحب أن يصل ختمته بقراءة شيء، ولعله لم يثبت فيه عنده أثر صحيح يصير إليه» ا. هـ. من «المغني».

وفي «الإنصاف» (حنبلي): «يدعو لختمه قبل الركوع آخر ركعة من التراويح، ويرفع يديه ويطيل، وموعظته بعد الختم وقراءة دعاء القرآن مع رفع الأيدي نص عليه» ا. هـ.

* يستريح بعد كل أربع ركعات بجلسة يسيرة فعله السلف، ولا بأس بتركه، ولا يدعو إذا استراح على الصحيح من المذهب، وكره ابن عقيل الدعاء.

* لا يكره الدعاء بعد التراويح على الصحيح من المذهب، وقيل يكره: اختاره ابن عقيل.

* «التراويح والوتر»: قال المرداوي في «الإنصاف»: «الصحيح من المذهب أن التراويح أفضل من الوتر والسنن الرواتب وعليه الجمهور»] ا. هـ.[1].

النية في التراويح: قال في «الإنصاف» (حنبلي): ولا بد من النية في أول كل تسليمة على الصحيح من المذهب».

وقال في «المبدع» (٢/١٧): «ولا تكفيها نية واحدة في الأصح» ا. هـ.

وقال النووي في «المجموع» ص(٤٩٥): «قال القاضي حسين: ولا

(١) «الإنصاف» (٢/ ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٥).

تصح بنية مطلقة، بل ينوي سنة التراويح، أو صلاة التراويح، أو قيام رمضان، فينوي في كل ركعتين من صلاة الوتر» ا. هـ.

من جاوز اثنتين في التراويح:

قال النووي في «المجموع» ص(٤٨٥): «لو صلى أربع ركعات لم يصح ذكره القاضي حسين» ا. هـ.

وفي «الإنصاف للمرداوي» (حنبلي): (٢/ ١٨٤): «قال الإمام أحمد فيمن قام من التراويح إلى ثالثة: يرجع وإن قرأ؛ لأن عليه تسليمة ولا بد» ا. هـ.

* وفي «الفتاوى السعدية» للشيخ عبد الرحمن السعدي ص(١٥): «إذا قام إلى ثالثة في التراويح فماذا يفعل؟ فأجاب: «إذا قام لثالثة سهوًا، فيلزمه العود فيرجع. ويجب عليه سجود السهو، ولا يكملها أربعًا؛ لأن المتنفل ليلاً إذا قام لثالثة يتعين عليه الرجوع، بخلاف المتنفل نهارًا، فإنه يخير والله أعلم» ا. هـ.

وفي «الفتاوى السعدية» أيضًا ص(١٦٢): «وإن جاوز اثنتين ليلاً، علم العدد، أو نسيه كره وصح هل هو وجيه أم لا؟ فأجاب: «إذا جاوز المصلي ليلاً ركعتين، فهل يكره كراهة، أو يمنع، ولا يجوز له الزيادة على ذلك؟ على قولين في المذهب: جروا في موضع من كلامهم على الكراهة فقط، وفي موضع آخر قالوا: وإن قام إلى ثالثة ليلاً، فكما لو قام إلى ثالثة في الفجر، فجروا على المنع، والحديث الصحيح: «صلاة الليل مثنى مثنى» يدل على هذا القول والله أعلم» ا. هـ. وأفضل الهدي هدي محمد ﷺ.

مسائل من التراويح:

* قال في «الإنصاف»: «أول وقتها بعد صلاة العشاء وسنتها على الصحيح من المذهب».

* لو اجتمع كسوف وتراويح؟

قال في «الإنصاف» (٢/ ٤٥٠): «يقدم الكسوف؛ لأنه آكد منها».

* من أدرك من ترويحة ركعتين؟

في «المغني» (٢/ ١٢٥): سُئل - أحمد - عمن أدرك من ترويحة ركعتين: يُصلي إليها ركعتين؟ فلم ير ذلك، وقال: «هي تطوع» ا. هـ.

صلاة من حول المسجد:

مسألة: في «المنتقى» للباجي: «قال ابن حبيب: ولا بأس أن يصلي من حول المسجد في دورهم بصلاة الإمام إذا سمعوا التكبير، ولا بأس أن يسمع الناس رجل التكبير ولا يفعل ذلك في الفرائض»[(١)].

قيام التراويح ليلة الشك:

قال في «المغني» (٢/ ١٢٥): «واختلف أصحابنا في قيام ليلة الشك، فحكي عن القاضي أنه قال: جرت هذه المسألة في وقت شيخنا أبي عبد الله فصلى، وصلاه القاضي أبو يعلى أيضًا؛ لأن النبي ﷺ قال: «**إن الله فرض عليكم صيامه، وسننت لكم قيامه**» فجعل الصيام مع القيام.

---

(١) «المنتقى» للباجي طبعة دار الفكر العربي ص(٢٠٧) - باب ما جاء في قيام رمضان.

وذهب أبو حفص العكبري إلى ترك القيام. وقال: المعوّل في الصيام على حديث ابن عمر، وفعل الصحابة والتابعين، ولم يُنقل عنهم قيام تلك الليلة، واختاره التيميون؛ لأن الأصل بقاء شعبان، وإنما صرنا إلى الصوم احتياطًا للواجب، والصلاة غير واجبة فتبقى على الأصل» ا. هـ.

دعاء الختم:

«نص الدعاء عند ختم القرآن في المسجد النبوي في هذا الوقت الحاضر في التراويح.

من المعلوم أنه لا توجد نصوص خاصة بذلك ولا معينة له؛ لأن النبي ﷺ لم يقرأ القرآن كله في الليالي التي صلاها أول الأمر، فلم يؤثر عنه دعاء في ذلك.

ولكن قال ابن دقيق العيد: ما كان مشروعًا بأصله فهو جائز بوصفه. أي: أن الدعاء مشروع بأصله، وهو مخ العبادة. وقال تعالى في أصل ذلك: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، وحث ﷺ على الاجتهاد في الدعاء في السجود بدون تحديد لا في الآية ولا في الحديث. ومن هنا كان الأصل في الدعاء الإطلاق والعموم إلا ما جاء منصوصًا عليه، كالدعاء في القنوت، أو في آخر التشهد أو في أول الافتتاح في الصلاة. وكذلك عند دخول المسجد وخروجه وغير ذلك فمثل هذا تكون السنة فيه التقيد بما ورد.

وما عداه فهو على عمومه يجتهد الداعي بما تيسر له، كما فعل ﷺ في غزوة بدر.

وهكذا في هذا العمل فهو موضع اجتهاد، وقد تقدم عنه ﷺ أنه كان يجمع أهله ويدعو. ولم يعثر على نص معين. كما تقدم عموم لفظة: فله دعوة مستجابة، أي: بعد ختم القرآن وصلاة فريضة على ما سبق بحثه.

ومن هنا لم يتقيد أحد بنص معين بل يتخير من الدعاء ما تيسر له مما يحقق له رغباته ويعبر عن حاجاته ومتطلباته سواء من الأدعية العامة المأثورة، أو من غيرها. وتقدمت إجابة أحمد للسائل عن الدعاء في الختم فقال: ادع بما شئت.

وقد نسب لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ نصوصًا للدعاء في هذا العمل، وهو دعاء جامع شامل، وليس بالطويل المسهب، ولا بالقصير الموجز، وهو المختار في الحرمين في هذ الوقت ونصه:

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين، صدق اللَّه العظيم الذي لا إله إلا هو، المتوحد في الجلال بكمال الجمال تعظيمًا وتكبيرًا، المنفرد بتصريف الأحوال على التفصيل والإجمال تقديرًا وتدبيرًا، والمتعالي بعظمته ومجده الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا، وصدق رسوله ﷺ تسليمًا كثيرًا، الذي أرسله إلى جميع الثقلين الجن والإنس بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى اللَّه بإذنه وسراجًا منيرًا، اللَّهم لك الحمد على ما أنعمت به علينا من نعمك العظيمة وآلائك الجسيمة، حيث أنزلت علينا خير كتبك وأرسلت إلينا أفضل رسلك وشرّعت لنا أفضل شرائع دينك، وجعلتنا من خير أمة أخرجت للناس،وهديتنا لمعالم دينك الذي ارتضيته لنفسك وبنيته على خمس: شهادة أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول

اللَّه، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان وحج بيت اللَّه الحرام.

ولك الحمد على ما يسرته من صيام شهر رمضان وقيامه وتلاوة كتابك العزيز الذي: ﴿**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾. اللَّهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد. اللَّهم إنا عبيدك بنو عبيدك بنو إمائك نواصينا بيدك ماضٍ فينا حكمك، عدل فينا قضاؤك. نسألك اللَّهم بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علّمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ونور صدورنا وجلاء أحزاننا، وذهاب همومنا وغمومنا. اللَّهم ذكّرنا منهم ما نسينا وعلّمنا منه ما جهلنا، وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يرضيك عنا، واللَّهم اجعلنا ممن يحلُّ حلاله ويحرم حرامه، ويعمل بمحكمه ويؤمن بمتشابهه ويتلوه حق تلاوته، اللَّهم اجعلنا ممن يقيم حدوده ولا تجعلنا ممن يقيم حروفه ويضيع حدوده. اللَّهم اجعلنا ممن اتبع القرآن فقاده إلى رضوانك والجنة، ولا تجعلنا ممن اتبعه القرآن فزج في قفاه إلى النار، واجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهلك وخاصتك يا أرحم الراحمين: اللَّهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات وألِّف بين قلوبهم، وأصلح ذات بينهم، وانصرهم على عدوك وعدوهم، واهدهم سبل السلام، وأخرجهم من الظلمات إلى النور، وبارك لهم في أسماعهم، وأبصارهم وذرياتهم وأزواجهم أبدًا ما أبقيتهم واجعلهم شاكرين لنعمك مثنين بها عليك. وأتمها عليهم برحمتك يا أرحم الراحمين، اللَّهم اغفر لجميع موتى

المؤمنين الذين شهدوا لك بالوحدانية ولنبيك بالرسالة وماتوا على ذلك. اللهم اغفر لهم وارحمهم وعافهم واعف عنهم وأكرم نزلهم ووسِّع مدخلهم واغْسِلْهم بالماء والبرد ونقِّهم من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِين سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِين آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ اللهم إنا نسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم، ونسألك من خير ما سألك منه عبدك ورسولك محمد ﷺ وعبادك الصالحون.

ونعوذ بك من شر ما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد ﷺ وعبادك الصالحون.

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرَّب إليها من قول وعمل، ونسألك رضاك والجنة ونعوذ بك من سخطك والنار، اللَّهم لا تدع لنا ذنبًا إلا غفرته، ولا همًّا إلا فرّجته، ولا دينًا إلا قضيته، ولا مريضًا إلا شفيته وعافيته، ولا حاجة هي لك رضًا ولنا فيها صلاح إلا قضيتها يا أرحم الراحمين: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧]، ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]، ﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]، ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ

رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الصافات: ١٨٠ : ١٨٢] وصلى اللَّه على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

هذا نص الدعاء المنسوب لشيخ الإسلام ابن تيمية، ولكن فضيلة الإمام الشيخ عبد العزيز بن صالح يزيد فيه جملاً مناسبة منها:

اللَّهم لا تجعل فينا ولا منا ولا معنا شقيًا ولا محرومًا.

اللَّهم إنك أمرتنا بالدعاء ووعدتنا بالإجابة فلا تردّنا خائبين.

اللَّهم اجعلنا من عتقائك من النار ومن المقبولين.

اللَّهم إن رحمتك أوسع من ذنوبنا وعفوك أوسع من خطايانا.

اللَّهم هب المسيئين منا للمحسنين.

اللَّهم أنت الغني عنا ونحن الفقراء إليك.

إلى مثل ذلك من العبارات التي تحرك القلب وتزكي الروح، ثم يختم بنحو قوله: ﴿ **سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [الصافات: ١٨٠ : ١٨٢] وصل اللَّهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ثم يركع ويكمل صلاة الركعتين. ثم يأتي بركعتي الشفع، ثم بركعة الوتر، ولا يقام عمل ختم آخر نظرًا لعدم تعدد الإمامة في الصلاة، وإنما يجري ذلك كله في جماعة واحدة من إمام واحد، وهو الإمام الراتب فضيلة الشيخ عبد العزيز بن صالح» ا: هـ. من كتاب «التراويح» للشيخ عطية محمد سالم من ص(١٣٠ ـ ١٣٥).

ونختم هذه الأدعية بدعاء ختم القرآن الذي أثر عن زين العابدين علي بن الحسين ـ رحمه اللَّه ـ.

«اللَّهم إنك أعنتني على ختم كتابك الذي أنزلته نورًا، وجعلته مهيمنًا على كل كتاب أنزلته وفضلته على كل حديث قصصته، وفرقانًا فرقت به بين حلالك وحرامك، وقرآنًا أعربت به عن شرائع أحكامك، وكتابًا فصلته لعبادك تفصيلاً، ووحيًا أنزلته على نبيك محمد صلواتك عليه وآله تنزيلاً، وجعلته نورًا نهتدي من ظلم الضلالة والجهالة باتباعه، وشفاء لمن أنصت بفهم التصديق إلى استماعه، وميزان قسط لا يحيف عن الحق لسانه، ونور هدى لا يطفأ عن الشاهدين برهانه، وعلم نجاة لا يضل من أم قصد سنته ولا تنال أيدي الهلكات من تعلق بعروة عصمته.

اللَّهم فإذا أفدتنا المعونة على تلاوته، وسهلت حواسي ألسنتنا بحسن عبارته فاجعلنا ممن يرعاه حق رعايته، ويدين لك باعتقاد التسليم لمحكم آياته، ويفزع إلى الإقرار بمتشابهه، وموضحات بيناته.

اللَّهم إنك أنزلته على نبيك محمد ﷺ وآله مجملاً، وألهمته علم عجائبه مكملاً وورثتنا علمه مفسرًا وفضلتنا على من جهل علمه، وقويتنا عليه لترفعنا فوق من لم يطق حمله.

اللَّهم فكما جعلت قلوبنا له حملة وعرفتنا برحمتك شرفه وفضله، فصل على محمد الخطيب به وعلى آله الخزان له، واجعلنا ممن يعترف بأنه من عندك حتى لا يعارضنا الشك في تصديقه ولا يختلجنا الزيغ عن قصد طريقه.

اللَّهم صل على محمد وآله، واجعلنا ممن يعتصم بحبله ويأوي من

المتشابهات إلى حرز معقله ويسكن في ظل جناحه، ويهتدي بضوء صباحه، ويقتدي بتبلج أسفاره ويستصبح بمصباحه ولا يلتمس الهدى في غيره.

اللَّهم وكما نصبت به محمدًا علمًا للدلالة عليك، وأنهجت بآله سبل الرضا إليك فصل على محمد وآله، واجعل القرآن وسيلة لنا إلى أشرف منازل الكرامة وسلمًا نعرج فيه إلى محل السلامة، وسببًا نجزى به النجاة في عرصة القيامة، وذريعة نقدم بها على نعيم دار المقامة.

اللَّهم صل على محمد وآله واحطط بالقرآن عنا ثقل الأوزار. وهب لنا حسن شمائل الأبرار، واقف بنا آثار الذين قاموا لك به آناء الليل وأطراف النهار، حتى تطهرنا من كل دنس بتطهيره، وتقفو بنا آثار الذين استضاءوا بنوره ولم يلههم الأمل عن العمل فيقطعهم بخدع غروره.

اللَّهم صل على محمد وآله، واجعل القرآن لنا في ظلم اليالي مؤنسًا، ومن نزغات الشيطان وخطرات الوساوس حارسًا ولأقدامنا عن نقلها إلى المعاصي حابسًا، ولألستنا عن الخوض في الباطل من غير ما آفة مخرسًا، ولجوارحنا عن اقتراف الآثام زاجرًا، ولما طوت الغفلة عنا من تصفح الاعتبار ناشرًا حتى توصل إلى قلوبنا فهم عجائبه وزواجر أمثاله التي ضعفت الجبال الرواسي على صلابتها عن احتماله.

اللَّهم صل على محمد وآله، وأدم بالقرآن صلاح ظاهرنا، واحجب به خطرات الوساوس عن صحة ضمائرنا، واغسل به درن قلوبنا وعلائق أوزارنا، واجمع به منتشر أمورنا وارْوِ به في موقف

العرض عليك ظمأ هواجرنا واكسنا به حلل الأمان يوم الفزع الأكبر في نشورنا.

اللَّهم صل على محمد وآله واجبر بالقرآن خلتنا من الإملاق وسق إلينا به رغد العيش وخصب سعة الأرزاق، وجنبنا به الضرائب المذمومة ومداني الأخلاق واعصمنا به من هوة الكفر ودواعي النفاق حتى يكون لنا في القيامة إلى رضوانك وجنانك قائدًا ولنا في الدنيا عن سخطك وتعدي حدودك ذائدًا ولما عندك بتحليل حلاله وتحريم حرامه شاهدًا.

اللَّهم صل على محمد وآله وهون بالقرآن عند الموت على أنفسنا كرب السياق وجهد الأنين وترادف الحشارج إذا بلغت النفوس التراقي وقيل من راق وتجلى ملك الموت لقبضها من حجب الغيوب ورماها عن قوس المنايا بأسهم وحشة الفراق، وداف لها من زعاف الموت كأسًا مسمومة المذاق، ودنا منا إلى الآخرة رحيل وانطلاق، وصارت الأعمال قلائد في الأعناق، وكانت القبور هي المأوى إلى ميقات يوم التلاق.

اللَّهم صل على محمد وآله، وبارك لنا في حلول دار البلى وطول المقامة بين أطباق الثرى، واجعل القبور بعد فراق الدنيا خير منازلنا، وافسح لنا برحمتك في ضيق ملاحدنا، ولا تفضحنا في حاضري القيامة بموبقات آثامنا، وارحم بالقرآن في موقف العرض عليك ذل مقامنا، وثبت به عند اضطراب جسر جهنم يوم المجاز عليها زلل أقدامنا، ونجنا به من كل كرب يوم القيامة وشدائد أهوال يوم الطامة، وبيض وجوهنا يوم تسود وجوه الظلمة في يوم الحسرة والندامة، واجعل لنا في صدور المؤمنين ودًا، ولا تجعل الحياة علينا نكدًا.

اللَّهم صل على محمد عبدك ورسولك كما بلغ رسالتك وصدع بأمرك ونصح لعبادك.

اللَّهم اجعل نبينا صلواتك عليه وعلى آله يوم القيامة أقرب النبيين منك مجلسًا وأمكنهم منك شفاعة، وأجلهم عندك قدرًا، وأوجههم عندك جاهًا.

اللَّهم صل على محمد وآل محمد وشرف بنيانه، وعظم برهانه، وثقل ميزانه، وتقبل شفاعته، وقرب وسيلته وبيض وجهه، وأتم نوره وارفع درجته، وأحينا على سنته، وتوفنا على ملته، وخذ بنا منهاجه واسلك بنا سبيله، واجعلنا من أهل طاعته، واحشرنا في زمرته، وأوردنا حوضه، واسقنا بكأسه. وصل اللَّهم على محمد وآله صلاة تبلغه بها أفضل ما يأمل من خيرك وفضلك وكرامتك، إنك ذو رحمة واسعة، وفضل كريم.

اللَّهم اجزه بما بلغ رسالاتك، وأدى من آياتك، ونصح لعبادك، وجاهد في سبيلك أفضل ما جزيت أحدًا من ملائكتك المقربين وأنبيائك المرسلين المصطفين والسلام عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، ورحمة اللَّه وبركاته» ا. هـ. من كتاب «زين العابدين».

* * *

مِنْ بدع التراويح

التراويح قبـــل العشاء بدعة:

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية: عمّنْ يصلي التراويح بعد المغرب. هل هو سنة أم بدعة؟ وذكروا أن الإمام الشافعي صلاها بعد المغرب، وتممها بعد العشاء الآخرة؟

فأجاب: «الحمد للَّه رب العالمين: السنة في التراويح أن تصلى بعد العشاء الآخرة، كما اتفق على ذلك السلف والأئمة، والنقل المذكور عن الشافعي ـ رضي اللَّه عنه ـ باطل، فما كان الأئمة يصلونها إلا بعد العشاء على عهد النبي ﷺ، وعهد خلفائه الراشدين، وعلى ذلك أئمة المسلمين، لا يعرف عن أحد أنه تعمد صلاتها قبل العشاء، فإن هذه تسمى قيام رمضان، كما قال النبي ﷺ: «**إن اللَّه فرض عليكم صيام رمضان وسننت لكم قيامه، فمن صامه وقامه غفر له ما تقدم من ذنبه**» وقيام الليل في رمضان وغيره إنما يكون بعد العشاء، وقد جاء مصرحًا به في السنن «إنه لما صلى بهم قيام رمضان صلى بعد العشاء». وكان النبي ﷺ قيامه بالليل هو وتره، يصلي بالليل في رمضان وغير رمضان إحدى عشرة ركعة، أو ثلاث عشرة ركعة، لكن كان يصليها [طوالاً]، فلما كان ذلك يشق على الناس قام بهم أبيّ بن كعب في زمن عمر بن الخطاب عشرين ركعة يوتر بعدها، ويخفف فيها القيام فكان تضعيف العدد عوضًا عن طول القيام. وكان بعض السلف يقوم أربعين ركعة فيكون قيامها أخف ويوتر بعدها بثلاث، وكان بعضهم يقوم بست وثلاثين ركعة

يوتر بعدها. وقيامهم المعروف عنهم بعد العشاء، ولكن الرافضة تكره صلاة التراويح فإذا صلوها قبل العشاء الآخرة لا تكون هي صلاة التراويح، كما أنهم إذا توضئوا يغسلون أرجلهم أول الوضوء ويمسحونها في آخره، فمن صلاها قبل العشاء فقد سلك سبيل المبتدعة والمخالفين للسنة والله أعلم» ا. هـ[١].

قراءة سورة الأنعام في رمضان ليلة الجمعة بدعة:

سُئل شيخ الإسلام عما يصنعه أئمة هذا الزمان من قراءة سورة الأنعام في رمضان في ركعة واحدة ليلة الجمعة هل هي بدعة أم لا؟

فأجاب: «نعم بدعة، فإنه لم ينقل عن النبي ﷺ ولا عن أحد من الصحابة والتابعين ولا غيرهم من الأئمة أنهم تحروا ذلك، وإنما عمدة من يفعله ما نقل عن مجاهد وغيره أن سورة الأنعام نزلت جملة، مشيعة بسبعين ألف ملك، فاقرءوها جملة؛ لأنها نزلت جملة، وهذا استدلال ضعيف، وفي قراءتها جملة من الوجوه المكروهة منها: أن فاعل ذلك يطوّل الركعة الثانية من الصلاة على الأولى تطويلاً فاحشًا، والسنة تطويل الأولى على الثانية كما صح عن النبي ﷺ، ومنها تطويل آخر قيام الليل على أوله وهو خلاف السنة فإنه كان يُطول أوائل ما كان يصلّيه من الركعات على أواخرها والله أعلم»[٢].

---

(١) انظر: «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢٣/ ١١٩). قال ابن مفلح في «المبدع» (٢/ ١٧): أفتى به [أي: بصلاة التراويح قبل العشاء] بعض أئمته؛ لأنها من الصلاة بالليل، وشنع الشيخ تقي الدين عليه، ونسبه إلى البدعة» ا. هـ.

(٢) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢٣/ ١١٩ ـ ١٢٢).

* قال ابن مفلح في «المبدع» (٢/ ١٨): قراءة ﴿الأنعام﴾ في ركعة بدعة.

صلاة القدر بدعة:

«سئل شيخ الإسلام ابن تيمية يصلون بعد التراويح ركعتين في الجماعة، ثم في آخر الليل يصلون تمام مائة ركعة ويسمون ذلك: «صلاة القدر»، وقد امتنع بعض الأئمة من فعلها، فهل الصواب مع من يفعلها، أو مع من يتركها؟ وهل هي مستحبة عند أحد من الأئمة أو مكروهة؟ وهل ينبغي فعلها والأمر بها، أو تركها والنهي عنها؟

فأجاب: الحمد للَّه، بل المصيب هذا الممتنع من فعلها والذي تركها، فإن هذه الصلاة لم يستحبها أحد من أئمة المسلمين، بل هي بدعة مكروهة باتفاق الأئمة، ولا فعل هذه الصلاة لا رسول اللَّه ﷺ، ولا أحد من الصحابة، ولا التابعين، ولا يستحبها أحد من أئمة المسلمين، والذي ينبغي أن تترك وينهى عنها»[1]ا. هـ.

بدع الذكر بعد التسليمتين من صلاة التراويح:

قال ابن الحاج في «المدخل» (٢/ ٢٩٣، ٢٩٤):

«وينبغي أن يتجنب ما أحدثوه من الذكر بعد كل تسليمتين من صلاة التراويح، ومن رفع أصواتهم بذلك، والمشي على صوت واحد، فإن ذلك كله من البدع، وكذلك ينهى عن قول المؤذن بعد ذكرهم بعد

---

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (ج٢٣) من ص(١١٩ ـ ١٢٢).

التسليمتين من صلاة التراويح: الصلاة يرحمكم اللَّه، فإنه محدث، والحدث في الدين ممنوع، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، ثم الخلفاء بعده، ثم الصحابة ـ رضوان اللَّه عليهم أجمعين ـ ولم يذكر عن أحد من السلف فعل ذلك، فيسعنا ما وسعهم.

* وقال الشيخ علي محفوظ في كتاب «الإبداع...» ص(٢٨٥ ـ ٢٨٦): «ومِنْ هنا يعلم كراهة ما أحدث في صلاة التراويح من قولهم عقب الركعتين الأوليين منها: الصلاة والسلام عليك يا أول خلق اللَّه، ونحو ذلك قبل الآخرتَيْن، وبعضهم يترضى عن الصحابة، عقب الأولى عن أبي بكر، والثانية عن عمر، والثالثة عن عثمان، والرابعة عن علي، وكل ذلك شرع لما لم يشرعه اللَّه على لسان نبيه، ولا يقال: إنه لا بأس به حيث أنه صلاة وتسليم عليه ﷺ، ومن حيث أنه ترضى عن أصحابه لانعقاد الإجماع على سَنّ الترضي عنهم، والترحم على العلماء والصلحاء لما فيه من التنويه بعلو شأنهم، والتنبيه على عظم مقامهم، ولكن الناس تفعله على أنه شعار لصلاة التراويح ويرون ذلك حسنًا، وهو من تلبيس الشيطان عليهم، وهو أيضًا بدعة إضافية.

وأشد كراهية منه صلاة التراويح مع التخفيف المفرط فيها جهلاً من الأئمة، وكسلاً من الناس، والانفراد في هذه الحالة أفضل من الجماعة، بل إنْ علم المأموم أن الإمام لا يتم بعض الأركان لم يصح اقتداؤه به أصلاً، ومَنْ اعتبر صلاة التراويح اليوم بها حال تشريعها، وأيام القرون الأولى يرى أن الناس قد ذهبوا بكل مزاياها وعطّلوا معظم شعائرهم، وأحدثوا بدعًا سيئة لا يرضاها اللَّه ولا رسوله ولا مسلم له على الشرع

غيرة، فترى العوام فيها يشتركون جميعًا في الذكر والتسبيح بين كل ترويحتين، ويحدثون ضجة هائلة لا تجعل أثرًا للخشوع في القلب نسأل اللَّه الهداية بمنه وكرمه» ا. هـ.

ما يُفعل في ليلة الختم:

قال ابن الحاج في «المدخل»: «وينبغي له أن يتجنب ما أحدثه بعضهم في الختم من أنهم يقومون في ليالي رمضان كلها في الغالب بحزبين فما فوقهما، فإذا كانت ليلة الختم التي ينبغي أن يزاد فيها على القيام المعهود لفضيلتها فيصلي بعضهم فيها بنصف حزب ليس إلا وهو من سورة الضحى إلى آخر الختمة، وكان السلف ـ رضوان اللَّه عليهم ـ يقومون تلك الليلة كلها فجاء هؤلاء ففعلوا الضد من ذلك.

صفة قيام العشر الأواخر من رمضان:

قال ابن الحاج في «المدخل» (ج٢):

«وينبغي للمكلف أن يتمثل السنة في قيام العشر الأواخر من شهر رمضان إذ إن النبي ﷺ كان إذا دخل العشر ـ أحيا الليل كله. وهذه سنة قد تُركت في الغالب في هذا الزمان، فتجد بعضهم يقومون من أول الشهر، فإذا دخل العشر الأواخر تركوه؛ لأنهم يختمون في أوله، أو في أثنائه، ثم لا يعودون للقيام بعد ختمهم، وهذه بدعة ممن فعلها، وهي مصادمة لفعل النبي ﷺ وإن قام بعضهم فبالشيء القليل مع أنه قد أحيا بعضهم هذا العشر في المسجد الجامع، وهي سنة حسنة لو سلمت مما طرأ عليها من المفاسد.

فمنها أن الأئمة يأخذون عليها عوضًا معلومًا.

الثاني: أن المسجد يبقى في ظلام الليل مفتوح الأبواب، يدخل إليه منها من يقوم ومن لا يقوم، وظلال الليل يسترهم» ا. هـ.

* وقال شيخ علي محفوظ في «الإبداع» ص(٢٧٣):

«المواسم التي نسبوها للشرع وليست منه، ومنها ليلة القدر، ولا شك أن إحياءها مستحب كسائر ليالي الشهر، خصوصًا ليالي العشر الأواخر منه، ولكن النظر في تخصيصها بالإحياء من بين الليالي فإنه يوهم الناس أن ذلك مشروع، وليس كذلك، فإنه ﷺ حث على قيام ليالي رمضان كله، وحث على التماس ليلة القدر في العشر الأواخر منه كما علمت، وهذا يفيد أن إحياء هذه الليلة بخصوصها، وجعلها موسمًا لا أصل له، فهو بدعة مضافة إلى إحيائها بغير ما رغب الشارع فيه من إيقاد المنارات وغيرها وكثرة الوقود في المساجد، إلى غير ذلك مما لا فائدة فيه ولا غرض صحيح» ا. هـ.

الخطبة وما يُفعل بعد الختم من البدع:

قال ابن الحاج في «المدخل» (ج٢):

«وينبغي له أن يتجنب ما أحدثوه بعد الختم من الدعاء برفع الأصوات، قال اللَّه تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾، وقد سئل بعض السلف عن الدعاء الذي يدعونه عند ختم القرآن فقال: أستغفر اللَّه من تلاوتي إياه سبعين مرة[1].

---

(١) هذا غير دعاء الختم الذي نص عليه العلماء كالإمام أحمد كما مرّ بك.

*وينبغي له أن يتجنب ما أحدثه بعضهم من البدع عند الختم، وهو أنهم يقومون بسجدات القرآن كلها فيسجدونها متوالية في ركعة واحدة، أو ركعات، فلا يفعل ذلك في نفسه وينهى عنه غيره، إذ إنه من البدع التي أحدثت بعد السلف.

وبعضهم يبدل مكان السجدات قراءة التهليل على التوالي، فكل آية فيها ذكر لا إله إلا اللَّه، أو لا إله إلا هو قرأها إلى آخر الختمة، وذلك من البدع أيضًا» ا. هـ.

ما يفعلونه بعد الختم مما لا ينبغي:

قال ابن الحاج في «المدخل» (ج٢): «قال مالك في «المدونة»: الأمر في رمضان الصلاة، وليس القصص والدعاء.

قال الطرطوشي في «المدونة»: قد نهى مالك أن يقص أحد بالدعاء في رمضان، وحكى أن الأمر المعمول به في المدينة القراءة من غير قصص ولا دعاء.

ومن «المستخرجة» عن ابن القاسم قال: سئل مالك عن الذي يقرأ القرآن فيختمه، ثم يدعو قال: ما سمعت أنه يدعو عند ختم القرآن، وما هو من عمل الناس.

ومن «مختصر ما ليس في المختصر»: «قال مالك: لا بأس أن يجتمع القوم في القراءة عند من يقرئهم، ويكره الدعاء[1] بعد فراغهم.

---

(١)انظر: خلاف هذا في «التبيان في آداب حملة القرآن» وما نقل في فقه الإمام أحمد عن الختم.

* ومن ذلك اجتماع المؤذنين تلك الليلة في موضع الختم فيكبرون جماعة في حال كونهم في الصلاة لغير ضرورة.

* وينبغي في ليالي رمضان كلها أن يزاد فيها الوقود قليلاً زائدًا على العادة لأجل اجتماع الناس وكثرتهم فيه دون غيره، بخلاف ما أحدثه بعض الناس اليوم من زيادة وقود القناديل الكثيرة الخارجة عن حد الشرع، لما فيها من إضاعة المال والسرف» ا. هـ.

قيام السنة كلها كهيئة التراويح:

قال ابن الحاج في «المدخل» (٢/ ٢٩٨):

[قال الباجي ـ رحمه اللَّه ـ في «شرح الموطأ»: «إن هذا القيام الذي يقوم الناس به في رمضان في المساجد هو مشروع في السنة كلها، يوقعونه في بيوتهم. هذه هي السنة الماضية في الأمة، خلافًا لما فعله بعض الناس من أنه جعل القيام المعهود في رمضان دائمًا في زاويته في جميع السنة، ثم نقلت عنه واشتهرت، فصارت تعمل في بعض المواضع المشهورة. وقد قال حبيب وغيره من العلماء: أنهم يمنعون من ذلك في المساجد، وفي كل موضع مشهور، كذلك لو تواعدوا على أنهم يجمعون في موضع مشهور فإنهم يمنعون منه فإن فعلوا فهي بدعة ممن فعلها في غير شهر رمضان» ا. هـ.

انتهى قيام رمضان المسمَّى بالتراويح:

بين الجوانـــح في الأعماق سكناه فكيف أنسى ومَن في الناس ينســاه
في كل عــام لنا لقيا محببة يهتز كل كياني حين ألقـــاه

بالعين والقلب بالآذان أرقبـه ... وكيف لا وأنا بالروح أحيـاه !

ألقـاه شهراً ولكن في نهايته ... يمضي كطيف خيـال قد لمحنـاه

في موسم الطهر في رمضان الخير تجمعنا ... محبة اللَّه لا مـال ولا جـاه

من كل ذي خشية للَّه ذي ولع ... بالخير تعرفه دومًا بسيماه

قد قدروا موسم الخيرات فاستبقوا ... والاستباق هنا المحمود عقباه

صاموه قاموه إيمانا ومحتسبًا ... أحيَوْهُ طوعًا، وما في الخير إكراه

فالأذن سـامعة والعين دامعـة ... والروح خاشعة والقلب أوّاه [(1)]

وكلهم بات بالقرآن مندمجـًا ... كأنه الدم يسري في خلاياه

* * *

(١) رسالة شوق وحنين للقرضاوي من ديوان «نفحات ولفحات» ص(١٠٠، ١٠١).



فهرس الموضوعات (٢)

الموضوع | الصفحة

قيام الراكعات الساجدات

الموضــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

* * *

مطبعة العمرانية للأوفست
بالجيزة ت: ٥٨١٧٥٥٠